كتاب

الأمالي

تأليف

أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي

الجزء الأول



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

ترجمـــة

أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي

كان إماماً فى اللغة وعلوم الأَدب، ولصِيته الذائع فيها دعاه الخليفةُ عبدُ الرحمن[1] الناصر أَشهرُ ملوك بنى أُمَيَة بالأَنْدَلُس لنشر علومه وآدابه ، فَحَظِىَ عنده حُظْوة كبرى ، وفى قُرْطُبَةَ عاصِمةِ الأَندلس أَملَى تصانيفه المُمْتِعة ، وكُتُبه القيمة التى لم يُجارِه فى تأْليفها أَحد ؛ بل أَعجز بها مَن بعده ، وفاقَ مَن تقدمه[2] .

مولده ونشأَته :

هو أَبوعليّ إسماعيل بن القاسم بن عَيْذُون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سَلْمان ، وجده سَلْمان مَوْلَى عبد الملك بن مَرْوان الأُمَوىّ . وُلد بِمَنَازْ جِرْد من ديار بكر سنة ٢٨٨ هـ ، فنشأَ بها ، ورحل منها إلى العراق لطلب العلم والتحصيل .

سبب تسميته القالى البغدادىّ :

وأَما سبب تسميته القالى ، فهو منسوب إلى قَالِى قَلاَ ــ بلد من أَعمال إِرْمِينِيَّة ــ

---

(١) هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس من الأمويين ويعرف بعبد الرحمن الثالث ، ولد فى سنة ٢٧٧ هـ واعتلى عرش الأندلس سنة ٣٠٠ هـ وتوفى سنة ٣٥٠ هـ . وهو أول من تلقب بألقاب الخلافة وتسمى بـ «أمير المؤمنين» وكانت يده بيضاء على العلم والعلماء ، فانشأ فى عهـــده الجوامع والمدارس وأشهرها (مدرسة الطب) وهى أول مدرسة أنشئت فى أوروبا باجماع المؤرخين (والمكتبة الشهيرة) بغرناطة ؛ وهى أجل مكتبة كانت فى عهدهـــا على ظهر الأرض ؛ أودعها ستمائة ألف مجلد ؛ ولذا كانت الأندلس فى زمانه زاهية بالمعارف والعلوم . وكان جديرا بأبى على القالى أن يهدى كتابه «الأمالى» اليه ؛ ويتوجه باسمه الكريم .

(٢) ففى معجم الأدباء لياقوت (ج٢ ص ٣٥٢) قال : «قال الزبيدى : ولا نعلم أحدا من المتقدمين ألف مثله» . وصاحب نفح الطيب (ج ٢ ص ٥١ طبع مدينة ليدن) قال : «وله كتاب المقصور والممدود وجمع فيه مالا يحد ولا يعد ، وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه» .

قال القالى عن نفسه : « لما أنحدرنا إلى بغداد كنا فى رُفْقة كان فيها أهلُ قَالِى قَلَا ، وهى قرية من قُرَى مَنَازْجِرْد ، وكانوا يُكْرَمُون لمكانهم من الثغْر ، فلما دخلنا بغداد نُسِبت إليهم لكونى معهم ، وثَبَت ذلك علىّ »(١) وكانوا يسمونه البغدادى لطول مُقامه فيها ، ووصوله إليهم منها(٢) ؛ كما سيتبين ذلك فى موضعه

حياته العلمية وشيوخه :

توجه إلى العراق وكانت يومئذ مَهْدَ العلم ومُنْتَدَى الأدب ، فدخل بغداد سنة ٣٠٣هـ فأكبّ على الدرس ، وجَدّ فى التحصيل على علماء الحديث وجَهابِذة اللغة والرواية ؛ فَسَمِع بها الحديثَ من أبى القاسم عبد الله بن محمد البَغَوِى(٣) ، وأبى سعيد الحسن ابن على بن زكريا بن يحيى بن صالح بن عاصم بن زُفَر العَدَوِى(٤) ، وأبى بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتَانى(٥) ، وأبى محمد يحيى بن محمد

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٣) وهو ما رواه ابن خلكان فى تاريخه (ج ١ ص ١٠٩ طبع باريس سنة ١٨٣٩ م) والضبى فى بغية الملتمس (ص ٢١٨) والمقرى فى نفح الطيب وياقوت فى معجم الأدباء (ج ٢ ص ٣٥١) ولكن ياقوتا ذكر سببا آخر فى معجمه أول ترجمة القالى (ج ٢ ص ٣٥١) قال : «قال القالى عن نفسه : لما دخلت بغداد انتسبت الى قالى قلا ؛ رجاء أن أنتفع بذلك ، لأنها ثغر من ثغور المسلمين لايزال بها المرابطون» اهـ .

(٢) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٢) .

(٣) هذه النسبة الى بلدة من بلاد خراسان بين مرو وهراة يقال لها «بغ» و «بغشور» كان بها جماعة من الأئمة والعلماء منهم : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوى ابن بنت أحمد بن منيع .. كان محدث العراق فى عصره ، عمر العمر الطويل حتى رحل الناس اليه وكتب عنه الأجداد والأحفاد والآباء والاولاد ؛ وكان ثقة مكثرا .. صنف المعجم الكبير للصحابة . روى عنه كثيرون ومات ليلة عيد الفطر سنة ٣١٧ هـ . (الأنساب للسمعانى ص ٨٦) .

(٤) هو الحسن بن زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر أبو سعيد العدوى البصرى . ولد سنة ٢١٠ هـ وسكن بغداد وحدث عن مسدد وهدبة وطالوت وكامل بن طلحة وغيرهم . روى عنه الدارقطنى .. وكان واضعا للحديث . توفى سنة ٣١٩ هـ . راجع (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم للامام أبى الفرج بن عبد الرحمن الجوزى (ج٦ ص١٨٣) من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٩٦ تاريخ) .

(٥) هو أبو بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، كان محدث العراق وابن امامها فى عصره من أهل الفقه والعلم والاتقان . مات سنة ٣١٦ هـ (الأنساب للسمعانى ص ٢٩١) .

وقال عنه الامام ابن الجوزى فى كتابه المنتظم (ج٦ ص ١٦٧) :

« وكان عالما فهما من كبار الحفاظ ؛ نصب له السلطان منبرا فحدث عليه وكان فى وقته مشايخ علماء لكنهم لم يبلغوا فى الاتقان ما بلغ .. توفى أبو بكر يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة سنة ٣١٦ هـ . وهو ابن ست وثمانين سنة وستة أشهر وأيام ؛ وصلى عليه زهاء ثلاثمائة ألف ثم صار الواصلون يصلون عليه ثمانين مرة .. الخ» .

ابن صاعِد(١) ، ويوسف بن يعقوب القاضى (٢) ، والحسين بن إسماعيل المَحَامِلى (٣) ، وأخيه أبى عُبَيد(٤) ، وأبى بكر بن مُجاهِد الْمُقْرِىء(٥) وسواهم. وقرأ النحو والعربية والأدب على ابن دَرَسْتَوَيْه(٦) والزّجاج(٧) ، والأخْفش(٨)

---

(١) هو يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد مولى أبى جعفر المنصور • ولد سنة ٢٢٨ هـ ورحل فى طلب الحديث الى البلاد وكتب وحفظ وسمع أحمد بن منيع وبندار ومحمد المثنى والبخارى وخلقا كثيرا •• وروى عنه من الأكابر أبو عبد الله بن محمد البغوى والجفانى وابن المظفر والدارقطنى •• وكان ثقة مأمونا من كبار حفاظ الحديث ، وله تصانيف فى السنن تدل على فقهه وفهمه •• توفى فى ذى القعدة سنة ٣١٧ هـ وله تسعون سنة ودفن فى باب الكوفة اهـ • راجع (المنتظم للامام ابن الجوزى ج ٦ ص ١٨١) •

(٢) هو يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد أبو محمد البصرى • ولد سنة ٢٠٨ هـ وسمع سليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق••روى عنه أبو عمرو بن السماك وأبو سهيل بن زياد وأبو بكر الشافعى وغيرهم • وكان ثقة قد ولى القضاء بالبصرة فى سنة ٢٧٦هـ وضم اليه قضاء واسط ثم أضيف الى ذلك قضاء الجانب الشرقى من بغداد • وكان جميل الأمر حسن الطريقة ثقة عفيفا مهيبا عالما بصناعة القضاء لايراقب فيها أحدا •• توفى فى رمضان سنة ٢٩٧ هـ• وله تسع وثمانون سنة اهـ • راجع (المنتظم للامام ابن الجوزى ج ٦ ص ٧٣) وراجع ابن الأثير (ج ٨ ص ٤٥ طبعـــة أوروبا)

(٣) هذه النسبة الى المحامل التى يحمل فيهـــا الناس على الجمال الى مكة • وهو بيت كبير ببغداد لجماعة من أهل العلم والحديث ؛ منهم : أبو عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملى ، كان فاضلا صادقا دينا ثقة صدوقا ، وأول سماعه الحديث فى سنة ٢٤٤ هـ•• ولى قضاء الكوفة • سمع يوسف بن موسى القطان وأبا هاشم الرفاعى •• وكان يحضر مجلس املائه عشرة آلاف رجل ؛ وكانت ولادته سنة ٢٣٦ هـ ومات فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٠٣ هـ (الأنساب للسمعانى ص ٥١٠) •

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن اسماعيل أبان المحاملى، كان ثقة صدوقا ؛ وكانت ولادته فى سنة ٢٣٨ هـ ومات فى سلخ رجب سنة ٣٢٣ هـ ببغداد ؛ وكان أصغر من أخيه بسنتين • (الأنساب للسمعانى ص ٥١٠) •

(٥) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد آخر من انتهت اليه الرياسة بمدينة السلام • وكان واحد عصره غير مدافع وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن حسن الأدب رقيق الخلق كثير المداعبة ثاقب الفطنة جوادا • ومولده سنة ٢٤٥ هـ • وتوفى فى يوم الأربعاء لليلة بقيت من شعبان سنة ٣٢٤ هـ ودفن فى تربة فى (حريم) داره بسوق العطش ثانى يوم موته • وله عدة كتب فى القراءات • (راجع فهرست ابن النديم ص ٣١ طبعة أوروبا) •

(٦) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسى النحوى ، كان أحد النحاة المشهورين والأدباء المذكورين ؛ أخذ فن الأدب عن ابن قتيبة والمبرد ، اقام ببغداد مدة حياته وكان شديد الانتصار للبصريين فى النحو واللغة • وتصانيفه فى غاية الجودة والاتقان • ولد سنة ٢٥٨ هـ وتوفى فى صفر سنة ٣٤٧ هـ (نزهة الألبـــاء لابن الأنبـــارى وابن خلكـــان وبغية الوعاة للسيوطى) •

(٧) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج أحد تلامذة المبرد • كان من أكابر أهل العربية وصنف مؤلفات كثيرة • حدث عن نفسه قال : «كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو فلزمت المبرّد لتعلمه ، وكان لا يعلم مجانا ولايعلم بأجرة الا على قدرها ، فقال لى : أى شىء صناعتك ؟ فقلت : أخرط الزجاج وكسبى كل يوم درهم ونصف وأريد أن تبالغ فى تعليمى وأنا أشرط أن أعطيك كل يوم درهما الى أن يفرق الموت بيننا؛ قال: فلزمته وكنت أخدمه فى أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم ، فنصحنى فى العلم حتى استقللت ؛ فجاءه كتاب من بعض بنى مارقة يلتمسون معلما نحويا لأولادهم فقلت له : أسمعنى لهم ، فأسمانى فخرجت ؛ فكنت أعلمهم وأنفذ اليه فى كل شهر ثلاثين درهما وأتفقده بعد ذلك بما أقدر عليه •• الخ» • توفى فى جمادى الآخرة سنة ٣١١ هـ (بغية الوعاة ونزهة الألباء ومعجم الأدباء) •

(٨) هو أبو الحسن على بن سليمان الأخفش ، كان من أفاضل علماء العربية • أخذ عن أبى العباس محمد ابن يزيد المبرد وغيره توفى فى ذى القعدة سنة ٣١٥ هـ (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى) •

الصغير ، ونفطويه[(١)] ، وابن دريد[(٢)] ، وابن السرّاج[(٣)] ، وابن الأنبارى[(٤)] ، وابن أبي الأزهر[(٥)] وابن شقير[(٦)] ، والمطرّز[(٧)] ، وجحظة[(٨)] ، وابن قتيبة[(٩)] وغيرهم ؛ وهم الذين تكررت روايته عنهم فيما يمليه ؛ ولذا نوهنا بذكرهم فى الهامش .

نبوغه فى اللغة وعلوم الأدب :

مال أبو على القالى بطبعه إلى اللغة وعلوم الأدب ، فَبَرَعَ فيها واستكثر منها ؛ ونَبَغ نبوغًا لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخّر عنه . وعدّه المؤرخون إمامًا ثَبْتا ، وحُجة ثِقَة ، فوصفه الضبىّ فى كتابه « بغية الملتمس » بقوله[(١٠)] : « كان إمامًا فى علم

(١) هو أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة العتكى الأزدى المعروف بنفطويه ؛ كان عالما بالعربية واللغة والحديث حافظا للسير وأيام الناس والتواريخ والوفيات وصنف كتبا كثيرة . توفى فى صفر سنة ٣٢٣ هـ (راجع ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت وبغية الوعاة للسيوطى)

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى؛ ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ . كان نابغة فى اللغة والأدب والأنساب وبرع فى الشعر حتى قيل فيه : « أشعر العلماء وأعلم الشعراء» وله عدة تصانيف منها : كتاب «الجمهرة» فى اللغة ؛ رتبه على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن . توفى سنة ٣٢١ هـ (راجع ترجمته فى بغية الوعاة للسيوطى) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج ؛ كان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين ؛ قال المرزبانى : كان أحدث أصحابه بالمبرد سنا مع ذكاء وفطنة ، واليه انتهت الرئاسة فى النحو بعد المبرد . صنف كتبا كثيرة ومات شابا فى ذى الحجة سنة ٣١٦ هـ (بغية الوعاة) .

(٤) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى ؛ كان من أعلم الناس وأفضلهم فى نحو الكوفيين وأكثرهم حفظا للغة وألف كتبا كثيرة فى علوم القرآن والحديث واللغة والنحو . توفى سنة ٣٢٨ هـ (بغية الوعاة للسيوطى ونزهة الألباء)

(٥) هو محمد بن مزيد بن محمود بن منصور بن راشد أبو بكر الخزاعى المعروف بابن أبى الأزهر النحوى؛ حدث عن المبرد وكان مستمليه والزبير بن بكار ، وروى عنه أبو الفرج الأصبهانى وجماعة . توفى سنة ٣٢٥ هـ (بغية الوعاة للسيوطى) .

(٦) هو أبو بكر أحمد بن الحسن بن الفرج بن شقير النحوى؛ كان عالما بالنحو وكان على مذهب الكوفيين. توفى سنة ٣١٧ هـ وله عدة تصانيف ، وهو من طبقة أبى بكر بن السراج وأبى بكر بن الخياط (نزهة الألباء).

(٧) هو محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم أبو عمر الزاهد المطرز اللغوى . قال التنوخى : لم أر قط أحفظ منه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة . وقال ابن برهان : لم يتكلم فى العربية أحد من الأولين والآخرين أعلم منه ؛ له عدة تصانيف . وتوفى سنة ٣٤٥ هـ (بغية الوعاة)

(٨) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة ؛ كان فاضلا صاحب فنون وأخبار ونوادر وكان من ظرفاء عصره . توفى سنة ٣٢٦ هـ (ابن خلكان ج ١ ص٥٩) .

(٩) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة . ولد ببغداد وروى عن أبيه تصانيفه كلها. قدم مصر سنة ٣٢١ هـ وحدث بكتب أبيه كلها بها ولم يكن معه كتاب . وتولى بها القضاء وتوفى بها وهو على القضاء سنة ٣٢٢ هـ(معجم الأدباء لياقوت ج ٢ ص١٦٠)

(١٠) راجع «بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس» للضبى ، طبع مدينة مجريط سنة ١٨٨٤ م (ص ٢١٧) ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص٣٥٣) .

اللغة ، متقدمًا فيها ، متقنًا لها ، فاستفاد الناس منه وعوَّلوا عليه ، واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه فى غاية التقييد والضبط والإتقان . وقد ألَّف فى «علمه» الذى اختص به تآليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته » وسيأتى بيانها فى ذكر مؤلَّفاته .

استدعاؤه من بغداد إلى الأندلس :

أقام أبو على القالى ببغداد خمسًا وعشرين سنة ذاع فيها صِيتُه ، وعَمَّت شهرتُه ؛ ولما كان الخليفة عبد الرحمن الناصر الذى رَفَعَ مَنَار العلوم والفنون فى الأندلس ، وأدخل فيها مفاخرَ كل جهة ، وزِينَةَ كل بلد ، يَحترم العلماء ويُجِلهم ، ويُقدرهم أعظم تَقدير ، لأنهم رُوحُ الأُمة وحياتُها ، ويَعمل على إنهاض أُمته بنشر العِلْم لتسمُوَ إلى مراقى الفلاح ، سمع بشهرة أبى علىّ القالى فى اللغة والأدب « فكتب إليه » « ورغَّبه فى الوفود عليه ، لنشر علمه »[1] والاستفادة من معارفه وعلومه ، فلَبَّى دعوتَه ؛ وعند قدومه إليها استُقْبِل استقبالا عظيما ، كان ولى العهد « الحَكَم » ووزراء والده ووجوه رعيته فى مقدمة المُحتَفِين به .

وصف الاحتفاء بقدومه الأندلس :

وعند قدومه احتفل به احتفالا فخما وصفه المقَّرى مؤلِّف كتاب « نفح الطِّيب » بقوله[2] : « وفد على الأندلس أيامَ الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن ، فأمر ابنُه « الْحَكَمُ » وكان يتصرَّف من أمر أبيه كالوزير ، عامِلَهم ابن رَمَاحِس ، أن يجىء مع أبى على إلى قُرْطُبَة ، ويتلقَّاه فى وفد من وجوه رعيَّته ، يَنْتَخِبهم من بياض أهل الكُورة تكرِمةً لأبى علىّ ففعل ؛ وسار معه نحو قرطبة فى موكِب نبيل ، فكانوا يتذاكرون الأدب فى طريقهم ويتناشدون الأشعار » وكان دخوله إليها لثلاث بَقِين من شعبان سنة ٣٣٠ هـ كما قال ابن خِلِّكان[3] . قال صاحب نفح

(١) بغية الملتمس للضبى (ص ٢١٧) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٥٢) ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٣) .

(٢) نفح الطيب (ج ٢ ص ٤٨) طبعة مدينة ليدن سنة ١٨٥٥ م .

(٣) ابن خلكان (ج ١ ص ١٠٩) طبع باريس سنة ١٨٣٨ م .

الطيب : « وبعض المؤرخين يَزْعُم أن وِفَادَة أَبي على القالى إنما كانت فى خلافة الْحَكَم المستنصر بالأَندلس لا فى خلافة أبيه الناصر ، والصواب أن وفادته فى أيام الناصر » .

إكرام الخليفة الناصر له :

نزل أبو على القالى ضيفًا مكرمًا معزَّزًا على الخليفة الناصر فأَكرم مَثْواه ، وأحسن منزلته ، وأعلى قَدْره ، وَاختصَّه بتعليم ولى عهده « الحَكَم » وآستوطن قرطبة(١) « فأَورث أبو على أَهلَ الأَندلس عِلْمَه(٢) » وأفاد الحَكَم بأحسن ما عنده .

فضل القالى على الحَكَم فى حُبه العلم :

قَوِىَ عند الحَكَم حُب العلم حتى آشتدت رَغْبَتُه فى آقتناء الْكُتُب ؛ وبعدما آعتلى عَرْشَ الأَندلس كان يبعث بالتجار إلى الأَقطار ومعهم الأَموالُ لشراء الكُتُبِ وآستجلاب المصنَّفَات من الأَقاليم والنواحى ، باذلاً فيها ما أمكن من الأَموال مما لايُنفِقه غيرُه ، حتى جلب للأَندلس ما لم يَعهده علماؤُها مما كان يُضاهِى ما جمعته ملوك بنى العباس فى الأَزمان الطويلة .

هذا كتاب الأغانى بَعَث فيه لأَبى الفرج الأَصْبَهانى مُصَنِّفِه بألف دينار من الذهب العَيْن ، فبعث إليه بنسخته قبل أن يُخرِجه إلى العراق ؛ وكذلك فعل مع القاضى أَبى بكر الأَبْهَرِى المالكىّ فى شرحه لمُختصر آبن عبد الحكم(٣) .

إقبال العلماء والأُدباء عليه للاستفادة منه :

لقد آمتاز أَبو على القالى بسعة الاطلاع فى العلم والرواية ، وطول الباع فى اللغة وفنونها ، فأَقبل عليه علماءُ الأَندلس وأُدباؤُها للاستفادة من مُحاضراته فى اللغة والأَدب

(١) قرطبة : مدينة عظيمة على نهر الوادى الكبير بالأندلس . وكانت قاعدة الدولة الأموية وآل جهور من ملوك الطوائف بعدهم .

(٢) راجع نفح الطيب (ج ١ ص ٢٥٠) .

(٣) راجع نفح الطيب (ج ١ ص ٢٥٠ و ج ٢ ص ٢٩) .

التى كان يُمليها من حفظه فى أيام الأَخْمِسة بقرطبة ، وفى المسجد[١] الجامع بالزهراء[٢] المباركة ، كما حدث بهذا القالى عن نفسه فى مقدمة أماليه[٣] ، فردَّدوا ذكره ، وشَهِدُوا له بالتقدم والإجادة .

قال ابن الفَرَضِى فى تاريخ علماء الأَندلس[٤] (ص ٦٥) : « فسَمِع الناسُ منه وقرءوا عليه كُتُب اللغة والأَخبار والأَمالى وعَظُمت استفادتُهم منه ... الخ » .

وناهيك بالأَندلس فى ذلك العصر الذى كان زاهيا بالعلوم والفنون ، فقد كانت غاصةً بالعلماء والأُدباء والفقهاء وكبار الرجال المفكِّرين وهم كثيرون فى كل علم وفن ؛ وذَكَرَ جملةً من ذلك أبو محمد بن حَزْم الحافظ فى رسالة طويلة رد فيها على الحسن بن محمد القَيْروانى فيما كتبه فى تخليد علماء بلده وتقصير أَهل الأَندلس فى ذكر علمائهم . راجع (نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٨ طبعة ليدن) ؛ والمكتبة العربية الأَندلسية[٥] المطبوعة فى مجريط حافلةٌ بذكر كثير منهم ؛ وكذا طبقات الأُمم[٦] للقاضى أَبى القاسم صاعِد الأَندلسى ؛ ولهم تآليفُ قيمة تشهَد برسوخ قدمهم فى العلوم والمعارف ، وما وصلوا إليه فى الحضارة والاطلاع .

وكفى أَن الأمام الزبَيدى صاحب كتاب مختصر العين — وكان إذ ذاك إمامًا فى الأَدب — كان ممن استفادوا منه وأَقرّوا له ؛ قال ياقوت فى مُعْجَمه[٧] :

« وممن رَوَى عن القالى أَبو بكر محمد بن الحسين الزبيدى النحوى صاحب

---

(١) راجع الكلام على هذا المسجد العظيم فى نفح الطيب (ج ١ ص ٣٥٨ — ٣٦٩) طبع مدينة ليدن .

(٢) بنى الخليفة عبد الرحمن الناصر هذه المدينة العظيمة وسماها باسم جاريته (الزهراء) وقد أتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها ففاقت بعلو درجتها ما تقدمها من الآثار وجمعت غرائب الأشياء فى فن العمارة وجعلها متنزها لها ولحاشيته وأرباب دولته. راجع الكلام على هذه المدينة فى نفح الطيب (ج ١ ص ٣٤٦ طبع مدينة ليدن) .

(٣) راجع مقدمة الأمالى (ص ١٨ ، ٢٤ س ١١ ، ٢ من هذه الطبعة) .

(٤) طبع هذا الكتاب بمدينة مجريط سنة ١٨٩٠ م .

(٥) المكتبة العربية الأندلسية وهي : الصلة لابن بشكوال فى جزءين ، وبغية الملتمس للضبى ؛ والمعجم لابن الأبار ؛ والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ، وتكملة التكملة لابن الأبار (طبع مجريط) وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ؛ وفهرس ما رواه عن شيوخه من الدواوين فى ضروب العلم وأنواع المعارف أبو بكر بن خليفة الأموى الاشبيلى ، نشرها المستشرقان الأسبانيان : «كوديرا» و «ريبرا» (طبع مجريط) .

(٦) طبع هذا الكتاب فى بيروت ومصر .

(٧) معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٢ و ٣٥٣).

كتاب مختصر العين وأخبار النحويين ، وكان حينئذ إماماً فى الأدب ، ولكن عَرَفَ فضلَ أبى علىّ فمال إليه واختص به واستفاد منه وأقرّ له » .

إجماع المؤرخين على أنه كان أحفظ أهل زمانه :

ولقد أجمع المؤرخون بذكاء أبى على النادر ، ونبوغه الفائق ، وعدّوه أحفظ أهل زمانه ؛ قال الضبّى فى كتابه بغية الملتمس (ص ٢١٨) : « كان أحفظ أهلِ زمانه للغة ، وأرواهم للشعر ، وأعْلَمَهم بعللِ النحو على مذهب البصريين ، وأكثرَهم تدقيقاً فى ذلك » وقد حدث بهذا ابن خِلكان وياقوت وصاحب نفح الطيب .

ثناء الشعراء عليه :

عند دخوله الأندلس مدحه الشاعر المشهور يوسف بن هارون الكِنْدِى المعروف بالرَّمَادى بقصيدة(١) قال فيها :

رَوضٌ تَعاهَده السحابُ كأنه ... مُتعا هدٌ مِنْ عهدِ « إسماعيلِ »

قِسْه إلى الأعْراب تَعْلَم أنه ... أَوْلَى من الأعْراب بالتفضيلِ

حازتْ قبائلُهم لُغاتٍ فُرِّقت ... فيهم وحاز لغات كلِّ قبيلِ

فالشرق خالٍ بعده فكأنما ... نزل الخرابُ بربعه المأهول

وكأنه شمس بدَتْ فى غَرْبنا ... وتَغَيَّبَتْ عن شرقهم بأُفولِ

ياسيِّدى هذا ثنائى لم أقُلْ ... زُورًا ولا عرَّضتُ بالتنويلِ

مَنْ كان يأْمُل نائلا فأنا امرؤٌ ... لم أَرْجُ غيرَ القُرْب فى تأْميلى

نظره فى أهل الأندلس :

وذكر ابن بَسام فى الذخيرة(٢) : «أن أباعلىّ البغدادى صاحب الأمالى الوافد على

(١) راجع ابن خلكان طبعة مصر (ج٢ ص٥٤٣) .

(٢) يوجد جزءان مخطوطان من الذخيرة في شعراء الجزيرة بدار الكتب المصرية .

الأندلس فى زمان بنى مَرْوان قال : لما وصلتُ القَيْرَوان وأنا أعبر مَنْ أمرُّ به من أهل الأمصار ، فأجدهم درجات فى العبارات وقِلَّةِ الفهم بِحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأنَّ منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصَّةً ومقايسة (قال أبو على) : فقلت إنْ نَقَص أهلُ الأندلس عن مقادير مَنْ رأيتُ فى أفهامهم بقَدْر نقصان هؤلاء عمَّن قَبْلَهم فسأحتاجُ إلى تَرْجُمان فى هذه الأوطان » .

«قال ابن بَسام : فبلغنى أنه كان يَصِلُ كلامه هذا بالتعجُّب من أهل هذا الأُفُق الأندلسى فى ذكائهم ويتَغَطَّى عنهم عند المباحثة والمفاتشة ويقول لهم : إنَّ عِلْمى عِلْمُ رواية وليس بعلم دِرَاية ، فخذوا عَنِّى ما نقلتُ ، فلم آل لكم أن صُحِّحْت ، هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والأخذ عن الثقات »[1] اهـ .

إكرام الخليفة الحَكَم له وتشجيعه على التأليف :

وكما كان أبو على مَحلَّ إكرام الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وموضعَ عنايته كذلك كان بعد ماتولّى الخليفة الحكم[2] عرشَ الأندلس فبالغ فى إكرامه وإجلاله إذ كان أُستاذه الذى ثقَّف عقلَه بالعلوم والمعارف ، وبثَّ فى نفسه حُب العلم ، فكان الخليفة الحكم أحبَّ ملوك الأندلس للعلم ، وأكثرهم اشتغالا به وحِرْصا عليه ، وكان يُحُثُّ أبا علىّ على التأليف ، وينشِّطه بواسع العطاء ، ويشرح صدرَه بالإفراط فى الإكرام[3]

(١) نفح الطيب (٢ ص ١٠٧) .

(٢) هو الحكم المستنصر بالله ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر . اعتلى سرير الملك بعد وفاة أبيه وقام بأعبائه أتم قيام (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) كان محبا للعلوم مكرما لأهلها ؛ مغرما باقتناء الكتب القيمة على اختلاف أنواعها فسبق من تقدمه ، وجمع مالم يجمعه أحد من الملوك قبله ؛ فأقام للعلم سوقا ، وجدد للعلماء شوقا وظهر بهذا المظهر ؛ فجلبت اليه بضائع الفضل من كل قطر ، وحسبك بخزانة جمعت من الأسفار ما أقتضى لاستيفاء فهرسا أربعة وأربعين جزءا وبلغت الكتب فيها مائتى ألف مجلد جمعها من افريقية وفارس وجميع البلدان؛ وكان ذا غرام بها ؛ وقد آثر ذلك على كل لذائذ الملك وأغراض الملوك ؛ فاستوسع علمه ودق نظره ، وكان عالما بالأخبار والأنساب ، شغوفا بالقراءة حتى قالوا ـ وقد اتفقت على روايته الرواة ـ انه قلما يوجد كتاب فى مكتبته الا كان له فيه نظر وتعليق عليه ؛ يكتب عن المؤلف وعن مولده ووفاته ويأتى بغرائب لا توجد الا عنده . قال صاحب نفح الطيب (ج ١ ص ٢٥٠) نقلا عن ابن خلدون : «ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى أن بيع أكثرها فى حصار البربر وأمر باخراجها وبيعها الحاجب «واضح» من موالى المنصور بن أبى عامر ونهب مابقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوة» اهـ . فأعظم بأبى على القالى الذى وكل اليه أمر تعليمه وتربيته وتهذيبه ، فقام بذلك خير قيام . راجع ما كتب عنه فى نفح الطيب (ج١ ص ٢٥٠ طبعة ليدن).

(٣) بغية الملتمس للضبي (ص ٢١٧) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٥١) .

فانقطع إلى العلم والأدب ، وعكف على التأليف ، وأملى مؤلفاته القيمة التى فاق بها مَن تقدمه ، وأعجز مَن بعده ، كما حدّث بهذا صاحب نفح الطيب ، وياقوت فى معجمه .

مؤلفاته :

قبل البَدْء فى ذكر مؤلّفات أبى على نذكر كلمةً لابن بَسام يعلم القارئ منها أنها بحقٍّ لم يُجارِه فى تأليفها أحد ، وأنها أعجزت مَن بعده ، وفاق بها مَن تقدمه .

قال ابنُ بَسام فى الذَّخِيرة فى ترجمة صَاعِد : « وفَدَ على المنصور [بن أبى عامر] نَجْمًا من المشرق غرَّب ، ولسانا عن العرب أعرب ، وأراد المنصور أن يُعَفِّى به آثارَ أبى على القالى ، فألْفَى سيفَه كَهَاما [1] ، وسَحابَه جَهَاما [2] ، من رَجُل يتكلم بِملء فيه ، ولا يُوثَق بكل ما يَذَرُه ولا ما يأْتيه [3] » اهـ .

أما مؤلّفاته القيمة وكتبه النفيسة ، فقد ذكرها ياقوت فى معجمه [4] قال : « وانقطع بالأندلس بقية عُمره وهناك أملى كُتُبَه ، أكثرها عن ظَهْر قَلْب ، منها .

(١) كتاب « الأمالى » معروف بيد الناس ، كثير الفوائد ، غاية فى معناه ؛ قال أبو محمد بن حَزْم : كتاب نوادر أبى علىّ مُبَارٍ لكتاب الكامل الذى جمعه المبرِّد ، ولئن كان كتاب أبى العباس أكثَرَ نحوا وخبَرا ، فإنَّ كتاب أبى على أكثرُ لغةً وشِعْرا . (٢) كتاب « الممدود والمقصور [5] » رتَّبه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق ، مُسْتَقْصًى فى بابه ، لا يَشِذُّ منه شىء فى معناه ، لم يُوضَع مثلُه . (٣) كتاب « الإبل » ونتاجها وما تصرف معها . (٤) كتاب حُلَى الإنسان والخيل وشِيَاتها . (٥) كتاب فَعَلْت وأَفْعَلْت . (٦) كتاب مَقَاتِل الفُرْسان . (٧) تفسير السَّبْع الطوال . (٨) كتاب « البارع » فى اللغة على حروف المعجم ، جمع فيه كُتُبَ اللغة ، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة . قال الزُّبَيدى : ولا نعلم أحدا من المتقدمين أَلَّف مثله ، قرأت بخط أبى بكر محمد بن طَرْخان بن الحَكَم : قال الشيخ الإمام أبو محمد العربى : كتاب البارع

---

(١) كهام : لم يقطع . (٢) جهام : لا ماء فيه .

(٣) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٢ و ٦٦) . (٤) راجع (ج٢ ص ٣٥٢) .

(٥) حققه أحمد عبد المجيد هريدى ؛ وهو تحت الطبع .

لأبي علي القالي يحتوي على مائة مجلد ، لم يُصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب ؛ إلى كُتُب كثيرة ارتجلها وأملاها عن ظهر قَلْب كلها » اﻫ .

تقديره للعلماء :

ولم يكن القالي مُحْتَرَم الجانب من الخليفة « الحكم » ووالده « عبد الرحمن الناصر » فَحَسْبُ ، بل كان محترما أيضا من علماء عصره الزاهي بالعلوم والمعارف ؛ لأنهم عرفوا فيه غَزارة العلم ، وسعة الاطلاع ، والأدب السامي ، فرفعوا منزلته ، وأحلّوه المحل اللائق لنبوغه العظيم ، ووصفوه بأحسنِ ما يُوصَف به من آيات الإكبار والإجلال ، وكان القالي مع هذا يُقدِّر مَنْ يَستحقّ التقدير مِن علماء عصره ، قال ابن خلكان في ترجمة ابن القُوطية : « إن أبا علي القالي لما دخل الأندلس اجتمع به وكان يُبالغ في تعظيمه حتّى قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر : مَنْ أَنْبَلُ مَنْ رأيتَه ببلدنا هذا في اللغة ؟ فقال : محمد بن القوطية ! »[1] .

مُداعبته الأدبية :

وكان القالي — مع واسع علمه ، وأدبه الجم وكبير احترامه ، وسمو منزلته — لطيفَ المِزَاح ، جميلَ المداعبة ، فَكِهاً ، أنيسَ العِشْرة ، يتجلّى كل هذا مما دار بينه وبين أحد قضاة الأندلس في عصره ، وقد طلب أن يُعيره كتابا ، قال الحُمَيْدي في كتابه تاريخ الأندلس[2] : « أخبرنا القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلّوطي قال : كتبتُ إلى أبي علي البغدادي القالي أستَعير منه كتابا من الغَريب وقلت :

بحَـــقِّ رِئمٍ مُهَفْهَفْ وصُدْغِـــــهِ المتعطِّـفْ
ابْعَثْ إليَّ بجـــزء من « الغريب المُصَنَّفْ[3] »

(١) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٠) .

(٢) راجع معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٤) ونفح الطيب (ج ١ ص ٤٧٣) .

(٣) الغريب المصنف : كتاب في غريب الحديث لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني النحوي اللغوي الكوفي نزيل بغداد المتوفي سنة ٢٠٦ ﻫ . ذكره صاحب كشف الظنون (ج٢ ص٥٧ و ٥٨) .

قال : فقضى حاجتى وأجابنى بقوله :

وحَقٍّ دُرٍّ تَألَّفْ بفيكَ أىَّ تَألُّفْ

لَأَبعثَنَّ بما قد حوَى « الغريب المُصَنَّفْ »

ولو بَعَثْتُ بِنَفْسى إليك ما كُنتُ أُسْرِفْ »

حادثتان له جديرتان بالذكر :

ولما كان أوَّلُ واجب على المؤرخ الأمين أن يدُوِّن حياة المترجَم له بما فيها من محاسِنَ ومساوىء ، فقد أطلعنا أثناء كتابة هذه الترجمة على حادثتين جديرتين بالذكر وقعتا لأبى علىّ ، فنسردهما مع اعتقادنا أنهما لا تَنْقُصان شيئا من قيمته السامية ومكانته العالية ، ولا تقلِّلان من شُهرته العلمية ، ونبوغه الفائق فى علم اللغة والآداب العربية .

أما الحادثة الأُولى ، فهى عدمُ إقامته وزن بيت من الشعر عند الاحتفال العظيم بقدومه ، وكانوا يتناشدون الأشعار فى مَسِير رَكْبه إلى قُرْطُبة ، وقد جَمَع عددًا من شعراء الأندلس وأُدبائها ؛ فقد ذكر صاحب نفح الطيب[1] أنهم « كانوا يتذاكرون الأدب فى طريقهم ويتناشدون الأشعار ، إلى أن تَجاوزوا يومًا وهم سائرون أدب عبد الملك بن مَرْوان ومساءلته جاساءه عن أفضل المناديل ، وإنشاده بيت عَبْدَة ابن الطبيب :

ثُمَّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مسوَّمَةٍ أعرافُهنَّ لأَيدينا مناديلُ

وكان الذاكر للحكاية الشيخَ أبا على ، فأنشد الكلمة فى البيت :

* أعرافها لأَيدينا مناديل *

فأنكرها ابن رِفاعة الألبيرى ، وكان من أهل الأدب والمعرفة وفى خُلُقه حَرَج وزعارة[2] ، فاستعاد أبا علىّ البيت مستثبتًا مرَّتين فى كلتيهما أنشده : « أعرافها » فلوَى ابن رفاعة عِنانَهُ منصرفا وقال : « مع هذا يُوفَد على أمير المؤمنين

(١) نفح الطيب (ج ٢ ص ٤٩) .

(٢) الزعارة : شراسة الخلق .

وتتجشَّم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وَزْنَ بيتٍ مشهورٍ بين الناس لا يَغْلَط الصبيان فيه ! والله لاتبعْتُه خطوةً ، وانصرف عن الجماعة .. ... الخ » .

أما الحادثة الثانية ، فقد وَقَعَت له عندما كانوا يحتفلون لدخول رسول ملك الروم صاحب القُسْطَنْطِينِيّة بقصر قُرْطبة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكانوا يحتفون فى لُقْياه بالعسكر والقواد وأصحاب الشُّرْطة وطبقات أهل الخدمة كالموالى والحَشَم بما يناسب هول المقام وأُبّهة الخلافة ، وإقامة الاحتفالات الشائقة ، وتلاوة الخطب الرائقة ، بما يدل على فخامة جاه الدولة ، وبيان مايخطبه الغير من مودّتها ؛ فقد دُعِى أبو على وهو أمير الكلام وبحر اللغة فى وقته فى هذا الاحتفال الرسمى العظيم فأُرْتِجَ عليه ، قال صاحب نفح الطيب[1] : « لما احْتُفِل لدخول رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفالَ الذى اشتهر ذكرُه أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالةَ مَقْعده ، وتصِف ما تهيَّأ له من توطيد الخلافة ، ورَمْى ملوك الأُمم بسهام بَأْسه ونَجْدته ، وتقدم إلى الأَمير الحَكَم ابنه وولى عهده بإعداد مَن يقوم لذلك مِن الخطباء ويقدمه أمام إنشاد الشعراء ، فتقدم الحكَم إلى أبى على البغدادى ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة أن يقوم ، فقام فَحَمِدَ الله وأَثْنَى عليه وصلَّى على نبيه صلَّى الله عليه وسلم ثم انقطع وبُهِت ، فما وَصَلَ إلا قَطَع ووقف ساكتا مفكِّرا ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد[2] قام قائمًا بدرجة من مَرْقاة أبى على ووصل افتتاحه بكلام عجيب بَهَرَ العقولَ جَزَالةً ، وملأ الأَسماع جلالة ... » اهـ

ولم يكن إرتاج أبى على فى هذا الموقف العظيم الأَولَ من نوعه ، فقد أُرتج على كثيرٍ قبله من خلفاء الإسلام وملوك البيان ؛ فأَول خطبة خطبها سيدُنا عثمانُ بن عفَّان الخليفة

---

(١) نفح الطيب (ج ١ ص ٢٤٠) .

(٢) هو منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة ، خطيب مصقع ؛ وله كتب مؤلفة فى القرآن والسنة والورع ، والرد على أهل الأهواء والبدع ؛ شاعر بليغ ، ولد سنة ٢٧٣ هـ . وتوفى سنة ٣٥٥ هـ . (نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣) .

الراشد أرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن أول كل مَرْكب صعب ، وإن أَعِشْ تأتِكم الْخُطَبُ على وجهها ، وسيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسرا ؛ إن شاء الله » .

ولما قَدِم يزيد بن أبى سُفْيَان الشام واليًا عليها لسيدنا أبى بكر الصديق الخليفة الراشد خطب الناس فأُرتج عليه ، فعاد إلى الحمد ثم أرتج عليه ، فعاد إلى الحمد ثم أُرتج عليه ، فقال : « يا أهل الشام ، عسى الله أن يَجْعَلَ بعد عُسْر يُسرا ، وبعد عِىٍّ بيانًا ؛ وأنتم إلى إمام فاعل ، أَحوجُ منكم إلى إمام قائل » . ثم نزل ؛ فبلغ ذلك عَمْرَو بن العاص فاستحسنه .

وصَعِد ثابت بن قُطْنَة منبَر سِجِسْتَان فقال : الحمد لله ، ثم أُرتج عليه ، فنزل وهو يقول :

فإن لا أكُن فيهم خطيبا فإنَّنِى بسَيْفِى إذا جَدَّ الوَغَى لَخَطِيبُ

فقيل له : لو قلتَها فوق المِنْبر لكنتَ أخطبَ الناس .

وخَطَب معاويةُ بن أبى سفيان الخليفة الأُمَوِى عند توليته فحُصِر ، فقال : « أيها الناس ، إنى كنتُ أعددتُ مقالا أقوم به فيكم فحُجِبت عنه ، فإن الله يَحُول بين المرء وقلبه ، كما قال فى كتابه ؛ وأنتم إلى إمام عَدْل أحوجُ منكم إلى إمام خطيب ، وإنى آمُرُكم بما أمر الله به ورسولُه ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسولُه ؛ وأستغفر اللهَ لى ولكم » . وأُرتج أيضا على خالد بن عبد الله القَسْرِىّ والى العراق ؛ وكان صَعِد يومًا المنبر بالبصرة فقال : « أيها الناس ، إن الكلام ليجىء أحيانًا فيتسبَّب سَبَبُه ، ويَعْزُب أحيانًا فيَعِز مَطْلَبُه ؛ فربما طُولِب فأَبى ، وكُوبِر فعَصَى ؛ فالتَّأَتِّى لِمَجِيِّه أَصوب من التعاطى لأَبِيِّه » ثم نزلَ . فما رُئِى حَصِرٌ أبلغ منه . كما أُرتج على عبد الله ابن عامر ؛ وعبد الملك بن مَرْوان الخليفة الأُمَوِى وغيرهما . وقد عَقَدَ ابنُ عبد ربه فى كتابه العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٩ طبعة بولاق) فصلا خاصا بمن أُرتج عليهم .

وفاته :

تُوُفِّيَ القالى بقرطبة فى شهر ربيع الآخر ، وقيل جمادى الأُولى سنة ستٍّ وخمسين وثلاثمائة ، ليلة السبت لِستٍّ خَلَوْن من الشهر المذكور ، وصَلَّى عليه أبو عبد الله الجُبَيْرِى[١] ودُفِنَ بمقبرة متعة ظاهر قرطبة رحمه الله . قال صاحب نفح الطيب[٢] : « وحكى ابن الطَّيْلَسان عن أبى جابر أنه قرأ هذين البيتين فى لوح رخام كان سقط من القُبة المبنية على قبر أبى علىّ البغدادى عند تهدُّمها ؛ وهما :

صِلُوا لَحْدَ قبرى بالطريق ووَدِّعوا ... فليس لِمَنْ وارَى التراب حبيبُ

ولا تَدْفِنونى بالعَرَاء فرُبَّمـــا ... بَكَى إن رأى قبرَ الغريبِ غريبُ

وألَّف أبو محمد الفِهْرِىّ كتاباً فى نسب أبى علىّ البغدادىّ ورواياته ودخوله الأندلس ؛ كما حدّث بهذا صاحب نفح الطيب[٢] ؛ ولم نَدْر ، هل يوجد هذا الكتاب الآن ، أو عَبَثَت به صُروفُ الزمان ؟ !

* * *

وإذا كان هذا الإمام الجليل قد رَحَلَ عن تلك الأصقاع بجسمه ، فذِكْرُه لن يَزَال باقياً حياً بها ما دامت مؤلفاتُه القيمة باقية ناطقة بفضله ، شاهدة بسعة علمه وغزارة مادته ، يَرْتشِف من مناهلها العَذْبة كلُّ عالم وأديب ، ويقْتَطِف من ثِمَارها الدانية كلّ طالب أريب .

فهنيئًا لذاك الثَّرَى الذى ضَم رُفات هذا العالم الجليل والإمام الكبير ؛ ونسأله تعالى أن يَسْكُب على قبره شآبيبَ الرحمة والغُفْران ، ويُحسِن إليه بقَدْر ما أحسنَ إلى العلم والأدب إنه سميع مجيب .

محمد عبد الجواد الأصمعى

بدار الكتب المصرية

(١) كذا فى ابن خلكان (ج ١ ص ١٠٩ طبعة باريس) وفى تاريخ علماء الأندلس لأبي الفرضي (ص٦٦) مانصه : «وصلى عليه أبو عبيد القاسم بن خلف الحسني الفقيه» .

(٢) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٠) .

كتاب الأمالى

إن كتاب « الأمالى » هو من أمهات كُتُب الأدب العربى المعدودة ، طالما نجد من أئمة اللغة والأدب يَنْظِمون فى كتبهم من دُرَره ، ويَغْتَرِفون من بحره ؛ وهو تأليف جزيل الفائدة ، جم النفع ، لمن يريد التعمق فى علم اللغة ، وتَزْيينَ عقله بالآداب العربية ، والأخبار المنتخَبَة ، والأشعار المختارة ، والأمثال المستجادة ، والحِكَم البالغة .

قال أبو على فى مقدمة هذا الكتاب : « لما رأيت العِلْمَ أنْفَسَ بضاعة ، أيقنتُ أن طلبه أفضلُ تجارة ؛ فاغتربْتُ للرواية ، ولَزِمتُ العلماء للدراية ؛ ثم أعملتُ نفسى فى جمعه ، وشَغَلْتُ ذهنى بحفظه ، حتّى حَوَيْتُ خَطِيره ، وأحرزتُ رَفيعَه ، ورَوَيْت جليلَه ، وعرفتُ دقيقَه ؛ وعَقَلْت شارده ، ورَوَيت نادره ، وعَلِمتُ غامضَه ، ووَعَيْتُ واضحه ... فأمْلَلْتُ هذا الكتابَ من حفظى فى الأخمِسة بقُرْطُبَة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة ؛ وأودعتُه فنونًا من الأخبار ، وضُرُوبًا من الأشعار ، وأنواعًا من الأمثال ، وغرائبَ من اللغات ؛ على أنّى لم أذْكُر فيه بابا من اللغة إلا أشبعتُه ، ولا ضَرْبًا من الشعر إلا اَختَرته ، ولافَنًّا من الخبر إلا اَنْتَخَلْتُهُ ، ولا نَوعًا من المعانى والمَثَل إلا اَستجدتُه ... الخ » وفى هذا النَّزْر من وصف الكتاب كفاية ، لِتَعْلَم كم يجمُل بالمتأدبين مطالعته ، ويجدُر بالمتعلمين مدراسته .

وقد طُبع هذا المؤلف الجليل لأول مرة بمصر سنة ١٣٢٢ هـ بمطبعة بولاق الأميرية بحرف يفوق حُسْنًا ما طُبع سابقًا فى هذه المطبعة الشهيرة ، وكان ذلك بهمة حضرة المحترم السرى الأمثل :

« السيد إسماعيل يوسف بن صالح بن دياب » التونسى

ولما نَفَدت هذه الطبعة بإقبال العلماء والأُدباء على اقْتِنَائها لاسيما تعضيد وزارة المعارف العمومية التى قررت تدريس هذا الكتاب الكبير النفع ، العظيم الفائدة بمدارسها العالية : دار العلوم . المعلمين العليا . القضاء الشرعى ، وغيرها من المعاهد العلمية الأُخرى ، رأى حضرته إعادةَ طبعه بمطبعة دار الكتب المصرية مع إدخال تحسينات عِدّة عليه ، بإضافة فهارس أبجدية بأسماء الأعلام والقبائل والشعوب والبيوت والبلاد والمدن والأماكن ونحوها ؛ وأسماء الكتب وقوافى الأبيات الواردة فيه ، قُمْنا بوضعها وترتيبها على أحسن نِظام وأجمل تَنْسيق . مع إضافة هذا الكتاب البديع التّنميق ، الممتاز بالتحقيق والتدقيق ؛ وهو كتاب :

« التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليه »

للعالم الكبير أبى عُبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى ؛ وهو من التحَف الثمينة والدرَر الغالية المحفوظة بخزانة حضرة صاحب السعادة قُدْوَة العلماء المحققين « أحمد تيمور باشا » عمرها الله ببقاء سعادته ، وقد تفضّل به حفظه الله — شأْنه فى كل كتاب مفيد — لحضرة ناشر الأمالى ليُلْحِقَه به إتماما للفائدة وتعميمًا للنفع ، وخِدمةً لنشر العلم ، ليتيسر للأُدباء أن يَرْتَشِفوا من مَناهلِهِ العَذْبة ، ويَقْتَطِفوا ثمار محاسنه الدانية ؛ بعد أن كانت مَعالِمُه طامسة ، وآثاره دارسة ؛ فأحياه بحفظه فى مكتبته العامرة . كما تفضّل حضرة الباحث الفاضل « الأب أنطون صالحانى اليسوعى » بتعليقاته القيِّمة على هذا الكتاب الجليل ، لأنه كان يَنْوِى طبعه على حدة ، ولما طلبها حضرة المحترم « السيد إسماعيل » لنشرها مع الكتاب خدمة للعلم وتعميماً لنشره ، سَمَحَ بها ، فكان حقا علينا أن نُسَطِّر لهما آية من الحمد والشكر ، فى تضاعيف هذا السِّفْر . ولا حاجة بنا إلى وَصْف كتاب التّنبيه فى هذا المقام بعد الوصف الكافى والبيان الشافى الذى كتبه حضرة الباحث « الأب أنطون صالحانى » فى مقدمته النفيسة التى وضعها لكتاب التنبيه ، وقد صدرناه بها ، لأنها تدل على سعة اطلاعه ورسوخ قدمه فى البحث والتحقيق ، وتبرهن على حُسن عنايته بمراجعة النسخة

الأصلية التي وصفها وصفا دقيقا يُشكَر عليه ، ويَجدُر بكل ناشر كتاب أن يسلُك هذا المسلك الجميل .

أما التعليقات التي كتبها الباحث الفاضل « الأب أنطون صالحاني » فكانت مكتوبة على حدة في أوراق صغيرة بخط دقيق ويتخلّل ثناياسطورها إشارات وتعليقات أخرى تحتاج إلى إنعام النظر وكثرة التأمل ؛ مما كان يضطرنا إلى مراجعة دواوين الأدب ومعجمات اللغة والمصادر التي راجعها تَفادِيًا من الوقوع فيما يجب اجتنابه ؛ ولذا عانينا في قراءتها ومراجعتها وتطبيقها على ما في كتاب « التنبيه » كثيرًا من من المشقَّة ، وكابدنا من المجهود مالا يَعرفه إلا المشتغلون بمثل هذه الأمور . وازيادة الفائدة أضفنا إلى تعليقاته قليلا من الحواشي التي يَستوجبها المقام . وقد قسَّمنا المطالب التي نَقَدَها أبو عُبيد في كتابه « التنبيه » إلى قسمين : قسم خاص بالجزء الأول ، والآخر خاص بالجزء الثاني ؛ وقد جعلنا في أول كل مَطلب رقم الصفحة وعدم السطر من هذه الطبعة — (طبع مطبعة دار الكتب) — ليتسَنَّى للقارىء مراجعته في موضعه ، ويسهل عليه معرفته . أما الجزء الثالث وهو كتاب « الذيل والنوادر » فلم يتعرض له أبوعبيد في كتابه « التنبيه » بل أفرد له كتابًا آخر أشار إليه في أول كتابه .

ولا يَسعنا في الختام إلا أن نُسدى الشكر الجزيل والثناء العاطر لحضرة المحترم « السيد إسماعيل يوسف » ناشر كتاب « الأمالي » لأنه قام بخدمة أدبية كبرى بإعادة طبعه في المطبعة الأميرية بدار الكتب المصرية الشهيرة بجمال الحروف وجوْدة الطبع ودقة التصحيح .

ومع مابذله حضرة الناشر المحترم من الجهود العظيمة في نشر هذا الكتاب الجليل بإدخال هذه التحسينات العظيمة عليه ؛ كان غير مُبال بما كابده من النفقات الكبيرة التي لا تنبسط بها أيدى الكثيرين من أغنيائنا في مثل إحياء هذه الكتب الأدبية الكثيرة الفائدة الجمة النفع . أكثر الله من أمثاله العاملين . ونسأله تعالى أن يتقبل هذا العمل الصالح خالصًا لوجهه الكريم ، إنه حسبنا ونعم الوكيل .

محمد عبد الجواد الأصمعي

بدار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى رحمه الله :

الحمد لله الذى جَلَّ عن شَبَه الخَليقة ، وتعالى عن الأَفعال القبيحة ، وتَنزَّه عن الجَور ، وتكَبَّر عن الظلم ، وعدل فى أَحكامه ، وأَحسن إلى عباده ، وتفرّد بالبقاء ، و وحَّد بالكبرياء ، ودبَّر بلا وزير ، وقهر بلا مُعين ؛ الأَولِ بلا غاية ، والآخرِ بلانهاية ، الذى عزَب عن الأفهام تحديدُه وتعذَّر على الأَوهام تكييفه ، وعَمِيت عن إدراكه الأَبصار ، وتحيرت فى عظمته الأَفكار ، الشاهِد لكل نجوى ، السامع لكل شكوى ، والكاشف لكل بلوى ، الذى لايحويه مكان ، ولايشتمل عليه زمان ، ولا ينتقل من حال إلى حال ، القادر الذى لايدركه العجز ، والعالِم الذى لايلحقه الجهل ، والجواد الذى لايَنْزَح ، والعزيز الذى لا يخضع ، والجَبَّار الذى قامت السموات بأَمره ، ورَجَفَت الجبالُ من خَشْيته .

والحمد لله الذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالدلائل الواضحة ، والحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرًا ، فَبَلَّغ الرِّسالة ، وأَدّى الأَمانة ، ونَهَض بالحُجَّة ، ودعا إلى الحق ، وحضَّ على الصدق ، صلى الله عليه وسلم .

ثم أما بعد حمد الله والثناء عليه ، والصلاة على خير البشر صلى الله عليه وسلم ، فإنى لَمَّا رأيت العلم أَنْفَس بضاعة ، أَيقنت أن طلبه أَفضل تجارة ، فاغتربْتُ للرواية ؛ ولَزِمتُ العلماء للدراية . ثم أَعملتُ نفسى فى جمعه ، وشَغَلْت ذهنى بحفظه ، حتى حَوَيْت خَطيره ، وأَحرزت رَفِيعَه ، ورَوَيت جليلَه ، وعرفت دقيقَه ، وعقَلْتُ شارده ، ورويت نادره ، وعَلِمت غامضه ، ووَعَيْت واضحه . ثم صُنْتُه بالكتمان عمن لايعرف مقدارَه ، ونَزَّهته

عن الإذاعة عند من يَجْهَل مكانَه ، وجعلت غرضى أن أُودِعَهُ من يستحقه ، وأُبْدِيَه لمن يعلم فضله ، وأَجْلُبَه إلى من يعرف محلَّه ، وأنشرَه عند من يشرّفه ، وأَقْصِد به من يُعَظِّمه ، إذ بائعُ الجوهروهوحَجَر يَصُونه بأجود صُوَان[١] ويُودِعه أفضلَ مكان ، ويقصد به من يُجْزِل ثمنَه ، ويحمله إلى من يعرف قدرَه ، على أنه لايستحق بسببه أن يُوصَف بالفضل بائعُه ولا مشتريه ، ولا يستوجب أن يُحْمَد من أجل المبالغة فى ثمنه مُقْتنيه ، والعلم يُذْكَر بالرَّجاحة طالبُه ، ويُنْعَت بالنباهة صاحبُه ، ويستحقّ الحمدَ عند كل العقلاء حاويه ، ويستوجب الثناء من جميع الفضلاء واعيه ، ويُفِيد[٢] أسنى الشرف مُشَرِّفُه ، ويكتسب أبقى الفخر مُعَظِّمُه ، فَغَبَرْتُ بُرْهةً ألتمس لنشره مَوْضِعا ، ومكثت دهرا أطلب لإذاعته مكانا ؛ وبَقِيتُ مُدّةً أبْتَغِى له مشرِّفا ، وأقمت زمنًا أَرْتاد له مُشْتَرِيا ، حتى تواترَت الأنْباءُ المتّفقة ، وتتابَعَت الصفاتُ الملتئمة ، التى لا تُخَالِجُها الشُّكوك ، ولا تُمازِجُها الظنون ، بأن مشرِّفَه فى عصره أفضلُ مَنْ ملك الورى ، وأكرمُ من جادبالُّلهى ، وأجودُ من تَعَمَّم وارْتَدَى ، وأمجدُ من رَكِبَ ومَشَى ، وأَسْوَدُ من أَمَر ونَهى ، سِمامُ العِدَى ، فَيَّاض الندى ، ماضى العزيمة ، مهذَّب الخليقة ، مُحْكَمُ الرَّأى ، صادقُ الوَأْى[٣] بذَّال الأموال ، مُحَقِّق الآمال ، مُفْشِى المواهب ، معطى الرغائب ، أمير المؤمنين ، وحافظ المسلمين ، وقامع المشركين ، ودامغ المارقين ، وابن عمّ خاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وسلم « عبدالرحمن بن محمد » مُحْيى المكارم ، ومبتنِى المفاخر ؛ الذى إذا رَضِى أغنى ، وإذا غَضِب أرْدَى ؛ وإذا دُعِى أجاب ، وإذا ٱستُصْرِخ أغاث . وأنَّ مُعَظِّمه ومشتريَه ، وجامعه ومقتنيه ، ربيعُ العفاة ، وسمُّ العُداة ، ذوالفضل والتمام ، والعقل والكمال ، والمعطى قبل السؤال ، والمُنيل قبل أن يُستنال « الحَكَمُ » ولى عهد المسلمين ، وابن سيد العالمين ، أمير المؤمنين « عبد الرحمن بن محمد »

---

(١) صوان مثلث الصاد : وعاؤه الذى يصـــان فيه .

(٢) يفيد : يستفيد ؛ قال الكسائى : أفدت المال: أى أعطيته غيرى ؛ وأفدته : اســـتفدته اهـ كذا فى اللسان .

(٣) الرأى : الوعد .

الإمام العادل ، والخليفة الفاضل ، الذى لم يُرَ فيما مضَى من الأُمراء شِبْهُه ، ولا نشأ فى الأَزمنة من الكُرَماء مثلُه ، ولا وَلَدَ النساءُ من الأَجواد نظيره ، ولا مَلَّكَ العبادُ من الفُضلاء عَدِيلَه ، فخرجتُ جائدا بنفسى ، باذلا لحُشَاشَتى ، أَجُوب مُتونَ القِفار ، وأَخُوض لجُجَ البحار ، وأَركب الفَلَوات ، وأَتقحَّم الغَمَرات ؛ مؤمّلا أَن أُوصِل العِلْق النفيس إلى من يعرفه ، وأَنشرَ المتاع الخَطِير ببلد مَنْ يعظِّمه ، وأُشرِّفَ الشريف باسم من يشرِّفه ، وأَعْرِضَ الرفيعَ على من يشتريه ، وأَبذُلَ الجليل لمن يجمعه ويقتنيه ، فمنَّ الله جلّ وعزَّ بالسلامة ، وحَبَا تعالى ذكره بالعافية ، حتى حَلَلْتُ بُعصْرة[1] الخُوّاف ، وعِصْمة المُضاف ، والمحل المُمْرِع ، والربيع المُخْصِب ، فِنَاءِ أَمير المؤمنين «عبد الرحمن ابن محمد» المبارك الطلعة ، الميمون الغرّة ، الجَمّ الفواضل ، الكثير النوافل ، الغَيْث فى المَحْل ، الثِّمال[2] فى الأَزْل ، البدر الطالع ، الصبح الساطع ، الضوء اللامع ، السراج الزاهر ، السحاب الماطر ، الذى نَصَرَ الدين ، وأَعزَّ المسلمين ، وأَذل المشركين ؛ وقَمَع الطُّغَاة ؛ وأَبادَ العصاة ، وأَطفأَ نارَ النِّفاق ، وأَهْمد جَمْر الشقاق ، وذلَّل من الخَلق من تجبّر ، وسَهَّل من الأَمر ما توعَّر ، ولَمَّ الشَّعث ، وأَمَّنَ السُّبُل ، وحقَن الدماء . أبقاه الله سالما فى جسمه ، مُعافًى فى بدنه ، مسرورا بأَيامه ، مبتهجا بزمانه ، وخصَّه بطول المُدة ، وتتابُع النعمة ، وأَبقى خلافته ، وأَدام عافيته ، وتولَّى حفظه ، ولا أَزالَ عنا ظلَّه . وصحبتُ الحَيَا المُحْسِب[3] ، والجَوَاد المُفْضِل ، الذى إذا وَعَد وفَّى ، وإذا أَوعْدَ عفا ، وإذا وَهَب أَسْنَعَ[4] وإذا أَعطى أَقْنَع[5] ، «الحَكَم» فرأيته — أَيّده الله — أَجلَّ الناس بعد أَبيه خَطَرا ، وأَرفعهم قدرا ، وأَوسعهم كَنَفا ، وأَفضلهم سَلفًا ، وأَغزرهم عِلْما ، وأَعظمهم حلمْا ، يملك غضبه فلا يعجل ، ويعطى على العِلاّت فلا يَمَل ، مع فَهْم ثاقب ، ولُبّ راجح ، ولسان عَضْب ، وقلب نَدْب ، فتابعا لدىَّ النعمة ، وَوَاتَرا علىَّ الإحسان ، حتى أَبديت ما كنت له كاتما ، ونشرت ما كنت له طاويا ، وبذلت

---

(١) العصرة : الملجأ .

(٢) الثمال بالكسر : الملجأ والغياث والمطعم فى الشدة ا هـ كذا فى اللسان .

(٣) الحيا المحسب : الغيث المجزل .   (٤) أسنع : كثر .

(٥) فى النسخة المطبوعة : «أفنع» بالفاء وهو تحريف .

ما كنت به ضَنينا ، ومَذَلْتُ[1] بما كنت عليه شحيحا ؛ فأَملت هذا الكتاب من حفظى فى الأَخْمِسة بقُرْطُبة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، وأَودعته فنونا من الأَخبار ، وضروبا من الأَشعار ، وأَنواعا من الأَمثال ، وغرائب من اللغات ، على أنى لم أذكر فيه بابا من اللغة إلا أشبعته ، ولا ضَرْبا من الشعر إلا اخترته ، ولا فَنًّا من الخبر إلا انتخلته ، ولا نوعا من المعانى والمَثَل إلا استجدتُه . ثم لم أُخْلِه من غريب القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، على أننى أوردت فيه من الإِبْدال ما لم يورده أَحد ، وفَسَّرت فيه من الإِتْباع ما لم يُفسره بشر ؛ ليكون الكتاب الذى استَنْبَطَه إحسانُ الخليفة جامعا ، والديوان الذى ذُكِر فيه اسم الإمام كاملا .

وأَسأَل الله عِصمةً من الزيغ والأَشَر ، وأَعوذ به من العُجْب والبَطَر ، وأَستهديه السبيل الأَرشد ، والطريق الأَقصد .

[مطلب الكلام على مادة نسأ وقوله تعالى : (ماننسخ) الآية (وإنما النسىء زيادة) الآية *]

قال أبو علىّ إسماعيل بن القاسم البغدادىّ : قرأ أبو عمرو بن العلاء : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَأْهَا ﴾ على معنى أو نؤخِّرها . والعرب تقول : نَسَأَ اللهُ فى أَجلِكَ ، وأَنْسَأَ اللهُ أَجلَكَ ، أى أخَّر الله أجلك . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّهُ النَّسَاء فى الأَجَل والسَّعَةُ فى الرزق فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » والنَّسَاءُ : التأْخير ، يقال : بِعْتُه بِنَسَاء وبنَسِيئة ، أى بتأْخير ، وأَنْسَأْتُه البَيْعَ . وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ ﴾ ، والمعنى فيه على ما حدّثنى أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله : أنهم كانوا إذا صَدَروا عن مِنًى قام رجل من بنى كِنَانَة يقال له : نُعَيم بن ثَعْلَبَةَ ، فيقال : أنا الذى لا أُعَابُ ، ولا يُرَدُّ لى قَضَاء ، فيقولون له : أَنْسِئْنَا شَهْرًا ، أى أَخِّر عَنَّا حُرمة المُحَرَّم فاجعلْها فى صَفَرٍ ؛ وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا تُمْكنهم الإغارةُ فيها ، لأن معاشهم كان من الإغارة ، فَيُحِلُّ لهم المُحَرَّم

---

(١) مذلت : سمحت .

(*) هذا العنوان وما يليه من العناوين المحصورة بين قوسين مربعين هكذا [ ] ليست من صلب الكتاب، وانما هى من وضع مصححى الكتاب فى الطبعة الأولى أو فى الطبعة الثانية للدلالة على رءوس المسائل ؛ وقد آثرنا وضعها على هذا النحو اشارة الى ذلك .

ويُحَرِّم عليهم صفرا ، فإذا كان فى السنة المقبلة حَرَّم عليهم المحرّم وأَحَلَّ لهم صفرا ؛ فقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ ، وقال الشاعر :

أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ على مَعَدٍّ ... شُهورَ الحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَاما

وقال الآخر :

وكُنَّا الناسِئِينَ على مَعَدٍّ ... شُهُورَهُمُ الحَرَامَ إلى الحَلِيل

وقال الآخر :

نَسَئُوا الشهور[1] بها وكانوا أَهلَها ... مِنْ قَبْلِكم والعِزُّ لم يَتَحَوَّلِ

[مطلب الكلام على مادة لحن وقوله تعالى : (ولتعرفنهم فى لحن القول)]

قال أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله : معنى قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ أى فى معنى القول ، وفى مذهب القول ، وأنشد للقتَّال الكِلَابى :

ولقد لَحَنْتُ لكم لِكَيْما تَفْهَمُوا ... ووَحَيْتُ وَحْيًا ليس بالمُرْتاب

معناه : ولقد بَيَّنْتُ لكم . واللَّحَنُ بفتح الحاء : الفِطْنة ، وربما أسكنوا الحاء فى الفطنة ، ورجل لَحِنٌ ، أى فَطِنٌ ، قال لبيد يصف كاتبا :

مُتَعَوِّدٌ لَحِنٌ يُعِيد بكَفِّه ... قَلَمًا على عُسُبٍ[2] ذَبَلْنَ وَبَانِ

ومن اللَّحَن الحديث الذى يُرْوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلين ٱختصما إليه فى مواريث وأشياء قد دَرَسَتْ ، فقال عليه السلام : « لعل أحدكم أن يكون أَلْحَنَ بِحُجَّتِه من الآخر فمن قضيت له بشىء من حقّ أخيه فإنما أَقطع له قطْعةً من النار» . فقال كل واحد من الرجلين : يا رسول الله حَقِّى هذا لصاحبى ، فقال : «لا ولكن ٱذهبا فَتَوَخَّيَا ثم ٱسْتَهِمَا ثُمَّ لْيُحَلِّل كلٌّ واحد منكما صاحبَه » ومنه قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله : عجبت لمن لَاحَنَ الناس كيف لا يعرِف جوامع الكلم ! أى فَاطَنَهُمْ .

وحدثنى أبو بكر عن أبى العباس عن ٱبن الأعرابى قال : يقال قد لَحَنَ الرجل يَلْحَنُ

(١) مرجع الضمير فيه «مكة» ، كذا بهامش الأصل .

(٢) العسب جمع عسيب ، وهى جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها .

لَحْنًا فهو لاحِنٌ إذا أخطأ ، ولَحِنَ يَلْحَنُ لَحَنًا فهو لَحِنٌ إذا أصاب وفَطِن ، وأنشد :

وحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّـــا تشتهيه النفوسُ يُوزَن وَزْنـــا
مَنْطِقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أَحْيـــا نًا وخَيْرُ الحَدِيث ما كان لَحْنا

معناه : وتُصيب أحيانا .

وحدثنى أيضا قال : حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال أخبرنا نصر بن على قال أخبرنا الأَصْمَعِى عن عيسى بن عمر قال : قال معاوية للناس : كيف ابن زياد فيكم ؟ قالوا : ظريفٌ على أنه يَلْحَنُ ، قال : فذاك أَظْرَف له ، ذَهَبَ معاوية إلى اللَّحَنِ الذى هو الفِطْنة ، وذهبوا هم إلى اللَّحْن الذى هو الخَطَأُ . واللَّحْنُ أيضا : اللُّغة ، ذكره الأَصمعى وأبوزيد ؛ ومنه قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : تَعَلَّمُوا الفرائضَ والسُّنن واللَّحْن كما تَعَلَّمون القرآن . فاللَّحْن : اللغة .

وروى شَرِيك عن أَبى إسحاق عن مَيْسَرةَ أنه قال فى قوله عزَّ وجل : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ : العَرِم : المُسَنَّاة [1] بِلَحْن اليَمَن ، أى بلغة اليمن ، وقال الشاعر :

وما هاجَ هذَا الشَّوْقَ إلَّا حمامةٌ تَغَنَّتْ على خَضْراءَ سُمْرٌ قُيودُها
صَدُوحُ الضُّحَى مَعْرُوفةُ اللَّحْنِ لم تَزَلْ تَقُودُ الهَوَى مِنْ مُسْعِدٍ ويَقُودُها

وقال الآخر [2] :

لَقَدْ تَرَكَتْ فُؤَادَكَ مُسْتجَنًّا مُطَوَّقةٌ على فَنَنٍ تَغَنَّى
يَمِيـــلُ بها وتَرْكَبُهُ بِلَحْنٍ إذا ما عَنَّ للمَحْزونِ أَنَّـــا
فلا يَحْزُنْكَ أَيَّامٌ تَوَلَّى تَذَكُّرُها ولا طَيْرٌ أَرَنَّـــا

وقال الآخر :

وهاتِفَيْنِ بِشَجْوٍ بَعْدَ ما سَجَعَتْ وُرْقُ الحَمَامِ بِتَرْجِيعٍ وإرْنان
باتا على غُصْنِ بانٍ فى ذُرَى فَنَنٍ يُرَدِّدانِ لُحُونًا ذاتَ أَلْوَان

---

(١) المسناة : حاجز يبنى للسيل ليمسك الماء ، وقد سمى كذلك لأنه فيه مفاتيح تسهل خروج الماء منها بالقدر المحتاج اليه .

(٢) هو يزيد بن النعمان كما في اللسان في مادة «لحن» .

معناه : يردّدان لُغَاتٍ ، وصَرَّف أبو زيد منه فِعْلا فقال : لَحَنَ الرجلُ يَلْحَنُ لَحْنًا إذا تكلم بلغتِه ، قال : ويقال : لَحَنْت له لَحْنًا إذا قلتَ له قولا يفهمه عنك ويَخْفَى على غيره ، ولَحِنَه عَنِّى لَحْنًا ، أى فَهِمه ، وألْحَنْته أنا إيّاه إلْحانا ، وهذا مذهب أبى بكر بن دريد فى تفسير قول الشاعر .

مَنْطِق صائب وتَلْحَنُ أحيا * نًا

قال : يريد : تُعْوِصُ فى حديثها فَتُزِيله عن جهته لئلا يفْهَمَه الحاضرون ، ثم قال :

* . . . وخَيْرُ الحديث ما كان لَحْنا *

أى خير الحديث ما فهمه صاحبك الذى تُحِبُّ إفهامه وحْده وخَفِىَ على غيره .

قال : وأصل اللَّحْن أن تريد الشىء فَتُوَرِّى عنه بقول آخر ؛ كقول رجل من بنى العنبر كان أسيرا فى بكر بن وائل ، فسألهم رسولا إلى قومه ، فقالوا له : لا تُرْسِلْ إلا بحضرتنا ؛ لأنهم كانوا أزْمَعُوا غَزْوَ قومه فخافوا أن يُنْذِرَ عليهم ، فجىء بعبد أسود فقال له : أتَعْقِل ؟ قال : نعم إنّى لَعَاقِل ، قال : ما أُراك عاقلا ، ثم قال : ماهذا ؟ — وأشار بيده إلى الليل — : فقال : هذا الليل ؛ فقال : أُراك عاقلا ، ثم مَلأَ كَفَّيْه من الرمل فقال : كم هذا ؟ فقال : لاأدرى ، وإنّه لكثير ، فقال أيُّما أكثر ، النجوم أو النيران ؟ قال : كلٌّ كثير ، فقال : أَبْلِغْ قومى التَّحية وقل لهم : لِيُكْرِموا فلانا — يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر بن وائل — فإن قومه لى مُكْرِمون ، وقل لهم : إن العَرْفَجَ قد أدْبَى ، وقد شَكَّت النِّساء ، وأْمُرْهُمْ أن يُعْرُوا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جَمَلِى الأَصْهَب بآية ماأَكلْتُ معكم حَيْسًا ، وٱسألوا الحارث عن خَبَرِى . فلما أدّى العبد الرسالة إليهم قالوا : لقد جُنَّ الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ، ولاجملا أصهب ، ثم سرّحوا العبد ودَعَوُا الحارث فقصوا عليه القصة ، فقال : قد أنذركم . أما قوله : قد أدْبَى العَرْفَجُ ، فإنه يريد أن الرجال قد ٱستَلْأَموا ، أى لَبِسوا الدروع ، وقوله : شَكَّت النساء ، أى ٱتخذن الشِّكَاء للسفر ، وقوله : ناقتى الحمراء ، أى ٱرْتَحِلوا عن الدَّهْناء وٱركبوا الصَّمَّانَ وهو الجَمَل الأَصهَب ، وقوله : بآية ماأكلت

معكم حَيْسًا ، يريد أخلاطا من الناس قد غَزَوْكُمْ . لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأَقط. فامتثلوا ما قال وعرفوا فَحْوَى كلامه .

وأخذ هذا المعنى أيضا رجل من بنى تميم كان أسيرا فكتب إلى قومه :

حُلُّوا عن الناقة الحمراء أَرْحُلَكُمْ والبازِلَ الأَصْهَبَ المعقولَ فاصْطنِعُوا

إن الذِّئابَ قد اخْضَرَّتْ براثِنُها والناسُ كُلُّهُمُ بَكْرٌ إذا شَبِعـــوا

يريد أن الناس كلهم إذا أَخْصَبُوا عَدُوٌّ لكم كبكر بن وائل .

قال أبوعلى : ومعنى صائب ، على مذهب أبى العباس فى معنى البيت : قاصد ، كما قال جميل :

وما صائبٌ مِنْ نابِلٍ قَذَفَتْ به يَدٌ ومُمَرُّ العُقْدَتَيْن وَثِيق(١)

فيكون معنى قوله : منطق صائب ، أى قاصد للصواب وإن لم يُصِبْ . وتَلْحَنُ أحيانا ، أى تُصيب وتَفْطَن ، ثم قال : وخير الحديث ما كان لَحْنًا ، أى إصابة وفِطْنة .

[مطلب الكلام على مادة حرد ومعنى قوله تعالى (وغدوا على حرد قادرين]

قال أبو على : ومعنى قوله جلّ وعزَّ : ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ أى على قَصْد ، قال الجُميح :

أَمَّا إذا حَرَدَت حَرْدِى فمُجْرِيَةٌ ضَبْطَاءُ تَسْكُنُ غِيلاً غَيْرَ مَقْرُوب

أى قَصَدتْ قَصْدى . وقال الآخر :

أَقْبَلَ سَيْلٌ جاء مِنْ أَمْـرِ اللهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّـــهْ

أى يقصد قصدها . وقال أبوعبيدة : معنى قوله : (عَلَى حَرْدٍ) أى على غضب وحقد. وأجاز ما ذكرناه . قال : ويجوز أن يكون (عَلَى حَرْدٍ) معناه : على منع ، واحتج بقول العباس بن مِرْداس السُّلَمى :

---

(١) وبعده وليس فى رواية أبى عمرو الشيبانى

بأوشك قتلا منك يوم رميتني نوافذ لم تعــلم لهن خروق

ا هـ من هامش الاصل .

وحارِبْ فَإِنْ مَوْلاكَ حارَدَ نَصْرُه فَفِى السَّيفِ مَوْلًى نَصْرُه لايُحارِدُ

وحارَدَ عندى فى هذا البيت بمعنى قَلَّ ، يقال : حارَدَت الإبلُ إذا قَلَّتْ ألبانُها ، قال الكُمَيت :

وحارَدَتِ النُّكْدُ الجِلادُ ولم يكن لِعُقْبَةِ قِدْرِ المُسْتعيرِينَ مُعْقِب

ويقال : حَرِدَ الرجلُ حَرَدًا بفتح الراء ؛ ومن العرب من يقول : حَرَدَ الرجلُ حَرْدًا بتسكين الراء إذا غَضِب ، وأنشدَ أبو عبيدة للأشهب بن رُمَيلة :

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَساقَوْا على حَرْدٍ دِمَاءَ الأَساوِدِ

[مطلب تفسير الغريب من حديث السحابة]

وحدّثنا أبوبكر بن دريد رحمه الله قال :حدّثنا إسماعيل بن أحمد بن حفص سمعان النحوى قال حدثنا أبوعمر الضرير قال حدّثنا عباد بن حبيب بن المُهَلَّب عن موسى ابن محمد بن إبراهيم التميمى عن أبيه عن جده قال : بَيْنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم جالسٌ مع أصحابه إذ نَشَأَت سحابة ، فقالوا : يارسول الله ، هذه سحابة ، فقال : « كيف تَرَوْنَ قَواعدها » قالوا : ما أَحْسَنَها وأَشَدَّ تَمَكُّنَها ! قال : « وكيف ترون رَحَاها » قالوا : ماأحسنَها وأشدّ استِدارتَها ! قال : « وكيف ترون بَوَاسقَها » قالوا : ماأحسنهاوأشدّاستقامتها ! قال : « وكيف ترون بَرْقَها أَوَمِيضًا أم خَفْيًا أم يَشُقُّ شقًّا » ؟ قالوا : بل يَشُقُّ شَقًّا ، قال : « فكيف تَرَوْنَ جَوْنَها » قالوا : ما أحسنَه وأَشدّ سوادَه ! فقال عليه السلام : « الحَيَا » فقالوا : يارسول الله ، مارأينا الذى هو منك أفصح ، قال : وما يمنعنى من ذلك فإنما أُنْزِل القرآن بلسانى لسانٍ عَرَبِىٍّ مُبين » .

ال أبو على : قَوَاعِدُها : أسافلُها ، واحدتها قاعدة ، فأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد ، وهى التى قَعَدَتْ عن الولد وذَهَب حُرْمُ الصلاة عنها . ورَحَاها :

وَسَطُها ومُعْظَمُها ، وكذلك رَحَى الحَرْب : وَسَطُها ومعظمها حيث ٱستدار القوم ، قال الشاعر (١) :

فدارَتْ رَحَانا بفُرْســـانهم فَعَادُوا كأَن لم يَكُونوا رَمِيما

وبَوَاسِقُها : ما علا منها وٱرتفع ، واحدتها باسِقَة ، وكل شيء ٱرتفع وطال فقد بَسَقَ ، يقال : قد بَسَقَت النَّخْلَةُ ، قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ وكذلك بَسَق النَّبْتُ ، فكثر فى كلامهم حتى قالوا : بَسَقَ فلان على قومه ، أى علاهم فى الشرف والكَرَم :

والْوَمِيض : اللَّمْعُ الخفِىُّ ؛ قال ٱمرؤ القيس :

أَعِنِّى على بَرْقٍ أَراه وَمِيض يُضِىءُ حَبِيًّا فى شَمَارِخَ بِيضِ

ويقال : أَوْمَضَ البرق يُومِضُ إِيماضًا إذا لَمَع لَمْعا خَفِيًّا ، وأَومَضَ بعينه إذا غَمَزَ بعينه ، والخَفْىُ : البَرْقُ الضعيف ، قال أَبوعمرو : خَفَى البَرْقُ يَخْفِى خَفْيًا إذا بَرَق بَرْقا ضعيفا ، وقال الكسائىّ : خَفَا يَخْفُو خَفْوًا ، وجَوْنُها : أَسْوَدُها ، والجَوْنُ : من الأَضداد ،يكون الأَسْودَ ويكون الأَبيضَ ، قال الأَصمعىّ : وأُتِىَ الحَجَّاج بدرْع وكانت صافية بيضاء ، فجعل لايرى صفاءها ، فقال له رجل وكان فصيحا ــ قال أَبوعمرو وهو أُنَيْس الجَرْمِىّ ــ : إن الشمس جَوْنَةٌ ، يعنى شديدة البريق والصفاء ، فقد غلب صفاؤُها بياضَ الدرع ، وأَنشد .

يُبَادِرُ الآثارَ أَن تَئُـــوبا وحاجِبَ الجَوْنَـــةِ أَن يَغِيبا

وأَنشد أَبو عبيدة :

غَيَّرَ يا بِنْتَ الحُلَيْسِ لَوْنِى طُولُ اللَّيالِى واختِلافُ الجَوْن

* وَسَفَرٌ كان قَلِيـــــلَ الأَوْن *

أَى الفتور ، وقال الفَرَزْدَق يصف قصرا أَبيض :

وجَوْنٍ عليه الجِصُّ فيه مريضةٌ تَطَلَّعُ منها النفسُ والموتُ حاضِرُهْ

(١) الشاعر هو ربيعة بن مقروم بن قيس الضبى: شاعر جاهلى اسلامى ؛ وقبل البيت

وساقت لنا مذحج بالكلاب مواليهـــا كلهـــا والصـــميما

ا هـ من هامش الاصل .

والحَيَا مقصور : الغيث والخِصْب ، وجمعه أَحْياء ، قال الأَخطل :

رَبِيع حَيًا ما يَسْتَقِلُّ بحَمْلِه سَئُومٌ ولا مُسْتَنْكِشُ البَحْرِ ناضِبُه

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله :

إنَّا مُلوكُ حَيًا للتابعين لنـــا مِثْلُ الربيع إذا ما نَبْتُه نَضَرا

[مبحث الكلام على غريب حديث «أحرم مابين لابتى المدينة »]

وقرىء على أَبى بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البُهْلُول الأَزرق فى مسجد الرُّصافة وأنا أَسمع قال : حدّثنا حميد قال حدّثنا عبد الله بن نمير قال حدّثنا عثمان ابن حكيم قال أخبرنا عامر بن سعد عن أَبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُحَرِّم ما بَيْنَ لابَتِى المدينة أَن يُقْطَع عِضَاهُها أَو يقتل صيدُها » وقال : « المدينة خيرلهم لو كانوا يعلمون لا يَخْرُج منها أَحدٌ رغْبَةً عنها إلَّا أَبْدَل اللهُ فيها من هو خيرٌ منه ولا يَصْبِرُ أَحدٌ على لأْوائِها وجَهْدِها إلا كنت شَهِيدًا أَو شفيعًا يوم القيامة » . هكذا سمعت بلَا « لَهُ » . قال أَبو على : اللابَةُ واللُّوبَةُ : الحَرَّة ، فمن قال : لابة ، قال فى جمعها : لابٌ ، ومن قال : لُوبة ، قال فى الجمع : لُوبٌ ، قال سَلَامة بن جَنْدَل :

حتى تركْنا وماتُثْنَى ظَعَائِننا يأْخُذْنَ بَيْنَ سَوَادِ الخَطِّ فاللُّوبِ

والعِضَاهُ : كلُّ شجر له شوك يَعْظُم ، ومن أَعْرَفِ ذلك : الطَّلح والسَّلَم والسَّيَال والعُرْفُط والسَّمُرُ والشَّبَهَانُ والكَنَهْبَلُ ، والواحدة عِضَة ، قال الراعى :

وخَادَعَ المجدَ أَقوامٌ [لهم وَرَقٌ رَاحَ العِضَاهُ به والعِرقُ مَدْخُولُ

واللَّأْواءُ : الشِّدَّة ، قال رؤبة :

* لَأْوَاءَها والأَزْلَ والمِظَاظَـا *

الأَزْلُ : الضِّيقُ . والمِظَاظُ : المُشَارَّة ، يقال : ما ظَظْت فلانا مُمَاظَّةً ومِظَاظا .

[مبحث الكلام على غريب « ألم أخبر أنك تقوم الليل الخ]

قال أَبو على : وقرىء علىّ الأَزرق وأَنا أَسمع قال حدّثنا بشر بن مطر قال حدّثنا سفيان عن عمرو عن أَبى العباس عن عبد الله بن عمرو قال : قال لى رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « أَلَمْ أُخبَرْ أَنك تقوم الليل وتصوم النهار » فقالت : إنى أفعل ذلك فقال : « إنك إن فَعَلْتَ ذلك هَجَمَتْ عيناك ونَفِهَتْ نفسُك إنَّ لِعَيْنِك حَقًّا ولأَهْلِك حقا ولنفسك حقا فقُمْ ونَمْ وصُمْ وأَفْطِر » . قال أَبو عليّ : قال أَبو عمرو الشيبانى : هَجَمَتْ عينُه وخَوصَتْ وقَدَحَتْ ونَقْنَقَتْ عينه نَقْنَقَة : كل ذلك إذا غارت . وقال الأَصمعيّ : حَجَّلَتْ عينُه وهَجَمَتْ : كلاهما غارت . وجاء حاجلةً عينُه ، وأَنشد :

وأَهْلَكَ مُهْرَ أَبِيكِ الدَّوا ءُ لَيسَ له من طعامٍ نَصِيبُ
فَتُصْبِحُ حاجلةً عيـنُـــه لِحِنْو ٱسْتِهِ وصَلَاهُ غُيُوبُ (١)

وحاجلةً : مِنْ حَجَلَتْ بالتخفيف ، والأَكثر حَجَّلَتْ بالتشديد فهى مُحَجِّلة . ونَفِهَتْ : أَعْيَتْ ، ويقال للمُعْيِى : نافهٌ ومُنَفَّه ، وجمع النافِهِ نُفَّهٌ ، قال رؤْبة [يعنى قفرا] (٢) .

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مِيلَـــهِ بِنا حَرَاجِيجُ (٣) المَهَارِي النُّفَّهِ

والْمِيلَهُ : الذى يُوَلِّهُ سالكَه ، أَى يُحَيِّره .

وحدّثنا أَبوبكر بن دريد رحمه الله تعالى قال : حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه عبد الملك بن قُرَيْب قال : سمعت أَعرابيا يدعو الله وهو يقول : هَرَبْتُ إليك بنفسى يا مَلْجَأَ الهاربين بأَثْقَال الذُّنوب أَحْمِلُها على ظهرى ؛ لا أَجِدُ شافعا إليك إلا معرفتى بأَنك أكرمُ مَنْ قصَد إليه المُضْطَرُّون ، وأَمَّلَ فيما لَدَيْهِ الراغبون ؛ يا من فَتَقَ العقولَ بمعرفته ، وأَطْلَقَ الأَلْسُنَ بحمده ؛ وجَعَلَ ما ٱمْتَنَّ به من ذلك على خَلْقه كِفَاءً لتأْدية حَقِّه ؛ لا تَجْعَلْ للهَوَى على عقلى سبيلا ، ولا للباطل على عَمَلِى دليلا .

---

(١) فى هامش الأصل قال أبو عبيد البكرى : صوابه : لحنو استه فى صلاه غيوب ؛ والحنو : ما انعطف من الشىء أى لحنو استه فى صلاه غيوب لضعفه وهزاله ، وصلاه : ماعن يمين الذنب ويساره وقوله : مهر أبيك ، بكسر الكاف ؛ لأنه يخاطب امرأة ، وقبله

أسماء لم تســـألى عن أبيـــك والقوم قد كان فيهم خطوب ا هـ

(٢) الزيادة عن بعض النسخ .

(٣) حراجيج جمع حرجوج وهى الناقة الشديدة .

[مطلب الكلام على خطبة عبد الملك لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير]

وحدّثنا أَبو بكر قال: أَخبرنا السَّكَنُ بنُ سعيد عن محمد بن عَبَّاد عن ٱبن الكلبىّ عن أَبيه قال: لما قَتَلَ عبدُ الملك مُصْعَبَ بنَ الزبير دخلَ الكوفة، فَصَعِدَ المنبرَ فحمِدَ اللهَ وأَثنى عليه وصلى على النبىّ محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: أَيُّها الناسُ، إن الحَرْبَ صَعْبَةٌ مُرَّة، وإن السَّلْمَ أَمْنٌ ومَسَرَّة؛ وقد زَبَنَتْنا الحربُ وزَبَنَّاها، فَعَرَفْنَاها وأَلِفْنَاها؛ فنحن بَنُوها وهى أُمُّنا. أَيها الناس، فٱستقيموا على سُبُل الهدى، ودَعُوا الأَهْواء المُرْدِيَةَ؛ وتجنَّبوا فِرَاقَ جماعات المسلمين، ولا تُكَلِّفُونا أَعمالَ المهاجرين الأَوَّلين، وأَنتم لا تعملون أَعمالَهم؛ ولا أَظُنُّكم تزدادون بعد الموعظة إلَّا شَرًّا، ولن نزدادَ بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلَّا عقوبة؛ فمن شاء منكم أَن يعود بعدُ لمثلها فَلْيَعُدْ، فإنَّما مَثَلِى ومَثَلكم كما قال أَبو قيس بن رِفَاعة:

من يَصْلَ نارى بلا ذَنْبٍ ولا تِرَةٍ ... يَصْلَ بنارِ كريم غير غَــدَّار
أَنا النذير لكم منى مجاهــرةً ... كَىْ لا أُلامَ على ترك نَهْىٍ وإنذار
فإن عَصَيْتُمْ مقالى اليومَ فاعترفوا ... أَن سوف تَلْقَوْن خِزْيا ظاهر العار
لَتَرْجِعُنَّ أَحاديثــا مُلَعَّنــةً ... لَهْوَ المُقيم ولهو المُدْلِجِ السارى
من كان فى نفسه حَوْجاءُ يطلبها ... عندى فإنِّى له رَهْنٌ بإِصْحار[1]
أُقِيم عَوْجَتَه إن كان ذا عِوَجٍ ... كما يُقَوِّمُ قِدْحَ النَّبْعةِ البــارى
وصاحبُ الوِتْر ليس الدَّهرَ مُدْرِكَه ... عندى وإنِّى لَدَرَّاكٌ بأَوتــار

قال أَبو علىّ: قوله: زَبَنَتْنَا الحربُ وَزَبَنَّاها، أَى دفَعَتْنَا ودفعناها، والزَّبْنُ: الدفع، ومنه ٱشتقاق الزَّبانِيَة، لأَنهم يَدْفعون أَهلَ النار إلى النار، ومنه قيل: حَرْبٌ زَبُون، قال الشاعر:

عَدَتْنِى عن زيارتها العَوادِى ... وحالتْ دُونَها حَرْبٌ زَبُــونُ

عَدَتْنى: صَرَفَتْنِى، والعوادى: الصوارف. والزَّبُون من النُّوق: التى تَرْمَحُ

(١) قوله: باصحار، أى بروز الى الصحراء؛ فلا أستتر عنه ولا أمتنع فى الأماكن الحصينة؛ يقال: أصحر القوم: برزوا الى الصحراء؛ مثــل أسهلوا وأوعروا (ا هـ من هامش الأصل).

عند الحَلْب. والخِزْىُ : الهَوَان ، يقال : خَزِىَ يَخْزَى خِزْيًا ، والخَزَايةُ : الاستحياء ، يقال : خَزِىَ يخزى خَزَايةً ، والمُدْلِج : الذى يَسِيرُ من أوّل الليل ، يقال : أَدْلَجْتُ ، أى سِرْتُ من أوّل الليل ، فأنا مُدْلِج ، وادَّلَجْتُ ، أى سرت فى آخره . فأنا مُدَّلِجٌ ، والدَّلْجة والدَّلَج بفتح الدال : سَيْرُ آخر الليل ، والإدْلاج : من أوّ ل الليل ، ويقال : الدلَج والدَّلْجة : سَيْرُ الليل كلِّه ، قال الراجز :

كأنَّها وقد بَرَاها الإخْماسْ ودَلَجُ الليـل وهَادٍ قَيَّاسْ

* شَرَائِجُ النَّبْـع برَاها القَـوَّاسْ *

والدُّلْجة بضم الدال : من آخره ، ومن الناس من يُجِيز الدُّلْجة والدَّلْجة فى كل واحد منهما ، كما قالوا : بُرْهة من الدهر وبَرْهة . قال زيد الخيل :

يا بنى الصَّيْداء رُدُّوا فَرَسى إنَّما يُفْعَل هذا بالذليـــل

عَوِّدُوه مِثْـلَ ما عَوَّدْتُهُ دَلَجَ الليل وإيطاءَ القتيـل

ويروى : دُلَج : جمع دُلْجة . والسارى : الذى يَسِير بالليل ، يقال : سَرَيْت فأنا سارٍ ، أى سِرْت ليلا ، وأَسْرَيْت أيضا ، ويروى بيت النابغة على وجهين .

سَرَتْ عليه من الجَوْزاء سارِيةٌ تُزْجى الشَّمالُ عليـه جامِدَ البَرَد

وأَسْرَتْ .

والسُّرَى : سَيْرُ الليل . والحَوْجاء : الحاجة . والعَوَجُ : فى كل ما كان مُنْتَصبا مثل الإنسان والعصا وما أشبههما ، والعِوَجُ : فى الدين والأمر وما أشبههما ، والوِتْر : الذَّحْل بكسر الواو لاغير ، والْوَتْر بفتح الواو وكسرها : الفَرْد ، ويقرأ والشَّفْع والوَتْر والوِتْر ، الفتحُ لغة أهل الحجاز ، والكسرُ لغة تميم وأسد و يس ، ويقولون فى الوِتْر الذى هو الفَرْد : أَوْتَرْت فأنا أُوتِر إيتارا ، وفى الذَّحْل : وَتَرْتُه فأنا أَتِرُه وَتْرًا وتِرَةً .

(مطلب خروج عبد الملك بنفسه لقتال مصعب بن الزبير)

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو عثمان قال أخبرنى العُتْبىّ عن أبيه : أن عبد الملك ابن مروان ــ رحمه الله ــ كان يُوجِّه إلى مُصْعَب جيشا بعد جيش فَيُهْزَمون ، فلما

طال ذلك عليه وآشتدّ غمُّه أَمَرَ الناسَ فعسكروا ودعا بسلاحه فلبسه ، فلما أراد الركوب قامت إليه أُم يزيد ابنه — وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية — فقالت : ياأميرَ المؤمنين ، لو أَقَمْتَ وبعثتَ إليهِ لكان الرأى ، فقال : ما إلى ذلك مِن سبيل ، فلم تَزَل تمشى معه وتكلمه حتى قرب من الباب ، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حَشَمُها معها ، فلما علا الصوتُ رجع إليها عبد الملك فقال : وأنتِ أيضا ممن يَبْكِى ! قاتَلَ اللهُ كُثَيِّرا ، كأنه كان يرى يومَنا هذا حيث يقول :

إذا ما أرادَ الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّه حَصَانٌ عليها نَظْمُ دُرٍّ يَزِينُها
نَهَتْهُ فلمَّا لم تَرَ النَّهْىَ عاقه بَكَتْ فَبَكَى مما شجَاها قَطِينُها[1]

ثم عَزَم عليها بالسكوت وخرج .

قال أبو علىّ : وبعد هذين البيتين يقول :

ولم يَثْنِهِ يَوْمَ الصَّبابة بَثُّها غَدَاةَ آسْتَهَلَّتْ بالدموع شُئُونُها
ولكنْ مَضَى ذو مِرَّةٍ مُتَثَبِّتٌ بِسُنَّةِ حَقٍّ واضحٍ مُسْتَبِينُها

وفى عبد الملك يقول كُثَيِّر :

أَحاطتْ يداه بالخِلافةِ بَعْدمَا أَراد رجالٌ آخرون آغْتِيالَها

وفى هذه القصيدة يقول فيه أيضا .

فما أَسْلَموها عَنْوةً عن مَوَدةٍ ولكنْ بِحَدِّ المَشْرَفىِّ آستقالها
وكنتَ إذا نابَتْكَ يَوْمًا مُلِمَّةٌ نَبَلْتَ[2] لها أَبا الوليد نِبالَها
سَمَوْتَ فأَدركْتَ العَلاءَ وإِنَّما يُلَقَّى عَلِيَّاتِ العُلا مَنْ سَمالَها
وصُلْتَ فنالت كفُّكَ المَجْدَ كلَّه ولم تَبْلغِ الأَيْدِى السَّوامِى مَصالَها

وحدّثنى أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : حدّثنا السَّكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن هشام قال : قال العباس بن الوليد بن عبد الملك لِمَسْلَمة بن عبد الملك :

(١) القطين : الخدم .

(٢) نبلت لها الخ ، أى أعددت . ونبالها بكسر النون جمع نبل ؛ ويروى : نبالها بفتحها على المصدر ؛ قال يعقوب : نبلت لذلك الأمر نبله ونبله ونباله اذا أخذت له أهبته ؛ كذا بهامش الأصل .

أَلا تَقْنَى الحياءَ أبا سَعِيـــدٍ وَتُقْصِرُ عن مُلَاحاتِى وعَذْلى
فَلَوْلا أنَّ أَصْلَكَ حِينَ تُنْمَى وفرعَكَ مُنْتَمَى فَرْعِى وأَصْلى
وأنّى إن رمَيْتُك هِضْتُ عَظْمِى ونالَتْنِى إذا نَالَتْك نَبْـــلى
لقد أنكرتَنى إنكارَ خَـــوف يَضُمُّ حشاك عن شَتْمِى وأَكلى
كقول المرءِ عَمْرٍو فى القَوافى لِقَيْسٍ حين خالف كلَّ عَذْل
« عَذِيرِى مِنْ خَلِيلِى مِن مُرَادٍ أُرِيدُ حَيَاتَه ويُرِيد قَتْلِى »

يريد : عمرو بن معد يكرب ، وقيس بن مكشوح .

وحدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : حدّثنى من سمع أعرابيا يقول لصديق له : دَعْ ما يَسْبِق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذارُه ، فليس مَنْ حَكَى عنك نكرا ، تُوسِعُه فيك عُذْرا . قال: وأخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : قال أعرابي كبير السن : أَصْبَحْتُ والله تُقَيِّدنى الشَّعَره، وأَعْثُر بالبَعَره ، وقد أقام الدهرُ صَعَرِى بعد أن أَقَمْتُ صَعَره .

قال أبوعلىّ : الصَّعَرُ : المَيْل .

وأنشدنا أبوبكر قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه قال : أنشدنا بعض أهل المدينة لخارجة بن فليح الملى[1] .

أَلا طَرَقَتْنَا والرِّفاق هُجــودُ فباتَتْ بِعَلَّاتِ النَّوال تَجُود
أَلا طَرَقَتْ لَيلَى لَقًى بَيْنَ أَرحُل شَجاه الهَوَى والنَّأْى فَهْوَ عَمِيدُ
فلَيْتَ النَّوَى لم تُسْحِقِ الخَرْق بَيْننا وَلَيْتَ الخَيَالَ المُسْتَرَاثَ يعود
إذًا لَأَقاد النفس من فَجْعة الهوى بِلَيْلَى ورَوْعاتِ الفؤاد مُقِيـــد
كأنّ الدموعَ الواكفات بذكرها إذا أَسْلَمَتْهُنَّ الجُفونُ فَرِيـــد
إذا أَدبرتْ بالشَّوْق أعقابُ ليلة أَتَاكَ بها يَوْمٌ أَغَرُّ جَديـــــد

(١) هكذا فى الأصل الملى بلامين بعد الميم ولم نجده فى كتب الأنساب .

حدّثنا أبوبكر قال: حدثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: أنت عندى كسالم، فلم يَدْر ما هو، فكتب إلى قتيبة يسأله، فكتب إليه: إن الشاعر يقول:

يُدِيرونَنِي عن سالم وأُدِيرُهُمْ وجِلْدَةُ بَيْنَ الأَنْفِ والعَيْنِ سَالِمُ

ثم كتب إليه مرّة أخرى: أنت عندى قِدْحُ ٱبنِ مقبل، فلم يدر ماهو، فكتب إلى قتيبة يسأله — وكان قتيبة قد روى الشعر — فكتب إليه: إن ابن مقبل نَعَتَ قِدْحًا له فقال:

غدَا وهو مَجْدُولٌ ورَاحَ كأَنَّه مِنَ المَشِّ والتَّقْلِيبِ بالكَفِّ أَفْطَحُ(١)

خَرُوجٌ من الغُمَّى إذا صُكَّ صَكَّةً بَدَا والعُيُونُ المُسْتَكِفَّةُ تَلْمَحُ

قال أبوعلىّ: المَشُّ: المَسْح، والمَشُوش: المِنْدِيل، قال ٱمروُ القيس:

نَمُشُّ بأَعْرافِ الجِيادِ أَكُفَّنَا إذا نَحْنُ قُمْنَا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ

والغُمَّى: الشِّدَّة التى تَغُمُّ، أى تُغَطِّى. والمُسْتَكِفَّة من قولهم: ٱسْتَكْفَفْتُ الشىء إذا وضعت يَدَكَ على حاجبك تنظر هل تراه كالذى يستظلّ من الشمس.

وقال الأصمعىّ: من أمثال العرب: «العَيْرُ أَوْقَى لِدَمِهِ» ويقال ذلك للرجل(٢)، أى إنه أشد إبْقاءً على نفسه ويقال: «الرَّبَاحُ مَعَ السَّمَاح» يريد أن المسامِح أَحْرَى أن يَرْبَح، ويقال: «عَبْدُ صَرِيخُهُ أَمَةٌ» يضرب مثلا للضعيف يَسْتَصْرِخُ بمثله. وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر:

ولقد مرَرْتُ على قَطِيعٍ هالكٍ مِنْ مالِ أَشْعَثَ ذِى عِيالٍ مُصْرِمِ

من بَعْدِ ما ٱعتَلَّتْ عَلَىَّ مَطِيَّتِى فأَزَحْتُ عِلَّتَها فَظَلَّتْ تَرْتَمِى

القَطِيع: السَّوْط، والهالك: الضائع. والمُصْرِم: المُقِلُّ المُخِفُّ، يقول: كانت ناقتى قد ٱعتلَّت علىّ، فلما أصبت السوط فضربتها به ظَلَّتْ تَرْتَمِى، أى تَتَرَامَى فى سَيْرِها.

(١) أفطح: عريض.

(٢) أي الحذر كما في أمثال الميداني، ولعلها سقطت من الناسخ.

وحدثنا أبو عبد الله قال : أخبرنى أحمد بن يحى عن ابن الأَعرابىّ عن أبى معاوية عن هشام بن عروة عن أَبيه قال : مكتوب فى الحكمة : يابُنَىَّ ، لتكُنْ كلمتُك طَيِّبة ، ووَجْهُك بِسْطًا[1] ، تكن أَحَبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء ، وأنشدنا أبو عبد الله :

وكَمْ من مُلِيمٍ لم يُصَبْ بمَلَامةٍ ومُتَّبَعٍ بالذَّنْبِ ليس له ذَنْبُ
وكَمْ من مُحبٍّ صَدَّ من غَيْرِبِغْضةٍ وإنْ لم يَكُن فى وُدّ خُلَّتِه عَتْبُ

[مطلب تفسير ما جاء من الغريب فى حديث البنات الثلاث اللاتى وصفن ما يحببن من الأزواج]

وحدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبىّ قال : قالت عجوز من العرب لثلاثِ بنات لها : صِفْنَ ما تُحْبِبْنَ من الأَزواج ، فقالت الكُبْرَى : أَريد أَرْوَعَ بَسَّاما ، أَحَذَّ مِجْذاما ، سَيِّدَ نادِيه ، وثِمَالَ عافِيه ، ومُحْسِبَ راجيه ، فِنَاؤه رَحْب ، وقِيادُه صَعْب . وقالت الوُسْطَى : أُريده عالِىَ السَّناء ، مُصَمِّمَ المَضَاء ، عَظِيم نار ، مُتَمِّم أَيْسار ، يُفِيد ويُبِيد ، ويُبْدِىء ويُعِيد . هو فى الأَهْلِ صَبِىّ ، وفى الجَيْشِ كَمِىّ ، تَسْتَعْبِدُه الحَلِيله ، وتُسَوِّدُهُ الفَضِيلة . وقالت الصغرى : أُريده بازِلَ عام ، كالمُهَنَّد الصِّمْصام ، قِرَانُه حُبُور ، ولقاؤه سُرُور ، إن ضَمَّ فَضْقَض ، وإن دَسَرَ أَغْمَض ، وإن أَخَلَّ أَحْمَض . قالت أُمها : فُضَّ فُوكِ ! لقد فرَرْتِ لى شِرَّةَ الشَّبَاب جَذَعةً .

قال أَبو على : قال أَبوزيد : الأَرْوَعُ والنَّجيب واحد ، وهما الكريم . وقال غيره : الأَرْوَع : الذى يَرُوعُك جَمالُه . والأَحَذُّ هاهنا : الخفيف السريع ، والأَحذ أَيضا : الخفيف الذَّنَب ، ومنه قيل : قَطَاةٌ حذَّاء . وقال أَبو بكر بن دريد : الحَذَذُ : الخفة والسرعة ، والقَطَاة الحَذَّاء : السريعة الطَّيَران ، ويقال : القليلةُ رِيشِ الذَّنَب ، وحذَّ الشىء يَحُذُّه حَذًّا إذا قطعه قطعا سريعا والحُذَّةُ : القِطْعة من اللحم وأنشد الأَعشى :

تَكْفيه حُذَّةُ فِلْذٍ إن أَلَمَّ بها من الشِّواء ويُرْوِى شُرْبَهُ الغُمَرُ[2]

قال : ويروى حُزَّةُ فِلْذٍ وقال أَبو عبيدة فى قول عُتْبة بن غَزْوان حين خطَبَ الناسَ فقال: إن الدنيا قد آذَنَتْ بصَرْم ووَلَّتْ حَذَّاء ، فلم يَبْقَ منها إلَّا صُبَابةٌ كصُبابةِ

(١) بسطا : أى متبسطا منطلقا .
(٢) الغمر كصرد : القدح الصغير .

الإناء . قال أبو عمرو وغيره : الحَذّاء : السريعة الخفيفة التى قد انقطع آخرها ، ومنه قيل للقطاة : حَذّاء لقِصَر ذَنَبها مع خِفَّتها ، وقال النابغة الذبيانى :

حَذّاء مُدْبِرَةً سَكّاء مُقْبِلَةً للماء فى النَّحْرِ مِنْها نَوْطَةٌ[1] عَجَبُ

قال : ومن هذا قيل للحمار القصير الذَّنَب أحَذّ .

قال أبو على : أصل هذه الكلمة عندى الخِفَّة ولم أسمع فى بيت أعشى باهِلة حُذَّةٌ فلذ بالذال إلا من أبى بكر ، فإن صحت هذه الرواية فلا تكون الحُذَّة إلا القِطْعة الخفيفة ، والمِجْذَام : مِفْعال من الجَذْم ، والجَذْم : القطع ، يريد أنه قَطّاع للأمور . والنّادِى ، والنَّدِيُّ : المجلس ، والثِّمَال : الغِيَاث ، وثِمَالُ القوم غِياثُهم ومن يقوم بأمرهم ، يقال : فلان ثِمَالٌ لبنى فلان إذا كان يقوم بأمرهم ويكون أصْلالهم وغياثا ، ويقال : هو يَثْمُلُهم ، والمرأة تَثْمُلُ الصبيان ، أى تكون أصلا لهم ، قال الحُطَيئة :

فِدًى لابْنِ حِصْنٍ ما أُرِيح فإنه ثِمَالُ اليتامى عِصْمةٌ فى المَهَالك

والثَّمْل ساكنة الميم : المُقَام والخَفْض ، يقال : ليست دارُنا بدارِ ثَمْلٍ ، قال أُسامة بن الحارث الهذلىّ :

كَفِيتُ النَّسا نَسّال حَرّ وَدِيقةٍ[2] إذا سَكَنَ الثَّمْلَ الظِّباءُ الكَوانِسُ

كَفِيتُ النَّسا ، أى سريع العَدْو ، وتلخيص معناه أن تقول : الكَفِيت : السريع . والنَّسَا : عِرْق فى الفخذ يجرى إلى الساق ، فكأنه قال : سريع الرِّجْل ، وإذا كان سريع الرجل كان سريع العَدْو . والكَوَانِسُ : التى تكْنِسُ بأذنابها من الذُّباب ، ويقال : اختار فلان دارَ الثَّمْل ، أى دار الخَفْض والمُقام ، وثَمَلَ فلان فما يَبْرح . والثَّميلة : البَقِيَّة تبقَى من العَلَف والماء فى بطن البعير وغيره ، والجميع : الثَّمائل ، قال ذو الرمّة :

وأدْرَكَ المُتَبَقَّى من ثَمِيلته ومن ثَمائِلِها واسْتُنْشِئَ الغَرَبُ[3]

(١) النوطة : الحوصلة .

(٢) الوديقة : شدة الحر فى الهاجرة .

(٣) أدرك : فني ؛ واستنشىء : شم ومنه النشوة: الرائحة . والغرب : الماء يتخلف مابين البئر والحوض.

والثَّميلة : البَقِيَّة تبقى من الماء فى الصخرة أو الوادى ، وقد قالوا : الثَّمِيل : الماء الذى يبقى فى الوادى بعد مُضِىّ السَّيل عنه ، قال الأعشى :

بناجِيَةٍ كأَتَان الثَّمِيـــــل تُقَضِّى السُّرَى بعد أَيْنٍ عَسِيرا

والأَتان : الصَّخْرة تكون فى الماء ، وإذا كانت فى الماء القليل فأَصابتها الشمس صَلُبَت . والثُّمالة : رَغْوة اللبن ، يقال : حَقَنْتُ الصَّريح وثَمَلْت الرغوة يريد بَقَّيت ، قال مُزَرِّد :

إذا مَسَّ خِرْشاءَ(١) الثُّمالةِ أَنْفُهُ ثَنَى مِشْفَرَيْهِ للصَّريحِ فَأَقْنَعَـا

وقال الأَصمعىّ : الثُّمالة : ما بقى فى العُلْبة من الرغوة خاصة ، والثُّمالة : ما بَقِى فى الحوض من الماء ، وهو أيضا : مابقى فى البطن من الماء والطعام ، ويقال : سَقَاه المُثَمَّلَ ، يريد سقاه السَّمَّ . قال أَبو نصر : وتُرَى أنه أُنْقِع فبقى وثَبَت ، وسَيْفٌ ثامِلٌ ، أى باق فى أَيدى أَصحابه زمانا . كذا قال الأَصمعىّ ، وقال أَبو عمرو : قديمٌ لا عَهْدَ له بالصِّقَال . وقال خالد بن كُلْثوم : هو الذى فيه بَقِيَّةٌ ، قال ابن مقبل :

لِمَنِ الدِّيارُ عَرَفْتُها بالساحل وكأَنَّها أَلْواحُ سَيْفٍ ثامِـــل

والثَّمَلة : الصُّوفة تُجعل فى الهِنَاء ، ثم يُطْلَى بها البعير ، أَنشد الأَصمعىّ :

ممْغُوثةٌ أَعْرَاضُهُمْ مُمَرْطَلَـــه كما تُلَاثُ فى الهِنَاء الثَّمَلَـــه(٢)

والثَّمْلة ساكنة الميم : الحَبُّ والتمر والسَّوِيق يكون فى الوعاء إلى نصفه فما دُونَه ، والجِمَاع : الثَّمْل .

والثُّملة : ما أخرجْتَ من أَسفل الرَّكِيَّة من التراب والطين ، وهذان الحرفان رويناهما عن أَبى عبيد بضم الثاء وعن أَبى نصر بفتح الثاء ، ويقال : ثَمِلَ يَثْمَل ثَمَلا إذا أَخَذَ الشرابُ فيه ، وعافيه الذين يَعْفُونه ، أى يأتونه ، يقال : عَفَاه يَعْفُوه واعْتَفَاه يَعْتَفِيه ، وعَرَاه يَعْرُوه واعْتَراه يعتريه ، واعْتَرَّه يَعْتَرُّه ، وعَرَّه يَعُرُّه . ومُحْسِبٌ : كاف ، أنشدنا أبو بكر بن الأَنبارى لامرئ القيس :

(١) الخرشاء : الجلدة الرقيقة تركب اللبن . (٢) ممغوثة : مهتوكة . وممرطلة : ملطخة .

فَتَمْلأُ بَيْتَنَا أَقِطًا وسَمْنًــا وحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وَرِيٌّ

أى يكفيك الشِّبَع والرِّىُّ . وفِنَاؤه رَحْبٌ ، أى واسع ، ويقال : فِنَاءُ الدار وثِنَاؤُها ، والسَّنَاء من الشَّرَف ممدود ومن الضَّوء مقصور والمُصَمِّم مِن الرجال : الذى يَمْضِى فى الأُمور لايَرُدُّ عزمَه شىء ، والمُصَمِّم من السيوف : الذى يَمْضِى فى الضَّرائب لايحبسه شىء . وأَيْسار جمع يَسَر ، وهوالذى يدخل مع القوم فى القِدَاح ، وهومَدْح ، وقال الشاعر :

وراحلةٍ نَحَرْتُ لشَرْبِ صِــدْقٍ وما ناديْتُ أَيْسَارَ الجَزُور

والبَرَمُ : الذى لا يدخل مع القوم فى المَيْسِر ، وهو ذَمٌّ وجمعه أَبْرام ، قال مُتَمِّم :

ولا بَرَمٌ تُهْدِى النِّساءُ لِعِرْسِه إذا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتاء تَقَعْقَعَا

ويقال : كان رجلٌ برَمًا فجاء إلى آمرأته وهى تأكل لَحْما فجعل يأكل بَضْعَتَين بضعتين ، فقالت له آمرأته : « أَبَرَمًا قَرُونًا » فأَرسلَتْها مَثَلا . وقال أبوزيد : الكَمِىُّ : الجَرِىء المُقْدِم كان عليه سلاحٌ أولم يكن . وقال غيره :الذىيَكْمِى شجاعتَه فى نفسه ، أى يَسْترها . وقال آبن الأعرابىّ : الكَمِىُّ : الشجاع ، وسُمى كَمِيا لأنه يَتكمَّى الأَقران لايَكِعُّ ولايَجْبُن عن قِرْنِه ، أى يَقْصد ، وكلُّ ماآعتمدتَه فقد تكمَّيْته ، وأنشد :

بل لَوْ شَهِدْتِ الناسَ إذ تُكُمُّوا بِقَدَرٍ حُمَّ لَهُمْ وحُمُّــــوا
وغُمَّةٍ لولَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا

[مطلب أسماء الزوجة]

وحَلِيلَةُ الرجل : آمرأته ، وحَليلته أيضا : جارته التى تُحالُّه وتَنْزِل معه ، قال الشاعر :

ولَسْتُ بأَطْلَسِ الثَّوْبَيْنِ يُصْبِى حَلِيلَتَهُ إذا هَجَعَ النِّيَــــامُ

وعِرْس الرجل : آمرأته أيضا ، قال آمرؤ القيس :

كَذَبْتِ لقد أُصْبِى على المَرْءِ عِرْسَهُ وأَمْنَع عِرْسِى أَنْ يُزَنَّ بها الخَــالى

وهو أيضا عِرْسُها وهى حَنَّتُه ، قال كُثَيِّر :

فقلتُ لها بل أنتِ حَنَّةُ حَوْقَلٍ جَرَى بِالْفِرَى بَيْنِى وبَيْنَكِ طابِنُ

والفِرَى جمع فِرْيَة ، وقال الشاعر :

ما أَنْتِ بالحَنَّةِ الوَدُودِ ولا عِنْدَكِ خَيْرٌ يُرْجَى لمُلْتَمِس

وهى طَلَّتُه أيضا ، قال الشاعر :

وإنَّ آمْرَأً فى الناس كُنْتُ آبْنَ أُمِّهِ تَبَدَّلَ مِنِّى طَلَّةً لَغَبِينُ

دَعَتْكَ إلى هَجْرِى فطاوَعْتَ أَمْرَها فَنَفْسَكَ لا نَفْسِى بذاك تُهِين

وقال الآخر :

ألا بَكَرَتْ طَلَّتِى تَعْـــذُل وأسماءُ فى قَوْلها أعْـذَلُ

تُرِيدُ سُلَيْمَاكَ جَمْعَ التِّــلا دِ والضَّيْفُ يَطْلُبُ ما يَأْكُل

ورَبَضُه ورُبْضُه أيضا ، والرَّبَضُ : كلُّ ما أَوَيْتَ إليه ، قال الشاعر :

جاءَ الشتاءُ ولَمَّا أَتَّخِذْ رَبَضًا يا وَيْحَ كَفَّىَ مِن حَفْرِ القَرَامِيصِ

والقُرْمُوص : حُفْرة يَحْتَفِرها الصائد إلى صدره فيدخل فيها إذا اشتدّ عليه البَرْد ، والقُرْمُوص أيضا : مَبِيضُ القَطَاة . وقَعِيدةُ الرجل أيضا : امرأته ، قال الأسعر الجُعْفىّ :

لٰكِنْ قَعِيدَةُ بَيْتِنَا مَجْفُــوَّةٌ بادٍ جنَاجِنُ[1] : صَدْرِها ولَها غِنَى

وزَوْجُه أيضا ، قال الأصمعىّ : ولا تكاد العرب تقول زَوْجَتُه ، وقال يعقوب : يقال : زَوْجَتُه ، وهى قليلة ، قال الفرزدق .

وإن الذى يسعى لِيُفْسِدَ زوجتى كساعٍ إلى أُسْد الشَّرَى يَسْتَبِيلُها

وهى بَعْلُه أيضا وبَعْلَتُه ، وأنشد الفراء :

شَرٌّ قَرِينٍ للكَبِيرِ بَعْلَتُـــهْ تُولِغُ كَلْبًا سُؤْرَهُ أو تَكْفِتُـــه

(١) الجناجن : العظام .

يعنى : أن امرأته قد تقذَّرته حين كَبِر ، فإذا شَرِب لَبنًا وبقى سُؤرُه ـ والسؤر بقية الشراب فى الإناء ـ تُولِغُه كلبا أو تكفِته، أى تقلِبه على الأرض . وبَيْتُه أيضا ، قال الراجز :

أقول إذ حَوْقَلْتُ أو دَنَوْتُ وبعضُ حِيقالِ الرِّجالِ المَوْتُ
مالِى إذا أنْزِعُها صأَيْتُ (١) أكِبَرٌ غَيَّرنِى أم بَيْــــتُ

وشَهْلَتُه أيضا ، أنشدنى أبو بكر بن الأنبارى :

له شَهْلَةٌ شابَتْ وما مسَّ جَيْبَها ولا راحَتَيْهَا الشَّثْنَتَيْنِ عَبِيــرُ

والشَّهْلة أيضا : العَجُوز ، قال الراجز :

باتَتْ تُنَزِّى دَلْوها تَنْزِيّـــا كما تُنَزِّى شَهْلَةٌ صَبِيّــــا

وجَثْلَتُه ومُعَزِّبَتُه : امرأته. وقال غيره : وحَوْبَتُه أيضا . وقال أبو زيد : والحَوْبة : القرابةُ من قِبَل الأمّ ، وكذلك كل ذى رَحِم مَحْرَم . قال يعقوب(٢) : الحَوْبَةُ : الأمّ . والفصيلة : رَهْطُ الرجل الأدْنَوْنَ . وقال ابن الكلبىّ : الشَّعْبُ أكثر من القَبيلة ثم القَبِيلة ثم العَمَارة ثم البَطْن ثم الفخذ . وأُسْرة الرجل : رَهْطُه الأدْنَوْن ، وكذلك فَصيلَتُه . وقولها : أُريده بازِلَ عام ، أى تام الشباب كامل القوّة ؛ لأن البعير أتَمُّ ما يكون شبابا وأكمله قوّة إذا كان بازل عام .

[مطلب ترتيب أسنان الإبل وأسمائها]

قال الأصمعىّ : إذا وَضَعَت الناقةُ فولدُها سَلِيلٌ قبل أن يُعْلَم أذكر هو أم أُنثى ، فإذا عُلِم ، فإن كان ذكرا فهو سَقْبٌ وأمّه مُسْقِب ، وإن كانت أُنثى فهى حائِلٌ وأمها أم حائِل ، قال الهذلىّ :

فتلك التى لا يبرح القلبَ حبُّها ولا ذِكْرُها ما أرْزَمَتْ أم حائل(٣)

وهى مُؤْنِثٌ ، وقد آنَثَتْ ، أى جاءت بأُنثى ، وقد أذْكرتْ فهى مُذْكِرٌ إذا

---

(١) صأيت : صحت .

(٢) فى الأصل «أبو يعقوب» وفى اللسان مادة حوب : قال ابن السكيت اهـ . وابن السكيت هو يعقوب وكنيته أبو يوسف كما فى تاريخ ابن خلكان .

(٣) يقال : «لا أفعله ما أرزمت أم حائل» أى لا أفعله أبدا .

جاءت بذَكَرٍ ، فإن كان من عادتها أن تَضَعَ الإناثَ فهى مِئْناثٌ ، وكذلك مِذْكار إذا كان من عادتها أن تَضَع الذُّكور ، فإذا قَوِى ومَشَى مع أمه فهو راشِحٌ والأُم مُرْشِحٌ ، فإذا حَمَل فى سَنامه شَحْما فهو مُجْذٍ ومُكْعِر ثم هو رُبَعٌ .

قال الأَصمعىّ حدّثنى عيسى بن عمر قال : سأَلت جبر بن حبيب أخا آمرأة العجّاج عن الهُبَع والرُّبَع ، فقال : الرُّبَعُ ما نُتِج فى أَوّل النِّتاج ، والهُبَعُ ما نُتِج فى آخر النِّتاج ، فإذا مَشَى الهُبَعُ مع الرُّبَع أَبْطَره ذَرْعًا فَهَبع بعُنُقه ، أَى آستعان به ؛ ثم هو حُوَار ، فإذا فُصِل عن أُمّه — والفِصَال : الفِطَام — فهو فَصِيل والجمع فُصْلان وفِصْلان ، ومنه الحديث : « لا رَضَاعَ بعد فِصَال » فإذا أَتَى عليه حَوْلٌ فهو آبن مَخَاض وإنما سُمِّىَ آبن مَخَاض لأَن أُمّه لَحِقَتْ بالمَخَاض ،وهى الحَوَامل وإن لم تكن حاملا ؛ فإذا آستكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة فهو آبْنُ لَبُون والأُنْثى بنت لَبُون ، وإنما سُمِّىَ آبن لَبُون ؛ لأَن أُمه كانت من المخاض فى السنة الثانية ، ثم وضعت فى الثالثة فصار لها لَبَنٌ فهى لَبُون وهو آبن لَبُون ، فلا يزال كذلك حتى يستكمل الثالثة ، فإذا دخل فى الرابعة فهو حينئذ حِقٌّ والأُنْثى حِقَّة ، وإنما قيل لها : حِقَّة لأَنها قد آسْتَحَقَّت أَن يُحْمَل عليها وتُرْكَب ، فإذا آستكمل الرابعة ودخل فى الخامسة فهو جَذَعٌ والأُنْثى جَذَعة ، فإذا دخل فى السادسة فهو ثَنِىٌّ والأُنْثى ثَنِيَّة ، فإذا دخل فى السابعة فهو رَبَاع والأُنْثى رَبَاعِيَةٌ ، فإذا دخل فى الثامنة فهو سَدِيس وسَدس والأُنثى سَدِيسة ، فإذا دخل فى التاسعة وبَزَل نابهُ فهو بازل ، يقال : بزَل نابُه يَبْزُل بُزُولا وشقَأَ نابُه يَشْقَأُ شقوءًا وشقـأ وشَقَى أيضا ، وشَقَّ يَشُقُّ شُقُوقا ، وفَطَر يَفْطُر فُطُورا ، وبَزَغَ وصَبَأَ وعَرَد يَعْرُد عُرودا ، فإذا دخل فى العاشرة فهو مُخْلِف ، ثم ليس له آسم بعد الإخْلاف . ولكن يقال : بازلُ عامٍ وبازلُ عامَيْن ومُخْلِف عام ومُخْلِف عامَيْن . وقَضْقَض ، أى حَطَمَ كما يُقَضْقِض الأَسد الفَرِيسة وهو أَن يَحْطِمها ويَنْفُضَها فَتَسْمَع لِعظَامِها صوتا . والأَسَدُ القَضْقَاض : الحَطَّام ، قال رؤبة :

كَمْ جاوَزَتْ من حَيَّةٍ نَضْنَاضِ وأَسَدٍ فى غِيلِهِ قَضْقَاضِ

لَيْثٍ على أَقْرانِــه رَبَّاض يُلْقِى ذِراعَىْ كَلْكَلٍ عِرْباض

والعِرْباضُ : الثَّقِيلُ العظيم . ودَسَرَ : دَفَعَ ، ومنه قول ابن عباس رضى الله عنهما فى العَنْبر : إنما هو شَىْء دَسَرَهُ البَحْرُ ، أى لازكاة فيه . قال : وقرأْنا على أبى بكر بن دريد رحمه الله قول الشاعر :

فأَصْبَحْتُ مِنْ سَلْمَى كذى الداء لم يَجِدْ طَبِيبًا يُدَاوِى ما بِــه فَتَطَبَّبَــا
فَلَمَّا اشْتَفَى مِمَّا بِهِ عَلَّ طِبَّـــهُ على نَفْسِهِ مِنْ طُولِ ما كان جَرَّبا

يقول : لَمَّا لم يجد إليها سبيلا داوى نفسه بالهجران ، فلما رأى ذلك قد نَفَعه عَلَّ الهِجْرانَ ، أى فَعَله ثانيةً

وحدّثنا الأخفش قال أنبأنى أبوالفَيَّاض بن أبى شُرَاعة عن أبى شُراعة قال : حدّثنى عبد الله بن محمد بن بشير البصرى قال : عَلِق أبى جارية لبعض الهاشميين فبَعَثَتْ إليه أُمّى تعاتبه ، فكتب إليها :

لا تَتْبَعِنْ لَوْعَةً إثْرِى ولا هَلَعا ولا تُقَاسِنَّ بَعْدِى الهَمَّ والجَزَعا
بلِ ائْتَسِى تَجِدِى إنِ ائْتَسَيْتِ أُسًى بِمِثْلِ ما قد فُجِعْتِ اليومَ قدفُجِعــا
ما تَصْنَعِين بِعَيْنٍ عنـــكِ طامحةٍ إلى سِوَاكِ وقَلْبٍ عنكِ قد نَزَعا
إن قُلْتِ قد كنتُ فى وُدٍّ وتكرِمةٍ فقد صَدَقْتِ ولكنْ ذاك قد مُنِعا
وأَىُّ شىء من الدُّنْيا سَمِعْتِ به إلّا إذا صار فى غاياته انْقَطَعــا
لم تُبْقِ عَيْنَا حُسَيْنٍ عِنْدَ لَحْظِهما لِغَيْرِها فى فُؤادِى بَعْدَها طَمَعَــا
ومَن يُطِيق مُذَكًّا(١) عند صَبْوَتِهِ ومَنْ يَقُومُ لمسْتُور إذا خَلَعــا

وأنشدنا الأخفش قال : قرأت على أبى العباس الأحول الأعرابىّ :

أَيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْنِى مِنَ الّتى بِها نَهِلَتْ(٢) نَفْسِى سَقَامًا وعَلَّتِ
لَقَدْ بَخِلَتْ حَتَّى لَوَ انّى سأَلْتُها قَذَى العَيْنِ من ضاحى التُّراب لَضَنَّتِ

(١) ذكى : اسن وكبر . (٢) فى الطبعة الأولى «نهكت» وهو تحريف .

فما أمُّ بَوٌّ هالكٍ بِتَنُوفَــةٍ[1] إذا ذَكَرَتْه آخرَ اللَّيْلِ حَنَّــتِ
بأَكْثَرَ مِنِّى لَوْعَـةً غير أَنَّنِى أُطَامِن أَحْشَــائى على ما أجنَّتِ

وقرأت على أبى بكر بن دريد رحمه الله :

أبتِ الرَّوادِفُ والثُّدِيُّ لِقُمْصِهــا مَسَّ الْبُطُون وأَن تَمَسَّ ظُهُــورا
وإذا الرِّياحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبَّهْنَ حاسدةً وهِجْنَ غَيُــــورا

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى المعروف بِنفطَوَيْهِ .
وأنشدنا الأخفش أيضا قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب النحوى :

فَلَمْ أرَ هالِكًا كَبَنِى صُرَيمٍ تَلُفُّهُمُ التَّهائمُ والنُّجــــودُ
أَجَلَّ جَلالةً وأَعَزَّ فَقْــــدًا وأَقْضَى لِلْأُمُورِ وَهُمْ قُعُــود
وأَكْثَرَ ناشِئًا مِخْرَاقَ حَرْبٍ يُعِينُ على السِّيادةِ أو يَسُود

وأنشدنا إبراهيم أيضا ، قال أنشدنا أحمد بن يحيي :

وكُنْتُ مُجاوِرًا لبنى سَعِيــدٍ فأفْقَدَنيهمُ رَيْبُ الزَّمـــــان
فَلَمَّا أنْ فَقَدْتُ بنى سعيــدٍ فَقَدْتُ الوُدَّ إلا باللِّســــان

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنى عَمِّى عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : وفَدَ عُلْبة بن مُسْهِر الحارثىّ والمُنْتَشِر أحد فوارس الأرباع الذين يقول لهم الأجدع الهَمْدانىّ :

وسَأَلْتنِى بركائِبِى ورِحالِهـــا ونَسِيت قَتْلَ فَوَارِس الأرباع

إلى ذي فائش المَلِكِ الحِمْيَرِىِّ ، وكان ذو فائش يُحِبُّ اصطناعَ سادات العرب ويُقَرِّب مجالسَهم ويقضى حوائجهم ، وكان عُلبة شاعرا حَدُثًا ظريفا ، فقال له الملك : ياعلبة ، ألاَ تُحَدِّثنى عن أبيك وأعمامك وتصف لى أحوالهم ؟ فقال : بلى أيها الملك ، وهم أربعة :زيادٌ ومالكٌ وعمرو ومُسْهِرٌ. فأمازياد ، فما اسْتَلَّ سيفَه مُذْ ملكت يدُه قائمه إلا أغمده فى جُثْمانِ بَطَل ، أو شَوَامِتِ جَمل ، وكان إذا حَمْلَقَ النَّجيد ، وصَلْصَلَ

(١) التنوفة : هى الأرض الواسعة القاحلة .

الحَديد ، وبَلَغَت النفْسُ الوَرِيد ، اَعْتَصَمَتْ بحَقْوَيْه الأَبطال ، اَعتصام الوُعُول بذُرَى القِلاَل ، فَذَاد عَنْهم الأَبطال ، ذِيَادَ القُرُوم عن الأَشْوَال . وأمامالك ، فكان عِصْمةَ الهَوَالِك ، إذا شُبِّهَتِ الأَعْجازُ بالحَوَارِك . يَفْرِى الرَّعيل ، فَرْىَ الأَدِيمِ بالإِزْمِيل ، ويَخْبِطُ البُهَم ، خَبْطَ الذِّئبِ نِقَادَ الغَنَمِ ، وأما عمرٌو فكان إذا عَصَبَتِ الأفواه ، وذَبَلَتِ الشِّفَاه ، وتَفَادَت الكُمَاه ، خاضَ ظَلاَمَ العَجَاج ، وأَطْفَأَ نارَ الهِياج ، وأَلْوَى بالأَعْرَاج ، وأَرْدَفَ كُلَّ طَفْلة مِغْناج ، ذاتِ بَدَن رَجْرَاج ، ثم قال لأَصحابه : عليكم النِّهاب ، والأَموال الرِّغَاب ، عَطَاءً لاضَنِينٍ شَكِس ، ولا حَقَلَّدٍ عَكِس . وأَما مُسْهِر ، فكان الذُّعَاف المُمْقِر ، واللَّيْثَ المُخْدِر ، يُحْيِي الحَرْبَ ويُسْعِر ، ويُبيح النَّهْب فَيُكْثِر ، ولا يَحْتَجِن ولا يَسْتَأْثِر ، فقال له المَلِك : لله أَبوك ! مِثْلُك فَلْيَصِفْ أُسْرته .

[مطلب أسماء الرجل يحب محادثة النساء]

قال أَبو على : الحَدُثُ : الحَسَنُ الحديث ، والحِدِّيث : الكثير الحديث ، والحَدَثُ : الشاب ؛ فإذا ذكروا السِّنَّ قالوا : حَدِيث السِّن ولم يقولوا : حَدَث السن ، والحِدْثُ : الذى يتحدَّث إلى النساء ، يقال : هو حِدْثُ نِساءٍ وَزِيرُ نِساء إذا كان يُكْثِر زيارتَهُن ، قال مُهَلْهِل .

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيْبٍ فيُخْبَرَ بالذَّنائب أَىُّ زِيـــر

أَراد فَيُخْبر بالذنائب أَىُّ زِيرٍ أَنا . وذلك أن كليبا كان يُعَيِّره فيقول : إنما أَنتزِيرُ نساء ، وهو تِبْعُ نِساءٍ إذا كان يَتْبَعُهن ، وخِلْبُ نِساء ، أَي يَلْصَق بقلوبهن ويَحُلُّ منهن مَحَلَّ الخِلْب ، قال أَبو زيد : الخِلْبُ حجاب القلب ، ومنه قيل : إنه لَخِلْب نِساء ، أَى يُحْبِبْنه ، وأَنشد غيره :

يا بِكْرَ بِكْرَيْنِ ويا خِلْبَ الْكَبِد أَصْبَحْتَ مِنِّى كذِرَاعٍ مِنْ عَضُد

ويقول أَهل اليمن : هوخِلْمُ نساء ، والخِلْمُ : الصَّديق وجمعه أَخلام ، وزادنى أَبو عمرو عن أَبى العباس عن ابن الأَعرابىّ : وعُجْبُ نساء ، أَى يُعْجِب النساء .

[مطلب أسماء الشخص]

وقوله : فى جُثْمَان بطلٍ ، قال الأصمعىّ : الجُثْمان : الشخص ، والجُثْمَان : جماعة الجسم وهو التَّجَالِيدُ أيضا ، أنشدنا أبو بكر عن أبى حاتم عن الأصمعىّ :

يُنْبِى تَجَالِيدِى وأَقْتَادَهـــا ناوٍ كَرَأْسِ الفَدَنِ[1] المُؤْيَد

والأَجْلاد : التَّجَالِيد ، قال الأَسودُ بن يَعْفُر :

أَما تَرَيْنِى قد بَلِيتُ وشَفَّنى ما غِيضَ مِن بَصَرِى ومن أَجْلَادِى

يريد : ما نقص من بصرى ومن جسمى ، ويقال لشخص الإنسان : الطَّلَل والآل والسَّمَامة ، ويقال لأعلى شخصه : السَّمَاوة . والشَّبْح والشَّبَح جميعا : الشخص ، قال الشاعر يصف ظَلِيما :

هَجُومٌ عليها نَفْسَه غَيْرَ أَنَّه متَى يُرْمَ فى عَيْنَيْه بالشَّبْح يَنْهَض

والشدَف : الشَّخْص وجمعه شُدُوف ، قال ساعدة بن جُؤَيَّة :

مُوَكَّلٌ بشُدُوفِ الصَّوْمِ يَنْظُرُها من المَغَارِبِ مَخْطُوفُ الحَشَا زَرِمُ[2]

يصف ثورا . قال الأَصمعىّ : الصَّوم : شَجَرٌ يشبه الناس ، فهو يَرْقُبه يخشى أن يكون ناسا ، ويقال : قامةُ الإنسان وقُومِيَّة الإنسان ، قال العجّاج :

* صُلْب القَناةِ سَلْهَب القُومِيَّه *

وقَوْمَتُه وقَوَامُه ، ويقال : هو قِوَامُ هذا الأمر بكسر القاف إذا كان يقوم به . والأُمَّةُ : القامَة وجمعها أُمَمٌ . قال الأَصْمَعِىّ : وصف أعرابىّ رجلا فقال : إنَّه لَحَسَنُ الوجه ، حَلِيف اللسان ، طويل الأُمَّة . والحَلِيف : الحديد من كل شىء ، يقال : لِسَانٌ حَلِيف ، وسِنَان حَلِيف الغَرْب ، قال الأعشى :

وإنَّ مُعاوِيَـــــةَ الأَكْرَمِين حِسَانُ الوجوهِ طِوَالُ الأُمَم

(١) الفدن : القصر المشيد . وقائل البيت المثقب العبدى .

(٢) الزرم : الذليل القليل الرهط .

وقال أبو عبيدة : الطُّنُّ : القامة . وقوله : أو شَوَامِت جَمَل ؛ فالشَّوَامِتُ : القَوَائم ، يريد : أنه يَعْقِر الإبل للضيفان . وحَمْلَق : انقلب حِمْلاقُه ، والحِمْلاقُ : باطن الجفن. والنَّجِيد : الشجاع ، يقال : نَجُدَ الرجلُ يَنْجُدُ نَجْدةً فهو نَجِيدٌ ، والنَّجْد : الشجاع ، وكذلك النَّجِدُ ، والنَّجْدة : الشجاعة ، هذا قول أبى نصر صاحب الأصمعىّ وتابعه على ذلك يعقوب فى بعض المواضع ؛ ثم قال فى موضع آخر : النَّجْد : السريع الإجابة إلى الداعى إذا دعاه إلى خير أو شر وهو النَّجِد ، ويقال : ما كان نَجْدًا ولقد نَجُد يَنْجُدنَجَادةوأنْجَدْته إنْجادا ، فأما النَّجدة فالفَزَعُ فى أىٍّ وجه كان ، وهذا قول أبى زيد ، ويقال : اسْتَنْجَد فلان فلانا فأَنْجَدَه ، أى أعانه . وقال أبو عبيدة : نجدْتُ الرجلَ أَنْجُده غَلَبْتُه ، وأَنْجَدْتُه : أَعَنْتُه ، والنَّجْد : ما ارتفع من الأرض وبه سميت نَجْدُ لأنها ارتفعت عن تِهامة ، وسميت تِهَامة لأنها انخفضت عن نَجْدَ ، فَتَهِم ريحُها ، أى تغيّر ، يقال : تَهِمَ الدُّهْنُ وتَمِهَ إذا تغير . والنَّجْد : الطريق فى الجبل ، والتنجيد : التزيين ، يقال : نَجَّدْت البيتَ تَنْجِيدا ، قال ذو الرمة :

حتى كأنَّ رياضَ القُفِّ أَلْبَسَهَا مِنْ وَشْيِ عَبْقَرَ تَجْلِيلٌ وتَنْجِيدُ

والنُّجُود : ما يُنَجَّدبه البيت ، واحدها نَجْدٌ ، والنَّجُود من الحُمُر : الحائلُ ، ويقال : الطَّويلة . والنِّجاد : حمائل السيف ، والإِنْجاد : الأَخْذُ فى بلاد نَجْدَ ، والنَّجَد : العَرَقُ ، يقال : نَجِد الرجلُ يَنْجَد نَجَدًا إذا عَرِق ، قال النابغة :

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ المَلَّاحُ مُعْتَصِمًا بالخَيْزُرانَةِ بَعْدَ الأَيْنِ والنَّجَد

والمَنْجُود : المَكْرُوب ، قال أبو زُبَيْد :

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ولَقَدْ كان عُصْرَةَ المَنْجُـود

وصَلْصَلَ : صَوّت . والوريدانِ : حَبْلا العُنُق . والأَشْوال جمع شَوْل وهى التى جَفَّت ألبانها ، وواحد الشَّوْل شائلةٌ ، فأَمّا الشائل فالتى شالَت بذَنَبِها للِّقَاح وجمعها شُوَّل ، والرَّعِيل : جماعةُ الخَيْل . والإِزْمِيلُ : الشَّفْرة ، قال عَبْدة بن الطَّبِيب :

عَيْهَمَةٌ يَنْتحِى فى الأَرْضِ مَنْسِمُها كما انْتَحَى فى أَدِيمِ الصِّرْفِ إِزْمِيلُ

العَيْهَمَة : التامَّة الخَلْق ، ويقال : السريعة ، ويَنْتَحِي : يَعْتَمِد. والصِّرْف: صِبْغٌ أحمرُ ، وقال الأصمعيّ : الصِّرْف : صِبْغٌ يُعَلُّ به الأَديم فيحْمَرّ ، والبُهَم واحدها بُهْمة : وهو الشجاع الذى لايُدْرَى من أَين يُؤتى له ، ويقال : حائط. مُبْهَم إذا لم يكن فيه باب ، والأَبْهَمُ من كل شيء : المُصْمَت الذى لاصَدْعَ فيه ولا خِلْط. ، والبَهِيم من الخيل الذى ليس به وَضَحٌ .

[مطلب الكلام على معنى الحافرة]

والنِّقَاد جمع نَقَدٍ وهى صِغَار الغَنَم ، ويقال : نَقِدَ الضِّرْس إذا ٱئْتكَل ، ونَقِدَ الحافر إذا تَقَشَّر ، وحافِرٌ نَقِدٌ ، ويقال : « النَّقْدُ عند الحافِرة » أَى عند أَوّل كلمة . وقال بعض اللغويين : كانت الخيلُ أَفضل مايُباع ، فإِذا ٱشترى الرجُل الفرسَ قال له صاحبه : النَّقْد عند الحافر ، أَي عند حافر الفرس فى موضعه قبل أَن يزول ؛ وقال الله تعالى : ﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾ أَى إلى خَلْقنا الأَوّل ، وأَنشدنا ٱبن الأَنبارى :

أَحَافِرَةً على صَلَعٍ وشَيْبٍ مَعَاذَ الله مِن سَفَهٍ وعارِ

أَى أَأَرْجِــع إلى الصِّبا بعد ما شِبْتُ وصَلِعْتُ .

وحدثنا أَبوبكر بن دريد رحمه الله قال حدّثنى عمى عن أَبيه عن ٱبن الكلبى قال : قال لى أَعرابىّ : مامعنى قول الله تعالى : ﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾ فقلت : الخلْق الأَوّل ، قال : فما معنى قوله تعالى : ﴿ عِظَامًا نَخِرَةً ﴾ قلت : التى تَنْخِر فيها الرِّيح ، فقال : أَما سمعت قول صاحبنا يوم القادسيَّة :

أَقْدِمْ أَخا نِهْمٍ [1] على الأَساوره ولا تَهُولَنَّكَ رِجْلٌ نادرَه

فإِنَّما قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهرَه حتَّى تَعُودَ بعدَها فى الحافره

* مِنْ بَعْدِ ما صِرْتَ عِظامًا ناخِــره *

---

(١) نهم بالكسر : بطن من همدان .

وعَصَبَ الريقُ إذا غَلُظ. ولَصِق بالفم ويَبِس ، وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله :

يَعْصِبُ فاهُ الرِّيقُ أىَّ عَصْبِ عَصْبَ الجُبَابِ بِشِفَاه الوَطْب

ويقال : تَفَادَى القومُ إذا استتر بعضهم ببعض ، قال الحطيئة :

تَفَادَى كُماةُ الخَيْلِ من وَقْعِ رُمْحِه تَفَادِى خَشَاشِ الطَّيْرِ من وَقْعِ أَجْدَل

وأَلْوَى : أذهب . والأَعراج جمع عَرْج وهى نحو خَمْسِمائة من الإبل . والطَّفْلة : الناعمة الرَّخْصَة ، يقال : بَنَانٌ طَفْل ، والطِّفْلة : الحَدِيثة السِّن . والحَقلَّد : السَّيِّىء الخُلُق ، كذا قال يعقوب . والعَكِسُ والعَكِصُ بالسين والصاد : العَسِرُ الأَخلاق . والذُّعَافُ : السَّمُّ السريع القتل . والمُمْقِرُ عند بعضهم : الشَّديدُ المرارة ، وعند بعضهم : الشديد الحُمُوضة . والمَقِرُ : الصَّبِر . ويَحْتَجِن : يَحْتكِر ويُخْفِى ، وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله لأبى زُبَيد :

لها صَوَاهِلُ فى صُمِّ السِّلامِ كما صَاحَ القَسِيَّاتُ فى أَيْدِى الصَّيَارِيفِ

كأنَّهُنَّ بأيدى القَوْمِ فى كَبَدٍ طَيْرٌ تكَشَّف عن جُونٍ مَزَاحِيف

وَصَفَ مَسَاحِىَ . والسِّلَام : الحِجَارة . والصَّيَارِيفُ : الصَّيَارِفة ، ثم شَبَّه المساحى فى أيدى الحَفَّارين الذين يَحْفِرُون قبر عثمان – رضى الله عنه – بطير تطير عن إبلٍ جُونٍ مَزَاحِيف. والجُون : السُّود . والمَزَاحِيفُ : المُعْيِية ، وإنما جعلها جُونًا لأنهم حَفَرُوا له فى حَرَّةٍ ، فشَبَّه الحَرَّة بالإبل السُّود .

وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : سألت عبد الرحمن يوما فقلت له : إن رأيت أن تُنشدنى من أرقّ ما سمعته من عمك من أشعار العرب ! فضحك وقال : والله لقد سألت عمى عن ذلك فقال : يابُنَىَّ ، وما تصنع برقيق أشعارهم ؟ فو الله إنّه ليَقْرَح القلوبَ ، ويَحُثُّ على الصَّبابة ، ثم أنشدنى للعلاء بن حُذَيْفة الغَنَوىّ .

يَقُولُونَ مَنْ هذا الغَرِيبُ بأَرْضِنا أَمَا والهَدَايا إنَّنِى لَغَرِيبُ

غريبٌ دعاه الشَّوْق واقتاده الهَوَى كما قِيدَ عَوْدٌ بالزِّمام أَدِيبُ

وماذا عليكم إنْ أَطَافَ بأَرْضِكُمْ مُطالِبُ دَيْنٍ أو نَفَتْهُ حُرُوب

أُمَشِّى بأَعْطَانِ المياهِ وأَبْتَغِى قَلائِصَ منها صَعْبَةٌ ورَكُوب

فقلت : أريد أحسن من هذا ، فأنشدني :

لَعَمْرِى لَئِنْ كُنْتُمْ على النَّأْىِ والغِنَى   بِكُمْ مِثْلُ ما بى إنَّكُمْ لَصَدِيــق

فما ذُقْتُ طَعْمَ النَّوْم مُنْذُ هَجَرْتُكُمْ   ولا ساغ لى بَيْنَ الجَوانِحِ رِيق

إذا زَفَرَاتُ الحُبِّ صَعَّدْنَ فى الحَشَا   كَرَرْنَ فلم يُعْلَمْ لهنَّ طَرِيــق

قال أبوعليّ : يقْرَح : يَجْرَح ، قال [المتنخِّل] الهُذَلىّ .

لايُسْلِمُون قَرِيحًا حَلَّ وَسْطَهُمُ   يَوْمَ اللِّقاء ولا يُشْوُونَ مَنْ قَرَحُوا

أى جَرَحُوا ، وقرأ أبو عمرو : ﴿ إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ وقال : القَرْحُ : الجراح ، والقُرْح كأنه أَلَم الجراح . وأطَافَ : أَلَمَّ . وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه قال : أنشدتْنى عِشْرِقَةُ المُحارِبِيَّة – وهى عجوزٌ حَيْزَبُونٌ زَوْلَةٌ :

جَرَيْتُ مع العُشَّاقِ فى حَلْبَةِ الهَوَى   فَفُقْتُهُم سَبْقًا وجئْتُ على رِسْلِي

فما لَبِسَ العُشَّاقُ من حُلَلِ الهَوَى   ولا خَلَعُوا إلَّا الثِّيابَ الَّتِى أُبْلِي

ولا شَرِبُوا كأْسًا من الحُبِّ مُرَّةً   ولا حُلْوَةً إلا شَرَابُهُمُ فَضْلِي

قال أبوعليّ : قال أبو بكر : الحَيْزَبُون : التى فيها بَقِيَّةٌ من الشَّباب . والزَّوْلَةُ : الظَّرِيفة ، والزَّول : الظَّرِيف ، وقومٌ أَزْوال ، والزَّول أيضا : الداهية ، والزَّولُ : العَجَب . وقال لى غير أبى بكر : الحَيزبون : العجوز ولم يَحُدّ لها وقتا ، وأنشدنى أبو المَيّاس للقُاطامِىّ .

إلى حَيْزَبُونٍ تُوقِد النَّارَ بَعْدَ مـا   تَلَفَّعَتِ الظَّلْماء منْ كُلِّ جانب

وأنشدنى أبو عمرو عن أبى العباس عن ابن الأعرابى :

لقد عَلِمَتْ سَمْرَاءُ أنَّ حَدِيثَها   نَجِيعٌ كما ماءُ السَّماءِ نَجِيعُ

إذا أَمَرَتْنِى العاذلاتُ بِصَرْمِها   هَفَتْ كَبِدٌ عَمَّا يَقُلْنَ صَدِيع

وكَيْفَ أُطِيعُ العاذلاتِ وحُبُّها   يُؤَرِّقُنى والعاذلاتُ هُجُــــوع

قال أبو على : أنشدنى ابن الأعرابى البيتين الأوّلين وأنشدنا أبو بكر بالإسناد

الذى تقدّم عن الأَصمعىّ عن عِشْرِقَةَ البيتَ الثانىَ والثالثَ . وأَنشدنا الأَخفش على بن سليمان قال : أنشدنى إبراهيم بن المدبِّر لنفسه :

ما دُمْيَةٌ مِن مَرْمَرٍ صُوِّرَتْ أَو ظَبْيَةٌ فى خَمَرٍ عاطِفُ

أَحْسَنَ منها يَوْمَ قالت لنا والدَّمْعُ من مُقْلَتِها ذارِف

لَأَنْتَ أَحْلَى من لَذِيذِ الْكَرَى ومن أَمَانٍ نالَهُ خائــف

فأَنشدتُه قول الآخر :

اللهُ يَعْلَمُ والدُّنْيَــا مُوَلِّيَــةٌ والعَيْشُ مُنْتَقِلٌ والدَّهْرُ ذُو دُوَل

لَأَنْت عندى وإن ساءت ظُنُونُك بى أَحْلَى من الأَمْنِ عند الخائفِ الوَجِل

وأَنشدنا أَبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنِفْطَوَيْهِ(١) ، قال أَنشدنا أَحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ :

أَعُلَىَّ ما ماءُ الفُراتِ وبَرْدُه مِنِّى على ظَمَأٍ وفَقْدِ شَرابِ

بأَلَذَّ مِنْكِ وإن نَأَيْتِ وقَلَّما يَرْعَى النِّساءُ أَمانَةَ الغُيَّــاب

وأَنشدنا أَبو بكر بن دريد رحمه الله ، قال أَنشدنا أَبو حاتم عن الأَصمعىّ لأَبى نُخَيْلة :

أَمَسْلَمَ إنِّى يابْنَ كُلِّ خَلِيفةٍ ويا فارِسَ الهَيْجَا ويا قَمَرَ الأَرْض

شَكَرْتُكَ إن الشُّكْرَ حَبْلٌ من التُّقَى وما كلُّ مَن أَوْلَيْتَهُ نعمةً يَقْضِى

وأَلْقَيْتَ لَمَّا أَن أَتَيتُكَ زائرًا عَلَىَّ لِحَافًا سابغَ الطُّولِ والعَرْض

ونَوَّهْتَ من ذِكْرِى وما كان خاملاً ولكِنَّ بعضَ الذِّكر أَنْبَهُ من بعض

وحدثنا على بن سليمان الأَخفش ، قال أَنشدنا أَبو العباس محمد بن يزيد ابن عبد الأَكبر الثُّمَالى ، قال أَنشدنى عبد الصمد بن المُعَذَّل لمُرّة(٢) :

---

(١) نفطويه بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة قال أبو منصور الثعالبى فى أوائل كتاب لطائف المعارف أنه لقب كذلك لدمامة وأدمة تشبيها له بالنفط وضبطه بعد ذلك كسيبويه أنظر ابن خلكان طبع بولاق ج ١ ص ١٥ .

(٢) نسب البيت فى شــواهد التلخيص لابن الدمينة عبد الله ولفظ البيت هناك

تعاللت كى أشجى وما بك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

تَمَارَضْتِ كَيْ أَشْجَى ومابِكِ عِلَّةٌ تُرِيدِينَ قَتْلِي قد رَضِيتُ بِذلِكِ
لَئِنْ ساءَنى أَنْ نِلْتِنِى بِمَسَاءةٍ لَقَدْ سَرّنى أَنّى خَطَرْتُ ببالِكِ

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قيل لكُثَيِّر : مالك لا تقول الشعر ، أَجْبَلْتَ ؟ فقال : والله ما كان ذلك ، ولكن فَقَدْتُ الشَّبَابَ فما أَطْرَبُ ، ورُزِئْتُ عَزَّةَ فما أَنْسُب ، ومات ٱبنُ لَيْلَى فما أَرْغَب ، يعنى عبدَ العزيز ابنَ مَرْوان .

قال أبو على : قوله : أَجْبَلْت أى ٱنقطعت عن قول الشعر ، أخذه من قولهم : أَجْبَلَ الحافرُ إذا ٱنتهى إلى جَبَلٍ فلم يُمْكِنْه الحَفْر ، وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم ابن محمد بن عرفة المعروف بنِفْطَوَيْهِ النحوىّ يوم الأحد فى سُوق الثُّلَاثاء على باب الكَلْوَاذَانِىّ صاحب ديوان السواد لكُثَيِّر :

أَلَا تِلْكَ عَزَّةُ قد أَصْبَحَتْ تُقَلِّب للهَجْر طَرْفًا غَضِيضا
تَقُولُ مَرِضْنَا فما عُدْتَنَا وكيف يَعُود مريضٌ مريضا

وأنشدنا أبو بكر بن دريد ــ رحمه الله ــ عن عبد الرحمن عن عمه لأَعرابىّ :

إذا وَجَدْتُ أُوَار الحُبِّ فى كَبِدِى أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقاءِ القوم أَبْتَرِدُ
هذا بَرَدْت ببردِ الماء ظاهرُهُ فمن لِحرٍّ على الأَحشاءِ يتَّقِد

وحدثنا أبو الحسن جَحْظة البرمكى عن حمّاد بن إسحاق للوصلى . وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبوالعباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوى قال : حدثنا حمّاد عن أبيه قال : دخلت يوما على الرشيد فقال لى : يا إسحاق أنشدنى شيئا من شعرك ، فأنشدته :

وآمرةٍ بالبُخْلِ قُلْتُ لها ٱقْصُرِى فذَلِكِ شَىْءٌ ما إليه سَبِيلُ
أَرَى الناسَ خُلَّانَ الجَوَاد ولا أرى بَخِيلاً له فى العالمين خَلِيل
ومِنْ خَيْرِ حالات الفَتَى لو عَلِمْتِه إذا نال شيئا أن يكونَ يُنِيل
فإنّى رأيتُ البُخْلَ يُزْرِى بأهلـه فأَكْرَمْتُ نَفْسِى أن يُقالَ بَخِيل

عطائى عطاءُ المُكْثِرين تَجَمُّــلاً ومالى كما قــد تَعْلَمِين قليــل

وكيف أَخافُ الفَقْرَ أَو أُحْرَمُ الغِنى ورَأْىُ أَميرِ المؤمنين جميــل

فقال : لا كيف إن شاء الله ، يافضل ، أَعطه مائة أَلف درهم ، ثم قال: لله درّ أَبيات تأْتينا بها يا إسحاق ، ما أَتْقَنَ أُصولَها ، وأَحسن فُصولَها !ـ وزاد جَحْظة ـ وأَقل فُضولَها ، فقلت : كلامُك يا أَمير المؤمنين أَحْسَنُ من شعرى ، فقال : يا فضل ، أَعطه مائة أَلف أُخرى ، فكان أَوّل مال ٱعْتَقَدْتُه .

وحدثنا أَبو بكر بن دريد رحمه الله قال أَخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : نَظَر أَعرابى إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال : والله لئن آثَرْتُموه لَتُمْسِكُنَّ منه بذُنابَى عيشٍ أَغبر .

وأَنشدنا أَبو بكر بن أَبى الأَزهر مستملى أَبى العباس المبرّد ، وحدثنا الأَخفش وابن السراج وغير واحد من أَصحاب المبرّد قالوا كلهم : أَنشدنا أَبو العباس قال : أَنشدنا الزِّيادى لأَعرابىّ هذه الأَبيات وكان يستحسنها :

ما لِعَيْنِى كُحِلَتْ بالسُّهــادِ ولِجَنْبِى نابِيًا عَنْ وِســـادِى

لا أَذوقُ النَّـــومَ إلّا غِـرارًا مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ ماءَ الثِّمـاد

أَبتغى إصلاحَ سُعْدَى بجُهدى وهى تسعى جُهدها فى فسادى

فتتـــاركنا على غَيْرِ شىءٍ رُبَّما أَفْسَدَ طولُ التمـــادى

وقرأْت على أَبى بكر بن دريد رحمه الله تعالى :

أَقول لصاحِبِى والعِيس تَخْدِى بنا بَيْنَ المُنِيفَةِ فالضِّمَار

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْــدِ فما بَعْدَ العَشِيَّةِ مِن عَرَار

أَلا يا حَبَّذا نَفَحَاتُ نَجْــد ورَيَّا رَوْضِــهِ بعــد القِطَــار

وأَهْلُك إذ يَحُلُّ الحَىُّ نَجْــدًا وأَنْتَ على زمانك غَيْرُ زارى

شُهورٌ يَنْقَضِينَ وما شَعَــرْنا بأَنْصافٍ لَهُنَّ ولا سِرَار

وأَنشدنا الأَخفش للعَطَوىّ يَرْثِى أَخاه .

لقد باكَرَتْهُ بالمَلامِ العـــواذلُ فما رَقَأَتْ منه الدُّمُوعِ الهَوَاطِلُ

أَيَقْنَى جَميلَ الصَّبْرِ مَنْ هُدَّ رُكْنُه وَهِيضَ جَنَاحاهُ وَجُدَّ الأَنامِــلُ

أَمِنْ بَعْدِ ما ذاقَ المَنِيَّةَ أَحْمَـدُ تَطِيب لنا الدُّنْيا وتَصْفُو المَنَاهِل

كأَنْ لم يكن لى خَيْرَ خِلٍّ وصاحبٍ وخَيْرَ خطيب تَتَّقِيـــه المَقَاوِل

كأَنَّ أَبا العَبَّاسِ لم يَلْقَ ضَيْفَه بِبِشْرٍ ولم يَرْحَلْ بِجَدْواهُ راحِل

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة النَّحْوى ، قال أنشدنا أحمدُ ابن يحيي ثعلبٌ لابن أَبى مُرَّةَ المكىّ :

إن وَصَفُونِى فَنَاحِلُ الجَسَــــدِ أَو فَتَّشُونى فأَبْيَضُ الكَبِـــدِ

أَضْعَفَ وَجْدِى وزاد فى سَقَمى أَنْ لَسْتُ أَشْكُو الهوى إلى أحد

آهِ من الحُبِّ آهِ مِنْ كَمَــدِى إنْ لم أَمُتْ فى غَدٍ فَبَعْدَ غَد

جَعَلْتُ كَفِّى على فــؤادِىَ مِنْ حَرِّ الهوى وانْطَوَيْتُ فَوْقَ يدى

كأَنَّ قَلْبِى إذا ذَكَرْتُـــكُمُ فَرِيسةٌ بَيْنَ ساعِدَىْ أَسَـــد

يَدِى بحَبْلِ الهوى مُعَلَّقَـــةٌ فإِن قَطَعْتُ الهوى قَطَعْتُ يَدِى

وأنشدنى جماعة من أصحاب أبى العباس المُبَرِّد منهم ابن السرّاج وابن دَرَسْتَوَيْهِ(١) والأخفش قالوا : أنشدنا أبو العباس قال أنشدنا بعض البصريين ، وأنشدنا أيضا أبو بكر بن الأنبارى عن المُظَفَّر :

هَلْ مِنْ جَوَى الفُرْقةِ مِنْ واقِى أَمْ هَلْ لداء الحُبِّ مِنْ راقى

أَمْ مَنْ يُدَاوِى زَفَرَاتِ الهَوَى إِذْ جُلْنَ فى مُهْجة مشتـــاق

يا كَبِدًا أَفْنَى الهوى جُلَّهـا مِنْ بَعْدِ تَلْذِيعٍ وإحْـــراق

حَتَّى إذا نَفَّسَها ساعـــةً كَرَّتْ يَدُ البَيْنِ على الباقى

قال أبو على : البيتان الأوّلان رواهما أبوبكر بن الأنبارى خاصّةً ، وشارك أصحابَ أبى العباس فى رواية البيتين الآخرين . وأنشدنى أبوبكر بن دريد لأعرابىّ :

(١) كذا ضبطه ابن ماكولا وضبطه السمعانى «درستويه» بضم الدال والراء وسكون السين وضم التاء وفتح الياء وبعدها هاء ساكنة . انظر ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٦ .

وإنِّى لأَهْوَاها وأهــوى لِقَاءَهـــا كما يَشْتَهِى الصادى الشرابَ المُبَرَّدا
عَلاَقَةُ حُبٍّ لَجَّ فى زَمَنِ الصِّبـــا فأَبْلَى وما يَزْداد إلّا تَجَـــدُّدا

وأنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه :

بِنَا لابِكَ الوَصَبُ المُـؤْلِمُ ونَفْسُكَ من صَرْفِهِ تَسْـلَم
لئن نالَ جِسْمَكَ نَهْكُ الضَّنَى لَقَدْ ضَنِىَ السُّودَدُ الأَعْظَم
فحاشاكَ من سَقَمٍ عارضٍ ولـكِنَّ أكبـادَنا تَسْـقَم
فأَنْتَ السماءُ التى ظِلُّهـــا إذا زال أَعْقَبَـــهُ الصَّيْلَم
وأنتَ الصَّباحُ الذى نُـــورُه به يَنْجَلِى الحادثُ المُظْلِم
وأنتَ الغَمامُ الذى سَيْبُـــه يَنالُ الثَّراءَ به المُعْـــدِم
يُخَاطِب عنك لِسانُ العُــلا إذا ذُكِرَ المُفْضِلُ المُنْعِم
فَمَنْ نالَ مِنْ كَرَمٍ رتبـــةً فَيَوْمُكَ مِنْ دَهْرِهِ أَكْـــرَم
إذا ما تَخَطَّاكَ صَرْفُ الرَّدَى فَرُكْنُ المَكارمِ لا يُهْدَم
فباللهِ أُقْسِمُ رَبِّ الـــوَرَى وَلَلَّهُ غايـــةُ ما يُقْسَم
لوَ انَّ السماءَ حَمَتْ قَطْرَهـــا لَـكُنْتَ حَيًـــا سَيْبُه مُثْجِم

قال أبو على : يقال : أَثْجَمَتِ السماءُ وأَغْبَطَتْ وأَلَثَّتْ وأَلَظَّتْ إذا دام مطرُها ولم ينقطع ؛ وفى الحديث : « أَلِظُّوا بياذا الجَلاَل والإكرام » أى آلْزَمُوا هذه الدعوةَ ؛ وأَغْضَنَتْ وأَدْجَنَتْ . فإذا أَقْلَعَتْ قيل : أَنْجَمَتْ وأَفْصَتْ وأَفْصَمَتْ ؛ ومنه أَفْصَى الشاعرُ إذا آنقطع عن قول الشعر ، وأَفْصَتِ الدَّجاجة إذا آنقطع بَيْضُها. ويقال : أَصْفَتِ الدجاجةُ ، وأَصْفَى فى الشعر ، وهو من المقلوب .

[مطلب تفسير ما جاء من الغريب فى وصف الغلام للعنز التى كان ينشدها]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن أبى عمرو بن العَلاَء قال : رأيت باليمن غلاما من جَرْم يَنْشُد عَنْزًا ، فقلت : صِفْها ياغلام ؛ قال : حَسْرَاء مُقْبِلة ، شَعْرَاء مُدْبِرة ، ما بَيْنَ غُثْرة الدُّهْسة ، وقُنُوء الدُّبْسة ، سَجْحاء

الْخَدَّيْن ، خَطْلاء الأُذُنين ، فَشْقاء الصُّورَيْن ، كأَنَّ زَنَمَتَيْها تَتْوَا قُلَنْسِيَة ، يا لها أُمَّ عِيَال ، وثِمَال مال .

قوله يَنْشُد : يَطْلُب ، والناشد : الطالب ، يقال : نَشَدْتُ الضالَّة ، فأَنا أَنْشُدُها إذا طلبتها . وأَنْشَدْتُها : عَرَّفتها ، فأَنا مُنْشِد ، وأنشدَنى أبو بكر بن دريد :

يُصِيخُ للنَّبْأَة أَسْماعَـــــهُ إصاخَـةَ النَّاشِـد للمُنْشِد(١)

وقوله : حَسْراء مُقْبِلة ، يعنى أنها قليلة شعر المُقَدَّم ، قد انحسر شعرُها . وشَعْراء مُدْبِرة ، يعنى أنها كثيرة شعر المؤخَّر . والغُثْرة : غُبْرة كَدِرة . والدُّهْسة : لونٌ كلون الدَّهَاس ، قال الأَصمعىّ : والدَّهَاس من الرَّمْل : كل لَيِّن لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين ، قال ذو الرمة يذكر فِراخَ النَّعام :

جاءتْ مِنَ البيضِ زُعْرًا لا لِبَاسَ لها إلا الدَّهاسُ وأُمٌّ بَرَّةٌ وأَبُ

[مطلب أسماء الألوان وأوصافها]

وقال أبوزيد : الصَّدْآءُ من المَعَزِ : السوداءُ المُشْرَبَةُ حمرةً. والدَّهْساء أَقلُّ منها حمرةً . والقُنُوء : شِدَّة الحمرة ، والعرب تقول : أَحْمَرُ قانِئٌ ، وقد قَنَأَ يقنأُ قُنُوءًا ، وأَحْمر ذَرِيحىٌّ وأَحمر باحرىٌّ وبَحْرَانىٌّ وقاتِمٌ ،أَي شديد الحمرة. وناصِعٌ ، والناصعُ : الخالص من كل لون. ورِانعٌ وناكِعٌ بَيِّنُ النَّكَعة . وقال ابن الأَعرابى : ويقال : أَحمر كالنَّكَعة ، وهو ثَمَر النُّقَاوَى وهو كالنَّبِقة ، وأنشد :

إِلَيْكُم لاتكونُ لكم خَلَاةٌ ولا نَكَعُ النُّقَاوَى إذْ أَحالا

وقال أبو عبيدة : قال أعرابىّ يقال له أَبو مُرْهِب لآخر : قَبحَ اللهُ نَكَعة أَنْفِك كأَنها نَكَعة الطُّرْثُوث ، يريد حُمرةَ أنفه . ونَكَعةُ الطُّرْثُوث : رأسُه ، وهو نَبْت يشبه القِثَّاء . وقال أَبوعمرو الشيبانى : وأَحمر نَكِعٌ ، وهو الذى يخالِط حُمْرَته سواد . وقال غيره : وأَحمر بِسلَّغْدٌ ، أى أَشْقر ، وأَحمر أَمْلَغ وأَحْمر أَقْشَر ، وهو الشديد الحمرة الذي يتقشر وجهُه وأَنفُه فى الحر ، وأَحمر عاتِكٌ وأَحمر غَضْبٌ ، أَى شديد الحُمرة .

---

(١) هذا البيت للمثقب العبدى كما فى الكامل للمبرد ص ٦٣ طبع أوربا .

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال : حدّثنى أبوعثمان قال أخبرنى أبو محمد عبد الله بن هارون التَّوَّزِى قال أخبرنى أبوعبيدة قال : تزوّج رجل من بنى عامر ابن صَعْصَعة امرأَةً من قومه ، فخرج فى بعض أسفاره ثم قدم وقد ولدت امرأَتُه وكان خَلَّفها حاملا ،فنظر إلى ابنه فإذا هو أَحْمَرُ غَضْب ، أَزَبُّ الحاجِبَيْن ، فدعاها وانْتَضَى السيفَ وأنشأَ يقول :

لا تَمْشُطِى رَأْسِى ولا تَفْلِينِى   وحاذِرِى ذا الرِّيقِ[1] فى يَمِينِى
وٱقْتَرِبِى دُونَكِ أَخْبِرِينِى   ما شَأْنُهُ أَحمــرَ كالهَجِينِ
* خالَفَ أَلوانَ بَنِىَّ الجُـــون *

فقالت تجيبه :

إِنَّ له مِنْ قِبَلِى أَجْدادا   بِيضَ الوُجوهِ كَرَمًا أَنْجــادا
ما ضَرَّهُمْ إِن حَضَرُوا مِجادا   أَو كافَحُوا يَوْمَ الوَغَى الأَنْدَادا
* أَلَّا يكـونَ لَوْنُهُم ســوادا *

وامْرُؤ أَكْلَف، وهو الكَدِرُ الحمرة ، وأحمرُ فُقَّاعِىٌّ ، وهو الذى يَخْلِطُ حمرتَه بياضٌ ، وأحمر قَرِفٌ وكالقَرْف ، وهو الأَديم الأَحمر ، وأنشدَنا اللِّحْيَانىّ :

* أَحْمَر كالقَرْفِ وأَحْـوَى أَدْعَج *

قال : ويقال : إنه لأَحمر كالصَّرْبة ، والصَّرْبة : الصَّمغة الحمراء وجمعها صَرْبٌ ، وأحمر كالمُصَعة ، وهو ثَمَر العَوْسَج . وأَبيضُ يَقَقٌ ولَهَقٌ وصَرَحٌ ولِيَاحٌ ولَياح ووَابِصٌ وخُضِّىٌّ وقَهْبٌ ، وهو الذى يخالط بياضَه حُمرةٌ وقَهْدٌ أَيضا . وأَسْوَدُحالِكٌ وحالِكٌ وحُلْكُوكٌ وحَلَكُوكٌ ومُحْلَنْكِكٌ ومُحْلَوْلِكٌ وسُحْكُوكٌ ومُسْحَنْكِكٌ ، قال الراجز :

تَضْحك مِنِّى شَيْخَةٌ ضَحُوك   واسْتَنْوَكَتْ وللشَّباب نُـــوكُ
* وقد يَشِيبُ الشَّعَرُ السُّحْكُـــوك *

---

(١) ذو الريق : السيف ؛ يقال له ذلك لكثرة مائه .

وحُلْبُوب أيضا ، قال الشاعر :

أَمَا تَرَيْنِي اليومَ نِضْوًا خالصا أَسْوَدَ حُلْبُوبا وكنتُ وابِصـــا

والوابِصُ : الذي يَبِصُ من شدّة بياضه . وأسودُ فاحمٌ : للشديد السواد ، وهو مشتق من الفَحْم ، ويَحْمُوم وحِنْدِس ودَجُوجِيٌّ وخُدَارِيٌّ وغُدافِيٌّ وغِرْبِيبٌ ومُدْلَهِمٌّ وغَيْهَم وغَيْهَب . وأَخْضَرُ ناضرٌ وباقِلٌ ومُدْهامٌّ . وأَصْفَرُ فاقعٌ وفُقَّاعِيٌّ ، كما قالوا فى الأحمر : فُقَّاعِيٌّ ووَارِسٌ وأَرْمَكُ رَادِنِى وأَوْرَقُ خُطْبانِيٌّ إذا كان خالصا . والأَوْرَق : الرَّماد ، والوُرْقة : لون الرماد ، والأَرْمَكُ : دون ذلك . والدبْسة : حمرة يَعلوها سواد ، وقال أبوعبيدة : الدُّبْسة : شُقْرة يعلوها سواد . وقوله : سَجْحَاءُ الخَدَّيْن ، أى سَهْلة الخَدَّين حَسَنَتُهما ، ومن هذا قالوا : أَسْجِحْ ، أى أَحْسِنْ ، قال الشاعر :

مُعَاوِىَ إِنَّنـــا بَشَرٌ فأَسْجِحْ فَلَسْنَا بالجبالِ ولا الحَدِيد (١)

أى أَحْسِنْ وسَهِّل . وخَطْلاءُ : طويلة الأُذُنَيْن مُضْطَرِبتُهما ، ومنه قيل لكلاب الصَّيْد : خُطْلٌ . وقوله : فَشْقَاء ، أى مُنْتَشرة متباعدة . وقرأت على أبى بكر ابن دريد لرؤبة :

فَباتَ والنَّفْسُ من الْحِرْص الفَشَقْ فى الزَّرْب لو يَمْضُغُ شَرْيًا مَا بَصَق

يقول : بات هذا الصائد فى القُتْرة ، وهى النَّامُوس والزَّرْب أيضا ، وقد أَبْصَر وَحْشا فانتشرت نفسُه ، فلو مَضَغ شَرْيًا ما بَصَق لئلا ينفر الوحش . والشَّرْيُ : الْحَنْظَل . والصُّورَانِ : القَرْنَانِ ، واحدُهما صُورٌ . وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارىّ :

نَحْنُ نَطَحْناهمْ غَدَاةَ الغَوْرَيْنْ بالضَّابِحاتِ فى غُبَارِ النَّقْعَيْنْ

* نَطْحًا شديدًا لا كَنَطْحِ الصُّورَيْنْ *

والزَّنَمَتَانِ : الهُنَيَّتانِ المتعلِّقتان ما بَيْنَ لَحْيَى العَنْز . والتَّتْوان : ذُؤَابَتَا القَلَنْسُوَة ،

(١) رواه النحويون «ولا الحديدا» بالنصب عطفا على محل الجبال وقد رواه المبرد «ولا الحديد» وقال : ان هذه القصيدة مشهورة وهى مخفوضة كلها وهـــذا البيت أولها وبعده :

فهبـــا أمة ذهبت ضـــياعا يزيد أمـــيرها وأبو يزيـــد

أكلتم أرضـــنا فجـــردتموها فهل من قائم أو من حصـــيد

(أنظر خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٣٤٣) .

واحدهما تَتْوٌ . وفى القَلَنْسُوَة لغات، يقال : قَلَنْسُوَة وقُلَنْسِيَةٌ وقَلَنْساةٌ وقَلْساةٌ ؛ وقال أحمد بن عبيد : وقُلَيْسِيَة تصغير قَلْسَاة ، قال : وجمع قَلْسَاةٍ قَلاسٍ ؛ وحكى عن الزبيدىّ: ما أعْجَبَ هذه القَلَاسِيَّ التى أراها على رءوسكم؛ وروى أبو عبيدة عن الأصمعى وأبى زيد : قُلَيْسِيَة وجمعها قَلَاسٍ ؛ وقرأت على أبى بكر بن الأنبارى فى « الغريب المصنَّف » قال أنشدنا أبو زيد :

إذا ما القَلَاسِى والعمائمُ أُخْنِسَتْ ... ففيهن عن صُلْع الرِّجال حُسور

وقوله : ثِمَال مال ، أى أَصْل مال ، والثَّمِيلة : ما يبقى فى بطن البعير من العَلَف . وقيل لأعرابى : اشرب ؛ فقال : إنى لا أشرب إلا على ثَمِيلة .

[تفسير ما جاء من الغريب فى حديث الشاب الجميل العاشق]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : مررت بِحمَى الرَّبَذة فإذا صبْيانٌ يَتَقَامَسُون فى الماء وشابٌّ جميل الوجه مُلَوَّحُ الجسم قاعد، فسلَّمت عليه ، فردّ علىّ السلام وقال :مِنْ أَيْنَ وَضَحَ الراكبُ ؟ قلت : من الحِمَى ، قال : ومَتَى عَهْدُكَ به ؟ قلت : رائحا؛ قال : وأينَ كان مَبِيتُك ؟ قلت : أَدْنَى هذه المَشَاقِر، فألقى نَفْسَه على ظَهْره وتَنَفَّس الصُّعَداء ، فقلت : تَفَسَّأ حجابُ قلبه ، وأنشأ يقول :

سَقَى بَلَدًا أَمْسَتْ سُلَيْمَى تَحُلُّه ... مِنَ المُزْنِ ما تُرْوِى به وتُسِيمُ

وإن لم أَكُنْ من قاطِنِيهِ فإنَّه ... يَحُلُّ به شَخْصٌ علىّ كريم

أَلَاحَبَّذَا مَنْ ليس يَعْدِلُ قُرْبَه ... لَدَىَّ وإن شَطَّ المَزَارُ نَعِيم

ومَنْ لامَنِى فيه حَمِيمٌ وصاحبٌ ... فُرُدٌّ بِغَيْظٍ صاحبٌ وحَمِيم

ثم سَكَتَ سكْتة كالمُغْمَى عليه ، فَصِحْت بالأُصَيْبِيَة ، فأتَوْا بماء فصببته على وجهه ، فأفاق وأنشأ يقول :

إذا الصَّبُّ الغَرِيبُ رأَى خُشُوعى ... وأَنْفَاسِى تَزَيَّن بالخُشُوع

وَلِى عَيْنٌ أَضَرَّ بها الْتِفاتِى ... إلى الأَجْراع مُطْلَقَة الدُّموع

إلى الخَلَواتِ تأْنَسُ فيك نَفْسِى ... كما أَنِسَ الوحيدُ إلى الجميع

قوله : يَتَقَامَسُون : يَتَغَاطُّون ، يقال : قَمَسْتُه فى الماء ومَقَلْتُه وغَمَسْتُه وغَطَطْتُهُ .
وقال لى أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى : المَشَاقِرُ : مَنابت العَرْفَج ، وقال غيره :
المَشَاقِرُ : الرِّمال ، واحدها مَشْقَر ، وأنشدنى لذى الرمّة :

كأَنَّ عُرَى المَرْجانِ منها تَعَلَّقَتْ على أُمِّ خِشْفٍ من ظِباءِ المَشَاقِرِ

[مطلب أوصاف الشيء البالى]

وقوله : تَفَسَّأَ حجابُ قلبه ، يقال : تَفَسَّأَ الثَّوْب وتَهَمَّأَ إذا تَشَقَّق ، وتَهَتَّأَ
إذا انْشَقَّ من البِلَى ، ويقال : تَسَلْسَلَ الثوبُ وأَسْمَل وجَرِدَ وانْجَرَد وأَسْحَق وانْسَحَق
وأَنْهَج ومَحَّ وأَمَحَّ وهَمَدَ : كُلُّه إذا أَخْلَق . والسَّمَل والجَرْد والسَّحْق والنَّهْج : الخَلَق ،
قال ذو الرمة :

قِفِ العَنْسَ فى أطْلال مَيَّة فاسْأَلِ رُسومًا كأَخْلاقِ الرِّداء المُسَلْسَل

وقال كُثَيِّر :

فأَسْحَقَ بُرْدَاهُ ومَحَّ قَمِيصُه فأَثْوابُه لَيْسَتْ لَهُنَّ مَضَارِج

وقال العجّاج :

ما هاجَ أحزانًا وشَجْوًا قد شَجا من طَلَلٍ كالأَتْحَمِىِّ أَنْهَجا

وقال الأعشى :

قالتْ قُتَيْلَةُ ما لِجِسْمِك شاحِبًا وأَرَى ثِيابَكَ بالِيات هُمَّدا

والحَشِيف : الخَلَقُ أيضا ، قال الهذلى :

أُتِيحَ لها أُقَيْدِرُ ذو حَشِيفٍ إذا سامَتْ على المَلَقَاتِ ساما

وكذلك الدِّرْس والدَّرِيس ، قال المُتَنَخِّل :

قد حال دُونَ دَرِيسَيْهِ مُؤَوِّبةٌ نِسْعٌ لها بِعضاهِ الأَرْض تَهْزِيزُ

مُؤَوِّبةٌ : ريحٌ جاءت مع الليل . ونِسْعٌ ومِسْعٌ : اسم من أسماء الشَّمَال . والهِدْمِل :
الثوب الخَلَق ، قال تأبَّط شرًّا :

نَهَضْتُ إليها مِنْ جُثُومٍ كأَنَّها عَجوزٌ عليها هِدْمِلٌ ذاتُ خَيْعَلِ

والهِدْمُ : الخَلَق ، قال الكميت :

فأَصْبحَ باقى عَيْشِنا وكأَنَّهُ لواصفه هِدْمُ الخِباء المُرَعْبَلُ
إذاحِيصَ منه جانبٌ راع(١) جانبٌ بِفَتْقَيْن يَضْحَى فيهما المُتَظَلِّل

والمُرَعْبَلُ : المُمزَّق . وحِيصَ : خِيط . والطِّمْر : الخَلَق .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله عن أبيه عن أحمد بن عبيد لشاعر (٢) قديم :

وعاذلةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومنى ولم يَغْتَمِرْنى قَبْلَ ذاك عَذُول
تقول اتَّئِدْ لايَدْعُك الناسُ مُمْلِقًا وتُزْرِى بمَنْ يابْنَ الكِرامِ تَعُول
فقلت أبَتْ نفسٌ علىّ كَرِيمةٌ وطارقُ ليلٍ غَيْر ذاك يَقُول
أَلَمْ تَعْلَمِى يا عَمْرَكِ اللهَ أَنَّنى كَرِيمٌ على حِين الْكِرَامُ قَلِيل
وَإِنِّىَ لا أَخزَى إذا قِيلَ مُمْلِقٌ سَخِىٌّ وأَخْزَى أن يقال بخيل
فلا تَتْبَعِى العَيْنَ الغَوِيَّة وانْظُرِى إلى عُنْصُر الأَحساب أَيْنَ يئُول
ولا تَذْهَبَنْ عَيْنَاكِ فى كل شَرْمَحٍ له قَصَبٌ جُوفُ العِظامِ أَسِيل
عَسَى أن تَمنَّى عِرْسُه أَنَّنِى لها به حِينَ يَشْتَدُّ الزمان بَدِيل
إذاكُنْتُ فى القَوْم الطِّوَال فَضَلْتُهُمْ بعارفةٍ حَتَّى يقال طَوِيل
ولا خَيْرَ فى حُسْنِ الجُسوم وطُولِها إذالم يَزِنْ حُسْنَ الجُسومِ عُقُول
وكائِنْ رأَيْنَا من فُرُوعٍ طَوِيلة تَمُوت إذا لم يُحْيِهِنَّ أُصُول
فإنْ لايَكُنْ جِسْمِى طويلاً فإنَّنى له بالفِعَالِ الصالحاتِ وَصُول
ولم أَرَ كالمعروف أَمَّا مَذَاقُه فَحُلْوٌ وأَما وَجْهُهُ فجميل

(١) فى لسان العرب (ريع جانب) بصورة المبنى للمفعول وقال : أى انخرق .

(٢) فى نسخة أخرى من هذا الكتاب محفوظة بدار الكتب الأهلية فى باريز تحت رقم ٤٢٣٦ مانصه : «قال أبو الحجاج : هو هذيل بن ميسر الفزارى» ا هـ من تعليقات المستشرق كرنكو بالفهرس الذى وضعه لشعراء الأمالي وطبع بليدن سنة ١٩١٣ م .

قال أبوعلى : الشَّرْمَح : الطويل ، وكذلك الشَّوْقَب . وقال أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله تعالى : العارفة : النَّفْس الصابرة . وأنشدنا بعض أصحابنا لعلىّ بن العباس الرومى :

وذَخَرْتُه للدَّهْر أَعْلَمُ أَنَّه كالحِصْنِ فيه لمن يَئُولُ مآل
ورأيته كالشَّمْسِ إنْ هِىَ لم تُنَلْ فَضِياؤُها والرِّفق مِنه يُنَال

وأنشدنى أيضًا مثل هذا المعنى لسعيد بن حُمَيْد الكاتب :

أَهابُ وأَسْتَحْيِي وأَرْقُب وَعْدَه فلا هُوَ يَبْدانِى ولا أنا أسأل
هو الشمس مَجْرَاها بعيدٌ وضَوْءُها قَرِيبٌ وقلبى بالبعيد مُوَكَّل

وحدّثنا أبو بكر بن دريد الأزدى قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : رأيت بالبادية امرأة على راحلة لها تطوف حول قبر وهى تقول :

يا من بمُقْلَتـه زها الدهرُ قد كان فيك تَضَاءَل الأَمْر
زَعمُوا قُتِلْتَ وما لهم خُبْرُ كَذَبُوا وقَبْرِك مالَهُمْ عُذْر
يا قَبْر سيِّدنا المُجِنَّ سَماحةً صَلَّى الإله عليكَ يا قَبْرُ
ماضَرَّ قَبْرًا فيه شِلْوُكَ[1] ساكن أَلّا يَمُرَّ بأَرْضِه القَطْر
فَلَيَنْبُعَنَّ سَماحُ جُودِك فى الثَّرَى ولَيُورِقَنَّ بقُرْبِك الصَّخْر
وإذا غَضِبْتَ تَصَدّعَتْ فَرَقًا منك الجبالُ وخافَكَ الذُّعْر
وإذا رَقَدْتَ فأَنتَ مُنْتَبِهٌ وإذا انتبهْتَ فوجهُك البَدر
واللهِ لَوْ بِكَ لم أَدَعْ أَحَدًا إلا قَتَلْتُ لفاتنِى الوِتْرُ

قال : فدنوت منها لأسألها عن أمرها فإذا هى ميتة .

وأنشد الأخفش قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن :

لله دَرُّ ثَقِيفٍ أَىُّ مَنْزِلةٍ حَلُّوا بها بين سَهْلِ الأَرْض والجَبَل

---

(١) الشلو : الجسد .

قوم تَخَيَّر طِيبَ العَيْش رائدُهُمْ فأَصْبَحُوا يُلْحِفُون الأَرضَ بالحُلَلِ
لَيْسُوا كمن كانت التَّرْحالَ هِمَّتُه أَخْبِثْ بعيشٍ على حلٍّ ومُرْتَحَلِ

وقرأْت على أبى بكر بن دريد لبعض الأَعراب :

سأَشْكُرُ عَمْرًا إن تَرَاخت مَنِيَّتِى أَيَادِىَ لم تُمْنَنْ وإنْ هِىَ جَلَّتِ
فتىً غيرَ محجوب الغِنَى عن صديقِه ولامُظْهِر الشَّكْوَى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ
رأى خَلَّتِى من حيثُ يَخْفَى مَكانُها فكانت قَذَى عَيْنَيه حتَّى تَجلَّت

وأَنشدنا الأَخفش أَيضًا قال أَنشدنا بعض أَصحابنا :

فما تَزَوَّدَ مِمَّا كان يَجْمَعُهُ إلَّاحَنُوطًا غَدَاةَ البَيْنِ مَعْ خِرَق
وغَيْرَ نَفْحَة أعوادٍ شُبِبْنَ له وقَلَّ ذلك مِنْ زادٍ لمُنْطَلِق
لا تَأْسَيَنَّ على شىء فكلُّ فَتًى إلى مَنِيَّتِه يَسْتَنُّ فى عَنَق
بأَيِّما بَلْدَةٍ تُقْدَرْ مَنِيَّتُهُ إلَّا يُسَارِعْ إليها طائعًا يُسَق

وأَنشدنى أَبو بكر التاريخى للبُحْتُرىّ :

دَنَوْتَ تَوَاضُعًا وبَعُدْتَ قَدْرًا فَشَأْنَاكَ انْحِدارٌ وارتفاعُ
كذاك الشَّمْسُ يَبْعُدُ أَن تُسَامَى ويَدْنُو الضَّوْءُ منها والشُّعاع

وأَنشدنى أَبو بكر بن دريد ــ رحمه الله ــ لبعض الأَعراب :

إنِّى حَمِدْتُ بَنِى شَيْبَانَ إذ خَمَدَتْ نِيرانُ قَوْمِى وشَبَّت فيهم النَّارُ
ومِنْ تَكَرُّمِهِمْ فى المَحْلِ أَنَّهُمُ لا يُعْرَفُ الجارُ فيهم أَنه جار
حتى يكون عزيزًا من نُفُوسِهِمُ أو أَنْ يَبِينَ جميعا وهو مُختار
كأَنه صَدَعٌ فى رأْس شاهقةٍ مِنْ دونه لعِتَاق الطَّيرِ أَوْكار

وأَنشدنى أَيضا :

نَزَلْتُ على آلِ المُهَلَّب شاتِيًا غَرِيبًا عن الأَوْطانِ فى زَمَنِ المَحْل

فما زال بى إكرامُهم وٱفتِقادُهُم وإلطافُهُمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أَهْلى

قال أبو على : ويروى : وٱقتفاؤُهم ، وهو الإيثار .

[تفسير ما جاء من الغريب فى وصف الشاب الفرس الذى اشتراه]

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنى عمى عن أبيه عن ٱبن الكلبى قال : ٱبتاع شابٌّ من العرب فرسًا ، فجاء إلى أمه وقد كُفَّ بصرُها ، فقال : يا أمى ، إنى قد ٱشتريت فرسا ، فقالت : صِفْهُ لى ، قال : إذا ٱسْتَقْبَل فَظَبْيٌ ناصِب ، وإذا ٱستَدْبَر فهِقْلٌ خاضِب ، وإذا ٱسْتَعْرَضَ فَسِيدٌ قارب ؛ مُؤَلَّلُ المِسْمَعَيْن ، طامِحُ الناظرين ، مُذَعْلَقُ الصَّبِيَّيْن ؛ قالت : أَجْوَدْتَ إن كنتَ أَعْرَبْتَ ؛ قال : إنه مُشْرِفُ التَّلِيل ، سَبْطُ الخَصِيل ، وَهْواهُ الصَّهِيل ؛ قالت : أَكْرَمْتَ فٱرْتَبِطْ .

قال أبو على : الناصِبُ الذى نَصَب عُنُقَه وهو أحسن ما يكون . والهِقْلُ : الذكر من النَّعام ، والأُنثى هِقْلة . والخاضِب : الذى أَكَلَ الرَّبِيعَ فاحْمَرَّتْ ظُنْبُوباه وأطرافُ رِيشِه . والسِّيدُ : الذِّئب ، ومُؤَلَّل : مُحَدَّد ، والأَلَّةُ : الحَرْبة ، وجمعُها إلالٌ . والإِلُّ : العَهْد ، والإِلُّ : القَرابة ، قال حَسّان بن ثابت رضى الله عنه :

لَعَمْرُكَ إنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإلِّ السَّقْبِ[1] مِنْ رَأْلِ[2] النَّعام

والإِلُّ : الله تبارك وتعالى ، وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه : « هذا كلامٌ لم يخْرُجْ مِنْ إلٍّ » ومنه قولهم : جَبْرَئِل . والأَلُّ : الأَوّل ، وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله :

لِمَنْ زُحْلُوقةٌ زُلٌّ بها العَيْنانِ تَنْهَلُّ[3]
يُنَادِى الآخِرَ الأَلُّ أَلَا حُلُّوا أَلا حُلُّوا

الزُّحْلوقةُ : آثارُ تَزَلُّجِ الصِّبْيان مِنْ فَوْقُ إلى أسفل ؛ وأهلُ العالية يقولون زُحْلُوفة بالفاء ، وتميم يقولون زُحْلُوقة بالقاف . والأَلُّ : السُّرْعة ، أنشدنا يعقوب :

---

(١) السقب : ولد الناقة . (٢) الرأل : ولد النعام .

(١) هذان البيتان لامرىء القيس كما فى اللسان ج ١٣ ص ٢٧ .

مُهْرَ أَبى الحَبْحابِ لا تَشَلِّى بارَكَ فِيكِ اللهُ مِنْ ذى أَلِّ(١)

وطامِحٌ : مُشْرِف . وقال قُطْرُب بن المستنير : الذُّعْلُوق : نَبْت يشبه الكُرَّاث يلتوى ، وهو طَيِّب للأكل . والصَّبِيَّانِ : مُجْتَمَع لَحْيِيه من مُقَدَّمِهما ؛ وقال أبو عبيدة : الصَّبِيَّانِ : العَظْمان المنحنيان من حَرْفَىْ وسط اللَّحيين من ظاهرهما عليهما لَحْمٌ . والتَّلِيلُ : العُنُق . والخَصِيل : كل لَحْمة مستطيلة وجمعها خَصَائل ؛ وقال أبو عبيدة : الخَصِيلة : كل ما انْمَازَ من لحم الفَخِذ بعضُه من بعض . والوَهْوَهَة : صوتٌ يُقَطِّعه .

[تفسير الغريب فى حديث الأعرابى الذى وصف بعض النساء]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : وصف أعرابى نساء فقال : يَلْتَثِمْنَ على السَّبائك . ويتَّشِحْنَ على النَّيَازك ، ويأْتَزِرْنَ على العَوَانِك ، ويَرْتَفِقْن على الأرائك ، ويَتَهَادَيْنَ على الدَّرَانِك ؛ ابْتِسَامُهُنَّ وَمِيض ، عن وَلِيع كالإغْرِيض ؛ وهُنَّ إلى الصِّبَا صُور ، وعن الخَنَا نُور .

قال أبو زيد : اللِّثَام على الفَم . واللِّفَامُ على طَرَف الأنف ، يقال : تَلَثَّمَت المرأة وتَلَفَّمَت المرأة . والسَّبائك هاهنا : الأسنان ، شبهها لبياضها بالسَّبَائك . والنَّيَازك ، واحدها نَيْزَكٌ ، وهو الرُّمْح القَصِير . والعَوَانكُ ، واحدها عانِكٌ ، وهو رَمْل منعقد يَشْقَى فيه البعيرُ لا يقدر على السير ، فيقال حينئذ : قد اعْتَنَكَ . والأَرَائِكُ : السُّرُر ، واحدها أَرِيكة ، وقال قوم : الفُرُش . ويَتَهَادَيْنَ : يمشين مشيا ضعيفا ، قال الأعشى :

* تَهَادَى كما قد رَأَيْتَ البَهِيرا(٢) *

والدَّرَانِك : الطَّنَافِس ، واحدها دُرْنُوك . والوميض : اللمعان الخفىّ . والإغْرِيض

---

(١) قائله أبو الخضرى اليربوعى يمدح عبد الملك بن مروان وكان قد أجرى مهرا فسبق (أنظر اللسان مادة ألل) . وفى هامش اللسان مادة شلل : قال فى التكملة «والرواية مهر أبى الحارث» . وقد حرك لاتشلى للقافية ، والياء من صلة الكسر ؛ وهو كما قال امرؤ القيس :

* ألا أيها الليل الطويل الا انجلى *

(٢) البهير : منقطع النفس من الأعياء ، وصدر البيت كما فى اللسان :

* اذا ما تأتى يريد القيام *

والوَلِيعُ : الطَّلْع . وصُورٌ : مَوَائِل ، ومنه قيل للمائل العُنُق : أَصْوَر . ونُورٌ : نُفَّرٌ من الرِّيبة ، واحدها نَوَارٌ .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد فيما أملاه علينا من معانى الشعر :

إذاما اَجْتَلَى الرَّانِى إليها بطَرْفِهِ غُرُوبَ ثَنَايَاها أَنَارَ وأَظْلَمَا

الغُرُوب : حَدُّ الأسنان ، واحدها غَرْبٌ . والرانى : المُدِيم النظر . وقوله : أَنَارَ وأَظْلَمَ ، أى أصاب ضَوْءًا وظَلْمًا . والظَّلْم : ماءُ الأسنان .

وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأعرابىّ :

أَيا عمرو كَمْ من مُهْرةٍ عَرَبِيَّةٍ مِنَ النَّاسِ قد بُلِيَتْ بوَغْدٍ يقودها

يَسُوسُ ومايدرى لها من سياسةٍ يُرِيدُ بها أَشْياءَ ليست تريدها

مُبَتَّلَة الأَعجازِ زَانَتْ عُقُـودَها بأَحْسَنَ ممَّا زَيَّنَتْها عُقـودُها

خَلِيلَىَّ شُـدَّا بالعِمامةِ واَحْزِما على كَبِدٍ قد بان صَـدْعًا عَمودُها

خَلِيلَىَّ هَلْ لَيْلَى مُؤَدِّيَةٌ دَمِى إذا قَتَلَتْنِى أو أَمِـيرٌ يُقِيـدُها

وكيفَ تُقادُ النفسُ بالنفسِ لم تَقُلْ قَتَلْتُ ولم يشهد عليها شهودُها

ولَنْ يَلْبَثَ الواشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا العَصا إذا لم يكن صُلْبًا على البَرْىِ عُودُها

نظرت إليهـا نظرةً ما يَسُرُّنى بِهاحُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُـودُها

ولى نَظرةٌ بعد الصدودِ من الهَوَى كَنَظْرَةِ ثَكْلَى قد أُصِيب وَحِيدُها

فَحتَّى مَتَى هذا الصدود إِلَى مَتَى لقد شَفَّ نفسى هَجْرُها وصُدودُها

فلَوْ أَنَّ ما أَبْقَيْتِ مِنِّى مُعَلَّـقٌ بعُـودِ ثُمامٍ ما تأَوَّد عُـودُها

ومما اخترته ودفعته إلى أبى بكر فقرأه علىّ :

يَلْقَى السُّيوفَ بوجهـه وبنحره ويُقِيمُ هامَتَه مَقام المِغْفَـر

ويقولُ للطَّرْف اَصْطَبِرْ لشَبا القَنَا فَعَقَرْتُ رُكْنَ المَجْدِ إن لم تُعْقَر

وإذا تأمّلَ شخصَ ضيفٍ مُقبِل مُتَسَرْبِلٍ أثوابَ عَيْشٍ أغبـرَ
أوْما إلى الكَوْماء هذا طارقٌ نَحَـرَتْنِيَ الأعداءُ إن لم تُنْحَرِى

وأنشدنا أبو عبد الله قال : أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى :

لقد هَزِئَتْ مِنِّى بِنَجْرَانَ أن رَأَتْ مَقَـامِىَ فى الكِبْلَيْنِ أمُّ أبان
كأنْ لم تَرَى قبلى أسيرا مُقَيَّدا ولا رَجُلاً يُرْمَى به الرَّجَوَانِ(١)
خَلِيلَىَّ ليس الرأْىُ فى صَدْرِ واحدٍ أَشِـيرَا علىَّ اليومَ ما تَرَيانِ
أأَرْكَبُ صَعْبَ الأمرِ إنَّ ذَلُولَه بِنَجْرانَ لا يُقضى لِحِين أوان

وحدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبىّ قال : مَرَّ مَنْسِرٌ من العرب بغلام يَرْعَى غُنَيْمَةً له وبينه وبين أهله شِعْبٌ أو نَقْبٌ ، فترك غَنَمَهُ وأسْنَدَ فى الجبل فأتى قومه فأنذرهم ؛ فقالوا له : ما رأيتَ ؟ قال : رأيت سبعة كالرماح ، على سبعة كالقِداح ؛ غائرة العيون ، لَوَاحقِ البُطون ، مُلْس المُتُون ؛ جَرْيُها انْبِتَار ، وتَقْرِيبُها انْكِدار ، وإرْخاؤُها اسْتِعَار ؛ وعَهْدِى بهم قد لاذوا بالضِّلَع ، وكأنَّكم بغُبارهم قد سَطَع ؛ فلم يَفْرُغ من كلامه حتى رأوا الغَبَرة فاستعدّوا ، وصادفهم القوم حاذرين فأَدْبَروا عنهم .

قال أبو على : المَنْسِر : جماعة الخيل ، والمِنْسَر بكسر الميم : منقار الطائر ، لأنه يَنْسِرُ به ، أى يَنْتِف به ، وأحسب النَّسْر من هذا ، لأنه يَنْسرُ اللحم ، أى ينتفه . قال الأصمعى : مِنْسَر فى الخيل والمنقار بكسر الميم ، وتابعه على ذلك يعقوب ؛ وقال الأصمعى : إنما سمى مِنْسَرا لأنه يَنْسِر به كل ما مَرَّ به ، أى ينتفه ويأْخذه . والشِّعْب أكبر من اللِّصْب ، وهو الشَّقُّ فى الجبل . والنَّقْب : الطريق فى الجبل ، قال عمرو بن الأيْهَم التغلبىّ .

وتَراهنَّ شُزَّبًا(٢) كالسَّعالِى(٣) يَتَطَلَّعْن من ثُغورِ النِّقَـابِ

---

(١) يرمى به الرجوان : يستهان به ويطرح فى المهالك .

(٢) خيل شزب : ضوامر .

(٣) السعالى جمع سعلاة : الغول ؛ وكان العرب فى الجاهلية يعتقدون وجوده ، وقد أبطله الاسلام فى الحديث الشريف «لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول» .

قال أبو على : الأنبتار : الشدّة فى العدو ، لأنه انقطع عن التقريب والإرخاء . وانكدار : انفعال من قولهم : انكدر إذا أسرع بعض الإسراع . والتقريب تقريبان ، فالتقريب الأدنى أن يجمع يديه ورجليه عند الحُضْر ، والتقريب الأعلى أن يجمع يديه مع رجليه ويَحْزَئِلّ مَتْنُه ، وهذا هو الإرخاء الأدنى ؛ فأما الإرخاء الأعلى ، فهو أن يَدَعَه وشَوْمَه من الحُضْر . والضَّلَع : الجُبَيل الصغير .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله :

ولستُ بصادرٍ عن بيت جارى صُـدور العَيْرِ غَمَّره الوُرود

ولستُ بسائلٍ جارات بيتى أغُيَّـابٌ رجالُكِ أم شهـود

ولا أُلْقِى لذى الوَدَعَاتِ سَوْطى لأُلْهِيَــه وريبتَــه أريــد

أى لا أصدر عن بيت جارى مثل العَيْر الذى قد تَغَمَّر ، أى لم يَرْوَ وفيه حاجة إلى العودة ، يقول : فأنا لا آتى بيت جارى هكذا أريد الريبة . وذُو الوَدَعَات : الصبىّ ، يقول : لا أُلْهِى الصبى بالسوط وأخلو أنا بأُمّه . ومثله قول مسكين الدارمىّ :

لا آخُــذُ الصبيانَ أَلْثِمُهُمْ والأَمْـرُ قـد يُغْزَى به الأمـر

قال أبو على : وحدّثنى محمد بن السرى وابن دَرَسْتَوَيْهِ والأخفش قالوا حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال أخبرنا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال : وقع بين أعمامى وأخوالى لِحَاء(١) فى أرضٍ ، فتراضوْا عند حاكم لهم بشيخ منهم ورَضُوا بيمينه مع الشهادة ، فكان إذا استُحلف بالمشى إلى مكة حلف بالمشى إلى جُدَّة ، وإذا استحلف بطلاق امرأة حلف بطلاق أربع ، وإذا استحلف بعَتَاق عبد حلف بعَتَاق مائة ، وكنت أحبّ أن يظهر أعمامى على أخوالى فظهروا عليهم ، فقلت :

لا شىء يدفع حَقَّ خَصْمٍ شاغبٍ إلا كحِلْف عُبَيْدة بن سَمَيْذَع

يُمضِى اليمينَ على اليمين لَجاجةً عَضَّ الجَمُوح على اللجام المُقْدِعِ(٢)

---

(١) لحاء : نزاع .

(٢) المقدع اسم فاعل من أقدع فرسه باللجام : كبحه .

وإذا يُذَكَّر حِلْفَةً أَصْغَى لهــا وإذا يُذَكَّر بالتُّقَى لم يسمع
سَهْل اليمين إذا أردت يمينه بخدائع السُّفراء غير مُخَدَّع
يَهْتَزُّ حين تمرّ حُجّة خصمــه خوفَ الهَضِيمة كاهتزاز الأَشْجَع
يَغْشَى مضرَّتَه لنفع صديقــه ما خَيْرُ ذى حَسَبٍ إذا لم ينفع

وقرىء على أبى بكر بن دريد – وأنا أسمع – لرجل ذكر دارا ووصف ما فيها فقال :

إلَّا رَوَاكِدَ بينهنَّ خَصَاصةٌ سُفْعَ المَنَاكِبِ كُلُّهنَّ قد اصْطَلى
ومُجَوَّفات قد عــلا أجــوازَها أَسْآر جُرْدٍ مُتْرَصات كالنَّــوَى

رواكد : ثَوَابت ، يعنى أَثَافِىَّ . والخَصَاصة : الفُرْجة . والسُّفْعة : سواد تعلوه حمرة . ومُجَوَّفات يعنى نعاما ، والتجويف : أن يبلغ البياض البطن . وقوله : علا أجوازها ، أى علا التجويفُ أوساطها . وأسآر : بقايا ، الواحد سُؤْر . و جُرْد : خَيْل قِصَار شعر الأبدان ، واحدتها جَرْداء ، وذلك من عِتْقها ، يقول : قد طَرَدت الخيلُ هذه النعامَ فقتلت بعضها وبقى بعض ، فهذه البقايا بقايا هذه الخيل . ومُتْرَصات : مُحْكَمات . كالنَّوَى ، أى صِلَاب ، ويجوز أن يكون فى ضُمْرِهِنَّ .

وحدّثنا أبو عبد الله نِفْطَوَيْهِ قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال أخبرنا الزبير قال أخبرنا عبد الملك قال : قال لى أبو السائب : يابن أخى ، أنشدنى للأحوص ؛ فأنشدته قوله :

قالت – وقُلْتُ تَحَرَّجِى وصِلِى حَبْلَ امرىءٍ بوصالكم صَبِّ
صاحِبْ إذًا بَعْلِى فقلت لهــا الغَدْرُ شىء ليس من ضَرْبِى
ثِنْتــانِ لا أدنو لوصــلهما عِرْسُ الخليل وَجارَةُ الجَنْبِ
أَمَّا الخَلِيــلُ فلست فاجعَــه والجــارُ أوصانى به ربِّى
عُوجَا كذا نَذْكُرْ لغانيــــةٍ بعضَ الحديث مَطِيَّكم صَحْبِى
ونَقُلْ لها فِيمَ الصُّدودُ ولم نُذْنِبْ بَلَ انْتِ بَدَأْتِ بالذَّنْبِ

إن تُقْبِلى نُقْبِــل ونُنْزِلكُم منا بدار الوُدِّ والرُّحْب
أَو تُدْبِري تَكْــدُرْ معيشتُنــا وتُصَــدَّعى مُتَلائمَ الشَّعْب

فقال لى : يابن أخى ، هذا المحبّ عينا لا الذى يقول :

وكنتُ إذا حبيبٌ رام صَرْمِي وَجَدْتُ وَرَاى مُنْفَسِحا عَرِيضا

اذهبْ ، فلا صَحِبَك الله ولا وَسَّع عليك .

[مطلب دخول كثير عزة على عبد الملك بن مروان وحديثه معه وإنشاده الشعر بين يديه]

قال أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى : وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا السكن ابن سعيد قال أخبرنا على بن نصر الجهضمى قال : دخل كُثَيِّر على عبد الملك ابن مروان رحمه الله ، فقال عبد الملك بن مروان : أأنت كثير عَزَّة ؟ قال : نعم ؛ قال : أَن تَسْمَعَ بالمُعَيْدِيِّ خير من أن تراه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، كلٌّ عند محلّه رَحْب الفِناء ، شامخُ البناء ، عالى السَّناء ؛ ثم أنشأ يقول (١) :

تَرَى الرجلَ النَّحِيف فَتَزْدَرِيه وفى أثوابــه أَسَدٌ هَصُــور
ويُعْجِبُك الطَّــرِيرُ إذا تــراه فَيُخلِف ظَنَّك الرجلُ الطرير
بُغَــاث الطَّيْــرِ أَطْوَلهــا رقابا ولم تَطُلِ البُزَاة ولا الصُّقور
خَشَاش الطيــر أكثرها فِراخا وأُمُّ الصَّقْر مِقْلَاتٌ(٢) نَزُور
ضِعافُ الأُسْــد أكثرها زَئيرا وأَصْرَمُها اللَّواتى لا تَزِير
وقد عَظُم البعيــر بغير لُبٍّ فلم يَسْتَغْن بالعِظَم البعيـــر
يُنَوَّخ ثم يُضْرَب بالهَــرَاوَى فلا عُرْفٌ لديه ولا نكيــر
يُقَــوِّده الصبيُّ بكل أرض ويَنْحَــرُه على التُّرب الصغير
فما عِظَمُ الرجــال لهم بِزَيْنٍ ولكن زَيْنُهُــم كَرَمٌ وخِــير

(١) فى ديوان الحماسة : أن هذه الأبيات للعباس بن مرداس .
(٢) مقلات : لا يكثر فرخها .

فقال عبد الملك : لله درُّه ، ما أَفصحَ لسانه ، وأَضبط جَنانه ، وأطول عِنَانه ! والله إني لأَظنه كما وصف نفسَه .

[مطلب قصيدة عبد الله بن سبرة وكانت يده قطعت فى غزوة الروم]

وأنشدنا أبوعبد الله نَفْطويه وأبوالحسن الأَخفش وأبو بكر بن دريد – والأَلفاظ مختلطة – لعبد الله بن سَبْرة الحرشي[1] ، وكانت قُطعت يدُه فى بعض غزواته الروم ، فقال يَرْثيها :

وَيْلُ امِّ جارٍ غداةَ الرَّوعِ فارَقَنى ... أَهْوِنْ علىّ به إذ بان فانقطعا

يُمْنَى يدىَّ غدت منى مفارِقة ... لم أَستطع يوم فلطاس لها تَبَعا

وما ضَنِنْت عليها أَن أصاحبها ... لقد حَرَصْت على أن نستريح معا

وقائلٍ غاب عن شأْنى وقائلة ... هلاّاجتنبت عدوّ الله إذ صُرِعا

وكيف أَركبه يسعى بمُنْصُله ... نحوى وأَعجز عنه بعدما وَقَعا

ما كان ذلك يومَ الرَّوْع من خُلُقى ... ولو تقارَبَ منى الموتُ فاكْتَنَعا[2]

وَيْلُ امِّه فارسا أَجْلَتْ عشيرته ... حامىَ وقد ضيَّعوا الأَحساب فارْتَجعا

يَمْشِى إلى مُسْتَميت مثلِه بَطَلٍ ... حتى إذا أَمكنا سَيفَيْهما امْتَصَعا[3]

كلٌّ يَنُوء بماضى الحدّ ذى شُطَبٍ[4] ... جلَّى الصياقِلُ عن ذَرِّيِّهِ[5] الطَّبَعا[6]

حاسَيْتُه[7] الموتَ حتى اشْتَفَّ آخرَه ... فما اسْتكان لما لاقى ولاجَزِعا

كأَنَّ لِمَّتَه هُدّابُ[8] مُخْمَلة[9] ... أَحَمُّ أَزرق لم يُشْمِط وقد صَلِعا

---

(١) الحرشى بالحاء المهملة منسوب الى حرش موضع باليمن كما فى شرح الحماسة وكتاب المعارف لابن قتيبة وفى الطبعة الأولى : الجرشى بالجيم المعجمة وهو تحريف .

(٢) اكتنعا : دنا .

(٣) امتصعا : بعدا .

(٤) الشطب : طرائق السيف فى متنه .

(٥) ذرى السيف : تلألؤه واشراقه .

(٦) الطبعا : الوسخ الشديد من الصدأ .

(٧) حاسيته : ساقيته .

(٨) الهداب : الخيوط التى تبقى فى طرفى الثوب من عرضيه .

(٩) المخملة : نسيج له خمل ، أى وبر .

فإن يكن أَطْرَبُونُ[1] الرُّومِ قَطَّعها فقد تركتُ بها أوصاله قِطَعا
وإن يكن أطربون الروم قَطَّعها فإنَّ فيها بحمد الله مُنْتَفَعا
بَنَانَتَيْن وجُـذْمُورا أُقِيمُ بها صَدْرَ القَناة إذا ما آنَسُوا فزعا

قال أبو عليّ : الجُذْمُور : الأصل ، ويقال : أخذت الشي بجذاميره .

وأنشدنا إبراهيم قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال : أنشدنا الزبير لجرير الدِّيليّ :

كأنَّمَا خُلِقَتْ كَفَّاه من حَجَرٍ فليس بين يديه والنَّدَى عَمَلُ
يَرَى التَّيَمُّمَ فى بَرٍّ وفى بَحَـر مخافة أنْ يُرى فى كفِّه بلل

[مطلب ماوقع فى مجلس أبى عمرو بن العلاء بن شبيل بن عروة ويونس والفرق بين ألفاظ خمسة من الروبة]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة عن يونس قال : كنت عند أبى عمرو بن العلاء فجاءه شُبَيْل بن عروة الضبعيّ ، فقام إليه أبو عمرو فألقى إليه لُبْدَة بغلته ، فجلس عليها ثم أقبل عليه يحدّثه فقال شبيل : يا أبا عمرو سألت رُؤْبَتكم هذا عن آشتقاق آسمه فما عرفه . قال يونس : فلما ذكر رُؤْبَة لم أملك نفسى ، فزحفت إليه فقلت : لعلك تظنّ أن مَعَدًّ بن عدنان أفصح من رؤبة وأبيه ، فأنا غلام رؤبة ، فما الرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة والرُّؤْبة ؟ فلم يُحِرْ جوابًا وقام مُغْضَبا ؛ فأقبل علىّ أبو عمرو بن العلاء وقال : هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضى حقوقنا وقد أسأتَ فيما واجهتَه به ؛ فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة ؛ ثم فَسَّرَ لنا يونس فقال : الرُّوبة : خَمِيرة اللَّبن . والرُّوبة : قطْعة من الليل . وفلان لا يقوم بِرُوبة أهله ، أى بما أسندوا إليه من أموالهم ومن حوائجهم . والرُّوبة : جِمَام ماء الفحل . والرُّؤْبة مهموزة : القِطْعة تُدْخِلها فى الإناء تَشْعَب بها الإناء .

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله تعالى عن أبى حاتم عن الأصمعىّ وأبى عبيدة للأُحَيْمِر أحد لصوص بنى سعد :

---

(١) كذا فى الطبعة الأولى وعيون الأخبار المطبوع بدار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٩٣ المجلد الأول ، وورد فى الكامل لابن الأثير وفى تاريخ الطبرى فى الكلام على فتح بيت المقدس «أرطبون» وجاء فى شرح القاموس نقلا عن شرح الأمالى : أطرابون : البطريق ؛ وقال ابن سيده : هو الرئيس من الروم .

وقالت أرى ربْعَ القَوام وشاقها … طويلُ الْقَنَاةِ بالضَّحاء نَؤُوم

فإن أكُ قَصْدًا (١) فى الرجال فإننى … إذا حلَّ أمرٌ ساحَتى لَجسيم

وزادنى أبوعبيدة بعد هذين البيتين :

تُعَيِّرنى الإعدامَ والبَدْوُ مُعْرِضٌ … وسَيْفِى بأموال التِّجار زَعيم

قال : ثم تاب فقال :

أشْكُو إلى الله صَبْرِى عن زَوامِلِهم (٢) … وما أُلاقى إذا مَرُّوا من الحَزَن

قل لِلُّصُوص بَنِى الَّلخْناء يَحْتَسِبُوا … بَزَّ (٣) العِراق ويَنْسَوْا طُرْفَةَ اليَمَن

فَرُبَّ ثَوْبٍ كريم كُنْتُ آخذه … من القِطَار بلا نَقْد ولا ثَمَن

وأنشدنا أبو بكر عن أبى حاتم عن الأصمعىّ وأنشدنى أيضا الأخفش قال : أنشدنا بعض أصحابنا هذه الأبيات :

حَلَلْنا آمِنِين بِخَيْرِ عيشٍ … ولم يشْعُرْ بنا واشٍ يكِيدُ

ولم نَشْعُرْ بِجِدِّ البيْن حتى … أجَدَّ البَيْنَ سَيَّار عَنُود

وحَتَّى قيل قَوَّض آل بِشْرٍ … وجاءَهُم بِبَيْنِهِمُ البَرِيد

وأبْرَزَت الهوادجُ ناعماتٍ … عَلَيْهِنَّ المَجَاسد (٤) والعُقود

فَلَمَّا وَدَّعونا واسْتَقَلَّت … بهم قُلُصٌ هَوَادِيهِنَّ قُودُ

كَتَمْتُ عواذلى ما فى فؤادى … وقلت لَهُنَّ لَيْتَهُمُ بَعيد

فجالت عَبْرةٌ أشفَقْتُ منها … تسيل كأنَّ وابِلَها فَرِيد

فقالوا قد جَزِعْتَ فقلتُ كَلَّا … وهل يَبْكِى من الطَّرَب الجَلِيد

ولكنِّى أصابَ سوادَ عَيْنى … عُوَيْدُ قذًى له طَرَف حَدِيد

---

(١) رجل قصد : أى ليس بالجسيم ولا بالنحيف.

(٢) قال فى اللسان ؛ يجوز أن يكون جمع زاملة، وفسرها بقوله : وهى البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع .

(٣) البز : الثياب وورد فى اللسان فى مادة طرف بلفظ : «بر» .

(٤) المجاسد : جمع المجسد بضم الميم ؛ وهو القميص المصبوغ المشبع بالجسد أو الجساد وهو الزعفران .

فقالوا ما لِدَمْعِهما سَـــواءٌ ؟ أَكِلْتَا مُقْلَتَيْك أصاب عُـود
لَقَبْلَ دموعِ عَيْنِك خَبَّرَتْنَـا بما جَمْجَمْتَ(١) زَفْرَتُك الصَّعود
فقم وٱنْظُرْ يَزِدْك مِطَالَ شَوْقٍ هنالك مَنْظَرٌ منهم بعيـــد

[مطلب حديث الجاحظ وهو مفلوج وقصيدة عوف بن محلم الخزاعى التى منها (إن الثمانين) البيت]

وحدّثنا أبو مُعاذ عبدان الخُولى المُتَطَبِّب قال : دَخَلْنا يوما بِسُرَّ مَنْ رَأَى على عمرو بن بَحْر الجاحظ نعوده وقد فُلِج ، فلما أخذنا مجالسنا أَتى رسول المتوكل فيه فقال : وما يصنع أمير المؤمنين بشِقٍّ مائل ، ولُعاب سائل ؟ ثم أقبل علينا فقال : ما تقولون فى رجل له شقَّان : أحدهما لو غُرِز بالمَسَالِّ ما أَحَسَّ ، والشِّق الآخر يَمُرُّ به الذباب فَيُغَوِّث ، وأكثرُ ما أشكوه الثمانون ؟ ثم أنشدنا أبياتًا من قصيدة عوف بن مُحَلِّم الخُزاعى . قال أبو معاذ : وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر ، فسَلَّم عليه عبد الله فلم يسمع ، فأُعلِم بذلك ، فزعموا أنه ٱرْتَجَلَ هذه القصيدة ٱرتِجالا ، فأنشده :

يابْنَ الذى دان له المشرقان طُرًّا وقد دان له المَغْـرِبان
إنَّ الثمـــانين وبُلِّغْتَهـــا قد أَحْوَجَتْ سَمْعِى إلى تَرْجُمان
وبَدَّلَتْنى بالشَّطَاطِ(٢) ٱنْحِنًا وكنتُ كالصَّعْدَة(٣) تحتَ السِّنان
وبَدَّلَتْنى من زَمَاعِ(٤) الفَـتَى وهِمَّتى هَمَّ الجَبَـان الهِـــدَان(٥)
وقارَبَتْ مِنِّى خُطًا لم تكن مُقارَباتٍ وثَنَتْ مِنْ عِنـــان
وأنْشأَت بينى وبين الـورى عَنَانةً من غير نَسْج العَنان(٦)
ولم تَــدَعْ فِىَّ لِمُسْتَمْتِعٍ إلَّا لِسَانِى وبحَسْبى لِسان

---

(١) جمجم الكلام : لم يبينه .
(٢) الشطاط : حسن القوام والاعتدال .
(٣) الصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك لاتحتاج الى تثقيف .
(٤) الزماع : المضاد فى الأمر والعزم عليه .
(٤) الزماع : المضاء فى الأمر والعزم عليه .
(٦) العنان بفتح العين : السحاب ؛ واحدته عنانة. يشير بهذا الى ضعف بصره وأنه لا يرى الورى الا من وراء سحابة .

أدعـــو به الله وأُثْــنى به على الأمير المُصْعَبِىِّ الهِجَان(١)
فَقَــرِّبانى بِأَبِى أَنْتُمــــا مِنْ وَطَنى قبلَ اصْفرارِ البَنَان
وقَبْلَ مَنْعَاىَ إلى نِسْــــوة أوطــانُها حَــرَّانُ والرَّقَّتــــان

وقرأْنا على أبى بكر بن دريد رحمه الله لذى الرمة :

رَمَى الْإِدْلاجُ أَيْسَرَ مَرْفِقَيْهــا بأَشْعَثَ مثــل أَشْلاء الِّلجــام

يقول : أَدْلَجَ فأَعْيا ، فإذا نام تَوَسَّد يُسْرَى ذراعىْ ناقتِه ، فيعنى أن الإدلاج هو الذى فَعَلَ بها ذلك . وأَشلاء اللِّجام : بقاياه من حديده وسيوره ، ويعنى بالأَشعث : نَفْسه .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يَصِف خيلا فقال : سِبَاط الْخَصائل ، ظِمَاء المَفَاصل ، شِدَاد الأَبَاجِل ، قُبٌّ الأَيَاطل ، كِرَام النَّوَاجل .

قال أبو على : الخصائل ، واحدتها خَصِيلة ، وهى كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مجتمعة ، وقال أبو عبيدة : الخَصَائل : ما انْماز من لحم الفَخِذ بَعْضه من بعض . وظماء : ضُمَّر . والأَباجِل جمع أَبْجل ، وهو من الفرَس بمنزلة الأَكْحَل من الإنسان ، يريد أنها شِدَاد القَوائم . قُبٌّ : ضُمَّر . والأَيَاطل جمع أَيْطَل ، والأَيْطَل والإِطْل والصُّقْل والقُرْب والكَشْح واحد . والنَّواجِل جمع ناجلة . وهى التى نَجَلَتْه ، أى ولَدَتْه .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يَصِف إبلا فقال : إنها لَعِظَام الحَنَاجِر ، سِبَاط المَشَافِر ، كُومٌ بَهَازِر ، نُكْدٌ خَنَاجِر ، أجوافُها رِغَاب ، وأَعْطانها رِحَاب ، تُمْنَع من البُهَم ، وتُبْذَل للجُمَم .

قال أبو على : الحَنَاجر ، واحدها حُنْجُور وهو الحُلْقوم . والكُوم جمع أَكْوَم وكَوْماء ، وهى العِظَام الأَسْنِمَة . والبَهَازِر : العِظَام ، واحدها بُهْزُرة . والنُّكْد : الغَزِيرة اللَّبن

(١) الهجان : الكريم .

فى هذا الموضع ، والنُّكد أيضا : التى لا يبقى لها ولد . وقال الأَصْمَعى : الصَّفِىُّ والخُنْجُور واللُّهْمُوم والرُّهْشُوش ، كل هذه : الغزيرة اللبن . والرِّغَاب : الواسعة . وأعطانُها : مَبَارِكُها عند الماء . والبُهَم جمع بُهْمة ، وهو الشُّجاع الذى لايُدْرَىمن أين يؤتَى : من شدّة بأْسه . والجُمَم ، واحدها جُمَّة ، وهم القوم يَسْأَلون فى الدِّيات ، وأنشدنا أبو بكر :

وجُمَّـةٍ تَسْأَلُنى أَعْطَيْتُ وسائلٍ عن خَبَرٍ لَوَيْت

• وقُلْتُ لا أَدْرِى وقـد دَرَيْت •

وأنشدنى أبو بكر قال : أنشدنى الرياشى :

لَوْ قد تَرَكْتُك لم تُنِخْ بك جُمَّةٌ تَرْجُو العَطَاءَ ولم يَزُرْكَ خَلِيلُ

[مطلب شرح ماجاء من الغريب فى وصف الأعرابى لبنيه]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابىّ بِحِمَى الرَّبَذة : أَلَكَ بَنُون ؟ قال : نعم ، وخالِقِهم لم تَقُمْ عن مثلهم مُنْجِبة ، فقلت : صِفْهم لى ، فقال : جَهْمٌ وما جَهْم ! يُنْضِى الوَهْم ، ويَصُدُّ الدَّهْمَ ، ويَفْرِى الصُّفُوف ، ويَعُلُّ السُّيُوف ؛ قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : غَشَمْشَم وما غَشَمْشَم ! مالُهُ مُقَسَّم ، وقِرْنُه مُجَرْجَم ، جِذْلُ حِكَاك ، ومِدْرَهُ لِكَاك ؛ قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : عَشَرَّب وما عَشَرَّب ! لَيْثٌ مُحَرَّب ، وسِمَامٌ مُقَشَّب ؛ ذِكْرُه باهر ، وخَصْمُه عاثر ؛ وفِنَاؤُه رُحَاب ، وداعيه مُجَاب ؛ قلت : فَصِفْ لى نفسَك ، فقال : لَيْثٌ أبو رَيَابِل ، رَكَّاب مَعَاضِل ، عَسَّاف مَجَاهل ؛ حَمَّال أَعْباء ، نَهَّاض ببزْلاء .

قوله : يُنْضِى : يُهْزِل ، والنِّضو : المَهْزُول . والوَهْم : الضَّخْم العظيم من الإبل ، قال ذو الرمة :

كأنَّها جَمَـلٌ وَهْمٌ وما بَقِيَتْ إلا النَّحِيزَةُ[1] والأَلْواحُ[2] والعَصَبُ

ويَصُدُّ : يَكُفُّ . والدَّهْم : العدد الكثير . ويَفْرِى : يَشُقُّ ، يقال : فَرَيْتُ

---

(١) النحيزة : الطبيعة ، يقـال : هو كريم النحيزة .

(٢) الألواح : العظام ، وكل عظم عريض فهو لوح .

الشيء إذا شَقَقْته للإصلاح ، وأَفْرَيْته إذا قطعته للإفساد . ويَعُلُّ : يُورِدها الدماء ثانية ، مأْخوذ من العَلَل في الشرب . والمُجَرْجَم : المصروع . والجِذْل : أَصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الجُرْبَ تَحْتَكُّ به فتجد له لذة ، وإنما قال : جِذْل حِكَاك ، أى إنه ممن يُسْتَشْفى به فى الأُمور بمنزلة ذاك الجِذْل الذى يستشفى به الإبل . والمِدْرَه : لسانُ القوم والمتكلمُ عنهم والدافع عنهم ، يقال : دَرَهْتُه عنِّى ودَرَأْتُه عنى : دَفَعْته والتُّدْرَأُ مثل المِدْرَه . واللِّكَاك : الزِّحام : يقال : ٱلْتَكَّ القوم على الماء إذا ٱزْدَحَمُوا . والمُحَرَّب : المُغْضَب الذى قدٱشتدَّ غَضَبه وٱحْتَدَّ ، وحَرَّبْت السِّكِّين إذا أَحددته . ومُقَشَّب : مخلوط . وباهِرٌ : غالب . ورَيَابِل جمع رِيبال ، وهو الأَسَد .

قال أَبو على : روينا : الرَّيَابل فى هذا الخبر غير مهموز ، ورويناه فى الغريب المصنَّف : الرَّيابل واحدها رِيبال يهمز ولا يُهْمز . والمَعَاضِل : الدَّواهى . والعَسَّاف : الذى يركب الطريق على غير هداية . والأَعباء : الأَثقال ، واحدها عِبْءٌ . والبَزْلاء : الرَّأْى الجَيِّد الذى يَبْزُل عن الصواب ، أَى الذى يَشُقُّ عنه ، قال الراعى :

مِنْ رَأْىِ ذى بَدَوات (١) لاتَزَالُ له ... بَزْلاءُ يَعْيا بها الجَثَّامةُ (٢) الُّلبَدُ (٣)

وحدّثنا أَبوعبد الله نفطويه قال حدّثنا أَبو العباس أَحمد بن يحيي النحوى قال : قَدِم علينا أَعرابىٌّ فسمع غناء حمائم بستان إبراهيم بن المهدى ، فٱشتاق إلى وطنه فقال :

أَشَاقَتْك البَـوارقُ والجَنُوب ... ومِنْ عَلْوَى الرِّياح لها هُبُـوب
أَتَتْك بنَفْحَـة من شيح نَجْد ... تَضَوَّعُ والعَرَارُ بها مَشُـوب
وشِمت البارقات فقلت جيدَت ... حبال البِشْر (٤) أَو مُطِر القَلِيب

(١) يقال للرجل الحازم : ذو بدوات ؛ أى ذو آراء تظهر له فيختار بعضها ويسقط بعضها . كذا فى اللسان .

(٢) الجثامة : البليد .

(٣) اللبد من الرجال : الذى لا يسافر ولا يبرح منزله ولا يطلب معاشا ، كذا فى اللسان ؛ وقال : ويروي : اللبد بالكسر وهى أجود عند أبى عبيد .

(٤) البشر : اسم جبل فى أطراف نجد وفى الأصل بالنون وهو تحريف .

ومن بستـــان إبراهيم غَنَّتْ حَـــائمُ بينها فَنَنٌ رَطِيـــب
فقلتُ لها وُقِيتِ سهامَ رامٍ ورُقْطَ (١) الريشِ مَطْعَمُها الجُنُوب
كما هَيَّجْت ذا حَزَنٍ غريبًـــا على أشْجـــانه فَبَكَى الغـــريب

وأنشدنا أبوبكر رحمه الله قال أنشدنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبي لحُجَيَّة ابن المُضَرِّب يمدح يَعْفُر بن زُرْعة أحد الأُمْلُوك (٢) ، أُمْلوك رَدْمان (٣) :

إذا كنتَ سأَّ ~لًا عن المَجْدِ والعُلَا وأيْنَ العَطَاءُ الجَزْل والنائل الغَمْر
فَنَقِّبْ عن الأُمْلُوك واهْتِفْ بيَعْفُرٍ (٤) وعِشْ جارَ ظِلٍ لا يغالبه الدهـــر
أولئك قوم شَـــيَّدَ اللهُ فَخْرَهم فما فوقه فَخْر وإنْ عَظُم الفخر
أناسٌ إذا ما الدهر أظْلَم وَجْهُه فأيديهـــمُ بيضٌ وأوجُهُم زُهْر
يَصُونون أحسابا ومَجْـــدا مُؤَثَّلا ببذل أكُفٍّ دونها المُزْن والبَحر
سَمَوْا فى المعالى رُتْبَةً فوق رُتْبـــةٍ أحَلَّتْهُـــمُ حيثُ النعائم والنَّسْر
أضاءت لهم أحسابهم فَتَضَاءَلَتْ لنورهم الشمسُ المنيرة والبـــدر
فلو لامَسَ الصَّخْرُ الأَصَمُّ أكُفَّهم لفاضتْ (٥) يَنَابيعُ النَّدَى ذلك الصَّخْر
ولو كان فى الأرض البسيطة منهمُ لمُخْتبط عاف لما عُرِف الفَقْر
شكرت لكم آلاءكم وبلاءكم وما ضاع معروف يكافئه شكر

وحدّثنا أبو بكر بن الأنْبارى قال : أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيي النحوى أوقرأ — الشك من أبي على — على باب داره ، ثم أنشدناه فى المسجد الجامع يقرؤه على عبد الله بن المُعْتَزّ قال : أنشدنى بعض أصحابنا عن النضر بن جرير عن الأصمعىّ :

---

(١) رقط الريش : يشير بها الى الأقواس .
(٢) الأملوك : اسم جمع بمعنى الملوك وهم مقاول حمير ؛ أى ملوكها .
(٣) ردمان : اسم قبيلة من العرب باليمن . (٤) يعفر : اسم ملك من ملوك اليمن .
(٥) ورد فى الطبعة الاولى : لفاضت ، ونبه مصححها بقوله : هكذا فى الأصل بتاء التانيث وحرر؛ وقد وجدنا فى بعض النسخ المخطوطة : لفاض ، ولعله: أفاض ليستقيم المعنى .

سَقَى دِمْنَتَيْن ليس لى بهما عَهْدُ ... بحيث الْتَقَى الداراتُ والجَرَعُ الكُبْدُ[1]

فَيَا رَبْوَةَ الرَّبْعَيْن حُيِّيت رَبْـوَةً ... على النَّأْى منَّا واْسْتَهَلَّ بكِ الرعْد

قَضَيْتُ الغَوَانى غير أن مَـودَّة ... لذَلْفاء ما قَضَّيْت آخرها بَعْـدُ

إذا وَرَدَ المِسْواكُ ظَمْآنَ بالضُّحَى ... عَوَارِضَ منها ظَلَّ يُخْصره البَـرْد

وأَلْيَن منْ مَسِّ الرّخَامات يَلْتَقى ... بمارنه الجادىُّ[2] والعَنْبَرُ الوَرْد

فَرَى نائباتُ الدهر بَيْنى وبينها ... وصَرْفُ الليالى مثلَ مافَرِىَ البُرْد

فإن تَدَعى نَجْدًا نَدَعْه ومَنْ به ... وإن تَسْكُنى نَجْدًا فيا حَبَّذا نَجْد

وإن كان يومُ الوَعْد أدنى لقائنا ... فلا تَعْذُلِينى أن أقول مَتَى الوعد

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال : أنشدنا أحمد بن يحيى لأبى الهندى وهو من بنى رياح :

قُلْ للسَّرىِّ أبى قيس أتَهْجُرنا ... ودارُنا أصبحتْ من داركم صَدَدا

أبا الوَليـد أمَا والله لو عَمِلَتْ ... فيك الشَّمُولُ لما فارقتهـا أبدا

ولا نَسيتَ حُمَيَّـاها ولَذَّتهـا ... ولا سدت بها مالا ولاولَـدا

وحدّثنى جَحْظة قال حدّثنى حماد بن إسحاق الموصلى قال حدّثنى أبى قال: كتبتُ إلىَّ زَهْراء الأعرابية ـ وقد غابت عنى ـ كتابا فيه :

وَجْدِى بِجُمْلٍ[3] على أنِّى أُجَمْجِمُه ... وَجْدُ السقيم ببُرْءٍ بعد إدْنافٍ[4]

أو وَجْدُ ثَكْلَى أصاب الموتُ واحدَها ... أو وَجْدُ مُنْشَعبٍ[5] من بين أُلّاف

---

(١) الدارات والجرع : اسماء مواضع . والكبد جمع كبداء وهى الرملة العظيمة الوسط .

(٢) الجادى بالتشديد : الزعفران نسبة الى جادية وهى قرية بالشام ينبت بها الزعفران .

(٣) جمل : اسم امرأة . (٤) الادناف : ثقل المرض .

(٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا : مشتعب بالمثناة بعد الشين ، ولم نجد فيما بيدنا من كتب اللغة صيغة افتعل من هذه المادة بل الموجودة صيغة انفعل ؛ وفى الأغانى ج ٥ ص ٨١ «مغترب» .

فكتبتُ إليها :

أمَا أوَيْتِ لمن قد بات مُكْتَئِبا يُذْرِي مَدامِعَــه سَحًّا وتَوْكافا (١)

إقْرَ السلامَ على الزَّهْراء إذ شَحَطَتْ وقُلْ لها قدأذَقْتِ القلبَ ماخافا

فما وَجَدْتُ على إلْفٍ أفارِقُــه وَجْدِي عَلَيْكِ وقد(٢) فارَقْتُ أُلَّافا

وأنشدنا الأخفش :

أقول لِصاحِبَىَّ بأرضِ نَجْدٍ وجَدَّ مَسيرُنا ودنا الطُّرُوق

أرَى قَلْبِي سينقطع اشتياقا وأحْزانا وما انْقَطَع الطـريق

وأنشدنا جحظة عن حمّاد عن أبيه :

طَرِبْتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغار وهاجَكَ منهم قُرْبُ المَزار

وأبْرَحُ ما يكون الشوقُ يوما إذا دَنَت الديارُ من الديار

وقرأت على أبي بكر لطفيل الغَنَوِىّ :

أُناس إذا ما أنْكَرَ الكَلْبُ أهْلَه حَمَوْا جارَهم من كلِّ شَنْعاء مُضْلِع

قال : ويُرْوَى : مفْظِع . قوله : أنكر الكلب أهله ، أى إذا لبسوا السلاح وتَقَنَّعوا لم يَعرف الكلبُ أهله . وحدّثني بعض شيوخنا أن ابن حبيب قال : إذا ما غُزُوا فصار معهم أعداؤُهم فى ديارهم فتَواثَبوا أنكرهم الكلب إذ ذاك لتغيرهم عن حالهم . والشَّنْعاء : الداهية المشهورة . ومُضْلِع : شديدة ، يقال : أَضْلَعَنِى الأمرُ إذا اشتدَّ علىَّ وغَلَبني . وقرأت على أبي عبد الله لذى الرمة :

إذا نُتِجَتْ منها المَهارَى(٣) تَشَابَهَتْ على العُوذ إلَّا بالأُنُوف سَلَائلُــه

العُوذُ : الحَدِيثات النتاج ، واحدها عائذ ، وإنما قيل لها عائذ لأن ولدها عاذَ بها ، وكان القياس أن يكون هو عائذا بها ولكنه لما كانت مُتَعَطِّفة عليه قيل لها : عائذٌ ،

---

(١) توكافا : من وكف الدمع : قطر وسال قليلا قليلا .

(٢) فى الأصل : فقد ، وما اثبتناه هو رواية الأغانى .

(٣) المهارى : روى في ديوانه المطبوع في أوربا : المتالى ، وفسرها باللواتي تتبعها اولادها .

يقول : تَشَابَهَ عليها أولادُها إلا أن تَشُمَّها بأنوفها ، وذلك أنها من نِجَارٍ واحد وفحلٍ واحدوقد تقاربت فى الوَضْع فهى تُشْبِه بعضها بعضا . والسلائل : الأولادُ ، واحدها سَلِيل .

وحدّثنا أبو المَيَّاس الراوية قال حدّثنى أحمد بن عبيد عن بعض شيوخه قال : كانت وليمةٌ فى قريش تَوَلَّى أمرَها مَقَّاسٌ الفَقْعَسِيُّ ، فأجلس عُمارةَ الكلبىَّ فوق هشام ابن عبد الملك ، فأحْفَظَه ذلك وآلَى على نفسه أنه متى أفْضَت الخلافةُ إليه عاقبه ، فلما جلس فى الخلافة أمَر أن يُؤْتَى به وتُقْلَع أضراسه وأظفار يديه فَفُعِل ذلك به ، فأنشأ يقول :

عَذَّبُونى بعذابٍ قَلَعُوا جَوْهَر راسى
ثُمَّ زادونى عذابا نَزَعُوا عَنِّى طِساسى
بالمُدَى حُزَّ لَحْمى وبأطراف المَوَاسِى

قال أبو على : قال أبو العباس قال لى أبو المياس : الطِّساس : الأظفار ، ولم أر أحدا من أصحابنا يعرفه ، ثم أخبرنى رجل من أهل اليمن قال : يقال عندنا : طَسَّهُ إذا تناوله بأطراف أصابعه .

وأنشدنا أبو المياس وكان من أروى الناس للرجز وهو من أهل سُرَّ مَنْ رَأى لدُكَيْن بن رجاء الراجز :

لم أرَ بُؤْسا مثلَ هذا العام أرْهنت فيه للشَّقا خَيْتَامِى
وحَقِّ فَخْرِى وبَنِى أعمامِى ما فى القُروفِ حَفْنَتَا حُتَام

قال أبو على : أرْهَنْت ورَهَنْت جميعا يقالان . قال : ويقال خاتَمٌ وخاتامٌ وخَيْتام وخاتِمٌ . وقال أبو المياس : القُرُوف : الجِراب وأحسبه غَلَطًا ، إنما هو القروف جمع قَرْف ، وهو الجراب . والحُتَام البَقِيَّة من كل شىء .

[مطلب تفسير ما جاء من الغريب فى وصف الغلام لبيت أبيه]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى قال : خرج رجل من العرب فى الشهر الحرام طالبا حاجة ، فدخل فى الحِل فطلب رجلا يستجير

به ، فَدَفَع إلى أُغَيْلمة يلعبون ؛ فقال لهم : مَنْ سَيِّد هذا الحِواء ؟ فقال غلام منهم : أَبِيَهْ ، قال : ومن أبوك ؟ قال : باعث بن عُوَيْص العاملى ، قال : صِفْ لى بيت أبيك من الحِوَاء ، قال : بيت كأنه حَرَّة سوداء ، أو غمامة حَمَّاء ، بفِنائه ثلاثة أفراس ؛ أمَّا أَحَدُها : فَمُفْرِع الأكْتاف ، مُتَماحِل الأكناف ، ماثِلٌ كالطِّرَاف . وأما الآخر : فَذَيَّال جَوَّال صَهَّال ، أَمِينُ الأَوصال ، أَشَمُّ القَذَال . وأما الثالث : فَمُغار مُدْمَج ، مُحْبُوكٌ مُحَمْلَج ، كالقَهْقَر الأَدْعَج . فمضى الرجل حتى انتهى إلى الخباء ففقد زمام ناقته ببعض أطنابه وقال : يا باعث ، جار عَلِقَتْ عَلَائِقُه ، واستحكمتْ وثائقُه ، فخرج إليه باعث فأجاره .

قال أبو على : المُفْرِع : المُشْرِف ، والفَرَعة والفَرْعة بفتح الراء وتسكينها : أعلى الجبل وجمعها فِرَاع ، يقال : ائْتِ فَرَعةً من فِرَاع الجبل فانزلها ، ومنه قيل : جَبَل فارع ، ونَقًى فارع إذا كان أطول مما يليه ، وبه سميت المرأة فارعة ؛ ويقال : انزل بفارعة الوادى واحذر أسفله . وتِلَاعٌ فَوارعُ ، أى مُشْرِفات المَسَايِل . وقال أبو نصر : يقال : فَرَع فلان قومَه إذا علاهم بشرف أو جمال أو غيره ، ولَقِيَه فَفَرَع رأسَه بالعصا يريد : علاه . وقال أبو زيد : يقال : تَفَرَّع فلان القومَ إذا ركبهم وشتمهم . وقال غيره : تَفَرَّعت الشىء : عَلَوْته . وقال أبو نصر : فَرَع إذا علا ، وفَرَّع وأَفْرَع إذا انحدر ، قال الشمّاخ :

فإن كَرِهْتَ هِجائى فاجْتَنِبْ سَخَطِى لا يُدْرِكَنَّك إفْـرَاعى وتَصْعِيدِى

وأصابته دَبَرَةٌ على فُرُوع كتفيه يريد : على أعاليهما ؛ ويقال : فَرَعْتُ بين القوم ، أى حَجَزْت ، وافْرَعْ بينهما ، أى احْجُزْ ، وفَرَعْتُ فرسى أَفْرَعُه ، أى قَدَعْته [(١)] ، قال الشاعر :

* نَفْرَعُه فَرْعًا ولسْنَا نَعْتِلُهْ [(٢)] *

(١) قدعته : كبحته .

(٢) صدر هذا البيت :

* بمفرع الكتفين حر عيطله *

وقائله أبو النجم كما فى اللسان ج ١٠ ص ١٢١ .

وأَفْرَعَت المرأةُ إذا حاضت ، ومنه قول الأعشى :

صَدَدْتَ عن الأعداء يَوْمَ عُبَاعِبٍ(١) صُدُودَ المَذَاكِى(٢) أَفْرَعَتْها المَسَاحِلِ

والمَسَاحِل : اللُّجُم ، واحدها مِسْحَل ، يعنى أن المَسَاحل أَدْمَتْها كما أَفْرَع الحيضُ المرأةَ بالدم ، وافترعْت المرأةَ : افتضضْتُها ، والفَرَعُ : ذِبْحٌ كان فى الجاهلية ، وهو أول النِّتاج ، كان إذا نُتِجَت الناقةُ فى أوّل نتاجها ذُبح ، يتبرّكون به . قال أوس بن حجر :

وشُبِّهَ الْهَيْدَب(٣) العَبَامُ(٤) من الـ أَقْوامِ سَقْبًا مُجَلَّلاً(٥) فَرَعا

قال أبو عمرو : الفَرَعُ : القِسْم أيضا . وقد أَفْرَع القومُ أيضا إذا نُتِجَت إبلُهُم . وقال أبو نصر : يقال : بِئْس ما أَفْرَعْتَ به ، أى بئس ما ابتدأت به ، والفَرْع من القِسِىّ : ماكان من طَرَف القَضِيب . والفَرَعة : القَمْلة العظيمة ، ومنه قيل : حَسَّان ابن الفُرَيْعة . وقوله : متُمَاحِل الأكناف ، المتَمَاحِل : الطويل . والأكناف : النَّواحى ، يريد أنه طويل العُنُق والقوائم ، وذلك مدح . والماثل : القائم المنتصب ، والماثل : اللاطىء بالأرض وهو من الأضداد ، ويقال : رأيت شخصا ثُمَّ مَثَلَ ، أى ذهب فلم أره ، قال الهذلىّ (٦) :

يُقَرِّبه النَّهْضُ النَّجِيحُ(٧) لِمَا يَرَى فمِنْه بُدُوٌّ مَرَّةً ومُثُولُ

بُدُوٌّ : ظهور ، ومُثُول : ذهاب . والطِّرَاف : بيت من أَدَم . والذَّيَّال : الطويل الذَّنَب ، قال النابغة الذبيانى :

وكُلّ مُدَجَّج كاللَّيْثِ يَسْمُو على أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

---

(١) عباعب : اسم موضع .

(٢) المذاكى : الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ الواحد مذك مثل المخلف من الابل كذا فى اللسان .

(٣) الهيدب من الرجال : الجافى الثقيل الكثير الشعر .

(٤) العبام : العيى الثقيل .

(٥) مجللا : أراد مجللا جلد فرع فاختصر الكلام كقوله تعالى : «واسأل القرية» ؛ أى أهل القرية كذا فى اللسان .

(٦) هو أبو خراش الهذلى كما فى اللسان ج ١٤ ص ١٣٦ .

(٧) النجيح : السريع المجد .

والأوصال واحدها وُصْل(١) ، قال ذو الرمة :

إذا ابْنَ أَبِى مُوسَى بِلالاً بَلَغْتِه فَقَام بفأْس بَيْنَ وُصْلَيْك جازر

وأَشَمُّ : مرتفع ، والشَّمَم : الارتفاع . والقَذَال : مَعْقِد العِذَار . والمُغَار : الشديد الفَتْل ، يريد أنه شديد البدن ، والعرب تقول : أَغَرْتُ الحَبْل إذا شَدَدْت فَتْله ، قال امرؤُ القيس :

[فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كأَنَّ نُجومَه بكُلِّ مُغَارِ الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُل (٢)

[مطلب الكلام على مادة غ و ر]

وغارَ الرجلُ يَغُور غَوْرًا إذا أَتى الغَوْر ، وزاد اللحيانى : وأغار أيضا ، وأنشد بيت الأعشى :

نَبِيٌّ يَرَى مالا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِى فى البلاد وأَنْجَدا

فهذا على ما قال اللحيانى . وكان الكسائى يقول : هو من الإغارة ، وهى السرعة . وكان الأصمعى يقول : أغار ، ليس هو من الغَوْر إنما هو بمعنى عَدَا ، وقال اللحيانى : يقال للفرس : إنه لَمِغْوار ، أَى شديد العدو والجمع مَغَاوِيرُ ، والتفسير الأَوّل الوجه لأَنه قال : وأَنْجَدا ، فإنما أَراد أَتَى الغور وأَتَى نَجْدًا ، والغَوْرُ : تِهَامَة . وغار الماءُ يَغُور غَوْرًا ، قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أَى غائرا ، وزاد أبو نصر : غُئُورا ، وغارَتْ عَيْنه تَغُور غُئُورا ، وغارت الشمس تَغور غُئُورا أَيضا ، والغَوْرُ : الاسم ، يقول : سَقَطَتْ فى الغَوْر ، يعنى : الشمس . وغارَ فلان على أَهله يَغَار غَيْرة ، ورجل غَيُور من قَوْم غُيُرٍ ، وامرأة غَيْرَى من نسوة غَيَارَى ، وقال الأَصمعى : فلان شديدُ الغارِ على أَهله ، أَى شديد الغَيْرة ، وزاد اللحيانى : والغَيْر . وقال أبو نصر : أَغَارَ فلان على بنى فلان يُغِير إغارةً ، وقال اللحيانى : يقال للرجل إنه لَمِغْوار ، أَى شديد الإغارة والجمع مَغَاوِير . وقال أَبو نصر : يقال : غارَهُمْ يَغِيرُهم إذا مَارَهُم ، والغِيارُ المصدر ، قال الهذلىّ :

---

(١) الوصل : كل عظمين يلتقيان .

(٢) يذبل : اسم جبل بنجد فى طريقها .

مَاذَا يُغِيرُ ٱبْنَتَىْ رِبْعٍ عَوِيلُهما[١] لا تَرْقُدَانِ ولا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدا

وقال اللحيانى : غارَهم اللهُ بمطر يَغِيرهم ويَغُورُهم والأسم الغِيرَة ، ويقال : هذه أرض مغيُرةٌ ومَغْيُورة . قال : والغَيْر : التَّغيير ، يقال : مع الغَيْر الغِيَار ، ولا يقال منه فعَلْتُ بالتخفيف ، إنما يقال : غَيَّرْت عليه بالتثقيل ، قال : وأنشدنا أبو شبل :

أقول بالسَّبْت فُوَيْقَ الدَّيْـر إذْ أنا مَغْلُوبٌ قَليـلُ الغَيْر

أراد : التَّغيير . والغَارَان : الجَيْشَان ، يقال : لَقِيَ غارٌ غارًا . وقال أبو عبيدة : الغارُ : الجمع الكثير من الناس ، قال : ويروى عن الأَحْنَف أنه قال فى ٱنصراف الزبير[٢] : وما أَصْنَعُ به إن كان جمع بين غارَيْن من الناس ثم تَرَكهم وذَهَب ! .

قال أبو على : فقول الأحنف : من الناس ، يدل على أن الغار يكون الجَمْعَ من غير الناس . وقال أبو النصر : الغارَان : البَطْن والفَرْج ، يقال : المرء يَسْعَى لِغَارَيْهِ ، أى لبطنه وفرجه ، وقال أبو عبيدة : يقال لِفَم الإنسان وفَرْجه : الغاران. وقال أبو نصر : الغارُ كالكَهْف فى الجبل ، ويقال : « عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسا[٣] » وهو تصغير غار ، يريد : عَسَى أن يكون جاء البَأْسُ من الغار ، وقال اللحيانى : يقال : غُرْتُ فى الغَار والغَوْر أَغُور غَوْرًا وغُئُورا ، وأَغَرْت أيضا فيهما جميعا .

قال أبو على : قوله غُئُورًا : نادر شاذ . والغَارُ : شجرة طيبة الريح ، قال عدىّ ابن زيد :

رُبَّ نارٍ بتُّ أَرْمُقُهـــا تَقْضِمُ الهِنْدِىَّ والغارا

وقال الأصمعى : يقال : غار النهار إذا ٱشتد حرُّه ، وغَوَّر القومُ تَغْوِيرًا إذا قَالُوا ، من القائلة ، والغائرة : القائلة ، وقال اللحيانى : غَوَّرَ الماءُ تَغْوِيرًا إذا ذَهَب فى العيون ،

---

(١) قائله عبد مناف بن ربعى الهذلى ، يريد أنه لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثاره شيئا (أنظر اللسان مادة غير) .

(٢) أى فى وقعة الجمل كما فى اللسان ا هـ .

(٣) قال الأصمعى : أصله انه كان غار فيه ناس فانهار عليهم أو أتاهم فيه عدو فقتلوهم فيه ؛ فصار مثلا لكل ما يخاف منه الشر ، وقيل ان الغوير اسم ماء بناحية السماوة . قالته الزباء لما رأت قصيرا الذى جاء يأخذ بثأر جذيمة الأبرش عن طريق الغوير .

ويقال : غِرْت فلانا من أخيه أغِيرُه غَيْرًا ، وقال أبو عبيدة : غارَنى الرجلُ يَغِيرُنى ويَغُورنى إذا وَدَاك ، من الدِّيَة ، والأسم الغِيرَة وجمعُها غِيَرٌ ، أى أعطيته [1] الدِّيَة . وقال أبو نصر : أغَارَ الرجلُ إغارةَ الثعلب إذا أسرع ودَفَع فى عَدْوِه ، وأنشد لبشر :

فعَدِّ [2] طِلَابَها وتَعَدَّ عنهـا بحَرْفٍ قد تُغِيرُ إذا تَبُوع [3]

وقال خالد بن كلثوم : غارَيْت وعادَيْت بين آثنين ، أى والَيْت ، ومنه قول كثير :

إذا قلت أسلو غارت العين بالبكا غِرَاءً ومَدَّتْها مَدامِعُ حُفَّـــل

قال : معنى غارَتْ فاعَلَتْ من الوِلاء ، وقال أبو عبيدة : هى فاعَلَتْ من غَرِيتُ بالشىء أغْرَى به . ومَحْبُوك : مُوثَقٌ مشدود ، يقال : حَبَكْت الشىء إذا شَدَدته ، فهو مَحْبُوك وحَبِيك ، ويقال : جاد ماحُبِك هذا الثوبُ ، أى نُسِج ، قال الهذلى [4] :

فرَمَيْتُ فَوْقَ مُلاءةٍ مَحْبُوكةٍ وأبَنْتُ للأَشْهـاد حَزَّةَ أَدَّعِى

يقول : أبنت لهم قولى خُذْها وأنا آبن فلان ! وحَزَّةَ ، يعنى ساعة أدَّعِى . ومنه قولهم : آحْتَبَكَ بإزاره أى آحْتَزَم به . ومُحَمْلَج : مفتول . والقَهْقَر : الحَجَر الصُّلْب . والأدْعَج :الأسْود ، قال الأصمعى : يقال : رجُل أدْعَج ، أى أسْود ، وليل أدْعج ، والدَّعَج : شِدّة سواد الحَدَقة .

[مطلب حديث البنين السبعة الذين هوت عليهم الصخرة وما قاله فيهم أبوهم من الشعر وشرح غريبه]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال أخبرنى يونس قال : كان لرجل من بنى ضَبَّة فى الجاهلية بَنُون سبعة ، فخرجوا بأكْلُب لهم

---

(1) لعل هذا التفسير مؤخر من الناسخ وحقه التقديم قبل قوله وقال أبو عبيدة .

(2) ويروى : *فدع هندا وسَلِ النفس عنها* (أنظر اللسان مادة بوع)

(3) تبوع من باع الفرس فى جريه ، أى أبعد الخطو .

(4) قائله ساعدة بن العجلان الهذلى يرثى أخاه مسعودا وهو من قصيدة مطلعها :

لمـا سمعت دعـاء ضمرة فيهم وذكرت مسعودا تبـادر أدمعى

وقبـله

يازميـة ما قـد رميت مرشـة وطاة ثم عبـات لابن الأجـدع

(أنظر ص ٧٦ من أشعار الهذليين طبع لندن سنة ١٨٥٤ م) .

يقتنصون ، فأَوَوْا إلى غار فَهَوَتْ عليهم صَخْرة فأَتت عليهم جميعهم ، فلما آستراثَ أَبوهم أَخبارَهم آقْتَفَرَ آثارَهم حتى آنتهى إلى الغار فآنقطع عنه الأَثر ، فأَيْقَنَ بالشر ، فرجع وأنشأَ يقول :

أَسَبْعَة أَطوادٍ أَسَبْعَة أَبْحُـر ... أَسَبْعَة آسادٍ أَسَبْعَة أَنْجُم

رُزِئْتُهُمُ فى ساعةٍ جَرَّعَتْهُمُ ... كُئُوس المَنايا تحت صَخْرٍ مُرَضَّم

فَمَنْ تَكُ أَيامُ الزمانِ حَميدةً ... لَدَيْهِ فإِنّى قد تَعَرَّقْنَ أَعْظُمى

بَلَغْن نَسِيسِى وآرْتَشَفْنَ بُلالَتى ... وصَلَّيْنَنى جَمْرَ الأَسَى المُتَضَرِّم

أَحِينَ رَمانى بالثمانين مَنْكِبٌ ... من الدَّهْرِ مُنْحٍ فى فؤادى بأَسْهُم

رُزِئْتُ بأَعضادى الذين بأَيْدِهم ... أَنُوءُ وأَحْمِى حَوْزَتىَّ وأَحْتَمِى

فإن لم تَذُبْ نفسى عليهم صَبابةً ... فَسَوْفَ أَشُوبُ دَمْعها بعدُ بالدَّم

ثم لم يَلْبَثْ بعدهم إلا يسيرا حتى مات كَمَدًا .

قال أَبو على : آقْتَفَرَ : آتَّبع ، يقال : قَفَرْت الأَثر وآقْتَفَرْته إذا آتَّبَعْته . ومُرَضَّم : مُنَضَّد بعضه على بعض ، قال الأَصمعى : يقال : بَنَى فلان دارا فَرَضَم فيها الحجارةَ رَضْمًا وذلك إذا نَضَدَ الحجارة بعضَها على بعض ، ومنه قيل : رَضَمَ البعيرُ بنفسه إذا رمى بها فلم يتحرَّك . وتَعَرَّقْن : أَخذن ما عليه من اللحم ، يقال : عَرَقْت العَظْم وتَعَرَّقْته إذا أَخذت ما عليه من اللحم . والنَّسِيس : بَقِيَّة النفْس ، قال الشاعر (١) : * فقد أَوْدَى إذا بلَغ النَّسِيسُ *

وآرْتَشَفْن : آمْتَصَصْن . والبُلالة : الرُّطُوبة .

وحدّثنا أَبو بكر رحمه الله تعالى قال حدّثنى أَبو عثمان الأَشناندانى قال حدّثنى التوزي عن أَبى عبيدة قال : لما مات حُصَين بن الحُمَام سمعوا صارخا يصيح من جبل ويقول :

---

(١) هو أبو زبيد الطائى يصف أسدا كما فى اللسان ج ٨ ص ١١٦ .

أَلَاذَهَبَ الحُلْو الحَلَال الحُلَاحِلُ(١) ومَنْ عَقْدُه حَزْمٌ وعَزْمٌ ونائــل

ومَنْ قوله فَصْلٌ إذا القومُ أُفْحموا تُصِيبُ مَرَادِى(٢) قَوْلِهِ ما يُحاوِل

فلما سَمِعه مُعَيَّة أخوه قال : هَلَكَ والله حُصَيْن وأنشأ يقول :

نَعَيْت حَيَا الأَضْيافِ فى كُلِّ شَتْوةٍ ومِدْرَهَ حَرْبٍ إذ تُخاف الزَّلازل

ومَنْ لايُنَادِى بالهَضِيمة جاره إذا أَسْلَمَ الجارَ الأَلَفُّ(٣) المُوَاكِل

فَمَنْ وبِمَنْ نَسْتَدْفِع الضَّيْمَ بعدَه وقد صَمَّمَتْ فينا الخُطُوبُ النوازل

وحدّثنا أَبوبكر رحمه الله قال أخبرنا عبدالرحمن وأَبوحاتم والأَشنانداني والرياشي قالوا كلهم : سمعنا الأَصمعي يقول : كنت بالبادية فرأَيت امرأَة عند قبر وهى تبكى وتقول :

فَمَنْ للسُّؤالِ ومَنْ للنَّوال ومَنْ للمَقال ومن للخُطَبْ

ومن للحُمَاة ومن للكُمَاة إذا ما الكُمَاةُ جَثَوْا للرُّكَب

إذا قيل مات أَبو مالك فَتَى المَكْرُمات قَرِيعُ العَرَب

فقد مات عِزٌّ بنى آدم وقد ظَهَرَ النُّكْدُ بعد الطَّرَب

قال : فَمِلْت إليها فقلت لها : من هذا الذي مات هؤلاء الخلقُ كلهم بموته ؟ فقالت : أَوَ ما تعرفه ؟ قلت : اللهم لا ، فأَقبلت ودمعتها تَنْحَدِر وإذا هى مَقَّاء بَرْشاء(٤) ثَرْماء ، فقالت : فدَيْتُك ! هذا أَبو مالك الحَجَّام خَتَنُ أَبى منصور الحائك ! فقلت : عليك لعنةُ الله ! والله ما ظننت إلَّا أَنه سيد من سادات العرب .

---

(١) الحلاحل بالضم : السيد فى عشـــيرته : الشجاع الرزين فى مجلسه ، ولا يقال للنساء وليس له فعل .

(٢) مرادى قوله : مراميها وغايتها . (٣) الألف : الثقيل البطىء .

(٤) سقط تفسير البرشاء ؛ وهى : مؤنث الأبرش من البرش ، وهو لون مختلط بياضا وحمرة أو غيرهما من الألوان ، كذا فى اللسان .

قال أبو على : قَرِيعُ الشول : فَحْلُها ، والقَرِيعُ : الفحلُ من الرجال الشجاعُ . والمَقَّاء : الطويلة ، والأَمَقُّ : الطويل ، والمَقَقُ : الطُّول . والثَّرْماء : التى قد سَقَطَتْ ثَنِيَّتاها .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنا عبدالرحمن عن عمه لأعرابى :

يَقَرُّ بِعَيْنِى أن أَرَى مَنْ مكانُهُ ذُرَى عَقِداتِ الأَبْرَقِ المُتَقاوِدِ(١)

وأَنْ أَرِدَ المـاءَ ، الذى شَرِبَتْ به سُلَيْمَى وقد مَلَّ السُّرَى كل واخِدِ(٢)

وأُلْصِقَ أَحشائى بِبَرْدِ تُـرابِهِ وإن كان مخلوطا بِسُمِّ الأَساوِدِ(٣)

قال : وأنشدنى عبد الرحمن عن عمه :

أُمِسُّ العَيْنَ ما مَسَّتْ يَداها لَعَلَّ العَينَ تَبْرأُ مِن قَذَاها

يقول الناسُ ذُو رَمَدٍ مُعَنًّى(٤) وما بالعَيْنِ من رَمَدٍ سواها

قال : وأنشدنا أبو بكر ولم يسمِّ قائلَه ولا عَزَاه إلى أحد :

آلَ لَيْلَى إنَّ ضَيْفَكُمُ ضائعٌ فى الحَىِّ مُذْ نَزَلا

أَمْكِنُوه من ثَنِيَّتهـــا لم يُرِدْ خَمْرًا ولا عَسَلا

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنا أبو حاتم عن أبى زيد :

إن كان غَرَّكَ إطراقى أبا حَسَنٍ فالسَّيْفُ يُطْرِق حِينًا قبل هِزَّتِهِ

والحَيَّةُ الصِّلُّ(٥) لا تَغْرُرْكَ هَدْأَته فكم سَلِيمٍ ومَوْقُوذٍ(٦) لنَكْزَته(٧)

---

(١) يقر بعينى ؛ قال الاصمعى : قرت عينه من القر وهو البرد ؛ أى جمدت فلم تدمع . وقائل هذه الأبيات نبهان بن عكى العبشمي كما فى الكامل للمبرد ص ٣١ طبع أوربا ، وقد نقلنا عنه تفسير الكلمات التى شرحها فى هذه الأبيات ، الذرى جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه . والعقدات : هى ما انعقد وصلب من الرمل ؛ الواحدة عقدة . والأبرق : حجارة يخلطها رمل وطين . والمتقاود : المنقاد المستقيم .

(٢) واخد من الوخد والوخدان وهو السير الشديد . وروى : كل واحد ، وهو المنفرد فى السير المتوحد به . وروى : كل واجد ، أى عاشق .

(٣) الأساود : الحيات .

(٤) معنى : أسير .

(٥) الصل : الحية التى تقتل اذا نهشت من ساعتها .

(٦) الموقوذ : الشديد المرض المشرف على الموت .

(٧) النكز : من نكزته الحية ؛ أي لسعته بأنفها ؛ فاذا عضته بأنيابها قيل : نشطته . كذا في اللسان .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى
وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابى (١) :

يامُرَّ يا خَيْرَ أخٍ نازَعْتُ دَرَّ الحَلَمَـــهْ
يا خَيْرَ مَنْ أوْقَـدَ للْـ أضياف نـارًا جَحِمَـه (٢)
يا جالب الخَيْل إلى الـــخَيْلِ تَعَـادَى أَضِمَـه
يا قائـد الخَيْـل ومُجْـتابَ الدِّلاص الدَّرِمـه (٣)
سَيْفُكَ لا يَشْقَى به إلَّا العسيـر السَّنِمه
جاد على قـبرك غَيْـــثٌ من سَمَاء رَزِمـه
يُنْبِتُ نَـوْرًا أرِجًـــا جَرْجـارُهُ (٤) واليَنَمـه (٥)

قال أبو على : الحَلَمة : طَرَف الثَّدْى . والدَّرِمة : اللَّيِّنة التى لا حَجْم لها ، وأضِمة : غَضَابَى يقال : أضِم عليه أَضَما ، أى غَضِب عليه ، قال الأخطل :

أَضِمًا وهَزَّ لَهُنَّ رُمْحى رأسه أنْ قد أُتيح لَهُنَّ مَوْتٌ أحْمَـر

وضَمِدَ عليه يَضْمَد ضَمَدا إذا هاج وغضب ، قال النابغة :

ومن عَصَاك فَعَاقِبْهُ مُعاقَبةً تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَد

وحَرِب حَرَبا إذا هاج وغَضب ، وحَرَّبْته أنا فهو مُحَرَّب ، قال الهذلى :

كأَنَّ مُحَرَّبا من أُسْدِ تَرْجٍ (٦) يُنَازِلُهُمْ لنابَيْـــه قَبِيبُ (٧)

وأَضِمَ وأتَضَم ، قال الشاعر :

ومُؤْتَضِمٍ عَلَىَّ لأنَّ جَدِّى يَبُذُّ جـدوده المُتَقَدِّمينا

---

(١) هذه الأبيات لامرأة ترثى أخاها كما فى لسان العرب .
(٢) جمحة : متقدة .
(٣) مجتاب الدلاص الدرمة : لابس الدروع الملساء .
(٤) الجرجار : نبت طيب الرائحة . (٥) الينمة : عشبة طيبة .
(٦) الترج : موضع تنسب اليه الأسود .
(٧) القبيب ، من قب الأسد : اذا سمعت قعقعة أنيابه .

ويقال : أَغَدَّ عليه إِغْدادا ، وأَصله من غُدَّةِ البعير فهو مُغِدٌّ واْسْمَغَدَّ فهو مُسْمَغِدٌّ إذا انْتَفَخ من الغَضَب ووَرِم ، وضَرِم عليه ضَرَمًا وأَصله من اضْطِرام النار ، واْحْتَدَم عليه إذا تحرَّق عليه وأَصله من احْتِدام الحَرِّ ، وأَسِفَ عليه يأْسَف قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنهُمْ ﴾ . وعَبِد عليه يَعْبَدُ وحَشِم عليه يَحْشَم حَشَما ، وهؤلاء حَشَمُ فلان للذين يَغْضَب لهم ، وأَحْشَمْته أنا وحَشَمْته . وحكى الأَصمعى : إنَّ ذلك لَمِمَّا يُحْشِم بنى فلان ، أى يغضبهم ، وكَتَّ يَكِتُّ وأَصله من كَتِيتِ القِدْرِ ، قال رؤبة :

وطامِح النَّخْوةِ مُسْتَكِتِّ ... طَأْطأَ مِنْ شَيْطانِه التَّعَتِّى (١)

صَكِّى (٢) عَرانِينَ (٣) العِدَى وصَتِّى

ومعِضَ يَمْعَض مَعْضًا ، قال رؤبة :

وقد تَرَى ذا حاجةٍ مُؤْتَضَّا (٤) ... ذا مَعَضٍ لولا يَرُدُّ المَعْضا

قال أبو عمرو : وازْمَهَرَّ ازْمِهْرارا إذا غضب ، وأنشد :

أَبْصَرْتَ ثَمَّ جامعًا قد هَرَّا ... ونَشَرَ الجَعْبَـــة وازْمَهَرَّا

وكان مِثْلَ النـــار أو أَحَـــرَّا

ويقال : قد قَرْطَب إذا غَضِب فهو مُقَرْطِب ، وأنشد :

إذا رآنى قد أَتَيْتُ قَرْطَبـــا ... وجَالَ فى جِحاشِهِ وطَرْطَبا (٥)

ويقال : اصْطَخَمَ ، قال ذو الرمة :

ظَلَّتْ ثِقالاً (٦) وظَلَّ الجَوبُ مُصْطَخِما ... كأنَّه بتناهى الرَّوْضِ مَحْجُوم

---

(١) التعتى : العتو .

(٢) الصك والصت : الضرب ؛ يقال : صته صتا اذا ضربه بيده .

(٣) العرانين : الأنوف .

(٤) أى مضطرا ملجأ من أضتنى اليك الحاجة تؤضنى أضا : ألجأتنى اليك .

(٥) الطرطبة : دعاء الحمر .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى ديوان ذى الرمة :

ظلت تفالى فظل الجأب مكتئبا ❋ كأنه من سرار الروض محجوم

وفى اللسان :

ظلت تفالى وظل الجون مصطخما ❋ كأنه عن سرار الأرض محجوم

وتفالت الحمر : احتكت كان بعضها يفلى بعضا ؛ الجأب : الغليظ من حمر الوحش . سرار الروض : أوسطه وأكرمه . محجوم : ممنوع .

ورَزِمة : مُصَوِّتة .

قال أبو على : ومما اخترته وقرأته على أبى بكر بن دريد :

قَوْمٌ إذا اشْتَجَرَ القَنَـــا جَعَلُوا القلوبَ لها مَسَالِك

اللابِسِيـــن قلوبَهـــم فَوْقَ الدُّرُوعِ لدَفْعِ ذلك

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الرياشى عن ابن سلام عن غُرَيْر بن طلحة بن عبد الله عن عمه هند بن عبد الله قال : بينا أنا مع أبى بسوق المدينة إذ أقبل كُثَيِّر ، فلما رأى أبى عَدَل إليه وتحدّث معه ساعة ، فقال له أبى : هل قلتَ بعدي شيئا يا أبا صَخْر ؟ قال هند : فأقبل علىّ وقال : احفظ هذه الأبيات ، وأنشدنى :

وكُنَّا سَلَكْنا فى صَعُود من الهوى فلما تَوَافَيْنـــا ثَبَتُّ وزَلَّـــتِ

وكنا عَقَدْنا عُقْدَةَ الوصل بيننا فلما تَوَاثَقْنا شَدَدْتُ وحَلَّـــت

فواعَجَبـــا للقَلْب كيف اعْتِرافُه وللنفس لمَّا وُطِّنَتْ كيف ذَلَّت

وللعَيْنِ أسرابٌ إذا ما ذكَرْتُها وللقلبِ وَسواسٌ إذا العَيْن مَلَّتِ

وإنِّى وتَهْيَـــامِى بعَـــزَّةَ بعـــد ما تَخَلَّيْتُ ممـــا بيننـــا وتَخَلَّت

لَكَالْمُرْتَجِى ظِـــلَّ الغَمامة كُلَّما تَبَوَّأَ منها للمَقِيل اضْمَحَلَّتِ

فإن سَأَل الواشون : فِيم هَجَرْتَها فَقُلْ : نفس حُرٍّ سُلِّيَتْ فَتَسَلَّت

[مطلب حديث الغلام الذى اسماه أهله حريقيصا وما وقع له مع الأصمعى وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمّه قال : بَيْنَا أنا بِحِمَى ضَرِيَّةَ إذ وقف علىّ غلام من بنى أَسَد فى أطمارٍ ماظننته يجمع بين كَلِمَتَيْن ، فقلت : ما اسمك ؟ فقال : حُرَيْقيص ، فقلت ، أما كَفَى أَهْلَكَ أن يُسَمُّوك حُرْقُوصا(١) حتى حَقَّروا اسمَك ! فقال : إنَّ السِّقْطَ ليُحْرِق الحَرَجة ، فعجبت من جوابه ، فقلت : أَتُنْشِد شيئا من أشعار قومك ؟ قال : نعم أُنشدك لمَرَّارنا ، قلت : افعل ، فقال :

---

(١) الحرقوص : اسم دويبة كالبرغوث ، أو كالقراد .

سَكَنُوا شُبَيْثًا والأَحَصّ(١) وأَصبحوا نَزَلَتْ منازِلَهُم بَنُو ذُبْيَانِ
وإذا يقال أُتيتُمُ لم يَبْرَحُوا حتّى تُقيمَ الخيلُ سُوقَ طِعَانِ
وإذا فلانٌ مات عن أُكْرُومةٍ رَقَعُوا مَعَاوِزَ فَقْدِه بفلانِ

قال : فكادت الأَرض تَسُوخ بِى لحُسنِ إنشاده وجَوْدة الشعر ، فأَنشدت الرشيد هذه الأَبيات ، فقال : وَدِدْتُ يا أَصمعىّ أَن لو رأَيتُ هذا الغلام فكنت أُبَلِّغه أَعلى المراتب .

قال أَبو على : السّقْط :ما يَسْقُط من الزَّنْد إذا قُدِح . وقال أَبو عبيدة : فى سقْط النار وسقْط الوَلَد وسقْط الرَّمْل ثلاث لغات : الضمّ والفتح والكسر ، وزِنَادُ العرب من خشب ، وأَكثر مايكون من المَرْخ والعَفَار ، ولذلك قال الأَعشى :

زِنَادُكَ خَيْرُ زنادِ المُلُو كِ صادَفَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَفَارا

وإنما يؤخذ عُودٌ قدر شبر فيُثْقَب فى وَسَطه ثَقْبٌ لاينفذ ويؤخذ عود آخر قدر ذراع فيُحَدّد طَرَفه فيُجعل ذلك المُحَدَّد فى ذلك الثَّقْب وقد وضعه رجل بين رجليه فيُدِيره ويفتِله فيُورى نارا ، فالأَعْلَى زَنْد ، والأَسْفَل زَنْدة . والحَرَجة : الشجر الكثير المُلْتَفّ وجمعه حِرَاج وأَحْرَاج ، قال العَجّاج :

عايَنَ حَيًّا كالحِرَاج نَعَمُهْ يكون أَقْصَى شَلِّهِ مُحْرَنْجَمُهْ

يقول : عايَنَ هذا الجيشُ الذى أَتانا حَيًّا ، ويعنى بالحىِّ : قومَه بنى سَعْد . والنَّعَمُ : الإبل . وأَقْصَى : أَبعد ، وشَلُّه : طرده . ومُحْرَنْجَمُه : مَبْرَكُه حيث يجتمع بعضه إلى بعض . والمعنى أَن الناس إذا فُوجِئوا بالغارة طَرَدوا إبلَهم وقاموا هم يقاتلون ، فإن انهزموا كانوا قد نَجَوْا بها ، يقول : فهؤلاء من عِزِّهم ومَنَعَتِهم لا يَطْرُدونها ، ولكن يكون أَقصى طردهم أَن يُنِيخوها فى مَبْرَكها ثم يقاتلوا عنها . والمَعَاوِز : الثياب الخُلْقان .

[مطلب حديث حضرمى بن عامر مع ابن عمه وشرح غريب شعره]

وحدّثنا أَبو بكر بن دريد قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عَبّاد عن

(١) شبيث والأحص : اسما موضعين بنجد .

العباس بن هشام عن أَبيه قال : كان حَضْرَمِىٌّ بن عامر عاشِرَ عشرةٍ من إِخوته فماتوا فَوَرِثهم ، فقال ٱبن عمّ له يقال له جَزْء : مَنْ مِثْلُك ، مات إخوتُك فَورِثْتَهم فأَصبحتَ ناعِمًا جَذِلا ! فقال حضرمىّ :

يَزْعُم جَزْءٌ ولم يَقُــلْ سَدَدًا أَنِّى تَرَوّحْتُ ناعِمًــا جَــذِلا
إن كُنْتَ أَزْنَنْتَنِى بها كَذِبًا جَزْءُ فلاقَيْتَ مِثْلها عَجِــلا
أَفْرَحُ أَنْ أَرْزَأَ الكرامَ وأَن أُورَثَ ذَوْدًا شَصائِصًا نَبَــلا
كم كان فى إِخْوَتِى إذا ٱحْتَضَ ٱلْـ أَقْوَامُ تَحْتَ العَجَاجة(١) الأَسَلا(٢)
مِنْ واجِدٍ ماجِدٍ أَخى ثِقَــةٍ يُعْطِى جَزِيلاً ويَضْرِبُ البَطَلا
إن جِئْتَه خائفا أَمِنْتَ وإن قال سَأَحْبُــوك نائِلاً فَعَلا

فجلس جَزْءٌ على شَفِير بئر وكان له تسعة إِخْوةٍ فانْخَسَفَتْ بإخوته ونَجَا هو ، فبلغ ذلك حَضْرَمِيًّا فقال : إِنَّا لله وإنا إليه راجعون ، كلمةٌ وافَقَتْ قَدَرًا وأَبْقَتْ حِقْدا .

قال أَبو على : الشَّصَائص : التى لا أَلبان لها ، واحدتها شَصُوص ، قال الأَصمعى : يقال : أَشَصَّتْ فهى شَصُوص وهو على غير القياس ، وقال الكسائى : شَصَّتْ . والنَّبَل : الصِّغار هاهنا ، والنَّبَل : الكبار ، وهو من الأَضداد . والواجد : الغَنِىُّ الذى يَجِد .

وأَنشدنا أَبو بكر قال أَنشدنا أَبو حاتم عن الأَصمعى ليزيد بن الحكم الثقفىّ :

تُكاشِرُنى كُرْهًا كأَنَّك ناصِــحٌ وعَيْنُكَ تُبْدِى أَنَّ صَدْرَك لى دَوِى
لِسَانُكَ ماذِىٌّ وغَيْبُــكَ عَلْقَمٌ وشَرُّك مَبْسُوطٌ وخَيْرُك مُنْطَوِى
فَلَيْتَ كَفَافًا كان خَيْرُك كُلُّه وشَرُّك عَنِّى ما ٱرْتَوَى الماءَ مُرْتَوِى
عَدُوُّك(٣) يَخْشَى صَوْلَتِى إنْ لَقِيتَه وأَنت عَدُوِّى ليس ذاك بِمُسْتَوِى

---

(١) العجاجة : الغبار .

(٢) الأسل : الرماح .

(٣) روى هذا البيت فى حماسة البحترى هكذا :

تـــود عدوى ثم تزعم أننى صديقك ليس الفعل منك بمستوى

تُصَافِحُ من لاقَيْتَ لى ذا عداوة صِفَاحًا وعَنِّى بين عَيْنَيْك مُنْزَوِى
أَرَاك إذا لم أَهْوَ أَمْرًا هَوِيتَه ولَسْتَ لما أَهْوَى من الأَمْرِ بالهَوِى
أَرَاك ٱجْتَوَيْتَ الخَيْرَ مِنِّى وأَجْتَوِى أَذَاك فكُلٌّ يَجْتَوِى قُرْبَ مُجْتَوِى
وكم مَوْطِنٍ لَوْلَاىَ طِحْتَ كماهَوَى بِأَجرامِهِ منْ قُلَّةِ النِّيقِ(١) مُنْهَوِى
إذاما ٱبْتَنَى المَجْدَ ٱبنُ عَمِّكَ لم تُعِنْ وقُلْتَ أَلا ياليْتَ بُنْيَانَه خَوِى
فإنَّك إنْ قيل ٱبنُ عَمِّكَ غانمٌ شَجٍ أَو عَمِيدٌ أَو أخو مَغْلَةٍ لَوِى
تَمَلَّأْتَ من غَيْظٍ عَلَىَّ فلم يَزَلْ بك الغيظُ حتى كِدْتَ بالغيظ تَنْشَوِى
وما بَرِحَتْ نفسٌ حَسُودٌ حسبتها تُذِيبُكَ حَتَّى قيل هل أَنْتَ مُكْتَوِى
وقال النِّطَاسِيُّون إنَّكَ مُشْعَرٌ سُلالاً أَلا بل أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ ذَوِى
جَمَعْتَ وفُحْشًا غِيبةً ونَمِيمةً خِصالاً ثلاثًا لَسْتَ عنها بِمُرْعَوِى
أَفُحْشًا وجُبنًا وٱخْتِتاءً عن النَّدَى كأَنَّك أَفْعَى كُدْيَةٍ(٢) فَرَّ مُحْجَوِى
فَيَدْحُو(٣) بكَ الدَّاحِى إلى كُلِّ سَوْءَةٍ فَياشَرَّ من يَدْحُو بأَطْيَشِ مُدْحَوِى
بَدَا مِنْكَ غِشٌّ طالما قد كَتَمْتَه كما كَتَمَتْ داءَ ٱبْنِها أُمُّ مُدَّوِى

قال أبو على: الاختِتاء: التقبُّض. قال: وقال أبو بكر: مُحْجَوِى: مُنْطَوِى. والمُدَّوِى الذى يأْخُذ الدُّوَاية وهى جلدة رقيقة تركَبُ اللَّبَن، يقال: دَوَّى اللَّبَنُ يُدَوِّى فهو مُدَوٍّ، وأَقْبَلَ الصبيانُ على اللَّبَنِ يَدَّوُونه، أى يأْخذون ما عليه من الجلدة. وجاء غلام من العرب إلى أُمه وعندها أُمُّ خِطْبِه فقال: يا أُمَّاه، أَدَّوِى؟ فقالت: اللِّجَام مُعَلَّق بعَمُود البيت، تُوَرِّى بذلك وتُرِى القوم أنه إنما سأَلها عن اللجام وأنه صاحب خيل وركوب. والمُجْتَوِى: الكاره. والماذِىُّ: العَسَل الأَبيض، ومنه قيل: دِرْعٌ ماذِيَّة.

وأَنشدنا أبو بكر قال: أنشدنا عبد الرحمن عن عمّه:

أُذْكُرْ مَجالِسَ من بَنِى أَسَدٍ بَعُدُوا فَحَنَّ إليهمُ القَلْبُ
الشَّرْقُ مَنْزِلُهُمْ ومَنْزِلُنا غَرْبٌ وأَنَّى الشَّرْقُ والغَرْبُ

---

(١) القلة: أعلى الجبل. النيق: أرفع موضع فى الجبل.

(٢) الكدية: الأرض الغليظة الصلبة. (٣) دحا الحجر بيده؛ أى رمى به ودفعه.

مِنْ كلِّ أَبيضَ جُلُّ زينتِهِ مِسْكٌ أَحَمُّ وصارمٌ عَضْب
ومُدَجَّجٍ يَسْعَى بِشِكَّتِه وعَقِيرةٍ بفِنَائه تَحْبُو

قال أبو على : عَقِيرة : مَعْقورة .

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا الرياشى عن ابن سلام قال : بلغنى أن الأَحْوَص دخل على يزيد بن عبد الملك فقال له يزيد : لولم تَمُتَّ إلينا بحُرْمة ، ولا تَوَسَّلْت بِدَالَّة ، ولاجَدَّدْت لنا مَدْحا ، غير أنك مقتصر على بَيْتَيْك لاسْتَوْجَبْتَ عندنا جَزِيل الصِّلَة ، ثم أنشد يزيد :

وإنِّى لَأَسْتَحْيِيكُمُ أَنْ يَقُودَنى إلى غَيْرِكم من سائر الناس مَطْمَعُ
وأَنْ أَجْتَدِى للنَّفْع غَيْرَك منهمُ وأَنتَ إمامٌ للبَرِيَّةِ مَقْنَع

وقال الرياشى : وإنما قال هذين البيتين فى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر :

إنِّى رأَيْتُكَ كالوَرْقاءِ يُوحِشُها قُرْبُ الأَلِيفِ وتَغْشاه إذا نُحِرا

الوَرْقاء : دُوَيبّة تَنْفِر من الذئب وهو حَىٌّ وتَغْشاه إذا رأت به الدم .

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى وأبو العباس محمد بن يزيد لأبى حَيَّة النُّمَيْرى يزيد بعضُهم على بعض ، وأنشدنا أيضاً أبو بكر ابن دريد ، واللفظ والترتيب على ما أنشدناه أبو عبد الله :

بَدَا يَوْمَ رُحْنا عامِدِينَ لأَرْضِها سَنِيحٌ(١) فقال القوم مَرَّ سَنِيحُ
فهابَ رجالٌ منهمُ وتَقَاعَسُوا فقلتُ لَهُمْ جارِي إلىَّ رَبِيحُ
عُقَابٌ بأَعقابٍ مِنَ الدارِ بَعْدَما جَرَتْ نِيَّةٌ تُسْلِى المُحِبَّ طَرُوح
وقالوا حَمَاماتٌ فَحُمَّ لِقَاؤُها وطَلْحٌ فَزِيرَتْ والمَطِىُّ طَلِيح
وقال صِحابى هُدْهُدٌ فوقَ بانةٍ هُدًى وبَيَانٌ بالنَّجاح يَلُوح
وقالوا دَمٌ دامتْ مَوَاثِيقُ بيننا ودامَ لنا حُلْوُ الصَّفاء صَرِيح

(١) السنيح كالسانح : ما يتبرك به .

لَعَيْنَاكَ يَوْمَ البَيْنِ أَسرعُ واكفا   من الفَنَنِ (١) المَمْطُور وهو مَرُوح (٢)

ونِسْوةٍ شَحْشاحٍ (٣) غَيُورٍ يَخَفْنَهُ   أخى ثِقَةٍ يَلْهُون وهو مُشِيح

يَقُلْن وما يَدْرِين عَنِّى (٤) سَمِعْتُه   وهُنَّ بأَبواب الخِيام جُنُوح

أهذا الذى غَنَّى بسَمْراءَ مَوْهِنًا   أَتاح له حُسْنَ الغِناء مُتِيح

إذا ما تَغَنَّى أَنَّ من بَعْد زَفْرة   كما أَنَّ من حَرِّ السلاحِ جَرِيح

وقائلةٍ يادَهْمُ وَيْحَكَ إنَّه   على غُنَّةٍ فى صَوْته لَمَلِيح

وقائلةٍ أَوْلِينَه البُخْلَ إنَّه   بما شاءَ من زُورِ الكلام فَصِيح

فلو أَن قَوْلاً يَكْلِمُ الجِلْدَ قد بَدَا   بِجِلْدِى مِنْ قول الوُشاة جُرُوح

وحدّثنا الأَخفش قال حدّثنى بعض أَصحابنا قال حدّثنى أَبو عبد الله محمد ابن القاسم بن خَلَّاد البصرى المعروف بأَبى العَيْناء ، قال : أَنشدنا ابن أَبى فَنَنٍ فى مجلس على بن الجَهْم فكُتِبَتْ لى وله :

ولَمَّا أَبَتْ عَيْناى أَن تَكْتُما البُكا   وأَن تَحْبِساسَحَّ الدُّموع السَّواكب

تَثَاءَبْتُ كى لا يُنْكِرَ الدمعَ مُنْكِرٌ   ولكن قليلاً ما بَقاءُ التَّثَاؤُب

أَعَرَّضْتُمانى للهوى ونَمَمْتُما   عَلَىَّ لبِئْسَ الصاحبانِ لصاحب

وأَنشدنا أَبو بكر بن الأَنبارى رحمه الله تعالى قال : أَنشدنا أَحمد بن يحيى النحوى :

يقولون لَيْلَى بالمَغِيب أَمِينةٌ   بَلَى وهو راعٍ عَهْدَها وأَمِينُها

فإن تَكُ لَيْلَى اسْتَوْدَعَتْنى أَمانةً   فلا وأَبى أَعدائها لا أَخونُها

أَأُرْضِى بلَيْلَى الكاشِحِين وأَبْتَغِى   كرامةَ أَعدائى لها وأُهِينُها

مَعاذَةَ وَجْهِ الله أَن أُشْمِتَ العِدَا   بِلَيْلَى وإنْ لم تَجْزِنى ما أَدِينُها

---

(١) الفنن : الغصن .   (٢) مروح : أصابته الريح .

(٣) شحشاح : يقال رجل شحشاح وشحشح : سيء الخلق .

(٤) عنى بمعنى أنى بإبدال الهمزة عينا ؛ ويسمى هذا الابدال عنعنة تميم وقيس .

سأَجْعَلُ عِرْضِى جُنَّةً دون عِرْضِهـــا ودِينِى ، فيَبْقَى عِرْضُ ليلى وَدِينُها

وأنشدنا أبو الحسن جحظة البرمكى قال أنشدنا حمّاد بن إسحاق قال : أنشدنى أبى لنفسه :

لاح بالمَفْرِق مِنْكَ القَتِيرُ(١) وذَوَى غُصْنُ الشَّباب النَّضيرُ

هَزِئت أَسماء مِنِّى وقالت أنتَ يابْنَ المَوْصِلِىِّ كبيرُ

ورأَتْ شَيْبًا عَلانى فأَنَّتْ وٱبنُ سِتِّين بشَيْبٍ جَدِيـــر

إنْ تَرَىْ شَيْبًا علانى فإنِّى مَعَ ذاك الشَّيْب حُلْوٌ مَزِير

قد يُفَلُّ السَّيْفُ وهو جُـــرَازٌ ويَصُول اللَّيْث وهْوَ عَقِير(٢)

قال أَبو على : المَزِيرُ : المُعَظَّم المُكَرَّم ، يقال : مَزَرْتُ الرجلَ إذا عَظَّمته وكَرَّمته ، كذا قال على بن سليمان الأخفش ، وقال النَّضْربن شُمَيل : المَزِير : الظَّرِيف ، وقال لى أبو بكر بن دريد : المَزَارة : الزيادة فى جسم أو عقل ، يقال : مَزُرَ يَمْزُرُ مَزَارةً فهومَزِير. والجُرَاز : الماضى فى الضَّرِيبة ، قال الجَعْدى :

يُصَمِّمُ وهْوَ مَأْثُورٌ جُرَازٌ إذا ٱجْتَمَعَتْ بقائِمِـــهِ اليدَان

وقرأْت على أَبى بكر بن الأَنبارى للأَسود بن يَعْفُر :

وكُنْتُ إذا ما قُرِّب الزادُ مُولَعًا بكُلِّ كُمَيْتٍ جَلْدةٍ لم تُوَسَّفِ

مُدَاخلة الأَقْراب غير ضَئِيلة كُمَيْت كأَنَّها(٣) مَزَادة مُخْلِف

كُمَيْت ، يعنى تَمْرة . وجَلْدة : غليظة اللِّحاء . لم تُوَسَّف : لم تُقَشَّر . وأَقرابها : نَوَاحِيها ، وإنما هو مَثَل ، والقُرُبانِ : الخاصرتان . والضَّئِيلة : الدقيقة . والمُخْلِف : المُسْتَقِى ، يريد كأَنَّها من ٱمتلائها مزادة .

وقرأْت على أَبى بكر بن الأَنبارى قال : قرأْت على أَبى لهُدْبَة بن خَشْرَم :

طَرِبْتَ وأَنتَ أَحْيانًا طَرُوب وكَيْفَ وقد تَعَلَّاكَ المَشِيب

---

(١) القتير : المشيب . (٢) العقير المعقور : الجريح .

(٣) دخل على هـــذه الكلمة «القبض» وهو حذف الخامس الساكن من «مفاعيلن» .

يُجِدُّ النَّأْىُ ذِكْرَك فى فؤادى ... إذا ذَهِلَتْ عن النَّأْىِ القلوب
يُؤَرِّقنى ٱكْتِئابُ أبى نُمَيْرٍ ... فَقَلْبِى من كآبته كئيب
فقلت له هَدَاك الله مَهْلاً ... وخَيْرُ القول ذواللُّبِّ المُصِيب
عَسَى الكَرْبُ الذى أَمْسَيْتَ فيه ... يكون وراءَه فَرَجٌ قريب
فَيَأْمَنَ خائفٌ ويُفَكَّ عانٍ ... ويَأْتِىَ أهلَه النائى الغريب
ألا لَيْتَ الرِّياح مُسَخَّراتٌ ... بحاجتنا تُباكِر أو تَئُوب
فَتُخْبِرَنا الشَّمالُ إذا أتتنا ... وتُخْبِرَ أَهْلَنا عنا الجَنُوب
فإنّا قد حَلَلْنا دار بلوى ... فَتُخْطِئُنا المَنايا أو تُصيب
فإن يَكُ صَدْرُ هذا اليوم وَلَّى ... فإنَّ غدا لناظِرِه قريب
وقد عَلِمَتْ سُلَيْمَى أَنَّ عُودِى ... على الحَدَثان ذو أَيْدٍ صَلِيب
وأن خَلِيقَتى كَرَمٌ وأَنِّى ... إذا أَبْدَتْ نَواجِذَها الحروب
أُعِين على مَكارِمِها وأَغْشَى ... مَكارِهَها إذا كَعَّ (١) الهَيُوب (٢)
وقد أَبقَى الحوادثُ منك رُكْنا ... صَلِيبا ما تُؤَيِّسُه الخُطوب
على أَن المَنِيَّةَ قد تُوافِى ... لِوَقْتٍ والنَّوائبَ قد تَنُوب

قال أبو على : قوله : تُؤَيِّسه : تؤثِّر فيه ، قال المُتَلَمِّس :

أَلم تَرَ أَنَّ الجَوْن أَصبح راسيا ... تُطِيف به الأَيَّام ما يَتَأَيَّس

وقال الطَّرِيف العَنْبَرِى :

إنَّ قَناتى لَنَبْعٌ ما يُؤَيِّسها ... عَضُّ الثِّقاف ولا دُهْنٌ ولا نار

[مطلب ما وقع من المفاخرة بين طريف بن العاصى والحارث بن ذبيان عند بعض مقاول حمير وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ٱبن الكلبى عن أبيه قال :

---

(١) كع : جبن وضعف .

(٢) الهيوب : الذى يخاف الناس .

اجتمع طَرِيفُ بن العاصى الدَّوْسِى – وهو جَدُّ طُفَيل ذى النُّورَين بن عمرو بن طريف – والحارثُ بن ذُبْيان بن لَجَا بن مُنْهِب – وهو أحد المُعَمَّرِين – عند بعض مَقَاوِل حِمْيَر ، فتَفَاخرا ، فقال الملك للحارث : يا حارث ، ألا تخبرنى بالسبب الذى أخرجكم عن قومكم حتى لَحِقتم بالنَّمِر بن عثمان ؟ فقال : أُخبرك أيها الملك ، خرج هَجِينانِ مِنَّا يَرْعَيان غنما لهما فتَشَاولَا بسيفيهما فأصاب صاحبهُم عَقِبَ صاحبنا ، فعاث فيه السيف فَنُزِف فمات ، فسألونا أَخْذَ دِيةِ صاحبنا دِيَةَ الهَجِين وهى نصف دية الصَّرِيح ، فأبى قومى وكان لنا رِباءٌ عليهم ، فأَبَيْنَا إلَّا دِيَةَ الصَّرِيح وأَبَوْا إلَّا دية الهجين ، فكان اسم هجيننا ذُهَيْن بن زَبْراء ، واسم صاحبهم عَنْقَش بن مُهَيْرة وهى سوداء أيضًا (١) ، فتَفاقَمَ الأمر بين الحَيَّيْن ، فقال رجل منا :

حُلُومَكُمُ يا قَوْمِ لا تُعْزِبُنَّها (٢) ... ولا تَقْطَعوا أرحامَكم بالتَّدَابُر

وأَدُّوا إلى الأقوام عَقْلَ ابنِ عَمِّهم ... ولا تُرْهِقُوهم سُبَّةً فى العَشائر

فإنَّ ابنَ زَبْراء الذى فادَ لم يكن ... بدون خُلَيف أو أُسَيْدِ بن جابر

فإن لم تُعَاطُوا الحقَّ فالسَّيْفُ بيننا ... وبينكُم والسَّيفُ أَجْوَرُ جائر

فتَظَافروا علينا حسدا ، فأجمع ذَوُو الحِجا مِنَّا أن نَلْحَق بأَمْنَعِ بطن من الأَزْد ، فَلَحِقنا بالنَّمِر بن عثمان فوالله مافَتَّ فى أعضادنا ، فأُبْنا عنهم ولقد اثَّأَرْنا صاحِبَنا وهم راغِمون . فوَثَب طَرِيف بن العاصى من مجلسه فجلس بإزاء الحارث ثم قال : تالله ما سمعتُ كاليوم قولا أَبْعَدَ من صواب ، ولا أقرب من خَطَل ، ولا أَجْلَب لقَذَع من قول هذا ، والله أيها الملك ! ما قَتَلُوا بهَجِينهم بَذَجا ، ولا رَقُوا به دَرَجا ؛ ولا أَنْطُوا به عَقْلا ، ولا اجْتَفئوا به خَشْلا ؛ ولقــد أخرجهم الخوف عن أصلهم ، وأَجْلاهم عن مَحَلِّهم ؛ حتى اسْتَلَانُوا خُشونة الإزعاج ، ولَجَئُوا إلى أَضْيَق الوِلَاج ، قُلًّا وذُلًّا . فقال الحارث : أتسمع يا طريف ؟ إنِّى والله ما إخالُك كافًّا غَرْبَ لسانك ، ولامُنَهْنِهًا شِرَّةَ نَزَوَانك ، حتى أَسْطُوَ بك سَطْوَةً تَكُفُّ طِمَاحك ، وترُدّ جِمَاحك ،

(١) قوله : وهى سوداء أيضا كذا فى الأصل ؛ ولم يتقدم الحكم على شىء بالسواد ، فلعله سقط من قلم الناسخ عند قوله زبراء وهى سوداء .

(٢) أعزب حلمه : أذهبه .

وتَكْبِت تَتَرُّعَك ، وتَقْمَع تَسَرُّعَك ؛ فقال طريف : مَهْلاً يا حارث ، لا تَعْرِض لِطَحْمَةِ آسْتِنَانى ، وذَرَب سِنَانى ، وغَرْب شَبَابى ، ومِيسَم سِبَابى ، فتكون كالأَظَلِّ المَوْطُوء ، والعَجْب المَوْجُوء ، فقال الحارث : إيَّاىَ تُخَاطِبُ بمثل هذا القول ! فوالله لَوْ وطِئْتُك لأَسَخْتُك ، ولو وَهَصْتُك لأَوْهَطْتُك ، ولو نَفَحْتُك لأَفَدْتُك ؛ فقال طريف متمثلا :

وإنَّ كلاَمَ المرءِ فى غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالنَّبْل تَهْوِى ليس فيها نِصَالُها

أَمَا والأَصنام المحجوبة ، والأَنصاب المنصوبة ؛ لَئِنْ لم تَرْبَعْ على ظَلْعِك ، وتَقِفْ عند قَدْرِك ، لأَدَعَنَّ حَزْنَك سَهْلا ، وغَمْرَك ضَحْلا ، وصَفَاك وَحْلا ؛ فقال الحارث : أَمَا والله لو رُمْتَ ذلك لَمُرِّغْتَ بالحَضِيض ، وأُغْصِصْت بالجَرِيض ؛ وضاقت عليك الرِّحاب ، وتَقَطَّعَتْ بك الأَسباب ؛ ولأُلْفِيتَ لَقًى تهاداه الرَّوامِس ، بالسَّهْب الطامس ؛ فقال طريف : دُونَ ما ناجَتْكَ بهنَفْسُك مُقَارَعةُ أَبطال ، وحِيَاض أَهْوال ، وحَفْزة إعْجال ، يُمْنَع معه تَطَامُن الإِمهال ؛ فقال الملك : إيهًا عَنْكُما ! فما رأيت كاليوم مَقال رَجُلَيْن لم يَقْصِبا ، ولم يَثْلِبا ، ولم يَلْصُوَا ، ولم يَقْفُوَا .

قال أبو على : المَقَاوِل والأَقْيَال : هم الذين دُونَ المَلك الأَعظم . تَشَاوَلا : تضارَبا . وعاثَ : أَفْسد والعَيْث : الفساد . ونُزِف الرجلُ إذا سال دَمُه حتى يَضْعُف . والهجين : الذى أَبوه عَرَبِىٌّ وأُمه ليست بعربية . والمُقْرِف : الذي أُمه عربية وأَبوه ليس بعربى . والصَّرِيح : الخالص . والرِّباء : الزيادة ، يقال : أَرْبَى فلان على فلان فى السِّبَاب يُرْبِى إرباء إذا زاد عليه ، وأَرْبَى يُرْبِى من الرِّبا وهو مقصور ، والرِّباء ممدود : الرِّبا أَيضًا . وتَفَاقَم الأَمرُ : آشتدّ . والعَقْل : الدِّيَة ، يقال : عَقَلْت فلانا إذا غَرِمْت دِيَتَه ، وعَقَلْت عن فلان إذا غَرِمْت عنه دِيَة جنايته ، والمرأَةُ تُعاقِل الرجلَ إلى ثُلُث ديتها ، يريد أَن مُوضِحتَها ومُوضِحته سواء ، فإذا بَلَغ العَقْل ثلث الدية صارت دية المرأَة على النصف من دية الرجل .

وقال الأَصمعى : سأَلت أَبا يوسف القاضى بحضرة الرشيد عن الفرق بين عَقَلْته وعَقَلْت عنه فلم يفهم حتى فَهَّمته . ويقال للقوم الذين يَغْرَمون دية الرجل : العاقلة ، ويقال : بنو فلان على مَعَاقلهم الأُولى ، يريد على حال الديات التى كانوا عليها فى

الجاهلية ، واحدُها مَعْقُلة ، ويقال : صار دَمُ فلان مَعْقُلة على قومه ، أى غُرْمًا يؤدّونه من أموالهم . وعَقَلَ الظِّلُّ إذا قام قائم الظهيرة . وعَقَل الرجلُ يَعْقِل عَقْلا ، فى العقل . وعَقَلَ الظَّبْى يَعْقِل عُقُولا إذا صَعَّد فى الجبل فامتنع فيه ، والمكان الممتنع فيه يسمى المَعْقِل ، وبه سمِّى الرجل مَعْقِلا ، ويقال : وَعِلٌ عاقل إذا عَقَل فى الجبل فامتنع فيه . وعَقَل البعيرَ يَعْقِلُه عَقْلا إذا ثَنَى وَظيفَه مع ذراعه فشدّهما جميعا فى وسط الذراع ونحوه . وعَقَلَ الطعامُ بطنَه يَعْقِله عَقْلا إذا شدّه ، ويقال : أَعْطِنِى عَقُولاً أشربه فيعطيه دواء يُمْسِك بطنه ، وبالدَّهْناء خَبْراء يقال لها : مَعْقُلة ، سمِّيت بذلك لأنها تمسك الماء كما يَعْقِل الدواءُ البطنَ . ويقال : جاء فلان وقد اعْتَقَل رمحَه إذا وضعه بين رِكابه وساقه ، واعْتَقَل شاتَه إذا وَضَع رجلَها بين ساقه وفخذه إذا حَلَبها . ويقال : صارَع فلان فلانا فاعْتَقَله الشَّغْزَبِيَّةَ ، وهو ضرب من الصِّراع ، ولفلان عُقْلة يَعْقِل بها الناس ، وذلك إذا صارعهم عَقَل أرجلهم . ويقال : على بنى فلان عِقَالان ، يريد بذلك صَدَقة عامَيْن ، ويقال : جارَ عليهم العامل فأَخذ منهم النَّقْد ولم يأْخُذِ العِقَال ، أى الفريضةَ بعينها ، ويقال : يكره أن تُشْتَرَى الفريضةُ حتى يَعْقِلها الساعى وهو المُصَدِّق . والعِقَال أيضا : الحبل الذى يُعْقَل به البعير . والعُقَّال : هو أنّ بعض الخيل إذا مَشَى يَظْلَع ساعةً ثم ينبسط . والعَقَل : الْتِواء فى الرجل ، يقال : بعير أَعْقَل وناقة عَقْلاء . والعَقِيلة : كريمة الحى وكريمة الإبل . والعَقْل : ضرب من الوَشْى ، يقال : جَلَّلُوا هوادجهم بالعَقْل والرَّقْم . ويقال : مالَه جُولٌ ولا مَعْقُول ، أى عَقْل يُمسكه . وقال الأصمعى : أَرْهَقْتُ الرجلَ : أدركته ، وقال أبوزيد : أَرْهَقْته عُسْرًا ، أى كلَّفته ذلك ، وأَرْهَقْته إثْمًا حتى رَهِقَه . وقال الأصمعى : رَهِقْته ، أى غَشِيته ، وفى فلان رَهَقٌ ، أى غِشْيان للمحارم ، والمُرَهَّق الذى يغشاه السُّؤَّال والأضياف . ويقال : فادَ يَفُود إذا مات ، قال لبيد :

رَعَى خَرَزاتِ المُلْك عشرين حِجَّةً وعشرين حَتَّى فادَ والشَّيْبُ شامل

وفادَ يفيد إذا تبختر ، وكذلك راس يَريس وماس يَميس وماح يَميح . وفَتَّ : أَوْهَن وأَضْعَف . وآثَّأَرْنا : افتعلنا من الثَّأْر . والخَطَل : الخَطَأ . والقَذَع : الكلام

القبيح ، يقال : أَقْذَع له إذا أسمعه كلاما قبيحا . والْبَذَج : الخَرُوف ، وهو فارسى معرّب ، وكذلك البَرَقُ فارسى معرب ، وهو الحَمَل . وأَنْطُوا لغة فى أَعْطُوا ، وقرأْت على أبى بكر بن دريد فى شعر الأَعشى .

جِيَادُك فى الصَّيْف فى نَعْمةٍ   تُصَانُ الجِلَال وتُنْطَى الشَّعِيرا

واْجْتَفَئُوا : صَرَعوا ، قال أبوزيد : جَفَأَه : صَرَعَه وخَفَأَه أيضا . والخَشَل والخَشْل محرّك ومسكّن ، واحدتهما خَشَلة وخَشْلة : شجر المُقْل . وهذه أمثال كلها ، يريد أنهم لم ينَالوا ثأره . والقُلُّ : القِلَّة . والذُّل : الذِّلَّة . والنَّزَوان : الوُثُوب . والتَّتَرُّع : التسرع إلى الشرّ ، يقال : تَرِع تَرَعًا فهو تَرِعٌ إذا كان سريعا إلى الشر ، ويقال : تَرِع تَرَعا إذا اقتحم الأُمور مَرَحا ونشاطا ، قال الشاعر :

الباغِىَ الحَرْب يَسْعَى نَحْوَها تَرِعًا   حَتَّى إذا ذاق منها جاحِمًا(١) بَرَدا

أى ثبت فلم يتقدّم ، كذا فسره بعضهم وهو صحيح ، أى خَمَدَت حِدَّته فسَكَنَ . وهذا مثل . وطُحْمة السَّيْل وطَحْمته بالضم والفتح : دُفْعته . والذَّرَب : الحِدَّة . والأَظَلُّ : أسفل خُفِّ البعير . والعَجْب : أصل الذَّنَب . ووَهَصْتُك : كَسَرْتُك ، يقال : وَهَصَه وَوَطَسَه وَوَقَصه إذا كسره . وأَوْهَطْتُك : صَرَعْتُك ، قال أبو زيد : يقال ضَرَبَهُ فَقَحْزَنَه وجَحْدَلَهُ وأَوْهَطَه إذا صَرَعَه ، قال الأُموي : هو أن يَصْرَعه صَرْعة لا يقوم منها ، وقال غيره : أَوْهَطه : أهلكه ، وأنشد :

أَوْهَطْتُه لمَّا علا إيهاطـــا   بكُلِّ ماضٍ يبْتِك النِّيَــاطا(٢)

وتَرْبَعَ : تَكُفُّ وتَرْفُق ، يقال : رَبَع يَرْبَع رَبْعا إذا كَفَّ ورَفَقَ . والظَّلْع : الغَمْز . والضَّحْل : الماء القليل وكذلك الضَّحْضاح ، والفَرَاش أقل منه ، والضَّهْل : القليل من الماء ، ومنه يقال : ما ضَهَل إليه منه شىءٌ . والشَّوْل : القليل من الماء يكون فى أسفل القِرْبة والسِّقاء ، قال الأَعشى :

حَتَّى إذا لَمَعَ الربِىءُ بثوبه   سُقِيَتْ وصَبَّ سُقاتُها أَشْوالَها

---

(١) جاحم الحرب : شدة القتل فى معتركها كذا فى اللسان .

(٢) يبتك : يقطع ؛ النياط : عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه .

والنُّزْفة : القليل من الماء والشراب أيضا وجمعها نُزَف ، قال ذو الرُّمّة :

يُقَطِّع موضوعَ الحَدِيثِ ٱبتسامُها   تَقَطُّعَ ماءِ المُــزْن فى نُزَف الخَمْر

والذِفاف : البَلَل ، قال أبو ذؤَيب :

يقولون لَمَّا جُشَّتِ البئْر أَوْرِدُوا   وليس بها أَدْنى ذُفافٍ لــوارد

والصَّفَا جمع صَفَاة : الصخرة ، وهى أيضا الصَّفْواء والصَّفْوان . والحَضِيض : القَرَار إذا اتصل بالجبل ، وفى الحديث : « إنَّ العَدُوّ بعُرْعُرة الجبل ونحن بحَضِيضه » فالعُرْعُرة : أعلاه ، والحَضِيض : أسفله . ولَقًى : مُلْقًى . والرَّوَامِس : الرياح التى تَرْمُس ، أى تَدْفن . والسَّهْبُ : المُسْتَوى من الأرض . والطَّامِس والطاسِم جميعا : الدارس ، يقال : طَمَس وطَسَم . والحَفْز : الدَّفْع ، يقال : حَفَزَه يَحْفِزه حَفْزا ، ومنه سمى الحارث بن شَرِيك الحَوْفَزَان ، وذلك أن قيس بن عاصم حَفَزَه بالرُّمْح حين خاف أن يفوته وقد فَخَر بذلك سَوَّار بن حَيَّان[1] المِنْقَرى فقال :

ونحن حَفَزْنا الحَوْفَزَانَ بطَعْنــةٍ   سَقَتْه نَجِيعًا من دم الجَوْف أَشْكَلا

وقال أبو زيد : إيهًا : نَهْىٌ ، وإيهِ : أَمْرٌ . وقال غيره ، ويْهًا : إغراء ، وأنشد للكميت :

وجاءت حوادِثُ فى مِثْلِها   يُقال لِمِثْلِىَ ويْهًــا فُلُ

وقال أبو بكر بن الأنبارى : واهًا : تَعَجُّبٌ ، قال الراجز :

واهًا لِرَيَّا ثم واهًا واهــا   يا لَيْتَ عَيْنَاهَا لنا وفَاهَا

بِثَمَنٍ نُرْضِى به أَباهــا

لم يَقْصِبا : لم يَشْتُما ، يقال : قَصَبه يَقْصِبه إذا وقع فيه ، وأصل القَصْب القطع ، ومنه قيل للجَزَّار : قَصَّاب . ولم يَلْصُوَا ، قال أبوعلى : كذا رواه لم يَلْصُوَا ، وقال الأصمعى : لَصَاه يَلْصِيه لَصْيًا إذا قَذَفه ، وأنشد الأصمعى للعجَّاج :

* عَفٌّ فلا لاصٍ ولا مَلْصِىٌّ *

(١) ورد فى الطبعة الأولى «حبان» بالباء الموحدة وهو تحريف .

ويقال: قَفَاه يَقْفُوه إذا قذفه بأمر عظيم، كذلك قال يعقوب بن السكيت، ويمكن أن يكون يَلْصُوا لغة.

وأنشدنا أبوبكر بن دريد رحمه الله قال: أنشدنا عبد الرحمن عن عمّه لرجل من بنى كلاب:

سَقَى الله دَهْرًا قد تَوَلَّتْ غَيَاطِلُهْ ... وفارَقَنا إلا الحُشاشَةَ باطِلُه
لَيالِيَ خِدْنِى كلُّ أَبْيَض ماجد ... يُطيع هَوَى الصابِي وتُعْصَى عَواذِلُه
وفى دَهْرِنا والعيش إذ ذاك غِرَّةٌ ... أَلَا ليتَ ذاك الدهر تُثْنَى أوائلُه
بما قد غَنِينا والصِّبا جُلُّ هَمِّنا ... يُمايِلُنا رَيْعانُهُ ونُمَايِلُه
وجَرَّ لنا أَذْيالَه الدَّهْرُ حِقْبةً ... يُطاوِلُنا فى غَيِّه ونُطاوِلُه
فَسَقْيًا له من صاحبٍ خَذَلَتْ بنا ... مَطِيَّتُنا عنه ووَلَّتْ رَوَاحِلُه
أَصُدُّ عن البَيْتِ الذى فيه قاتِلى ... وأهجُرُه حَتَّى كأَنِّىَ قاتلُه

قال أبو على: الغَيَاطِل جمع غَيْطَلَة وهى الظُّلْمة، والغَيْطَلَة: اختلاط الأصوات، والغَيْطَلَة: الشجر الملتفُّ، والغَيْطَلَة: البقرة، قال زهير:

كما اسْتَغَاث بسَىْءٍ فَزُّ غَيْطَلَةٍ ... خافَ العيونَ فلم يُنْظَرْ به الحَشَكُ (١)

[مطلب الأبيات التى كان يقال إن من لم يروها فلا مروءة له وشرح غريبها]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله قال حدّثنا عبد الله بن خلف قال حدّثنا محمد بن أبى السرى قال حدّثنا الهيثم بن عدى قال: كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يَرْوِ هذه الأبيات فلا مُروءة له، وهى لأَيْمن بن خُرَيم بن فاتك الأسدى، قال وأنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى عن ابن الأعرابى، ـ والألفاظ فى الروايتين مختلطة ـ:

---

(١) فى الطبعة الأولى «بسى» وهو محرف عن «بسىء» كما فى اللسان ج ١ ص ٩٣ والأضداد ص ١٨٢ طبع ليدن سنة ١٨٨١ م والعقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين طبع مدينة «غريفزولد» سنة ١٨٦٩ م. والسىء ويكسر: اللبن ينزل قبل الدرة يكون فى أطراف الاخلاف. والفز: ولد البقرة والجمع أفزاز. والحشك: تركك الناقة لاتحلبها حتى يجتمع لبنها والاسم منه الحشك بالتحريك، وخاف العيون أى خاف أن تنظر اليه العيون فلا تدعه يشرب من أمه فلم تنتظر به امتلاء درتها فسقته قبل ذلك.

وصَهْباءَ جُرْجانِيَّةٍ لم يَطُفْ بها ... حَنِيفٌ ولم تَنْغَرْ بهـا ساعةً قِدْرُ(١)

ولم يَحْضُرِ القَسُّ المُهَيْنِمُ نارَها ... طُرُوقا ولم يَشْهَدْ لى طَبْخِها حَبْرُ(٢)

أتانى بها يَحْيَى وقد نِمْتُ نَوْمةً ... وقدغابتِ الشِّعْرَى وقدجَنَحَ النَّسْر

فقلت اغْتَبِقْها أو لغيرىَ فاَسْقِها ... فما أنَا بعد الشَّيْبِ وَيْبَكَ والخَمْرُ(٣)

تَعَفَّفْت عنها فى العُصور التى خَلَتْ ... فكَيْفَ التَّصابِى بعد ما كَلَأَ العُمْــر

إذا المَرْءُ وَفَّى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأْتى حَيَاءٌ ولا ستر

فَدَعْه ولا تَنْفَسْ عليه الذى ارْتَأَى ... وإن جَرَّ أسبابَ الحياة له الدَّهْر(٤)

قال أبوعلى : كَلَأَ : انْتَهى إلى آخره وأَقْصاه ، ويقال : بَلَغَ اللهُ بك أَكْلَأَ العُمر ، أى آخره . وارْتَأَى : افتعل من الرأْى .

وأنشدنا أبو عمرو بن المُطَرِّز غلام ثعلب قال أنشدنا أبو العباس قال : أنشدنا عبد الله بن شبيب لابن الدُّمَيْنة :

ألَا حُبَّ بالبيت الذى أنت هاجِرُهْ ... وأنْتَ بتَلْماحٍ(٥) من الطَّرْف زائره

فإنَّك مِنْ بَيْتٍ لعَيْنَىَّ مُعْجِبٍ ... وأحْسَنُ فى عينى من البيت عامِرُه

أَصُدُّ حياءً أن يَلِجَّ بِىَ الهوى ... وفيك المُنَى لولا عَدُوٌّ أُحاذره

وكم لائمٍ لولا نَفَاسَةُ حُبِّهــا ... عليــكَ لما بالَيْتَ أنَّكَ خابره

أُحِبُّك يا لَيْــلَى على غير رِيبةٍ ... وما خَيْرُ حُبٍّ لا تَعَفُّ سرائره

وقدماتَ قبلى أوَّلُ الحُبِّ فانقضى ... فإن مُتُّ أضحى الحُبّ قدماتَ آخِرُه

فلما تَنَاهَى الحب فى القلب واردا ... أقام وأَعْيَتْ بعد ذاك مصادرُه

وقد كان قلبى فى حجابٍ يُكُنُّــه ... وحُبُّكِ مِن دُونِ الحجاب يُســاتِره

فماذا الذى يَشْفِى من الحب بعدما ... تَشَرَّبَهُ بَطْنُ الفؤاد وظاهرُه

(١) الحنيف : المسلم . ولغرت القدر : غلت .
(٢) المهينم : الذى يقرأ بصوت خفى . والطروق : الحضور ليلا .
(٣) الاغتباق : شرب العشى . وويبك : ويلك . (٤) تنفس : تحسد .
(٥) التلماح : اختلاس النظر .

وأنشدنا الأخفش قال : أنشدنا أبو الطَّرِيف شاعر كان مع المعتمد لنفسه :

أتهجرون فتًى أغرِى بكم تِيهًا ... حقًّا لدعْوة صَبٍّ أن تُجيبوها
أهْدَى إليكم على نأْيٍ تَحِيَّته ... حَيُّوا بأحْسَنَ منها أو فردّوها
شَيَّعْتُهم فاسْترابُونى فقلت لهم ... إنى بُعِثْت مع الأجمال أحْدُوها
قالوا فَمَا نَفَسٌ يعلوك ذا صُعُدٍ ... وما لِعَيْنِك لا تَرْقَى مآقيها
قلت التّنَفّس من تَدْآب سَيْرِكُم ... والعَيْن تَذْرِف دَمْعًا من قَذًى فيها
حتى إذا ارْتَحَلوا والليل مُعْتَكِرٌ ... خَفَضْتُ فى جُنْحه صَوْتِى أناديها
يا من بها أنا هَيْمانٌ ومُخْتَبَلٌ ... هَلْ لى إلى الوصل مِن عُقْبَى أُرَجِّيها

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قصيدة له أوّلها :

قَلْبٌ تَقَطَّع فاستحال نَجِيعا ... فجرى فصار مع الدموع دموعا
رُدَّتْ إلى أحشائه زَفَراتُه ... فَفَضَضْنَ منه جوانحًا وضلوعا
عَجَبًا لنار ضُرِّمَتْ فى صدره ... فاسْتَنْبَطَتْ من جفنه يَنْبُوعا
لَهَبٌ يكون إذا تَلَبَّس بالحَشا ... قَيْظًا ويظهر فى الجفون ربيعا

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال أنشدنا أبو العباس أحمد ابن يحيى .

أمَا والذى لا خُلْدَ إلا لوجهه ... ولم يك فى العِزِّ المنيع له كُفُوُ
لئن كان طَعْمُ الصَّبْر مُرًّا فعِفْته ... لقد يُجْتَنَى من غِبِّهِ الثَّمرُ الحُلْوُ

وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر :

نَسِيَ الأمانة مِنْ مخافة لُقَّحٍ ... شُمُسٍ تَرَكْنَ بَضِيعَهُ مَجْزُولا

أى نسى الأمانة من مخافة هذه اللُّقَّح ــ يعنى السِّياط ــ شبهها إذا ارتفعت بأيدى الرجال بأذناب الإبل إذا لَقِحَتْ فرفعت أذنابها . وشُمُس : فيها شِمَاس لا تستقر . وبَضِيعه : لحمه . ومجزول : مقطوع .

[مطلب حديث النسوة اللاتى أشرن على بنت الملك بالتزوج ووصفن لها محاسن الزوج وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد ابن عبّاد عن ابن الكلبى عن أبيه قال : كان قَيْلٌ من أقيال حِمْيَر مُنِع الولدَ دهرا ثُم وُلِدَت له بنتٌ فبَنَى لها قصرا مُنِيفا بعيدا من الناس ، ووكَّل بها نساء من بنات الأَقْيال يَخْدُمْنها ويؤدِّبْنَها حتى بلغت مبلغ النساء ، فنشأَت أحسن منشأ وأَتَمّه فى عقلها وكمالها ، فلما مات أبوها مَلَّكَها أهلُ مِخْلافها ، فاصْطَنَعَت النِّسوةَ اللواتى رَبَّيْنها وأحسنت إليهنّ وكانت تشاورهنّ ولاتقطع أمرا دونهنّ ، فقلن لها يوما : يابنت الكرام ، لوتزوّجْتِ لَتَمَّ لك المُلْك ، فقالت : وما الزَّوْج ؟ فقالت إحداهنّ : الزوج عِزٌّ فى الشدائد ، وفى الخُطوب مُساعِد ؛ إن غَضِبْتِ عَطَف ، وإن مَرِضْت لَطَف ؛ قالت : نعم الشىء هذا ! فقالت الثانية : الزوج شِعَارِي حين أَصْرَد ، ومُتَّكئِي حين أَرْقُد ، وأُنسِى حين أَفْرُد ؛ فقالت : إن هذا لمن كمال طيب العيش . فقالت الثالثة : الزَّوْجُ لِمَا عَنَانى كاف ، ولمَا شَفَّنِى شاف ، يَكْفِينى فَقْدَ الأُلَّاف ؛ رِيقُه كالشُّهْد ، وعِنَاقُه كالخُلْد ؛ لايُمَلُّ قِرَانُه ، ولا يخاف حِرَانُه ، فقالت : أَمْهِلْننى أنظر فيما قلتن ، فاحتجبت عنهنّ سبعا ، ثم دَعَتْهُنّ فقالت : قد نظرت فيما قلتن فَوَجَدْتُنى أُمَلِّكُه رِقِّى ، وأُبِثُّه باطلى وحقِّى ، فإن كان محمود الخَلائق ، مأْمون البَوائِق ؛ فقد أدْرَكْتُ بغيتى ، وإن كان غيرَ ذلك فقد طالت شِقْوَتى ؛ على أنه لاينبغى إلّا أن يكون كُفْئًا كريما يَسُود عشِيرَتَه ، ويَرُبُّ فَصِيلتَه ؛ لا أَتَقَنَّع به عارا فى حياتى ، ولا أرفع به شَنَارًا لقومى بعد وفاتى ؛ فَعَلَيْكُنَّه فابْغِينه وتَفَرَّقْنَ فى الأحياء ، فأيَّتُكُنّ أتتنى بما أُحِب فلها أجزل الحِباء ، وعَلَىَّ لها الوفاء ؛ فخرجْن فيما وجَّهَتْهُنّ له ، وكُنّ بنات مَقَاوِل ذوات عقل ورأى ، فجاءتها إحداهن وهى عَمَرَّطة بنت زرعة بن ذى خَنْفَر فقالت : قد أَصَبْتُ البُغْية ، فقالت : صِفِيه ولا تُسَمِّيه . فقالت : غَيْثٌ فى المَحْل ، ثِمالٌ فى الأَزْل ، مُفِيد مبيد ؛ يُصْلِح النائر ، ويَنْعَش العاثر ؛ ويَغْمُر النَّدِىّ ، ويَقْتاد الأَبِىّ ؛ عِرْضُه وافر ، وحَسَبُه باهر ؛ غَضُّ الشباب ، طاهر الأثواب . قالت : ومن هو ؟ قالت : سَبْرة بن عَوَّال بن شَدَّاد بن الهَمَّال . ثم خلت بالثانية فقالت : أصبتِ من بُغيتك شيئًا ؟ قالت : نعم ، قالت : صِفِيه ولا تسمِّيه . قالت : مُصَامِصٌ

النَّسَب ، كريم الحَسَب ، كامل الأَدب ؛ غزير العطايا ، مألوف السجايا ؛ مُقْتَبل الشباب ، خَصِيب الجناب ؛ أَمْرُه ماض ، وعَشِيره راض . قالت : ومن هو؟ قالت : يَعْلَى بن هَزَّال بن ذى جَدَنٍ . ثم خلت بالثالثة فقالت : ماعِنْدَك ؟ قالت : وجدته كثير الفوائد ، عَظِيم المَرافِد ؛ يُعْطِى قبل السؤال ، ويُنِيل قبل أن يُسْتَنال ؛ فى العشيرة معظَّم ، وفى الندىّ مكرَّم ؛ جمّ الفواضل ، كثير النوافل ؛ بَذَّال أموال ، مُحَقِّق آمال ، كريم أعمام وأخوال ؛ قالت : ومن هو ؟ قالت : رَوَاحة بن حُمَير ابن مضحى بن ذى هُلاهِلة ؛ فاختارت يَعْلَى بن هَزَّال فتزوّجَتْه ، فاحتجبت عن نسائها شهرا ثم بَرَزَتْ لهن ، فأجزلت لهن الحِبَاء ، وأَعْظَمَتْ لهن العطاء .

قال أبوعلى إسماعيل : المِخْلاف : الكُورة . وأَصْرَد : أَبْرُد . ويَرُبُّ : يجمع ويُصْلِح . وأنشدنا أبو بكر لرجل[1] يصف إبلا :

تَرَبَّعت فى حُرُضٍ وحَمْض جاءت تَهُضُّ الأَرضَ أىَّ هَضِّ

يَدْفع عنها بَعْضُها عن بعض مثْلَ العَذَارى شِمْنَ عَيْنَ المُغْضِى

تَرَبَّعت : أقامت فى الربيع . والحُرُض : الأُشْنان . والحَمْض : ما مَلُح من النبات . وتَهُضُّ : تَدُقُّ . وقوله : يدفع عنها بعضها عن بعض ، أي هى مستوية حسان كلها ليست فيها واحدة تَبِينها فتَسْبِق إليها العين ، ولكن إذا قيل : هذه أحسن ، قيل : لا ، هذه ؛ فيدفع بعضها عن بعض العين أن تَعِينَها . وشِمْنَ : فَتَحْنَ عين المُغْضِى فينظر إليهن وهن مثل العذارى فى الحسن .

وأنشدنا أبوبكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا أبوحاتم عن الأَصمعىّ لسُلْمِىّ[2] ابن ربيعة :

حَلَّتْ تُماضِرُ غُرْبَةً فاحْتَلَّتِ فَلْجًا وأَهْلُكَ باللِّوَى فالحِلَّةِ

فكأَنَّ فى العينين حَبَّ قَرَنْفُلٍ أو سُنْبُلا كُحِلَتْ به فانْهَلَّتِ

(١) هوركاض الدبيرى كما فى اللسان ج ٩ ص ١١٦ .

(٢) فى الأصمعيات (طبع مدينة ليبسج سنة ١٩٠٢ م) تنسب هذه الأبيات الى علباء بن أريم بن عوف (صواب هذا الاسم : علباء بن أرقم كما في النوادر لأبي زيد ص ١٠٤ واللسان ج ٢ ص ٤٠٧) .

زَعَمتْ تُماضِـرُ أنَّنى إمَّا أمُتْ يَسْدُدْ أُبَيْنُوها الأصاغِرُ خَلَّتِى

تَرِبتْ يداكِ وهل رأيتِ لقومه مِثْلى على يُسْرِى وحينَ تَعِلَّتِى

رجلا إذا ما النائبـات غَشِينَهُ أكفى لمُضْلِعةٍ وإن هى جَلَّتِ

ومُناخِ نازلة كَفَيْت وفارِسٍ نَهِلَتْ قَناتِىَ من مَطَاه وَعَلَّت

وإذا العَـذَارَى بالدُّخَان تَقَنَّعَتْ واستعجلت هَزْمَ القُدور فَمَلَّت

دارت بأرزاق العُفـاة مَغَالقٌ بِيَدَىَّ من قَمَعِ العِشارِ الجِلَّة

ولقد رَأَبْتُ ثَأَى العَشيرة بَيْنها وكَفَيْتُ جانبَها(١) اللَّتَيَّا والَّتى

وصَفَحْت عن ذى جَهْلِها ورَفَدْتُها نُصْحِى ولم تُصِبِ العشيرة زَلَّتى

وكَفَيْتُ مولاى الأَجَمَّ جَرِيرتى وحَبَسْت سائمتِى على ذى الخَلَّة

قال : وروي عن أبي زيد : مولاي الأَحَمّ بالحاء .

قال أبو على : لِمُضْلِعَة : أمر شديد تُضْلِع صاحبَها ،أي تُميله للوقوع . والهَزْم : الصوت ، يريد صوت الغَلَيان . والمَغالق : يريد بها القِدَاح التى يَغْلَق بها الرهن(٢) . والقَمَع :الأسنمة ، واحدتها قَمَعَة . والعِشَار جمع عُشَراء ، وهى التى أتت عليها عشرة أشهر من حملها ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تَضَع وبعدما تَضَع أياما . والثَّأَى : الفساد ، وأصل ذلك الثَّأَى فى الخَرْز ، وهو أن تنخرم الخُرْزتان فتصيرا واحدة ، يقال : أثْأَيت الخَرْز إذا خَرَمْتَه . ورَأَبْتُ : أصلحت . والأَجَمُّ : الذى لارُمح معه . وأما الأَحَم بالحاء : فالأَقرب ، والحَميم : القريب . والأَعْزَل : الذى لاسلاح معه . والأَكْشَف : الذى لا تُرْس معه . والأَمْيَل : الذي لاسيف معه ، والأَميل أيضا : الذى لايثبت على الخيل ، قال الأعشى :

غَيْرِ مِيلٍ ولا عَوَاوِيرَ فى الهَيْـ ـجا ولا عُزَّلٍ ولا أكْفال

---

(١) فى الأصمعيات : « وكفيت جانبها .. »

(٢) المغالق : سهام الميسر ؛ سميت بها لأن بها يغلق الخطر وهو السبق الذي يراهن عليه من قولهم : غلق الرهن اذا لم يقدر على افتكاكه .

قال أبو على : المِيل جمع أَمْيَل . والعَوَاوِير جمع عُوَّار ، وهو الجبان . والعُزَّل جمع أعْزل . والأَكفال جمع كِفْل ، وهو أيضًا الذى لا يثبت على الخيل مثل الأَمْيَل ، غير أن الأَمْيَل الذى يميل إلى جانب ، والكِفْل الذى يزول عن مَتْن الفرس إلى كَفَله. والخَلَّة بالفتح : الحاجة ، والخُلَّة بالضم : الصداقة .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه قال : أنشدنى رجل من بنى فَزارة :

لايُبْعِد اللهُ قوما إن سألْتَهُمُ ... أعْطَوا وإن قلتُ ياقوم انْصُرُوا انَصَرُوا

وإن أصابتهمُ نَعماءُ سابغةٌ ... لم يَبْطَروها وإن فاتَتْهُمُ صَبَروا

الكاسرون عِظَاما لا جُبُورَ لها ... والجابرون فأَعْلَى الناسِ مَنْ جَبَروا

فقلت : من يقول هذا ؟ فقال الذى يقول :

إذا نُشِرَتْ نفسى تَذَكَّرتُ مامَضَى ... وقَوْمِىَ إذ نَحْنُ الذُّرَى والكَواهِلُ

وإذْ لِىَ منهم جُنَّةٌ أَتَّقِى بها ... وجُرْثُومةٌ فيها حِفَاظٌ ونائل

وإذ لا ترُود العَيْنُ عنا لبِغْيَةٍ ... ولا يَتَخَطَّانا المَرُوع المُوَائل

ولا يَجِدُ الأَضياف عنا مُحَوَّلا ... إذا هَبَّ أرواحُ الشتاء الشَّمائلُ

إذا قيل أَيْنَ المُشْتَفَى بدمائهم[(١)] ... وأين الرَّوابى والفُرُوع المَعَاقِل

أُشِيرَ إلينا أو رَأَى الناسُ أَنَّنا ... لهم جُنَّةٌ إن قال بالحق قائل

فأَصبحتُ مثل النَّسْرِ تحت جَناحه ... قَوادِمُ صارَتْها إليه الحَبَائل

فلو أَنَّ قومى أَكْرَمُونى وأَتْأَقُوا[(٢)] ... سِجالا بها أَسْقِى الذين أُساجِل

كَفَفْتُ الأَذى ما عِشْتُ عن حُلَمائهم ... وناضلْتُ عن أعراضهم من يُناضِل

ولكنَّ قومى عَزَّهم سُفَهاؤهم ... على الرأْى حَتَّى ليس للرأْى حامل

---

(١) المشتفى بدمائهم : الملوك الأشراف ، فان العرب يزعمون أن دماء الملوك تشفى من الكلب والخبل، قال الفرزدق :

من الدارميين الذين دماؤهم ... شفاء من الداء المجنة والخبل

(٢) أتأقوا : ملئوا .

تُظْهِر بالعُدْوان وٱخْتِيل بالغِنى   وشُورِك فى الرأى الرِّجالُ الأماثِل

ثم قام مُغْضَبًا مُتصاعِرا كأنَّ المَحاجمَ على أَخْدَعَيْه .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا أبو حاتم ولم يُسنده :

تَوَدُّ عَـدُوِّى ثم تزْعُم أننى   صَدِيقُك إنَّ الرأْى عَنْك لَعازِبُ

وليس أخى من وَدَّنى رَأْى عَيْنِه   ولكن أخى من وَدّنى وهْوَ غائب

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال : أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى ثعلب :

أَحَبُّ بِلادِ الله ما بَيْنَ مَنْعِجٍ   إلَىَّ وسَلْمَى أن يَصُوب سحابُها

بلادٌ بها حَلَّ الشباب تَمائمى (١)   وأوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِى ترابُهـا

[مطلب ما قاله الشعراء فى وصف الحديث مدحا وذما]

وأنشدنا أيضًا قال أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى :

مُنَعَّمـةٌ يَحـارُ الطَّرْفُ فيهـا   كأنَّ حَديثَهـا سُـكْرُ الشـباب

من المُتَصَـدِّيات لغَـير سُـوءٍ   تَسيل إذا مَشَتْ سَيْلَ الحَبَاب

وأنشدنى أبو بكر بن دريد رحمه الله فى خبرطويل :

وكنت إذا ما زُرْتَ سُعْدَى بأَرْضِها   أرى الأرضَ تُطْوَى لى ويَدْنُو بعيدُها

من الخَفِراتِ البِيضِ وَدَّ جليسُها   مَتَى ما ٱنْقَضَتْ أُحْدُوثةٌ لو تُعيدها

وأنشدنا بعض أصحابنا فى حسن الحديث :

فَبِتْنَا على رَغْمِ الحَسُود وبَيْنَنا   حديثٌ كمِثْلِ المِسْك شِيبَتْ به الخَمْرُ

حديثٌ لو أن المَيْتَ نُوجِى ببعضه   لأَصْبح حَيًّا بعدَ ما ضَمَّه القَبْرُ

قال أبو على : وقرأْت فى نوادر ٱبن الأعرابى عن أبى عمر المطرّز قال : أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى عن ٱبن الأعرابى لأعرابىّ :

(١) روى فى اللسان فى مادة نوط :

* بلاد بها نيطت على تمائمى *

ونيطت أى علقت . والتمائم ؛ واحدتها تميمة وهى خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم فأبطله الاسلام . والبيتان لرقاع بن قيس الأسدى .

وحديثُها كالقَطْرِ يَسْمَعُه راعى سِنِينَ تَتَابعَتْ جَدْبا
فأَصاخَ يَرْجُو أن يكون حَيًا ويقول مِنْ فَرَحٍ هَيَا رَبَّا

وأحسنَ فى هذا المعنى علىّ بن العبّاس الرومى أنشدنَاه الناجم قال: أنشدنا على ابن العباس لنفسه :

وحديثُها السِّحر الحَلَال لو انَّهُ لم يَجْنِ قَتْلَ المُسْلمِ المُتَحَرِّزِ
إن طال لم يُمْلَلْ وإن هى أَوْجَزَتْ ودَّ المحدَّثُ أنها لم تُوجِزِ
شَرَكُ العُقول ونُهْزةٌ ما مِثْلُها لِلْمُطْمَئِنِّ وعُقْلةُ المُسْتَوْفِزِ

وأنشدنا بعضُ أَصحابنا لبَشّار :

وكأَنَّ رَصْفَ حديثِها قِطَع الرِّياض كُسِينَ زَهْرا
وكأنَّ تحتَ لِسانها هاروتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرا
وتَخَال ما جَمَعَتْ عليه ثِيابَها ذَهَبا وعِطْرا
وكأنَّها بَرْدُ الشَّرا بِ صَفا ووافق منك فِطْرا

وقرأت على أبى بكر بن دريد من خط إسحاق بن إبراهيم لأعرابىّ :

أَمُرُّ مُجَنَّبًا عن بيت لَيْلَى ولم أُلْمِمْ به وبِىَ الغَلِيلُ
أمرُّ مجنّبا وهواى فيه فَطَرْفى عنه منكسِرٌ كَلِيل
وقلبى فيه مُقْتَتَل فهل لى إلى قلبى وساكِنِهِ سَبِيل
أُؤَمِّل أن أَعِلَّ بشِرْب لَيْلَى ولم أَنْهَل فكيف لى العَلِيل

وأنشدنا الأخفش لأبى علىّ البصير :

غِناؤكِ عندى يُمِيت الطَّرَبْ وضَرْبُك بالعُود يُحْيِى الكُرَب
ولم أَر قَبْلَكِ من قَيْنَةٍ تُغَنِّى فأَحْسَبُها تَنْتَحِبْ
ولا شاهَدَ الناسُ إنْسِيَّةً سِواك لها بَدَنٌ من خَشَب
وَوَجْهٌ رَقِيبٌ على نفسه يُنَفِّر عنه عُيونَ الرِّيَب

فكيف تَصُدِّين عن عاشق يَوَدُّكِ لو كان كَلْبا كَلِب
ولو مازَجَ النارَ فى حَرِّها حديثُك أَخْمَدَ منها الَّلهَب

وأنشدنا ابن الأنباري قال : أنشدنا أبوالحسن بن البراء :

فَدَيْتُكِ ، لَيْلِي مُذْ مَرِضْتِ طويلُ ودَمْعِى لما لاقيتُ فيكِ هَمولُ
أَأَشرب كأْسا أم أُسَرُّ بلذَّة ويُعْجِبنى ظَبىٌ أَغَنُّ كحِيلُ
وتَضْحَك سِنِّى أو تَجِفُّ مدامعى وأصبوا إلى لهوٍ وأنتِ عليلُ
ثَكِلْتُ إذًا نفسى وقامت قيامتى وغالَتْ حياتى عند ذلكِ غُولُ

قال أبوعلى : ومن أحسن ما سمعت فى القَسَم قول الأشترالنَّخَعِىّ رحمه الله :

بَقَّيْتُ وَفْرِى وانحرفْتُ عن العُلَا ولَقِيتُ أضيافى بوجْهِ عَبُوسِ
إن لم أَشُنَّ على ابن هِنْدٍ غارةً لم تَخْلُ يومًا من نِهَاب نفوس
خَيْلاً كأمثال السَّعالِى شُزَّبًا تَغْدُو بِبِيضٍ فى الكَرِيهة شُوسِ
حَمِىَ الحديدُ عليهمُ فكأنَّه لَمَعان بَرْقٍ أو شُعاعُ شُموس

وأنشدنى بعض أصحابنا :

ولكنَّ عبدَ الله لما حَوَى الغِنَى وصار له من بين إخوانه مالُ
رأى خَلَّةً منهم تُسَدُّ بماله فساهَمَهُمْ حتى استوت فيهم الحال

[مطلب حديث ليلى الأخيلية مع الحجاج وشرح الغريب من ذلك]

وحدّثنى أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال أخبرنا أحمد بن عبيد عن أبى الحسن المدائنى عمن حدّثه عن مولًى لعَنْبَسَة بن سعيد بن العاصى قال : كنت أدخل مع عنبسة بن سعيد بن العاصى إذا دخل على الحجّاج ، فدخل يومًا فدخلت إليهما وليس عند الحجاج أحد إلا عنبسة . فأقعدنى فجىء الحجاج بطَبَق فيه رُطَب ، فأخذ الخادم منه شيئا فجاءنى به ، ثم جىء بطبق آخر حتى كَثُرت الأَطباق ، وجعل لايأتون بشىء إلاجاءنى منه بشىء ، حتى ظننت أن مابين يدىّ أكثر مما عندهما ؛ ثم جاء الحاجب فقال : امرأة بالباب .؟ فقال له الحجّاج : أدخلها ، فدخلت ، فلمارآها

الحجاج طأْطأَ رأسه حتى ظننت أن ذقَنه قد أصاب الأَرض ، فجاءت حتَّى قعدت بين يديه ، فنظرتُ فإذا آمرأة قد أَسَنَّت حَسَنةُ الخَلْق ومعها جاريتان لها ، وإذا هى ليلى الأَخيلية ؛ فسأَلها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ؛ فقال لها : ياليلى ، ماأَتى بك ؟ فقالت : إخلاف النجوم ، وقِلَّة الغُيوم ، وكَلَب البَرْد ، وشدة الجَهْد ، وكنت لنا بعد الله الرِّفْد . فقال لها : صِفِى لنا الفِجَاج ؛ فقالت : الفِجَاج مُغْبَرَّة ، والأَرض مُقْشَعِرَّة ؛ والمَبْرَكُ مُعْتَلّ ، وذوالعيال مُخْتَلّ ، والهالك لِلْقُلّ ؛ والناس مُسْنِتون ، رحمةَ الله يَرْجُون ؛ وأَصابَتْنا سِنُون مُجْحِفة مُبْلِطة ، لم تَدَعْ لنا هُبَعًا ، ولا رُبَعا ؛ ولا عافِطَةً ولا نافِطَة ؛ أَذْهَبَت الأَموال ، ومَزَّقت الرجال ، وأَهْلَكَتْ العِيَال ؛ ثم قالت : إنى قلت فى الأَمير قولا ؛ قال : هاتى ؛ فأَنشأَت تقول :

أَحَجَّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحُك إنَّها الْـ ... مَنَايا بِكَفِّ الله حيثُ تراهـا

أَحجّاجُ لا تُعْطِى العُصاةَ مُناهُمُ ... ولا اللهُ يُعْطِى للعصاة مُناهـا

إذا هَبَطَ الحَجَّاجُ أَرضًا مَرِيضةً ... تَتَبَّع أَقْصَى دائها فَشَفَاهـا

شَفاها من الداء العُضَال الذى بها ... غلامٌ إذا هزَّ القَناة سَقاهـا

سَقاها فَرَوَّاها بِشُرْب سِجالِه ... دماءَ رجال حيث مال حَشاهـا

إذا سمِع الحَجّاجُ رِزَّ[1] كَتيبةٍ ... أَعَدَّ لها قبل النزول قِراهـا

أَعَدَّ لها مَسْمومةً فارسيَّـة ... بأَيدى رجال يَحْلُبون صَرَاها

فما وَلَدَ الأَبكارُ والعُونُ مثلَه ... ببحر ولا أَرْضٍ يَجِفُّ ثَرَاهـا

قال : فلما قالت هذا البيت قال الحجاج : قاتلَها الله ! والله ما أَصاب صِفَتِى شاعرٌ مذ دخلتُ العراقَ غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد فقال : والله إنِّى لأُعِدُّ للأَمر عسى أَلّا يكون أبدا ، ثم التفت إليها فقال : حَسْبُك ؛ قالت : إنى قد قلت أَكثر من هذا ؛ قال : حَسْبُكِ ! وَيْحَكِ حَسْبُكِ ! ثم قال : يا غلام : آذهب إلى فلان فقل له : آقطع لسانها ؛ فذهب بها فقال له : يقول لك الأَمير : آقطع لسانها ؛

(١) الرز بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد .

قال : فأمر بإحضار الحَجَّام ، فالتفتت إليه فقالت : ثَكِلَتْكَ أُمُّك ! أما سمعت ما قال ؛ إنما أمرك أن تقطع لسانى بالصِّلة ؛ فبعث إليه يَسْتَثْبِتُه ؛ فاستشاط الحجاج غضبا وهَمَّ بقطع لسانه وقال : اُرددها ، فلما دخلت عليه قالت : كاد وأمانة الله يَقْطَع مِقْوَلِى ، ثم أنشأت تقول :

حَجَّاجُ أنت الذى ما فَوْقَهُ أحد … إلا الخَلِيفةُ والمستَغْفَرُ الصَّمَد

حجّاج أنتَ شهابُ الحَرْب إن لَقِحت … وأنت للناس نُورٌ فى الدُّجَى يَقِدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إلَّا أنَّا لم نَرَ قَطُّ أفصحَ لسانا ، ولا أحسن محاورة ، ولا أملح وجها ، ولا أرْصَنَ شِعْرا منها ! فقال : هذه ليلى الأَخيلية التى مات تَوْبة الخَفَاجىُّ من حبها ! ثم التفت إليها فقال : أنشدينا ياليلى بعض ما قال فيك توبة ؛ قالت : نعم أيها الأمير ، هو الذى يقول :

وهل تَبْكِيَنْ لَيْلَى إذا مِتُّ قبلها … وقام على قبرى النساء النوائحُ

كما لو أصاب الموتُ لَيْلَى بَكَيْتُها … وجاد لها دمع من العين سافح

وأُغْبَطُ من لَيْلَى بما لا أناله … بلى كل ما قرّت به العين طائح (١)

ولو أنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمت … عَلَىَّ ودونى جَنْدَلٌ وصفائح

لَسَلَّمتُ تسليم البَشاشة أوزَقَا … إليها صَدًى من جانب القبر صائح

فقال : زيدينا من شعره ياليلى ؛ قالت : هو الذي يقول :

حَمَامةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ تَرَنَّمِى … سقاكِ من الغُرِّ الغَوادِى مَطِيرُهـا

أَبِينى لنا لازال رِيشُكِ ناعما … ولازلتِ فى خضراء غَضٍّ نَضِيرُهَا

وكنتُ إذا مازُرْت ليلى تبرقعت … فقد رابنى منها الغَداةَ سُفُورُها

وقد رابنى منها صدودٌ رأيته … وإعراضُها عن حاجتى وبُسُورها

وأُشْرف بالقُور (٢) اليَفَاع لَعَلَّنى … أرى نار ليلى أو يرانى بَصِيرُها

---

(١) روى الشطر الأخير من هذا البيت فى ديوان الحماسة هكذا

* ألا كل ما قرت به العين صالح *

(٢) القور : جمع قارة وهى الجبيل الصغير .

يقول رجالٌ لا يَضِيرُكَ نَأْيُها ... بَلَى كلُّ ماشَفَّ النفوسَ يَضِيرُها

بلى قد يَضِيرُ العينَ أن تُكْثِرَ البكا ... ويُمْنَعَ منها نَوْمُها وسرورُها

وقد زعمت لَيْلَى بأنِّىَ فاجرٌ ... لنفسى تُقَاها أو عليها فُجُورُها

فقال الحجاج : يا ليلى ، ما الذى رابه من سُفورك ؟ فقالت : أيها الأمير ، كان يُلِمُّ بى كثيرا ، فأرسلَ إلىّ يومًا أني آتيك ؛ وفَطِنَ الحَىُّ فأرصدوا له ؛ فلما أتانى سَفَرْتُ عن وجهى ، فعلم أن ذلك لشرٍّ فلم يَزِدْ على التسليم والرجوع ؛ فقال : لله دَرُّكِ ! فهل رأيت منه شيئا تكرهينه ؟ فقالت : لا والله الذي أسأله أن يُصالحك ، غيرَ أنه قال مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأت تقول :

وذى حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها ... فليس إليها ماحَيِيتَ سَبِيـــلُ

لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونه ... وأنت لأُخرى صاحبٌ وحليلُ[(١)]

فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ، ما رأيت منه شيئًا حتى فرّق الموت بينى وبينه ؛ قال : ثم مه ! قالت : ثم لم يلبَثْ أن خرج فى غزاة له فأوصى ابن عمّ له : إذا أتيتَ الحاضر من بنى عبادة فنادِ بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... من الدَّهْر لا يَسْرِى إلَّ خيالُها

وأنا أقول :

وعنه عَفَا رَبِّى وأحسن حاله ... فَعَزَّتْ علينا حاجةٌ لا ينالُهـــا

قال : ثم مه ! قالت : ثم لم يلبث أن مات فأتانا نَعِيُّه ؛ فقال : أنشديتا بعض مَرَاثيك فيه ؛ فأنشدت :

لِتَبْكِ عليه من خَفاجةَ نِسوةٌ ... بماء شُئون العَبْرَة المتحدّر[(٢)]

---

(١) كذا فى الأغانى طبع بولاق وبعض نسـخ الأصـل الخطية ؛ وفى الطبعة الأولى « خليل » بالخاء المعجمة .

(٢) فى الطبعة الأولى : « لتبك العـذارى .. » وما أثبتناه هنا من الكامل للمبرد ص ٧٣٢ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م . وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

أعيني ألا فابكي على ابن حمير ... بدمع كفيـض الجـدول المتفجر

قال لها : فأنشدينا ؛ فأنشدته :

كأنَّ فتى الفِتيان تَوْبَةَ لم يُنِخْ قلائصَ يَفْحَصْنَ الحصى بالكَراكر(١)

فلما فرغت من القصيدة قال محصن الفَقْعَسِيّ ـ وكان من جلساء الحجاج ـ : من الذى تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إنى لأَظنّها كاذبة ؛ فنظرت إليه ثم قالت : أيها الأمير ، إن هذا القائل لورأى توبة لسرّه ألا تكون فى داره عذراء إلّا هى حامل منه ؛ فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب وقد كنتَ عنه غنيًا ، ثم قال لها : سَلِى ياليلى تُعْطَى ؛ قالت : أعْطِ فمثلك أعطى فأحسن ؛ قال : لك عشرون ؛ قالت : زد فمثلك زاد فأجمل ؛ قال : لك أربعون ؛ قالت : زد فمثلك زاد فأكمل » ؛ قال : لك ثمانون ؛ قالت : زد فمثلك زاد فتمّم ؛ قال : لك مائة ، واعلمى أنها غَنَم ؛ قالت : معاذ الله أيها الأمير ! أنت أجْودُ جُودا ، وأمجد مجدا ، وأوْرَى زَنْدا ، من أن تجعلها غنما ؛ قال : فما هى ويحك ياليلى ؟ قالت : مائة من الإبل برُعاتها ؛ فأمر لها بها ، ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع إلىّ النابغة الجَعْدىّ ؛ قال : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه ويهجوها ؛ فبلغ النابغة ذلك ، فخرج هاربا عائذا بعبد الملك ؛ فاتبعته إلى الشام ؛ فهرب إلى قُتَيْبَة بن مسلم بخراسان ، فاتّبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة . فماتت بقُومَس ويقال : بحُلْوان .

قال أبو على : قولها : إخلاف النجوم ، تريد : أَخْلَفَت النجومُ التى يكون بها المطر فلم تأت بمطر . وكَلَبُ البَرْد : شدّته ، وهذا مثل لأن الكَلَب السُّعار الذى يصيب الكلاب والذئاب . والرِّفْد : المَعُونة ، والرِّفْد : العَطِيّة ، ويقال : رَفَدْته من الرِّفْد وأرْفَدْته إذا أعنتَه على ذلك ؛ وقال الأصمعىّ : الرِّفْد بكسر الراء : القَدَح . والرِّفْد

= وما كتبه بعضهم على هامش بعض النسخ من قوله : لعله المتحادر ، بالألف قبل الدال لتستقيم القافية ؛ ونقله مصحح الطبعة الأولى لم يتحر فيه الصواب ، فان البيت الذى استند اليه فى لزوم الألف وهو :

فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى لقدر عيالا دون جار مجاور

من قصيدة أخرى لليلى أيضا مطلعها :

نظرت وركن من بوانة دوننا وأركان حسمى أى نظرة ناظر

ومنها البيت : كان فتى الفتيان الخ .

(١) الكراكر جمع كركرة ، وهى زور البعير الذى اذا برك أصاب الأرض وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة كذا فى اللسان .

بالفتح : مصدر رَفَدْته ، والرَّفود من الإبل التى تملأ الرِّفْد ؛ وقال أبو عبيدة : الرِّفْد بفتح الراء : القَدَح ، وأنشد قول الأعشى :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَه ذلك اليـــو مَ وأسْرَى من مَعْشَرٍ أقتال (١)

قال : والرِّفْد بالكسر : المعونة ؛ وروى الأصمعىّ : رُبَّ رِفْدٍ بكسر الراء . والفِجَاج جمع فَجٍّ ، والفج : كل سَعَةٍ بين نَشَازَيْن ، كذا قال أبو زيد . وقولها : والمَبْرك مُعْتَلٌّ ، أرادت الإبل فأقامت المبرك مكانها لعلم المخاطب إيجازا واختصارا ، كما قالوا : نهارُه صائم وليلُه قائم . وقولها : وذو العيال مُخْتَلٌّ ، أى محتاج ، والخَلَّة الحاجة . وقولها : والهالك للقُلّ ، أى من أجل القِلَّة . وقولها : مُسْنِتُون ، أى مُقْحِطون ، والسَّنَة : القَحْط ، والسُّنُون : القُحوط . ومُجْحِفة : قاشرة . وقولها : مُبْلِطة ، أي مُلْزِقة بالبَلاط ، والبَلاط : الأرض الملساء ، وقال الأصمعىّ : أبْلَط الرجلُ فهومُبْلِط إذا لَزِق بالأرض ؛ وحكى يعقوب عن غيره ؛ أُبْلط فهو مُبْلَط ، وهو الهالك الذي لا يجد شيئا . وقولها : لم تَدَعْ لنا هُبَعًا ولا رُبَعا ، فالهُبَع : ما نُتِج فى الصيف . والرُّبَع : ما نتج فى الربيع . وقولها : ولا عافِطَة ولا نافِطة ، أى لم تدع لنا ضائنة ولا ماعزة ، والعافطة : الضائنة ، والعَفْط : الضَّرْط ، يقال : عَفَطَتْ تَعْفِطُ عَفْطًا إذا ضَرَطَت ، فهى عافطة . والنافطة : الماعزة ، والنَّفْط : العُطاس ، يقال : نَفَطَت تَنْفِط إذا عَطَسَت ، فهى نافطة .

[مطلب ما يقال فى وصف الرجل لايملك شيئا وشرح الغريب من ذلك]

ومما يقال فى هذا المعنى : ماله سَبدٌ ولالَبَدٌ ، أى ماله ذو سَبَدٍ وهو الشعر ، ولاذو لَبَدٍ وهو الصوف ، فمعناه : ماله شاة ولا عَنْز . وما له سارحة ولا رائحة ، أى ماله ماشية تَسْرَح أو تروح . وما له ثاغية ولا راغية ، فالثاغية : الشاة ، والراغية : الناقة ، لأنه يقال لأصوات الشاء : الثُّغَاء ، وقد ثَغَتَ تَثْغُو ، ولأصوات الإبل : الرُّغَاء ، وقد رَغَتْ تَرْغُو ؛ والعرب تقول : ما أَثْغَانى ولا أَرْغانى ، أى ما أعطانى ثاغية ولا راغية ، وما أَجَلَّنى ولا أَحْشَانى ، أى ما أعطانى من جِلَّة إبله ولا من حَوَاشيها ،

---

(١) جمع قتل بالكسر ، وهو العدو .

والحَوَاشِى ، واحدتها حاشية ، وهى صغار الإبل . وما له دقيقة ولا جليلة ، والدقيقة : الشاة . والجليلة : الناقة . وماله حانَّة ولا آنَّة ، فالحانة : الناقة تحنّ إلى ولدها . والآنة : الأَمَة تَئِنُّ من شدّة التعب أو من علّة . وماله هارِبٌ ولا قارِبٌ ، فالهارب : الصادر عن الماء ، والقارب : الطالب للماء . وما له عاوٍ ولا نابحٌ ، أى ماله غنم يَعْوِى بها الذئب أويَنْبَحُ فيها الكلب ، فإذا نفى عنه العاوى والنابح قد نفى عنه الغنم . وما له هِلَّعٌ ولا هِلَّعة ، أي ماله جَدْى ولا عَنَاق . وما له زَرْعٌ ولا ضَرْع . وماله قِدٌّ ولا قِحْفٌ ، فالقِدُّ : إناء من جلود ، والقِحْف : إناء من خشب . وماله أَقَذُّ ولا مَرِيش ، فالأَقَذُّ : السهم الذي لاقُذَّة له ، وهى الريش ، وجمعها قُذَذ ، والمَرِيش : الذى عليه الرِّيش . وماله سَعْنة ولامَعْنَة ، أى ماله قليل ولا كثير ؛ قال النمر ابن تَوْلب :

ولا ضَيَّعْتُه فأُلَامَ فيـــــه   فإنّ ضَياعَ مالكَ غَيْرُ مَعْنِ

أى غير يسير ولا هَيِّن ؛ قال أبو العباس : فدل هذا على أن المَعْن : القليل ، والسَّعْن : الكثير .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال أخبرنا محمد بن الحكم عن قُطْرُب قال : يقال : ماله سَعْن ولامَعْن ، فالسَّعْن : الوَدَك . والمَعْن : المعروف ، وأنشد بيت النمر ، وقد مضى فى الباب . وما له دارٌ ولاعَقَارٌ ، فالعَقَار : النخل . وما له سِتْرٌ ولاحِجْر ، فالسِّتْر : الحياء ؛ قال زهير :

السِّتْرُ دُون الفاحشات ولا   يلقاك دون الخَيْرِ منْ سِتْر

والحِجْر : العَقْل ، وإنما سمى حِجْرًا لأنه يَحْجُر صاحبَه عن القبيح . وماله أَثَرٌ ولا عِثْيَر ، فالعِثْيَر : الغبار ؛ قال الشاعر :

* أثَرْنَ عليهم عِثْيَرًا بالحوافِرِ *

قال أبو العباس أحمد بن يحيى : ومعناه : أنه لا يغزو راجلا فيتبين أثَرُه ، ولا فارسا فَيُثِيرَ الغبارَ فرسُه . وماله حِسٌّ ولابِسٌّ ، أى ماله حركة ، فالحِسُّ :

مايُحَسّ به ، والبِسّ من قولهم :أبْسَسْت بالناقة إذا قلتَ لها : بِسْ بِسْ لِتَدِرّ . وكسروا الباء ليكون على مثال حس . وقال أبو عبيدة : يقال : قَدِم فلان فما جاء بِهِلّةٍ ولابِلّةٍ ، فَهِلّة : فَرَحٌ ، وبِلّة : أدني بَلَل من الخير . وأنشدنا أبو بكر بن دريد عن أبي عثمان عن التوّزىّ عن أبي عبيدة لرجل من بنى تميم :

ولمّا رأينَ بنى عاصم دَعَوْنَ الذى كُنَّ أنْسِينَــهُ
فوارَيْنَ ما كنّ حَسّرْنَــهُ وأخفَيْنَ ماكُنَّ يُبْدِينــه

يصف نساءً سُبِين فأُنْسِين الحياء ، فأبْدين وجوههن وحسرن رءوسهن ، فلما رأين بنى عاصم أيقنَّ أنهن قدْ اسْتُنْقِذْن ، فراجَعْن حياءهن فَسَتَرْن وجوههن وغَطَّين رءوسهن .

[مطلب ما وقع بين سبيع بن الحارث وميثم بن مثوب من المخاصمة بمجلس مرثد الخير وخطبته فى شأنهما وإصلاحه ذات بينهما وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبوبكر رحمه الله قال حدّثنا السكن بن سعيد الجُرْمُوزى عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن أبيه قال : كان مَرْثَد الخَيْرِ بن يَنْكَف بن نوف بن مَعْدِيكَرِب ابن مُضْحِى قَيْلا ، وكان حَدِبًا على عشيرته مُحِبًّا لصلاحهم ، وكان سُبَيْع بن الحارث أخو عَلَس ـ وعَلَس هو ذو جَدَن ـ وميثم بن مثوب ابن ذى رُعَيْن تنازَعا الشَّرف حتى تَشاحَنا وخيف أن يقع بين حَيَّيْهما شرٌّ فيتَفَانى جِذْماهما ؛ فبعث إليهما مَرْثَد فأحضرهما ليُصْلح بينهما ، فقال لهما : إن التَّخَبُّط وامْتِطاء الهِجَاج ، واسْتِحْقاب اللَّجاج ، سَيَقِفُكُما على شَفا هُوَّةٍ فى تورُّدِها بَوار الأَصِيلَة ، وانقطاعُ الوَسِيلة ، فتَلافَيا أمركما قَبْلَ انْتِكاث العَهْد ، وانحلال العَقْد ، وتَشَتُّت الأُلْفة ، وتَبايُن السُّهْمة ، وأنتما فى فُسْحة رافِهة ، وقدم واطِدة ، والمَوَدَّةُ مُثْرِيَة ، والبُقْيا مُعْرِضة . فقد عرَفْتم أنْباءَ من كان قَبْلكم من العرَب ممن عَصَى النَّصِيح ، وخالف الرشيد ، وأصْغَى إلى التقاطع ، ورأيتم ماآلت إليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صَيُّور أمورهم ، فتَلافَوُا القَرْحة قبل تَفاقُم الثَّأْى واسْتِفْحال الداء وإعْواز الدَّواء ، فإنه إذا سُفِكَت الدماء اسْتَحْكَمَت الشَّحْناء ، وإذا استحكمت الشحناء تقضَّبَتْ عُرَى الإبقاء وشَمِل البلاء ، فقال سُبَيْع : أيُّها الملك ، إن عداوة بنى العَلّات لاتُبْرئها الأُسَاة ، ولا تَشْفِيها الرُّقاة ، ولا تَسْتَقِلّ

بها الكُفاة ؛ والحَسَد الكامن ، هو الداء الباطن ؛ وقد علم بَنُو أبينا هؤلاء أنَّا لهم رِدْءٌ إذا رَهِبوا وغَيْثٌ إذا أجْدَبوا ، وعَضُدٌ إذا حاربوا ، ومَفْزَع إذا نُكِبوا ، وإنا وإياهم كما قال الأوّل [١] :

إذا ما عَلَوْا قالوا أبُونا وأُمُّنا ... وليس لهم عالِينَ أُمٌّ ولا أب

فقال مَيْثم : أيها الملك ، إن من نَفِسَ على ٱبن أبيه الزَّعامة ، وجَذَبَه فى المَقَامة . وٱستكثر له قليل الكَرامة ، كان قَرِفًا بالملامة ، ومؤنَّبا على ترك الاستقامة ، و إنا والله ما نَعْتَدُّ لهم بِيَدٍ إلا وقد نالهم منا كِفَاؤها ، ولا نَذْكُر لهم حَسَنة إلا وقد تَطَلَّع منا إليهم جزاؤها ، ولا يَتَفَيَّأُ لهم علينا ظلُّ نعمة إلا وقد قُوبِلوا بشَرْواها ، ونحن بَنُو فَحْلٍ مُقْرَم لم تَقْعُد بنا الأمهات ولا بهم ، ولم تَنْزِعْنا أعراق السُّوء ولا إياهم ، فعَلَامَ مطُّ الخُدود وخَزَر العُيون ، والجَخِيفُ والتَّصَعُّر ، والبَأْوُ والتكبر ؟ أَلِكَثْرة عَدَد ، أم لفَضْل جَلَد ، أم لطول مُعْتَقَد ؟ وإنَّا وإياهم لكما قال الأوّل :

لاهِ [٢] ٱبنُ عَمِّك لا أَفْضَلْتَ فى حَسَبٍ ... عَنِّى ولا أنت دَيَّانِى فَتَخْــــزُونى

ومَقَاطِع الأمور ثلاثة : حَرْبٌ مُبِيرة ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرة ، أومُداجاةٌ وغَفِيرة ؛ فقال المَلِك : لاتُنْشِطُوا عُقُلَ الشَّوارد ، ولاتُلْقِحوا العُونَ القَواعد ، ولا تُؤَرِّثوا نِيران الأحقاد ففيها المَتْلَفة المُسْتَأْصِلة ، والجائحة والأَلِيلة ، وعَفُّوا ابالحِلْم أَبْلادَ الكَلْم . وأَنِيبُوا إلى السبيل الأرشدو المَنْهَج الأقصد ، فإن الحرب تُقْبِل بِزِبْرِج الغرور ، وتُدْبِرُ بالويل والثُّبُور ، ثم قال الملك :

ألا هَلْ أتى الأقوامَ بَذْلِى نصيحةً ... حَبَوْتُ بهــا مِنِّى سُبَيْعًا وميثَما

وقلت ٱعْلَما أن التَّدابُرَ غادَرَتْ ... عَوَاقِبُــه لِلذُّل والقُلِّ جُرْهُما

فلا تَقْدَحا زَنْد العُقوق وأبْقِيا ... على العِزَّةِ القَعْساء أن تتهــدّما

ولا تَجْنِيــا حَرْبًا تَجُرُّ عليكما ... عواقبُها يَوْمًا من الشَّرِّ أَشأَما

---

(١) هو أوس بن حجر التميمى كما فى ديوانه المطبوع فى فينا سنة ١٨٩٢ م ص ٢ .

(٢) لاه : أراد : لله ابن عمك فحذف لام الجر واللام التى بعدها (انظر اللسان مادة لوه) والبيت لذى الاصبع العدوانى .

فإن جُنَاة الحرب للحَيْنِ عُرْضَةٌ تُفَوِّقُهم منها الذُّعافَ المُقَشَّما
حَذَارِ فلا تَسْتَنْبِثُوها فإنها تُغادِر ذا الأنف الأَشَمّ مُكَشَّما

فقالا : لا أيها الملك ، بل نَقْبَل نُصْحَك ، ونُطِيع أمرك ، ونُطْفِئ النائرة ، ونَحُلُّ الضَّغائن ، ونَثُوب إلى السِّلْم .

قال أبوعلي : قوله : تَشَاحنا ، من الشَّحْناء وهى العداوة والجِذْم : الأصل ، قال أوس بن حَجَر :

غَنِيٌّ تَــآوَى (١) بــأولادهـــا لِتُهْلِك جِذْمَ تَمِيم بن مُرّْ

وكذلك الجَذْر ، وجُذُورُ الحساب منه ، وقال أبو عمر الشيباني : الجِذْر بكسر الجيم . وقال أبوبكر: التَّخَبُّط : ركوب الرجل رأْسَه فى الشر خاصّة ، قال أبوعلي : ولم أسمع هذه الكلمة من غيره . فأما التَّخَمُّط بالميم : فالتَّكَبُّر ، وأنشد يعقوب :

وخَطِيبِ قَوْمٍ قَدَّموه أمامَهم ثِقَــةً به مُتَخَمِّطٍ تَيَّاحِ (٢)

وقال أبوبكر : يقال : رَكِبَ الرجُل هَجَاجه (٣) إذا لَجَّ ومَحِك . والاسْتِحْقَاب : استفعال من الحَقِيبة أو من الحِقَاب ، فأما الحَقِيبة فما يَجْعل فيه الرجلُ متاعَه من خُرْج أو غيره ، وحَقِيبة الجَمَل التى تكون وراء الرَّجل تُحْشَى تبنا أو حشيشا . وقول نُصَيْب فى سليمان بن عبد الملك رحمهما الله تعالى :

أقول لِرَكْبٍ قافِلِين لَقِيتُهم قَفَا (٤) ذاتِ أوشال (٥) ومولاكَ قاربُ
قِفُوا خَبِّرونا (٦) عن سليمان إنَّني لمعروفه من آل وَدَّانَ (٧) طالب
فعاجوا فأثْنَوْا بالذى أنت أهلُه ولو سكتوا أثْنَتْ عليك الحقائب

(١) تأوى : تتجمع . (٢) يقال : تاح فى مشيته اذا تما يل .

(٣) فى اللسان : وركب فلان هجاج غير مجرى : وهجاج مبنيا على الكسر مثل قطام : ركب رأسه اه . وبه يعلم ما هنا .

(٤) قفا : خلف .

(٥) الأوشال : مياه تسيل من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق الى المزارع . وذات أوشال : مجتمع ذلك الماء .

(٦) رواية الكامل للمبرد : خبروني . (٧) ودان : اسم موضع .

من الحَقِيبة. والحِقَاب : بَرِيمٌ تَشُدُّ به المرأة وَسطَها . والبَرِيم : خيط فيه لونان، وهذا مَثَل ؛ إما أن يكون أراد أنه احْتَزَم باللَّجاج أو جَعَلَه فى وِعائه . والهُوَّة : الجَوْبة . والبَوَار:الهلاك. وقال أبوزيد : الأَصيلة والأَصْل واحد. والانتِكاث :الانتِقاض، والأَنْكَاث ، واحدها نِكْثٌ ، وهو ما نُقِضَ من الأَخْبِية والحِبال ليعاد ثانية ، ومنه بشير ابن النِّكْث . والسُّهْمَة : القَرابة . ورَافِهة : ناعمة ، من الرَّفاهِيَة . ووَاطِدة : ثابتة. ومُثْرِيَة : متصلة ، مأْخوذة من الثَّرَى ، وهو التراب النَّدِىُّ ، يقال : ثَرَّيْت الترابَ إذا بَلَلْته ، قال جرير :

فلا تُوبِسُوا بينى وبينكُمُ الثَّرَى ... فإنَّ الذى بينى وبَيْنَكُمُ مُثْرِى

ويقال : قد ثَرِيتُ بك ، أى كَثُرْتُ بك ، وثرى بَنُو فُلان بنى فلان ، أى صاروا أكثر منهم . وأَثْرَى الرجلُ يُثْرِى إثْراءً إذا كَثُر ماله ، وإنه لَمُثْرٍ . والثَّرَاء والثَّرْوة جميعا : كثرة المال ، وقد تكون الثَّرْوة كثرة العدد . وينشد بيت ابن مقبل :

وثَرْوَةٍ مِنْ رجالٍ لو رأَيْتَهُمُ ... لَقُلْتَ إحدى حِرَاجِ الجَرِّ [(١)] من أُقُرِ [(٢)]

فالثَّروة هاهنا كثرة العدد . ويروى ، وثَوْرة من رجال ، وهم الذين يَثُورُون فى الحرب . ومُعْرِضة : ممكنة ، قد أَمْكَنَتْ من عُرْضها ، أى من جنبها وناحيتها ، يقال: قد أَعْرَضَ لك الظَّبْىُ فارْمِهِ ، أى قد أمكنك من عُرْضِه . قال الأَصمعى : صار يَصِير صَيْرُورة ومَصِيرا ، والصَّيُّور : الأَمر الذى يُرْجَع إليه . واسْتِفْحال الداء اشتداده ، وهو أن يصير مثل الفحل . وتَقَضَّبَتْ : تقطعت . وشَمِلَ البلاءُ : عَمَّ ، وَشمِلَ يَشْمَل أفصح ، وقال أبو عبيدة : شَمَلَ يَشْمُل ، وأنشدنا :

كَيْف نَوْمِى على الفــراش ولَمَّا ... تَشْمَلِ الشَّأْمَ غارةٌ شَعْــواء [(٣)]

والأُساة : الأَطِبَّاء ، واحدهم آسٍ ، قال البَعِيث :

إذا قاسَها الآسِى النِّطَاسِىُّ أَدْبَرَتْ ... غَثِيثَتُها وازْدَاد وَهْيًــا هُزُومُهــا

---

(١) الجر : اسم موضع . (٢) أقر : اسم جبل .

(٣) غارة شعواء : فاشية متفرقة . والبيت لابن قيس الرقيات كما فى اللسان « ج ١٣ ص ٣٩١ ، ج ١٩ ص ١٦٤ » .

الغَثِيثة : ماسال من الجُرْح من مِدَّة أوقَيْح . والإسَاء : الدواء . والرِّدْء : العَوْن ، قال الله عزوجل : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ . والزَّعامة : الرياسة ، ويقال : السِّلاح وهى ها هنا الرياسة ، قال لَبيد :

تَطِيرُ عَدائد الأَشْراك شَفْعًا وَوَتْرًا والزَّعامــةُ للغُــلام

وجَدَبَه : عابه ، وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه جَدَبَ السَّمَرَ بعد عَتَمةٍ ، أى عابه ، قال ذو الرُّمّة :

فَيالَكَ مِنْ خَدٍّ أسِيلٍ ومَنْطِقٍ رَخِيم ومن خَلْقٍ تَعَلَّل جادِبُهْ

والمَقامةُ : المجلس ، قال الأصْمعى : المَجْلِس الناس ، وأنشد بيت مُهَلْهِل :

نُبِّئْتُ أَنَّ النارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المجلسُ

قَرِفًا ، قال أبو على : هكذا أملاه قَرِفًا على فَعِل ، أى خَلِيقا ، وكان ابن الأعرابى يقول : يقال : أنْتَ قَرَفٌ من كذا ، ولا يقال : قَرِيف ولا قَرِف . ويقال : إنه لَخَلِيْق لكذا وكذا ، وقد خَلُق خَلاقة ، وإنه لَجَدِير بكذا وكذا ، وقد جَدُر جَدارة ، وإنه لَحَرِيٌّ وحَرًى وحَرٍ لذلك ، وإنه لَقَمِينٌ بكذا وكذا ، وقَمِنٌ وقَمَنٌ ، وإنه لَعَسٍ أن يفعل ذلك ، ويُثَنَّى ويجمع ، وليس يقال فيه : يعسو ولا يعسَى ، وإنه لَحَجٍ به وحَجِيٌّ به ، وقد حَجِيَ يَحْجَى حَجًى ، ولا يقال : أنت حَجى بكذا ولا عَسًى . ويقال فى هذا كله : ماأخْلَقَه وأجْدَرَه وأحْراه وأعْساه وأقْمنَه وأحْجَاه وما أقْرفَه . ويقال فى هذا كله : أفْعِل به : أعْسِ به ، أقْرِفْ به .

قال أبو على : وقد روينا من غير طريق ابن الأعرابى : أنت قَرِفٌ بكذا وحَجًى بكذا ، وهما عندنا جائزان . وقال أبو على : ويقال : قَرَف عليه يَقْرِف قَرْفا : إذا بَغَى عليه ، وقَرَفَ فلان فلانا إذا وَقَع فيه كأنه يَقْشِره . وقَرَفْت القَرْحة إذا قَشَرْتَها ، ويقال : تَرَكْتُهم على مثْلِ مَقْرِف الصَّمْغة ، أى مَقْشِرها ، والقَرْف : القَشْر ، والقِرْف : القِشْر ، والقِرْفة : القِشْرة ، ولهذا سُمِّي هذا التابَل قِرْفة ، لأنه لِحاء شجر ، ويقال : صَبَغ ثوبه بقِرْف السِّدْر . وقال الأصمعى : أقْرَف الرجلُ وغيره إذا دانَى الهُجْنة فهو مُقْرِف . ويقال : أخشي عليه القَرَف ، أى مُداناة المرض . ويقال : قُرِف فلان بسوء

فهو مَقْروف ، ومَنْ قِرْفَتُك من القوم ، أى من تَتَّهِم . والمُقَارفَة : الجماع ، وفى حديث عائشة رضى الله عنها : « إنْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيُصْبِح جُنُبا عن قِرافٍ غير ٱحتلام » . ويقال : ٱقْتَرفَ إذا ٱكتسب . والقُرُوف : الأَوْعِيَة ، واحدها قِرْف . وشَرْواها : مِثْلُها . والمَطُّ . والمَدُّ والمَتُّ بمعنى واحد . والخَزَرُ : أن ينظر الرجل إلى أحد عُرْضَيْه ، يقال : إنه لَيَتَخَازَرلى إذانَظَر إليه بمُؤْخِرِعَيْنه ولم يستقبله بنظره . وأنشدنى أبو بكر بن دريد :

إذا تَخَازَرْتُ وما بِى مِن خَزَرْ ثم كَسَرْتُ العينَ من غير عَوَرْ[1]

أَلْفَيْتَنِى أَلْوَى بَعِيدَ المُسْتَمَر أَحْمِل ما حُمِّلْتُ من خَيْرٍ وشَرّْ

وقال أبو عبيدة : الجَخِيف : التَّكَبُّر .

قال أبو على : حدّثنا بعض مشايخنا عن أبى العبّاس أحمد بن يحيى أنه قال : بلغنى أنه قيل للأصمعى : قال أبو عبيدة : الجَخِيف : التكبر ، والبأْوُ : التكبر ، قال : أما البَأْوُ فَنَعَمْ ، وأما الجَخِيف فلا .

وحدّثنى أبو بكر بن دريد قال حدّثنى أبو حاتم قال : قلت للأصمعى : أتقول فى التهدّد : أَبْرق وأَرْعد ؟ فقال : لا ، لست أقول ذلك إلا أن أرى البَرْق أوأَسْمَع الرعد ، فقلت : فقد قال الكميت :

أَبْرِقْ وأَرْعِـدْ يا يزيـ ـد فما وَعِيدُكَ لى بِضَائر

فقال : الكُمَيْت جُرْمقانِىٌّ من أهل الموصل ليس بحجة ، والحجة الذى يقول :

إذا جاوَزَتْ مِنْ ذات عِرْقٍ ثَنِيَّــةً فَقُلْ لأَبى قَابوسَ ما شِئْتَ فارْعُد

فأتيت أبا زيد فقلت له : كيف تقول من الرَّعْد والبَرْق : فَعَلَتِ السماءُ ؟ فقال : رَعَدَتْ وبَرَقَتْ ، فقلت : فَمِنَ التهدّد ؟ قال : رَعَدَ وبَرَق وأَرْعَدَ وأَبْرَقَ ، فأَجاز اللغتين جميعا ، وأقبل أعرابىّ مُحْرِم فأَردت أن أسأله فقال لى أبو زيد : دعنى فأنا أعرف بسؤاله منك ، فقال : ياأعرابى ، كيف تقول : رَعَدَت السماء وبَرَقَتْ

---

(١) جاء فى اللسان ج ٧ ص ١٩ مانصه : « قال ابن برى : هذا الرجز يروى لعمرو بن العاص ؛ قال : وهو المشهور ، ويقال : إنه لأرطاة بن سهية تمثل به عمرو رضى الله عنه » اهـ .

أَو أَرْعَدَت وأَبْرَقَت ؟ فقال : رَعَدَتْ وبَرَقَت ، فقال أبو زيد : فكيف تقول للرجل من هذا ؟ فقال : أَمِنَ الجَخِيف تُريد ؟ — يعنى التهدّد — قلت : نعم ، فقال أقول : رَعَدَ وبَرَق وأَرْعَد وأَبْرَق . وتَخْزُونى : تَقْهرنى وتَسُوسُنى ، وقال يعقوب ، خَزَوته : قهرته . والمُدَاجاة : المُساتَرة ، قال الأَصمعى : دجَا الليلُ يَدْجُو إذا أَلْبَس كُلَّ شىء ؛ وأَنشد غيره :

فما شِبْهُ عمرو[1] غَيْر أَغْتَمَ فاجِرٍ أَبى مُذْدَجا الإِسلامُ لا يَتَحَنَّفُ

يعنى : أَلْبَسَ كلَّ شىء . وقال بعض العرب : ترى الحُبارَى الصَّقْر فينْتَفِش ريشُها ، فإذا سَكَن رُوعُها دَجَا رِيشُها ، أَى رَكِب بَعْضُه بعضا . وقيل لأَعرابى : بأَى شىء تَعْرِف حَمْلَ الشاة ؟ فقال : بأَن تَسْتَفِيض خاصِرتاها وتَدْجُوَ شَعْرَتُها ويُحشِف حَيَاؤُها . وقوله : غَمِيرة ، أَى غُفْران ، والعرب تقول : ليست فيهم غَفِيرة ، أَى لايَغْفِرون . ويقال : جاءوا جَمًّا غَفِيرا والجَمَّاءَ الغَفِيرَ . والغَفْر : زِئْبِر الثوب ، والغَفْر : الشَّعَرُ الذى على ساق المرأة ، والغَفْر : مَنْزِل من منازل القمر ، كلها مسكَّنة الفاء مفتوحة الغين . والغُفْر : وَلَد الأَرْوِيَّة ، والجمع أَغْفَار . والغِفَارة : السحابة تراها كأَنها فوق السحابة ، والغِفَارة : الجلدة التى تكون على رأس القوس فى الحَزِّ يَجْرِى عليها الوَتَر ، والغِفَارة : خرقة تلبسها المرأة تحت مِقْنَعتها تُوَقِّى بها الخِمار من الدُّهْن . ويقال : غَفَرَ الرجلُ يَغْفِر غَفْرا إذا بَرأَ من مرضه ، وغَفَر إذا نُكِس ، قال الشاعر[2] :

خَلِيلَيَّ إِنَّ الدارَ غَفِرٌ لِذِى الهوى كما يَغْفِرُ المحْمُومُ أَو صاحبُ الكَلْمِ

وغَفَر الجُرْح يَغْفِر غَفْرا إذا فَسَدَ ، وغَفَرَ الرجلُ المتاع فى الوعاء يَغْفِره غَفْرا ، ويقال : اَصْبُغْ ثوبَك بالسَّواد فإنه أَغْفَرُ للوسخ ، أَى أَغْطَى له . وقال الأَصمعى : نَشَطت العُقْدة : عَقَدْتُها ، وأَنْشَطْتها : حَلَلْتُها . أما قوله : ولا تُلْقِحوا العُون ، فإنما هو مَثَلٌ ، وأَصله فى الإِبل ، يقال : لَقِحَت الناقةُ إذا حَمَلت وأَلْقَحها الفَحْلُ ، ثم ضرب

---

(١) فى اللسان ج ١٨ ص ٢٧٣ : كعب .

(٢) الشاعر هو المرار الفقعسى كما فى اللسان مادة « غفر » وبعد البيت :

قِفا فاسألا من منزل الحي دمنة وبالأبرق البادي ألما على رسم

ذلك مَثَلا للحرب إذا ابتدأت . والعُونُ : جمع عَوَان وهى الثَّيِّب ، يقال للحرب : عَوَانٌ إذا كان قد قُوتِل فيها مرة بعد مرة . وتُؤَرِّثوا : تُذْكُوا ، قال أبو زيد : يقال : أرِّنارك تَأْرِيةً ، أي عَظِّمْها ، ونَمِّها تَنْمِيَةً مثله ، وكذلك ذَكِّنارك تَذْكِيَةً ، أى أَلْق عليها حطبا أو بَعرًا لتَهِيجَ ، واسمُ الذى يُلْقَى عليها من الحطب أو البعر : الذُّكْيَة ، وأَرِّثْ نارك تَأْرِيثًا مثله ، واسم ماتُؤَرَّث به النارُ : الإرَاث . والأَلِيلة : الثُّكْل . والجائحة : الاستئصال ، أنشدنى أبو بكر :

فَهِىَ الأَلِيلَةُ[1] إن قَتَلْتُ خُؤُولَتِى وهِىَ الأَلِيلة[1] إن هُمُو لم يُقْتَلوا

والأَلِيل : الأنين ، قال ابن مَيَّادة :

وقُولا لها ما تَأْمُرِينَ لِوامِقٍ له بَعْدَ نَوْمات العُيون أَلِيـلُ

أى أنين . ويقال : سَمِعْت أَلِيلَ الماء وخَرِيره وقَسِيبَه ، أى صوت جَرْيه . والأَبْلاد : الآثار . واحدها : بَلَدٌ ، وكذلك النُّدُوب ، واحدها نَدَبٌ . والحَبَار والحَبَر والعُلُوب : الآثار ، والدَّعْس : الأَثَرُ ، والعاذرُ : الأثر ؛ قال ابن أحمر :

أُزاحِمُهُمْ بالبـــاب إذ يَدْفَعُونَنى وبالظَّهْرِ منِّى مِنْ قَرَا الباب عاذِرُ

والزِّبْرِج : السحاب الذى تَسْفِره الريح ، وهذا قول الأصمعىّ ، وقال أبو بكر ابن دريد رحمه الله : لا يقال : زِبْرِج إلا أن تكون فيه حُمْرة . والقُلُّ : القِلَّة . والذُّل : الذِّلة . والقَعْساء : الثابتة ، وتُفَوِّقهم :تسقيهم الفُوَاق ،والفُوَاق : مابين الحَلْبتين ،كأنه يَحْلُب حَلْبة ثم يسكت ثم يَحْلُب أُخرى والمُقَشَّم والمُقَشَّب واحد ، وهو المَخْلوط . ولا تَسْتَنبِثُوها : مَثَلٌ ، أى لا تُخرِجوا نَبِيثَتَها ، وهو مايُخْرَج من البئر إذا حُفِرت ، يريد : لا تُثِيروا الحرب . ومُكَثَّم : مقطوع .

وقرئ على أبى بكر بن دريد لأبى العَمَيْثَل عبد الله بن خالد وأنا أسمع :

لَقِيتُ ابْنةَ السَّهْمِىّ زَيْنَبَ عن عُفْرِ ونَحْنُ حَرامٌ مُسْىَ عاشرةِ العَشْر

وإنَّا وإيّاهـــا لَحَتْمٌ مَبِيتُنـــا جميعا وسَيْرانا مُغِذٌّ وذو فَتْر

(١) فى اللســان مادة ألل : فلى الأليلة .. ولى الأليلة .

قوله : عن عُفْرٍ : عن بُعْدٍ ، أى بَعْدَ حين ، يقال : ما أَلقاه إلا عن عُفْر ، أى بعد حين . حرام ، أى مُحْرِمون . مُمْسَىَ عاشرة العشر ، يعنى أنه لَقِيَها بعرفات عَشِيَّة عرفة وهو مُمْسىُ عاشرة العَشْر . وقوله : حَتْمٌ مبيتُنا ، يقول : مَبِيتُ الناس بالمُزْدَلِفة لا يجاوزها أحد . وسَيْرَانا ، أى سَيْرِى أنا مُغِذٌّ ، أى مُسْرع ، وسَيْرُها ذو فَتَرٍ ، أى ذو فُتور وسكون لأنها يُرْفَق بها .

[ما قيل فى طول الليل]

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال : أنشدنا أبو حاتم ــ ولم يسم قائله ــ فى طول الليل :

أَلا هل عَلَى اللَّيْل الطويل مُعِين	إذا نَزَحَتْ دارٌ وحَنَّ حَزِينُ
أُكابِدُ هذا اللَّيلَ حَتَّى كأَنما	على نَجْمِه أَلّا يَغُورَ يَمِينُ
فوالله[1] ما فارَقْتُكُمْ قالياً لكم	ولكنَّ ما يُقْضَى فَسَوْفَ يكونُ

وقرأت على أبى بكر لحُنْدُج بن حُنْدُج :

فى ليل صُولٍ[2] تَنَاهى العَرْضُ والطُّول	كأَنَّما لَيْلُه بالليل موصولُ
لا فارَقَ الصُّبْح كَفِّى إن ظَفِرْتُ به	وإن بَدَتْ غُرَّةٌ منه وتحجيلُ
لِساهرٍ طال فى صُولٍ تَمَلْمُلُه	كأنه حَيَّةٌ بالسَّوْط مَقْتولُ
مَتَى أَرَى الصبحَ قد لاحت مَخَايِلُه	واللَّيْلَ قد مُزِّقَتْ عنه السَّرَابِيلُ
لَيْلٌ تَحَيَّر ما يَنْحطُّ فى جهةٍ	كأَنه فَوْقَ مَتْنِ الأَرض مشكولُ
نُجُومُه رُكَّدٌ ليست بزائلةٍ	كأَنما هُنَّ فى الجَوِّ القَنَادِيلُ
ما أَقدَرَ اللهَ أن يُدْنِى على شَحَطٍ	مَنْ دارُه الحَزْنُ مِمَّن دارُه صُولُ
اللهُ يَطْوِى بساطَ الأَرض بينهما	حتى يُرَى الرَّبْعُ منه وهو مأْهولُ

(١) كذا فى بعض النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب ؛ وفى الطبعة الأولى « وبالله » .

(٢) صول : اسم مدينة فى بلاد الخزر فى نواحى باب الأبواب وهو الدربند ؛ كذا ياقوت فى معجمه وذكر الأبيات .

وأنشدنا بعض أصحابنا لبَشّار :

خَليــلَىّ ما بالُ الدُّجَى لا تَزَحْزَحُ ... وما لعمود الصبح لا يَتَوَضَّحُ
أَضَلَّ النهارُ المستنيرُ طريقَــه ... أم الدهر لَيْلٌ كلُّه ليس يَبْرَحُ
وطال علَّى الليــلُ حتى كأنَّه ... بلَيْلَيْن موصولٌ فما يتزحزحُ

قال أبو على : وأحسنَ عَدِىّ[1] بن الرقاع فى هذا المعنى فقال :

وكأنَّ لَيْلِى حين تَغْــرُب شَمْسُه ... بسواد آخِرَ مِثْلِه مَوْصــولُ

ولبعضهم فى طول الليل :

ما لِنجُومِ اللَّيل لا تَغْرُبُ ... كأنَّها من خَلْفِها تُجْذَبُ
رَوَاكِدًا ما غار فى غَرْبِهــا ... ولا بَدَا من شَرْقِها كَوْكَبُ

وقد ذكر الفرزدق العلَّة فى طول الليل فقال :

يقولون طال الليلُ والليل لم يَطُلْ ... ولكنَّ مَنْ يَبْكِى من الشوق يَسْهَرُ

وقال بشّار فى هذا المعنى :

لم يَطُلْ لَيْلِى ولكن لم أَنَمْ ... ونَفَى عنى الكَرَى طَيْفٌ أَلَم
وإذا قلت لها جُودِى لنــا ... خَرَجَت بالصمت[2] عن لا ونَعَمْ
نَفِّسِى يا عَبْدَ عَنِّى وآعْلَمِى ... أَنَّنى يا عَبْــدَ من لحمٍ ودمْ
إن فى بُرْدَىَّ جِسْمًا ناحلا ... لو تَوَكَّأْتِ عليه لأنْهَــدَمْ
خَتَمَ الحُبُّ لهــا فى عُنُقِى ... مَوْضِعَ الخاتَمِ من أَهل الذِّمَمْ

ولقد أحسن علىّ بن بَسَّام فى هذا المعنى ، أنشدنى آبنه أبو علىّ عن أبيه :

لا أَظلم اللَّيــل ولا ادَّعِى ... أَنَّ نجومَ الليــل ليست تغــورُ
لَيْلِى كما شاءت فإن لم تَجُدْ ... طال وإن جادت فلَيْلِى قَصِيــر

---

(١) فى الطبعة الأولى « على بن الرقاع » والتصويب عن بعض النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب ؛ وبعد البيت كما فى السفر الأول من نهاية الأرب طبع مطبعة دار الكتب :

أرعى النجوم اذا تغيب كوكب ... أبصرت آخــر كالسراج يجــول

(٢) في الأصول التي بأيدينا : « خرجت بالصب » وما أثبتناه عن الأغاني ج ٣ ص ٢٧ طبع بولاق ،

وحدّثنا أَبو بكر بن الأَنبارىّ قال حدّثنا عبد الله بن خلف قال حدّثنا أَبو بكر بن الوليد البزَّار قال: كان علىّ بن الجَهْم يستنشدنى كثيرا شعر خالد الكاتب، فأُنشده، فيقول: ماصنع شيئا، ثم أَنشدته يوما له:

رَقَدْتَ ولم تَرْثِ للساهرِ ولَيْـلُ المحبِّ بلا آخـرِ

ولم تَدْرِ بعد ذَهاب الرقا د ما صَنَعَ الدَّمْعُ من ناظرى

فقال: قاتله الله! لقد أَدْمَن الرَّمْية حتى أَصاب الغِرَّة(١).

وأنشدنا بعض أَصحابنا لعلى بن العبّاس الرومىّ فى طول الليل:

رُبَّ لَيْلٍ كأَنه الدَّهرُ طولاً قد تَنَاهى فليس فيه مزيدُ

ذى نجوم كأَنهنَّ نُجُوم الشيب ليست تزول لكن تزيدُ

ولسعيد بن حُمَيْد فى طول الليل:

يالَيْـــلُ بل يا أَبَدُ أَنائمٌ عَنْـكَ غَـــدُ

ياليل لو تَلْقَى الذى أَلْقَى بهـا أَو تجـــدُ

قُصِّر من طُولك أَو ضُعِّف منك الجَلَـــدُ

أَشكو إلى ظالمـــــةٍ تشكو الذى لا تجـدُ

وَقْفٌ عليهـا ناظـرى وَقْفٌ عليهـا السُّهُـدُ

قال أَبو زيد: تقول العرب فى مَثَلٍ لها: «خُبَأَةٌ خيرٌ من يَفَعةِ سَوْءٍ(٢)» أَى بِنْتٌ تلزم البيت تَخْبَأُ فيه نفسَها خيرمن غُلام سَوْءٍ لاخير فيه. قال: ويقال للرجل إذا وُلِدَتْ له جارية: «هنيئا لكَ النافِجةُ» وذلك أنه يزوّج بنته فيأخذ مهرَها إبلا إلى إبله فَتَنْفُجها. قال: ويقال: «أَضَبَّ القومُ إضبابا»، إذا تكلّموا وصاح بعضهم إلى بعض، وأَضْبأَ على الشىء إضْباء فهو مُضْبِئٌ إذا كَتَمه، وقال الأَصمعى: ضَبَأَ فهو ضَابِئٌ إذا لَصِق بالأَرض، قال الأَعشى:

---

(١) بهامش بعض النسخ: لعله: الثغرة ليوافق المثل.

(٢) كذا فى الأصول؛ وفى مجمع الأمثال للميدانى: «خباة صدق خير من يفعة سوء».

أَهْوَى لها ضابئٌ فى الأَرض مُفْتَحِصٌ(١) لِلَّحْمِ قِدْمًا خَفِىٌّ طالما خَشَعا

قال : وأنشدنا أبو على للعباس بن الأحنف :

أيها الراقدون حَوْلى أعينو نى على الليل حِسْبة وٱئتجارا

حدِّثونى عن النهار حديثًا أَوْصِفُوه فقد نسيت النهارا

وأملى علينا الأخفش ، وقرأْتها على ٱبن الأنبارىّ لسُوَيْد بن أبى كاهل :

وإذا ما قلتُ لَيْلٌ قد مضى عَطَفَ الأَوّلُ منه فرَجَع

يَسْحَبُ الليلُ نجومًا ظُلَّعًا فيواليها بَطيئات التَّبَعْ

ويُزَجِّيها على إبطائها مُغْرَب اللون إذا الليلُ ٱنقشَعْ

[مطلب حديث أوس بن حارثة ونصيحته لابنه مالك وشرح الغريب من ذلك]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنى عمى عن أبيه عن هشام بن محمد الكلبىّ عن عبد الرحمن بن أبى عَبْس الأنصارى قال : عاش الأَوس بن حارثة دَهْرا وليس له وَلَدٌ إلامالك ، وكان لأخيه الخَزْرَج خمسةٌ : عمرو وعَوْف وجُشَم والحارث وكَعْب ، فلما حَضَره الموت قال له قومه : قد كنا نأْمرك بالتزوّج(٢) فى شبابك فلم تَزَوَّج حتى حضرك الموت ، فقال الأَوس : لم يَهْلِك هالك تَرَكَ مثلَ مالك ، وإن كان الخزرج ذا عَدَد ، وليس لمالك وَلَد ، فلَعَلَّ الذى ٱستخرج العَذْقَ من الجَريمة ، والنار من الوَثِيمة ، أن يجعل لمالك نَسْلا ، ورجالا بُسْلا . يامالك ، المَنِيَّة ولا الدَّنِيَّة ، والعِتَاب قبل العِقاب ، والتَّجلُّد لا التَّبلُّد . وٱعلم أن القَبْر خير من الفقر ، وشَرّ شارب المُشْتَفّ ، وأقبح طاعم المُقْتَفّ ، وذهاب البصر ، خير من كثير من النظر ، ومِنْ كَرَم الكريم ، الدِّفاعُ عن الحريم ، ومَنْ قَلَّ ذَلّ ، ومن أَمِرَ فَلّ ، وخَيْر الغِنَى القَناعة ، وشَرّ الفَقْر الضَّراعةُ ، والدَّهْر يَوْمان ، فيَوْم لك ويَوْمٌ عليك ، فإذا كان لك فلا تَبْطَر ، وإذا كان عليك فاصْبِر ، فكِلاهما سَيَنْحَسِر ، فإنما تَعُزُّ مَنْ تَرَى ، ويَعُزُّك مَنْ لا تَرَى ، ولو كان الموت يُشْتَرَى لَسَلِمَ منه أهلُ الدنيا ، ولكن الناس فيه مُسْتَوُون : الشَّريف الأَبْلَج ، واللَّئيم المُعَلْهَج ، والموتُ

(١) مفتحص : متخذ فيها أفحوصا ، والأفحوص مجثم الطائر .

(٢) بالأصول « بالتزويج » .

المُفِيت ، خير من أن يقال لك : هَبِيت ، وكَيْفَ بالسَّلاَمة ، لمن ليسمت له إقامة ، وشَرٌّ من المُصيبة سُوءُ الخَلَف ، وكلُّ مجموع إلى تَلف ، حَيَّاك إلٰهُك ! قال: فَنَشَر اللهُ من مالكٍ بعدد بنى الخَزْرَج أو نحوهم .

قال أبو على : قوله : فلعل الذى ٱسْتَخْرَج العَذْق من الجَرِيمة . العَذْق : النَّخْلة نفْسها بلغه أهل الحجاز ، والعِذْق الكِباسة . والجَرِيمة : النَّواة . والوَثِيمة : هى المَوْثومة المربوطة ، يريد به : قَدْحَ حوافِر الخيل النارَ من الحجارة . والعرب تُقسم بهذا الكلام فتقول : لا والذى أخرج العَذْق من الجَرِيمة ، والنارَ من الوَثِيمة ، لافعلت كذا وكذا . ومن أيمانهم : لاوالذى شَقَّهُنَّ خَمْسًا من واحدة ، يَعْنُون : الأَصابع. ويقولون : لا والذى أخرج قائبةً من قُوب ، يعنون : فَرْخًا من بيضة . ويقولون : لا والذى وَجْهِى زَمَمَ بيتِه ، أى قَصْدَه وحِذاءه . والبُسْل : الشجعان ، واحدهم باسل ، والبَسَالة: الشجاعة ، قال الفراء : الباسل :الذى حَرَّم على قِرْنه الدنوَّ منه لشجاعته ، أى لشدته ، لأنه لايُمْهِل قِرْنه ولا يُمْكنه من الدنوّ منه ،أُخِذ من البَسْل وهو الحرام . وقال غيره : الباسل : الكَرِيه المَنْظَر ، وإنما قيل للأَسد : باسل؛ لكراهة وجهه وقبحه ، يقال : ماأَبْسَل وَجْهَ فلان ، قال أبو ذُؤَيب :

فكُنْتُ ذَنُوبَ البِئْـر لَمَّا تَبَسَّلَتْ وسُرْبِلْتُ أكفانى ووسِّدْتُ ساعدى

تَبَسَّلتْ : فَظُع مَنْظَرُها وكَرُهَتْ ، وقال شيخنا أبو بكر بن الأنبارىّ : قال الأَصمعىّ : الباسل : المُرّ ؛ وقد بَسُل الرجل يَبْسُل بَسالة إذا صار مُرًّا . والمُشْتَفُّ: المُسْتَقْصِى ، يقال : ٱسْتَشَفَّ مافى إنائه وٱشْتَفَّ إذا شَرِب الشُّفَافة ، وهى البَقِيَّة تبقى فى الإناء . والمُقْتَفُّ : الآخذ بعَجَلة ، ومنه سمى القَفَّاف[1]. وأَمِرَ : كَثُر عددُه ، يقال : أَمِرَ القوم يَأْمَرون إذا كثر عددهم ، قال لَبِيد :

نَعْلُوهُمُ كُلَّما يَنْمِى لهم سَلَفٌ بالمَشْرَفِىِّ ولولا ذاك قد أَمِرُوا

---

(١) قوله : ومنه سمى القفاف ؛ هو كما فى القاموس واللسان : الصيرفى يقف الدراهم ، أى يسرقها بين اصابعه .

[مطلب الكلام على مادة أمر وتفسير قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها)]

وأَنشدنا أَبو زيد :

أُمٌّ جَوَارٍ ضَنْؤُها غيرُ أَمِرْ

ضَنْؤُها : نَسْلُها . وأَمِرَ المالُ وغيره ، يَأْمَر أَمَرَة وأَمَرًا إذا كثر ؛ قال الشاعر :

والإِثْمُ من شَرِّ ما يُصال به والبِرُّ كالغَيْثِ نَبْتُــه أَمِــرُ

ويقال فى مَثَلٍ : فى وَجْهِ مالك تَعْرِف أَمْرَتَهُ ، وأَمَرَتَه ، أى نماءه وكثرته ، وقال الله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أى كَثَّرنا ، وقال أبو عبيدة: يقال: خَيْرُ المال سِكَّةٌ مَأْبُورة ، أو مُهْرة مأْمورة ، فالمأْمورة : الكثيرة الولد ، من آمَرَها الله : أى كَثَّرها ، وكان ينبغى أن يقال : مُؤْمَرة ، ولكنه أُتْبِع مأْبورة . والسِّكَّة : السَّطْر من النخل ، وقال الأَصمعىّ : السِّكَّة : الحديدة التى يُفْلَح بها الأَرَضُون . والمأْبورة : المُصْلَحة ، يقال : أَبَرْت النخل آبُرُه أَبْرًا إذا لَقَّحْته وأَصلحته . وقد قرئ « أَمَّرْنا مُتْرَفِيها » على مثال فَعَّلْنا . أَخبرنا القالى عن ابن كيسان أنه قد يقال: أَمَرَه بمعنى آمَرَه يكون فيه لغتان ، فَعَل وأَفعل. وتَعُزُّ : تَغْلِب ، ويقال : عَزَّ فلان فلانا عَزًّا ، وعَزَّ يَعِزُّ عِزًّا وعِزَّة من العِزِّ . وعَزَّ على أَهله عَزَازةً ، من العِزّ . والمُعَلْهَج : المُتناهِى فى الدَّناءة واللُّؤم ، وكان أبو بكر يقول : هو اللئيم فى نفسه وآبائه . والهَبِيت : الأَحمق الضعيف ؛ قال طَرَفَة :

الهَبِيتُ[1] لا فؤادَ له والثَّبِيتُ ثَبْتُه فَهِمُه

وكان أبو بكر بن الأَنبارى يرويه : قِيَمُه .

[مطلب ما وقع بين رجل من العرب وزوجته من الخصام والمشاتمة]

وحدّثنا أَبو بكر رحمه الله تعالى قال أَخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأَة من العرب تخاصم زوجها وهى تقول : والله إن شُرْبَكَ لاشْتِفَاف ، وإن ضِجْعَتَك لانْجِعاف ، وإن شِمْلَتَك لالْتِفَاف ، وإنك لَتَشْبَعُ ليلةَ تُضَاف ، وتنام ليلة تَخَاف ،

(١) ورد هذا البيت فى اللسان فى مادة « ثبت » هكذا :

فالهبيت لا فـؤاد له والثبيت قلبـه قيمـه

وفسر الثبيت بقوله : الثابت العقل .

فقال لها : والله إنَّكِ لَكَرْوَاء السَّاقَيْن ، قَعْواء الفَخذَيْن ، مَقَّاء الرُّفْغَيْن ، مُفَاضة الكَشْحَيْن ، ضَيْفُكِ جائع ، وشَرُّكِ شائع .

قال أبو على : الانْجِعَاف : الانصراع ، يقال : ضَرَبَه فَجَأَّفه وجَعَفَه وجَفَّأَه وكَوَّره وجَوَّرَه وجَعفَلَه ، وقَطَّرَه إذا ألقاه على أحد قُطْرَيه ، قال طُفَيل :

وراكضةٍ ما تَسْتَجِنُّ بجُنَّةٍ بَعِيرَ حِلالٍ(١) غادَرَتْه مُجَعْفَلِ

وقال لَبِيد رضى الله عنه :

فلم أرَ يَوْمًا كان أكثرَ باكيا وحَسْناء قامَتْ عن طِرافٍ مُجَوَّر

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات :

كالشَّارِب النَّشْوانِ قَطَّــرَه سَمَلُ(٢) الزِّقاق تَفِيضُ عَبْرَتَيْه

وأتْكَأَه إذا ألقاه على هيئة المُتَّكِئ . وقال أبو زيد : ضَرَبَه فَقَحْزَنَه وحَجْدله إذا صَرَعَه . وقال الأصمعى وابن الأعرابى : بَرْكَعَه : صَرَعه ، وأنشد لرؤبة :

ومَنْ(٣) هَمَزْنا عِزَّهُ تَبَرْكَعَــا على اسْتِه زَوْبعةً أو زَوْبَعا(٤)

وقال غيرهما : البَرْكَعَة : القيام على أربع ، ويقال : تَبَرْكَعَتِ الحمامةُ لذَكَرها ؛ أى بَرَكَتْ . والكَرْواء : الدقيقة الساقين ، والكَرَا : دِقَّةُ الساق ، والكَرَى : النَّوم ، والكَرَا : بمعنى الكَرَوان ، وكَرَاءٌ ممدودا : موضع . وقال أبو بكر : القَعْواء : المتباعدة مابين الفخذين ، ولم أسمع هذا من غيره ، والذى ذكره اللغويون فى كتبهم فيما قرأته الفَجْواء : المتباعدة مابين الفخذين . وقوله :مَقَّاء ، قال أبو زيد : المَقَّاء :

(١) الحلال بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء .

(٢) سمل بالتحريك : البقية من الشراب فى الاناء ؛ وورد فى الطبعة الأولى « شمل » بالشين المعجمة وسكون الميم وهو خطأ ، والتصويب عن احدى النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية .

(٣) ضمن هذا البيت صدرى بيتين من أرجوزة وردت بديوانه المطبوع بمدينة ليبسج سنة ١٩٠٣ م وهما :

ومن همزنا راسه تلعلعا ومن أبحنا عزة تبركعا

على استه روبعة او روبعا زجفى مزاحيف وصرعى خفعا

(٤) زوبعة أو زوبعا ، فى اللسان : قال ابن برى : ذكره ابن دريد والجوهرى بالزاى ؛ وصوابه بالراء ؛ روبعة أو روبعا ، وفسر بأنه القصير الحقير ؛ وقيل : القصير العرقوب ، وقيل : الناقص الخلق ، وقيل : الضعيف اهـ وفى شرح ديوان رؤبة : قال الأصمعى : الروبعة بالراء : داء يأخذ الفصيل .

الدقيقة الفخذين ، وكذلك الرَّفْغاء . وقال الأصمعى : المَقَّاء : الطويلة ، والمَقَق : الطُّول ، ورَجُلٌ أمقُّ : طويل ؛ قال رؤبة :

لَوَاحِقُ(١) الأَقْرابِ فيها كالمَقَق   تَفْلِيلُ ما قارَعْنَ من سُمْرِ الطُّرَق

يَصِفُ أُتُنًا . والمُفَاضة : المُسْتَرْخِية . والكَشْحان : الخاصرتان ، وهُمَا الأَيْطَلان والإِطْلانِ والقُرْبانِ والصُّقْلانِ ، واحدهما قُرْبٌ وصُقْلٌ وكَشْحٌ وإِطْلٌ وأَيْطَلٌ.

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : دخل أبو جُوَيْرِيَة الشاعر على خالد بن عبد الله يمدحه ؛ فقال له خالد : ألست القائل :

ذَهَبَ الجُودُ والجُنَيْدُ جميعًا   فَعَلَى الجُود والجُنَيْدِ السَّلامُ

أَصْبَحا ثاوِيَيْن فى بَطْنِ مَرْوٍ   ما تَغَنَّى على الغُصون الحَمامُ

اذهب إلى الجُود حيث دَفَنْتَه فاستخرجْه، قال أبو جويرية : أنا قائل هذا ، وأنا الذى أقول بعده ، فَوَثَب إليه الحرَس ليَدْفعوه ؛ فقال خالد : دَعُوه ، لا نَجْمَع عليه الحِرْمانَ ونمنعه الكلام ، فأنشأ يقول

لو كان يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ من كَرَمٍ   قَوْمٌ بأوّلهم أو مَجْدِهم قَعَدُوا

أو خَلَّد الجُود أقواما ذَوِى حَسَبٍ   فيما يحاول من آجالهم خَلَدُوا

قَوْمٌ سِنانٌ أبوهم حين تنسبهم   طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدوا

جِنٌّ إذا فَزِعوا إِنْسٌ إذا أَمِنُوا   مُرَزَّءُون بَهَالِيلٌ إذا احْتَشَدوا

مُحَسَّدون على ما كان من نِعَمٍ   لا يَنْزِعُ الله عنهم ماله حُسِدوا

قال : فخرج من عنده ولم يعطه شيئا ، وقرأت على أبى بكر بن دريد للشمّاخ :

أعائشَ ما لأَهْلِكِ لا أَرَاهُمْ   يُضِيعون الهِجَانَ مع المُضِيعِ

وكيف يُضِيعُ صاحبُ مُدْفَآتٍ   على أَثْباجِهِنَّ من الصَّقِيعِ

---

(١) اللواحق : خماص البطون ؛ وشطرا هذا البيت عجزا بيتين من هذه الأرجوزة وصدرهما :

قب من التعداء حقب فى سوق   لواحق الأقراب فيها كالمقق

سوى امساحيهن تقطيط الحقق   تفليل ما قارعن من سمر الطرق

يعنى أن عائشة قالت له : لِمَ تُشَدِّد على نفسك فى المعيشة وتلزم الإبل والتَّعَزُّب فيها ، فردّ عليها: مالأهلك أراهم يَتَعَهَّدون أموالهم ويصلحونها وأنت تأمرينني بإضاعة مالى ، ثم أقبل على إبله يمدحها فقال :

* وكيف يُضيع صاحبُ مُدْفآت *

أُدْفِئن بكثرة الوبَر على أثباجهن ، والأثباج : الأوساط . قال : قال الأصمعىّ : ثَبَجُ كلّ شىء : وَسَطُه ، وغيره يقول : ظَهْره . وروى أبو عبيد عن الأصمعى : الكَتَد : مابين الكاهل إلى الظهر ، والثَّبَجُ نحوه . وهذه الأقوال متقاربة فى المعنى . والصَّقيع : البَرْد والنَّدَى ، ويقال : الجلَيد . وقال الأصمعى : من أمثال العرب : « إنَّهُ لَيُسِرّ حَسْوًا فى ارتغاء » يضرب مثلا للرجل يُريك أنه يعمل أمرا وهو يريد غيره . والإرتِغاء : شُرْب الرَّغْوة ، يقال : رَغْوة ورِغْوة ورُغْوة . يقول : فهو يظهر ذاك وهو يَحْسُوا للّبَن ويقال : « سَقَطَ العَشاءُ به على سِرْحان » يضرب مثلا للرجل يطلب الأمر التافه فيقع فى هَلَكة . وأصل المثل ، أن دابّة طلبت العَشاء فهجمت على الأسد . والسِّرْحان : الأسد بلغة هذيل ، وبلغة غيرهم من العرب : الذئب . ويقال : « سَبَقَ السَّيْفُ العَذَل » يضرب مثلا للأمر الذى قد تفَاوت ؛ وأصل هذا المثل ، أن الحارث ابن ظالم ضَرَب رجلا بالسيف فقتله ، فأُخْبِر بعُذْره فقال : « سبق السيف العذل » . قال أبو زيد : العرب تقول : « إن كُنْتَ كاذبا فَحَلَبْتَ قاعدا » أى ذَهَبَتْ إبلُك فَحَلَبْتَ الغنم . وتقول : « إن كُنْتَ كَذُوبا فَشَرِبْتَ غَبُوقا باردا » أى ذَهَبَ لبنُك فشربت الماء البارد ، والغَبُوق : ما اغْتَبَقْتَ حارًّا بالعَشىّ ، وقرأت على أبى بكر للشَّماخ :

إذا ما اسْتَافَهُنَّ ضَرَبْنَ منـــه مَكانَ الرُّمْحِ من أنْفِ القَدُوع
فقد جَعَلَتْ ضَغَائِنُهُنَّ تَبْدُو بما قد كان نال بلا شَفِيـــع

اسْتَافَهُنَّ : شَمَّهُنَّ ، يعنى الحمار ، فإذا فعل ذلك ضَرَبْنَ منه أعلى خَيْشُومه ، وهو مكان الرمح إذا قَدَعْتَ به أنْفَ الفرس ، لأنهن قد حَمَلْنَ منه . والقَدُوع : الذي يُقْدَع ويُرَدُّ بالرمح ، وهوأن يَرْفَع رأسه من عزّة نفسه ، أومن فَرَقٍ ، أولا

يُرْضَى للفِحْلة فيُضرَب أنفُه ويُنَحَّى عن الطَّروقة ، وهو وإن كان يُقْدَع فهو قَدُوع ، كما قالوا لما يُحْلَب ويُرْكَب : حَلُوبة ورَكُوبة . وضَغَائِنُهُنَّ : مافى قلوبهن ، أى كُنَّ يُمكنَّه ولا يحتاج إلى شفيع ، فلما حَمَلْن أَبْدَيْن ضَغائنهن المخبوءة .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو الحسن الأسدى قال : كتب أحمد بن المُعذَّل إلى أخيه عبد الصمد بن المعذَّل : إنى أرَى المكروه من حيث يُرْتَجَى المحبوب ، وقد شَمِل عَرُّك ، وَعَمَّ أذاك ، وصرتُ فيك كأَبى الابن العاقِّ ، إن عاش نَغَّصه ، وإن مات نَقَصه ؛ وقد خَشَّنْتَ[1] بقلبٍ جَيْبه لك ناصح والسلام .

فكتب إليه عبد الصمد :

أطاع الفريضة والسُّنَّـهْ ... فَتَاهَ على الإنْس والجِنَّـهْ
كأَنَّ لنا النارَ مِنْ دونـه ... وأَفْرَدَهُ اللهُ بالجَنَّـهْ
ويَنْظُر نحوِى إذا زُرْتُـه ... بعَيْن حَمـاةٍ إلى كَنَّـهْ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارىّ قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى للأَضْبَط بن قُرَيْع وقال : وبلغنى أن هذه الأبيات قيلت قبل الإسلام بدهر طويل وهى :

لِكُلِّ هَمٍّ من الهُموم سَعَـه ... والمُسْىُ والصُّبح لا فَلَاحَ مَعَهْ
ما بالُ مَنْ سَرَّه مُصابُك لا ... يَمْلِك شيئًا مِنْ أَمْرِه وَزَعَـهْ
أَذُود عن حَوْضه ويَدْفَعُنى ... يا قَوْمِ مَنْ عاذرى من الخُدَعـه
حتى إذا ما انجلت عَمَايَتُه ... أَقْبَلَ يَلْحَى وغَيُّه فَجَعَـهْ
قد يجمع المالَ غيرُ آكلـه ... ويأْكل المالَ غَيْرُ من جَمَعَهْ
فاقْبَلْ من الدهر ما أتاك بـه ... مَن قرّ عينا بعَيْشِه نَفَعَـهْ
وصِلْ حِبالَ البعيدِ إن وَصَلَ الـ ... ـحَبْلَ وأَقْصِ القريبَ إن قطعـهْ

---

(١) وقد خشنت الخ ، فى اللسان وخشنت صدره تخشينا : أوغرت ؛ قال عنترة :

لعمرى لقد أعذرت لو تعذريننى ... وخشنت صدرا جيبه لك ناصح

ولا تُعَادِ[١] الفقير عَلَّكَ أن تَرْكَعَ يوما والدهرُ قد رَفَعَه

قال أبو العباس : وكان الأصمعى ينشد :

* فصل حبال البعيد إن وَصل الحبل *

قال أبو على : تقول العرب : لَعَلَّك وعَلَّك ولَعَنَّك ولَغَنَّك ، سمعه عيسى بن عمر من العرب ، ورواه الأصمعى عنه .

قال أبو على : قرأْت على أبى بكر بن دريد فى شعر أبى النجم قال عيسى بن عمر: سمعت أبا النجم ينشد :

* أُغْدُ لَعَلْنَا فى الرِّهانِ نُرْسِلُه *

[مطلب ما قيل فى الشيب والخضاب مدحا وذما]

وأنشدنى أبو بكر بن دريد رحمه الله لمحمود الوَرّاق :

فاجاك مِنْ وَفْد المَشِيب نذيرُ والدَّهْرُ من أخلاقه التغييرُ
فَسَوادُ رأْسك والبياضُ كأنه لَيْلٌ تَدِبُّ نجومُه وتَسِيرُ

وأنشدنى بعض أصحابنا قال : أنشدنى أبو يعقوب بن الصفار لداود بن جَهْوة :

أُقاسِى البَلَا لا أستريح إلى غَدٍ فَيَأْتى غَدٌ إلا بَكَيْت على أمسِ
سأَبْكى بدمع أو دَمٍ أَشْتفى به فهل لِيَ عُذْرٌ إن بكيت على نفسى
سلامٌ على الدنيا ولَذَّةِ عَيْشِها سلامَ غُدُوٍّ أو رَوَاحٍ إلى رَمْسِى
وأنكرتُ شمس الشَّيْب فى ليل لِمَّتِى لَعَمْرِى لَلَيْلِى كان أَحْسَنَ من شمسِى
كأَنَّ الصِّبا والشَّيْبُ يَطْمِس نورَه عَرُوس أُناس مات فى لَيْلة العُرْسِ

وأنشدنا أبو محمد عبدالله بن جعفر النحوى قال :أنشدنا المبَرد لمحمود الورّاق:

أليس عجيبًا بأَن الفتى يصاب ببعض الذى فى يديه
فَمِنْ بين باكٍ له مُوجَعٍ وبَيْن مُعزٍّ مُغِذٍّ إليه
ويَسْلُبُه الشَّيبُ شَرْخَ الشَّباب فليس يُعَزِّيه خَلْقٌ عليه

---

(١) ولا تعاد : المشهور فى كتب النحو واللغة ايراد هذا البيت بلفظ : ولا تهين الفقير الخ شاهدا على حذف نون التوكيد الخفيفة بعد قلبها الفا اذا لقيها ساكن .

وأنشدنا الأخفش للعَكَوَّك على بن جَبَلَة :

جَلَالُ مَشِيبٍ نَـــزَلْ وأُنْسُ شبابٍ رَحَـــلْ
طَوَى صاحبٌ صاحبًـــا كذاك اختلاف الدُّوَلْ
أعـــاذِلتى أقصِـرِى كَفَاكِ المشيبُ العَـــذَلْ
بـــدا بَدَلاً بالشَّبـــا بِ لَيْتَ الشبابَ البَدَلْ
جَـــلالٌ ولكِنَّــــه تَحَاماه حُورُ المُقَـــلْ

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه لأبى دُلَف العِجْلِىّ :

نَظَرَتْ إلَىَّ بعين من لم يَعْدِلِ لَمَّا تَمَكَّنَ طَرْفُهـــا من مَقْتَلِى
لَمَّا تَبَسَّم بالمشيب مَفارِقى صَدَّت صُدود مفارِقٍ مُتَحَمِّـــلِ
فجَعلْت أطلبُ وصلَها بتَعَطُّفٍ والشَّيْب يَغْمِزها بأن لا تَفْعَلى

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله تعالى قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى :

أرى بَصَرِى عن كل يوم وليلة يَكِلُّ وخَطْوِى عن مَدَى الخَطْوِ يَقْصُرُ
ومن يَصْحب الأَيَّام تسعين حِجَّةً يُغَـيِّرْنه والدهـــر لا يتغيَّــــر
لَعَمْرِى لئن أَمسيتُ أَمْشى مُقَيَّدا لَمَا كنتُ أَمشى مُطْلَقَ القيد أكثر

وأنشدنى بعض أصحابنا :

حنَتْنِى[(١)] حانياتُ الدَّهْر حَتَّى كأنِّى خاتِلٌ يَدْنُو[(٢)] لصَيْدِ
قريبُ الخَطْوِ يَحْسِبُ من رآنى ولَسْتُ مُقَيَّدا أنِّى بقَيْـــدِ

---

(١) القائل لهذين البيتين ابو الطمحان القينى كما فى حماسة البحترى ص ٢٩٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩ م وكتاب المعمرين من العرب للسجستانى ص ٦٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٩ م .

(٢) فى الطبعة الأولى « أدنو » وما أثبتناه عن حماسة البحترى وكتاب المعمرين ، وفى اللسان مادة أدا : « يادو لصيد » من أدا السبع للغزال يادو أدوا : ختله ليأكله .

وقال رجل لشيخ رآه يمشى : مَنْ قَيَّدَك ياشيخ ؟ قال : الذى خَلَّفْتُه يفتِل فى قَيْدِك ، يعنى : الدهر .

وأنشدنا أبو بكر محمد بن السَّرِيّ السرَّاج النحوى :

وعائبٍ عابَنِى بشَيْبٍ لم يَعْدُ لَمَّا أَلَمَّ وقتَهْ
فقلتُ إذ عابنِى بشيبى ياعائبَ الشيب لا بَلَغْتَهْ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا عبد الله بن خلف :

نُصولُ الشَّيْب طَوَّقَنِى بطَوْق يَلُوح علىَّ مِنْ تحت السوادِ
إذا أَبصرته فكأَنَّ وَخْزًا بأَطراف الأَسِنَّة فى فؤادى

قال : وأنشدنا أبى قال : أنشدنى أبو عبد الله بن المَطِيخى :

إنَّ الكبير إذا تناهَتْ سِنُّه أَعْيَتْ رياضته على الرُّوَّاضِ
وإذا دُفِعْتَ إلى الصغير فإنما تكفيه منك إشارةُ الإِيماض
وعَلَيْكَ من نَسْجِ الزمان عِمامةٌ خَضَبَ المَشيبُ سَوادَها ببياض
فالوَعْظ يَنْبُو عن صَفَاتك راجعا مِثْلَ السهام نَبَتْ عن الأَغراض

وممن مدح الشيب من الشعراء فأحسن دِعْبِل حيث يقول :

أهلا وسهلا بالمشيب فإنه سِمَةُ العَفِيف وحِلْية المُتَحرِّجِ
وكأَنَّ شيبى نَظْمُ درّ زاهر فى تاج ذى مُلْكٍ أَغَرَّ مُتَوَّجِ

وممن مدح الخِضَاب فأحسن عبد الله بن المعتز حيث يقول :

وقالوا النُّصولُ مشيبٌ جديدْ فقلت الخِضَابُ شَباب جَدِيدْ
إساءةُ هذا بإحسان ذا فإن عاد هذا فهذا يَعُودْ

وأنشدنى أبو معاذ عَبْدان المتطبّب قال : أنشدنى أبو هَفَّان لنفسه :

تَعَجَّبَتْ دُرُّ من شيبى فقلت لها لا تَعْجَبِى فَبَيَاضُ الصبح فى السَّدَفِ
وزادها عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فى سَمَلٍ وما دَرَتْ دُرُّ أنّ الدُّرَّ فى الصَّدَفِ

قال أبو زيد : يقال : عام أَوْطَف وأَغْلَف وأَقْلَف إذا كان خَصِيبا . وقال العُقَيْليّون: عامُ مَجَاعةٍ ومَجُوعة ومَجْوَعة ، وقال أبو زيد : الأُطْرة : ما حَوْل الأظفار من اللحم . وقال ابن الأعرابيّ : عَيْشٌ أَغْرَل وأَرْغَل وأَغْضَف وأَغْطَف وأَوْطَف وأَغْلَف إذا كان مُخْصِبا وهذه كلها تقال فى العام .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله قال أنشدنى أبى لرجل[1] من خُزَاعة :

قد كُنْتُ أَفْزَع للبيضاء أُبْصِرها ... من شعر رأسى وقد أَيْقَنْت بالبَلَقِ

أَلآن حينَ خَضَبْتُ الرأسَ زايَلَنى ... ما كنت أَلْتَذُّ من عيشى ومن خُلُقى

إن الشبابَ إذا ما الشيبُ حَلَّ به ... كالغُصْنِ يَصْفَرُّ فيه ناعمُ الوَرَق

شَيْبٌ تُغَيِّبُه عَمَّن تَغُرُّ به ... كَبَيْعك الثوبَ مَطْوِيًّا على حَرَق

فإن سَتَرْت مشيبا أو غُرِرْت به ... فليس دَهْرٌ أَكَلْناه بمُسْتَرَق

أَفْنَى الشبابَ الذى أَفْنَيْتَ مَيْعَتَه ... مَرُّ الجَدِيدَيْن من آتٍ ومنطلق

لم يَتْرُكا منك فى طول اختلافهما ... شيئا يخاف عليه لَذْعة الحَرَق

[مطلب ما وقع لخالد بن عبد الله القسرى من الحصر وهو على المنبر وما قاله فى ذلك]

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا السَّكن بن سعيد عن العباس بن هشام الكلبيّ قال : صَعِد خالد بن عبد الله القَسْرِيّ يوما المنبر بالبصرة ليخطب فأُرْتِج عليه ، فقال : أيها الناس ، إن الكلام ليجىء أحيانا فيتسبَّب سَبَبُه ، ويَعْزُب أحيانا فَيَعِزُّ مَطْلَبُه ، فربما طُولِب فأَبَى ، وكُوبِر فعَصَى ؛ فالتَّأَتِّى لمجِيِّه ، أصوب من التعاطى لأَبِيِّه ، ثم نزل . فما رُئِىَ حَصِرٌ أبلغ منه . وقرأت على أبى بكر بن دُرَيد لنفسه :

أرى الشيب مُذْ جاوزتُ خمسين دائبا ... يَدِبُّ دَبِيب الصبح فى غَسَق الظُّلَم

هو السُّقْم إلا أنه غير مؤلم ... ولم أر مثلَ الشيب سُقْمًا بلا أَلَم

وأنشدنى بعض أصحابنا لعلى بن العباس الرومى :

يا بياض المَشِيب سَوَّدْتَ وجهى ... عند بِيضِ الوجوه سُودِ القُرونِ

(١) هو ثعلبة بن موسى كما فى حماسة البحترى ص ٣٦٦ طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩ م .

فلعمــرى لَأُخْفِيَنَّك جُهْــدِى عن عِيانى وعن عِيان العُيــون
ولعمــــرى لأَمْنَعَنَّك أَن تَظْــــهر فى رأْس آسفٍ محــزون
بسواد فيــه ٱبْيِضاضٌ لوجهى وسَــوادٌ لوجهــك الملعــون

وأنشدنا الأخفش لمنصور النَّمَرِىّ :

ماواجَهَ الشَّيْبَ من عَيْنٍ وإن وَمِقَتْ إلا لها نَبْــوةٌ عنه ومُرْتَدَع

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أبى :

رأَيتُ الشيب تَكْرَهه الغَوانِى ويُحْبِبْن الشبــاب لِمَا هَوِينا
فهذا الشيب نَخْضِبه سَــوادًا فكيف لنا فَنَسْتَرق السِّنينــا

وفى الخضاب :

إنَّ شيئا صَلَاحُه بالخِضَاب لعَــذَابٌ مُوَكَّلٌ بعــذابِ
ولَعَمْــرُ الإلٰهِ لولا هَوَى البِيــضِ وأن تَشْمَئِزَّ نفس الكَعَاب
لَأَرَحْتُ الخدَّيْن من وَضَر الخِطْــرِ(١) وأَذْعَنْتُ لأنقضاء الشباب

ومن أحسن ما قيل فى مدح الشيب :

والشَّيْبُ إن يَحْلُلْ فإِنَّ وراءه عُمْرًا يكون خِلَالَهُ مُتنفَّس
لم يَنْتَقِصْ مِنِّى المَشيبُ قُلامةً أَلآنَ(٢) حينَ بدا أَلَبُّ وأَكْيَسُ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أبى :

لا يَرُعْكِ المَشيبُ يابنة عبد اللـــه فالشَّيْبُ جِلَّــة ووَقــارُ
إنما تَحْسُن الرياض إذا ما ضَحِكَتْ فى خِلَالها الأنوار

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدثنى أبو الحسن بن البراء قال : قال أبو الحسن

(١) الخطر بالكسر : نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به .

(٢) الآن : لعل فى الشطر سقطا من الناســـخ ، ولعل أصله : أنا الآن بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وحذفها .

الأسدى : مات رجل كان يَعُول أثنى عشر ألف إنسان ، فلما حُمِل على النعش صَرَّ على أعناق الرجال ، فقال رجل فى الجنازة :

وليس صَرِيرُ النعش ما تَسْمَعُونه ولكِنَّه أعنـاقُ قوم تَقَصَّفُ
وليس فَتِيقُ المِسْك ما تَجِدُونه ولكنه ذاك الثنـاء المُخَلَّف

قال أبوعلى : وقرأْت على أبى بكر بن دريد لبعض العرب :

دَبَبْتُ للمَجْد والساعُون قد بَلَغُوا جَهْدَ النفوس وأَلْقَوْا دونه الأُزُرا
وكابَدُوا المَجْد حَتَّى مَلَّ أكثرُهم وعانَقَ المَجْدَ من أَوْفَى ومن صَبَرا
لا تَحْسَبِ المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تَلْعَق الصَّبِرا

وأنشدنا غير واحد من أصحاب أبى العباس منهم ابن السَّرِىّ والأخفش وابن درستويه قالوا : أنشدنا أبو العباس المُبَرَّد لعبد الصمد بن المُعَذَّل فيه :

سأَلْنا عن ثُمَالَةَ كل حَىٍّ فقال القائلون ومَنْ ثُمالَهْ
فقلتُ محمد بن يزيد منهم فقالوا زِدْتَنا بِهِمُ جَهالَهْ
فقال لى المُبَرَّد خَلِّ عَنِّى فقومى مَعْشَرٌ فيهم نَذَالَهْ

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنى سعيد بن هارون :

فلو أَبْصَرْتِ دارَكِ فى مَحَلٍّ يَحُلُّ الحُزْن فيه والسُّرُورُ
رأيتِ مَنَادِحًا لم يُرْعَ فيها مَلالٌ مذ نأَيْتِ ولا فُتُور

قال يخاطب امرأة يقول : لو رأيتِ مَحَلَّك فى قلبى ؛ فلم يَسْتَقِمْ له الشعر ، فقال : دارك . وقوله :

* يَحُلُّ الحُزن فيه والسُّرور *

يعنى القلب ، لأن الحزن والسرور فيه يكونان . وقوله :مَنادِحًا ، يعنى مُتَّسَعا . وقوله : (لم يُرْعَ فيها مَلالٌ مذ نأَيت ولا فتور) مَثَلٌ .

[مطلب خطبة الأعرابى السائل فى المسجد الحرام وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو زيد قال : بينا أنا فى المسجد الحرام إذ وَقَفَ علينا أعرابى فقال : يامسلمون ، إن الحمد لله والصلاة على نبيه ، إنى آمرؤ من أهل هذا المِلْطَاط. الشَّرْقى المُوَاصِى أَسْيافَ تِهامة ، عَكَفَتْ عَلَىَّ سنُون مُحُش ، فاجْتَبَّت الذُّرَى ، وهَشَمَت العُرَى ، وجَمَشَت النَّجْم ، وأَعْجَتِ البَهْم ، وهَمَّتِ الشَّحْم ، وآلْتَحَبَت اللَّحْم ، وأَحْجَنَتِ العَظْم ، وغادَرَت التُّرَاب مَوْرا ، والماء غَوْرا ، والناسَ أَوْزاعا ، والنَّبَط. قُعَاعا ، والضَّهْل جُزَاعا ، والمَقَام جَعْجَاعا ؛ يُصَبِّحنا الهاوى ، ويَطْرُقُنا العاوى ، فخرجت لاأَتَلَفَّع بَوَصِيدَه ، ولا أتقَوَّت هَبِيدَه ، فالبَخَصات وَقِعة ، والرُّكَبات زَلِعة ، والأَطراف قَفِعة ؛ والجِسْمُ مُسْلَهِمّ ، والنَّظَر مُدْرَهِمّ ؛ أَعْشُو فأَغْطَش ، وأَضْحَى فأَخْفَش ، أُسْهِل ظالِعا ، وأُحْزِن راكعا ؛ فهل من آمِرٍ بِمَيْرٍ ، أو داعٍ بِخَيْر ؛ وقاكم الله سَطْوة القادِر ، ومَلَكَة الكاهِر ، وسُوءَ المَوَارد ، وفُضُوح المَصَادِر . قال : فأَعْطَيْتُه دينارا : وكتبت كلامه وآستفسرته مالم أعرفه .

قال أبو على : قال أبو بكر : المِلْطاط. : أشَدُّ آنخفاضا من الغائط. وأوسع منه ، وحكى اللحيانى عن الأصمعى أنه قال : المِلْطاط. : كلُّ شَفِير نَهَر أو وادٍ. والمُوَاصِى والمُوَاصِل واحد ، يقال: تَوَاصى النَّبْتُ إذا آتصل بعضه ببعض . وأَسْيَاف جمع سِيف ، وهوساحل البحر . وعَكَفَت : أقامت. والسِّنُون : الجُدُوب . ومُحُش جمع مَحُوش ، وهى التى تَمْحُش الكَلَا ، أى تُحْرِقه . وآجْتَبَّت ، آفتعلت من الجَبِّ ، يقال : جَبَبْت السَّنَام إذا قطعته ، وكل شىء آستأْصلته فقد جَبَبْته . وهَشَمَت : كَسَرَت. والعُرَى جمْع عُرْوة ، والعُرْوَة : القطعة من الشجر لا يزال باقيا على الجدب تَرْعاه أموالهم ، قال التَّغلبى (١) : يُرْوَى :

خَلَعَ المُلوكَ وسار تحت لوائه شَجَرُ العُرَى وعُرَاعِرُ الأَقوام

ويُرْوَى : وعَرَاعِر ، وهُم السادة . وجَمَشَت : آحْتَلَقَتْ ، قال رؤبة :

أَوْ كَاحْتِلاقِ النُّورة الجَمُوشِ

(١) قال ابن برى : ويروى البيت لشرحبيل بن مالك يمدح معد يكرب بن عكب قال : وهو الصحيح ، كذا في اللسان مادة : « عرا » .

والنَّجْم : مانَجَم ولم يَسْتَقِلَّ على ساق . وأَعْجَبْتُ ، أى جَعَلْتُها عَجَايا ، والعَجِىُّ : السَّيِّئُ الغِذاء المهزول ، قال الشاعر :

عَدَانى أن أَزُورك أَنَّ بَهْمِى عَجَـايا كلهـا إِلَّا قليلا

وهَمَّتْ : أَذابت ، قال أبو على : العرب تقول : هَمَّك ما أَهَمَّك : أى أذابك ما أحزنك .

قال : و قال أبو بكر : ٱلْتَحَبَت اللحم : عَرَقَتْه عن العظم . وأَحْجَنَت العَظْم ، أى عَوَّجَتْه فصيرته كالمِحْجَن . والمَوْرُ : الذى يجىء ويذهب ، قال إسماعيل : والمَوْرُ : الطريق ، رواه أبو عبيدة ، والمُورُ بضم الميم : الغُبار بالريح . قال أبو بكر : الغَوْر : الغائر . وأَوْزَاع : فِرَق . والنَّبَطُ : الماء الذى يُسْتَخْرج من البئر أول ما تُحْفَر ، قال الشاعر :

قَرِيبٌ[(١)] ثَرَاه لا ينالُ عَدُوُّه له نَبَطًا عند الهَوان قَطُوب

والقُعَاع : الماء المِلْح المُرُّ . والضَّهْل : القليل من الماء ، ومنه قيل : ماضَهَل إليه منه شىء . والحُزَاز : أشد المياه مرارة ، قال إسماعيل قال يعقوب ويقال : ماء مِلْحٌ ، فإذا اشتدّت ملوحته قيل : زُعاق وقُعَاع وأُجَاج وحُرَاق ، أى يُحْرِق أوبار الماشية من شدّة ملوحته ، قال ويقال : ماء مِلْحٌ يَفْقَأُ عين الطائر إذا بولغ فى ملوحته ، وماء خَمْجَرِيرٌ إذا كان ثقيلا ، وقال ابن الأعرابى يقال : ماء مُخَضْرَم وخَمْجَرِيرٌ ومُخْضِم إذا لم يكن عَذْبا ، والجَعْجَاع : المكان الذى لا يَطْمَئِنُّ من قَعَدَ عليه . قال أبو على قال الأصمعى : الجَعْجَاع : المَحْبِس ، وأنشد[(٢)] :

* إذا جَعْجَعوا بين الإِناخةِ والحَبْس *

وقال أبو عمرو الشيبانى : الجَعْجَاع : الأرض ، وكل أرض جَعْجاع . وقال أبو بكر : الهاوِى : الجَراد . والعَاوِى : الذئب . والتَّلَفُّع : الاشتمال . وقال أبو على : هو اشتمال الصَّمَّاء عند العرب ، وهو ألَّا يرفع جانبا منه فتكون فيه فُرْجة . والوَصِيلَةُ : كل نَسِيجة . والهَبِيد : حَبُّ الحَنْظَل يعالَج حتى يَطِيب فيُخْتَبَز . والبَخَصات : واحدها بَخَصة ،

---

(١) ويروى : قريب نداه ما ينال الخ ؛ وقائل البيت كعب بن سعد الغنوى ؛ كما فى اللسان مادة نبط .

(٢) القائل هو أوس بن حجر ، كما فى اللسان مادة جعع وصدر البيت :

* كأن جلود النمر جيبت عليهم *

وهى لحم باطن القدم . ووَقِعة ، من قولهم : وَقِعَ الرجل إذا اشتكى لحم باطن قدمه ، قال الراجز[١] :

يا لَيْتَ لى نَعْلَيْن من جِلْدِ الضَّبُعْ   وشُرُكًا مِن آسْتِها لا تَنْقَطِعْ
كُلَّ الحِذاء يَحْتَذِى الحافى الوَقِعْ

وزَلِعةٌ : متشققة ؛ وأنشد[٢] :

وغَمْلَى نَصِىٍّ بالمِتَانِ كأَنَّها   ثَعَالبُ مَوْتَى جِلْدُها قد تَزَلَّعا

قال أبوعلى : غَمْلَى ، فَعْلَى ، وهو الذى قد تراكب بعضُه على بعض . وقَفِعة ومُقَفَّعة واحد ، وهى التى قد تَقَبَّضَتْ ويَبِسَتْ . وقال أبو بكر : المُسْلَهِمٌّ : الضامر المتغير . قال أبوعلى وقال أبو زيد : المُسْلَهِمٌّ : المُدْبِر فى جسمه ، وتفسير أبى بكر أَحْسبه كلام الأصمعى . والمُدْرَهِمٌّ : الضعيف البصر الذى قد ضَعُف بصرُه من جوع أو مرض . قال أبوعلى : ولم يذكر هذه الكلمة أحدٌ ممن عَمِلَ خَلْقَ الإنسان . وأَعْشُو : أَنْظُر ، يقال : عَشَوْت إلى النار إذا أَحْدَدْت نظرَك إليها ، وأنشد[٣] :

متى تأْتِه تَعْشُو إلى ضوء ناره   تَجِدْ خيرَ نار عندها خَيْرُ مُوقِدِ

وقوله : فأَغْطَش ، أى أَصِير غَطِشا ، والغَطَش : ضَعْفٌ فى البصر ، يقال : رجل أَغْطش ، وامرأة غَطْشَى . وأُسْهِل ظالعا ، يقول : إذا مَشيْت فى السهول ظَلَعْت ، أى غَمَزْت . وأُحْزِن راكعا ، أى إذا عَلَوْت الحَزْن رَكَعْت ، أي كَبَوْت لوجهى . والمَيْر : العَطِيَّة ، من قولهم : مارَهُم يَمِيرُهم مَيْرًا .

قال أبوعلى : الكاهِرُ والقاهر واحد ، وقد قرأ بعضهم : ﴿ فأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ ﴾ .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قال أعرابى لرجل : ما آتَّهَمْتُ حُسْنَ ظَنى بك مُنْذُ توَجَّه رجائى نحوك ، ولا قعَدْتُ بِجَدّ فائلٍ باعتمادى عليك ، ولا آستَدْعَتْنِى رَغْبَةٌ عنك إلى مَنْ سِواك ، ولا أرانى الاختبارُ غيرَك عِوَضًا منك .

---

(١) الراجز هو أبو المقدام واسمه جساس بن قطيب ؛ كما فى اللسان مادة : « وقع » .
(٢) القائل هو الراعى (عبيد بن الحصين) ؛ كما فى اللسان مادة : « غمل » .
(٣) القائل هو الحطيئة ؛ كما فى اللسان مادة : « عشا » .

قال أَبو علي : الفائلُ : المُخْطِئُ ، يقال : رجل فالُ الرَّأْي وفائل الرأْي وفيِّل الرأْيِ وفِيلُ الرأْي إذا كان مخطئ الرأْي .

وحدّثنا أَبو بكر قال أَخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أَعرابيا ذكر رجلا فقال : كان والله للإخاء وَصُولا ، وللمال بَذُولا ، وكان الوَفاءُ بهما عليه كَفِيلا ، ومَنْ فاضَلَه كان مَفْضُولا ، وقال أَبو زيد : من أَمثال العرب « لم يَهْلِكْ مِنْ مالِكَ ما وَعَظَكَ » أَي إذا أَفسدت بعض مالك فوَعَظك الذى أَفسدت فأَصْلَحْت بعدُ ، فكأَن الذى أَفسدت لم يَهْلِك . ويقال : « ذَلِيلٌ عاذَ بقَرْمَلةٍ » وهى شجرة صغيرة ، يقال ذلك لمن عاذ بمن هو أَذَلُّ منه أَومثله . ويقال : « قد تحْلُبُ الضَّجُورُ العُلْبة » أَي قد تصيب من السَّيِّء الخُلُق اللِّينَ . ويقال : « لا تَعْدَمُ ناقةٌ من أُمِّها حَنَّةً » أَى لاتعدم شبَهًا ، يقال ذلك لمن أَشبه أَباه أَو أُمه .

وأَنشدنا أَبو بكر بن دريد وقرأْنا أَيضا عليه :

أَقْبَلْنَ مِنْ أَعلى فَيافٍ بسَحَرْ يَحْمِلْنَ صَلّالاً كأَعْيان البَقَر

قوله : يَحْمِلن صَلّالًا ، أَى يحملن فحمًا يَصلُّ ، أَى يُصَوِّت . وأَعيان جمع عَيْن . وقرأْنا عليه أَيضا لزيد الخيل :

نَصُول بكل أَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ على اللّاتى بَقَى فِيهِنَّ ماءُ

عَشِيَّةَ نُؤْثِرُ الغُرَباء فينا فَلا هُمْ هالكون ولا رِواء

يعنى أَنهم يفْتَظُّون الإبل فيأْخذون ما بَقِيَ فى كروشها من الماء . ومثله :

وشَرْبةِ لَوحٍ لم أَجِدْ لشِفَائها بِدُون ذُباب السَّيْف أَوشَفْرِهِ حَلّا

وحدّثنا أَبو بكر قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : بينما أَنا سائر بناحية بلاد بنى عامر ، إذ مررت بحِلَّةٍ فى غائط يَطَؤُهم الطريق ، وإذا رَجُل ينشد فى ظِلِّ خيْمة له وهو يقول :

أَحَقًّا عبادَ الله أَن لَسْتُ ناظرًا إلى قَرْقَرَى[1] يَوْمًا وأَعلامها الغُبْرِ

---

(١) قرقرى : اسم موضع .

كأنَّ فؤادي كُلّما مرَّ راكب ... جَنَاحُ غُرابٍ رام نَهْضًا إلى وَكْرِ
إذا آرْتَحَلَتْ نحوَ اليمــامة رُفْقةٌ ... دعاك الهوى وآهتاج قَلْبُك للذِّكْرِ
فيا راكبَ الوَجْناء أُبْتَ مُسَلَّما ... ولا زِلْتَ من رَيْب الحوادث فى سِتْرِ
إذا ما أتَيْتَ العِــرْضَ فآهْتِف بِجَوِّه ... سُقِيتَ على شَحْطِ النَّوى سَبَلَ القَطْرِ
فإنَّك مِنْ وادٍ إلىَّ مُرَجَّب ... وإن كنتَ لا تُزْدارُ إلَّا على عُفْــرِ

قال : فأَذِنْت له وكان نَدِيّ الصوت ، فلما رآنى أومأَ إلىَّ فأَتيته فقال : أأَعْجَبك ما سمعت ؟ فقلت : إى والله ، فقال : من أهل الحَضارة أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فممن تكون ؟ قلت : لاحاجة لك فى السؤال عن ذلك ، فقال : أَو ما حَلَّ الإسلامُ الضَّغائن وأَطْفأَ الأَحقاد ؟ قلت : بلى ، قال : فما يمنعك إذا ؟ قلت : أنا آمْرُؤٌ من قَيْس ، فقال : الحبيب القريب من أيِّهِمْ ؟ قلت : أَحَد بنى سَعْد بن قيس ، ثم أحد بنى أَعْصُر بن سَعْد ، فقال : زادك الله قُرْبا ، ثم وَثَب فأنزلنى عن حمارى ، وألقى عنه إكافَه وقَيَّده بِقُراب خَيْمته ، وقام إلى زَنْد فاقْتَدَح وأوقد نارا ، وجاء بِصَيْدانة فأَلْقَى فيها تمرا وأفرغ عليه سَمْنا ، ثم لَفَتَه حتى آلْتبكَ ، ثم ذَرَّ عليه دقيقا وقَرَّبه إلىَّ ، فقلت : إنى إلى غير هذا أَحوج ، قال : وما هو ؟ قلت : تُنْشِدنى ، فقال : أَصِبْ فإنى فاعِل ، فَلَقِمْت لُقَيْماتٍ وقلت : الوعد ، فقال : ونُعْمَى عَيْنٍ ، ثم أنشدنى :

لقد طَرَقَتْ أُمُّ الخُشَيْف وإنَّها ... إذا صَرَعَ القومُ الكَرَى لَطَرُوق
فيا كَبِدًا يُحْمَى عليها وإنَّها ... مَخَافةَ هَيْضات النَّوَى لَخَفُوق
أَقام فريقٌ من أُناس يَوَدُّهم ... بذات الغَضَا قلبى وبان فَــرِيق
بحاجة محزون يَظَلُّ وقَلْبُــه ... رَهِينٌ بِبَضَّاتِ الحِجال صَدِيق
تَحَمَّلْن أن هَبَّتْ لهُنَّ عَشِيَّةً ... جَنوبٌ وأن لاحت لهُنَّ بُرُوق
كأَنَّ فُضُول الرَّقْم حين جَعَلْنَها ... غُدَيًّا على أُدْم الجمال عُــذُوق
وفِيهِنَّ مِنْ بُخْت النساء رِبَحْلَةٌ ... تَكادُ على غُرِّ السحاب تَرُوق
هِجانٌ فأَما الدِّعْصُ من أُخْرَيَاتِها ... فوَعْثٌ وأما خَصْرُها فدَقِيق

قال : ففارقته وأنا من أَشد الناس ظمأً إلى معاوَدة إنشاده .

[مطلب الكلام على مادة ع ر ض وشرح حديث الأعرابي مع ضيفه]

قال أبو علي: العِرْض : وادٍ باليمامة ، وكل واديقال له : عِرْض ، يقال : أخْصَب ذلك العِرْض ، وأخْصَبَتْ أعراض المدينة . والعِرض أيضا : الرِّيح ، يقال : فلان طَيِّب العِرْض ، وفلان مُنْتِن العِرْض ، أي الريح ، والعِرْض أيضا : ما ذُمَّ من الإنسان أومُدِح ، يقال : فلان نَقِيُّ العِرْض ،أي هو برىء من أن يُشْتَم أو يُعاب ، واَختلف فيه ، فقال أبوعبيد : عِرْضُه : آباؤه وأسلافه ، وخالفه ابن قتيبة فقال : عِرْضُه : جَسَده ، واَحْتَجَّ بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فى صفة أهل الجنة : « لايَبُولون ولا يَتَغَوَّطون إنما هو عَرَقٌ يجرى من أعراضهم مثل المِسْك » يعنى من أبدانهم ، ونَصَرَ شيخنا أبو بكر ابن الأنبارى أباعبيد فقال: ليس هذا الحديث حُجَّةً له؛ لأن الأعراض عند العرب المواضع التى تَعْرَق من الجسد ، قال : والدليل على غلط ابن قتيبة فى هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيد قول مسكين الدارمى :

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِين عِرْضُه وسَمِينِ الجسم مَهْزُول الحَسَب

فمعناه : رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء؛ قال : وأما احتجاجه ببيت حسان ابن ثابت :

فإنَّ أبي ووالده وعِرْضِي لعِرْض محمـــد منكم وِقَاءُ

فى أن العِرْض الجسم ، فليس كما ذَكَر ، لأن معناه : فإن أبي ووالده وآبائى ، فأتى بالعموم بعد الخصوص ، ذكَر الأَب ثم جَمَع الآباء ، كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرآنَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ فَخَصَّ السَّبْع ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها ، والذى قاله ابن قتيبة قد قاله غيره ، ويمكن من يَنْصُر ابنَ قتيبة أن يقول : بَيْتُ مسكين مَثَلٌ ، ومعناه : رب مهزول الجسم سمين الحسب ، أى عظيم الشرف ، وسمين الجسم مهزول الحسب ، أى ضعيف الشرف . والعَرْض : ماخالَفَ الطول. والعَرَض من المال : ماليس بنَقْد ، والجمع عُروض ، يقال : اقْبَلْ منى عَرْضًا ، أى دابة أو متاعا . والعَرْض : سَفْح الجبل ،أى ناحيته ، قال ذو الرمة :

أَدْنَى تَقَاذُفِه تَقْرِيبٌ أو خَبَبٌ   كما تَدَهْدَى من العَرْضِ الجَلَامِيدُ

ويقال للجيش إذا كان كثيرا : ما هو إلا عَرْض من الأَعْرَاض ، يُشَبَّه بناحية الجبل ، قال رؤبة :

إنا إذا قُدْنا لقوم عَرْضا   لم نُبْق من بَغْيِ الأعادِي عِضّا

والعِضُّ :الداهية :والعَرْض :مصدرعَرَضْتُه على البيع أَعْرِضُه عَرْضا. والعَرْض :مصدر عَرَضْت العُود على الإناء أَعْرِضه عَرْضا . والعَرْض : مصدرعَرَضْت له من حقه ثوبا ، فأنا أَعْرِضُه عَرْضا إذا أعطيته ثوبا مكان حقه ، هذه كلها مفتوحة العين مسكنة الراء ، وكذلك مصدر عَرَضت له حاجة وعَرَضت عليه الحاجة ، والعُرْض بضم العين : الناحية ، يقال : ضَرَبْت به عُرْضَ الحائط ، ويقال : خرجوا يَضْرِبون الناس عن عُرْض ، يريدون عن شِقٍّ وناحية ، لايُبالون مَنْ ضَرَبوا ، ومنه آستعراض الخوارج الناس إذا لم يُبالوا مَنْ قَتَلوا . ويقال : قد أَعْرَض لك الظَّبْيُ ، أي أَمْكَنك من عُرْضِه ، أي من ناحيته . والعَرَض مفتوح الراء : حُطَام الدنيا وما يُصيب منها الإنسانُ ، يقال : إن الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأْكل منها البَرُّ والفاجر . والعَرَض أيضا : الأَمر يَعْرِض للإنسان من مَرَض أو كَسْر أوغيرهما مما يُبْتَلَى به ، ويقال : عَرَض له عارضٌ ، مثل عَرَضٍ ، ولا تزال عارضةٌ تَعْرِض . والعارض : الأَسنان التى بعد الثنَايا ، وهى الضَّوَاحك ، وجمعه عَوَارِض ، يقال : آمرأة نَقِيَّة العارض ، ومصقولة العارض ، قال جرير :

أَتَذْكُرُ يومَ تَصْقُل عارِضَيْها   بعُودِ بَشَامةٍ سُقِيَ البَشَام(١)

والعارض : الخَدُّ ، كذا قال أبو نصر . وقال غيره : سئل الأصمعى عن العارِضَيْن من اللِّحية ، فوضع يده على مافوق العوارض من الأَسنان ، ويقال للنَّحْل والجَرَاد إذا كَثُر : مَرَّ منه عارضٌ قد مَلأَ الأُفُق ، ويقال للجبل : عارض ، وبه سمى عارض اليَمَامة . والعارِضَةُ : الشاةُ أوالبعيرُ يُصيبه الداءُ أو السَّبُع أو كَسْرٌ ، وجمعه عَوَارض ، يقال : بنوفلان أَكَّالُون للعَوَارِض . ويقال : فلان شديد العارضة ،

(١) ورد فى اللسان : أن صدر هذا البيت فى التهذيب :

* أتذكر اذ تودعنا سليمى *

وروى فيه : بفرع بدلا من بعود ، وفى الأغانى : أتنسى اذ تودعنا ..

أى الناحية . ويقال : أخذَ فى عَرُوضٍ ما تُعْجِبُنى ، أى فى طريقٍ وناحية ، وعَرَفْت ذلك فى عَرُوض كلامه . ويقال لمكة ، والمدينة ، واليمن : العَرُوض ، ويقال : وَلِى فلان العِراقَ وَوَلِىَ فلان العَرُوض . والعرُوض : عَرُوض الشعر . والعَرُوض : البعير الصَّعْب . والعَرُوضانِ : الجانبان . والعَرُوض من الإبل والغنم : الذي يَعْتَرِض الشَّوْكَ فيأْكله ، يقال : غَنَمُ فلان تَعْرُضُ إذا اعْتَرَضَت الشَّوكَ فأكلته . وعَرِيضٌ عَرُوضٌ . والعَرِيض من المِعْزَى : الذى أتى عليه نحوٌ من سَنَة ونبَّ وأراد السِّفاد ، وجمعه عِرْضان ، وقال اللحيانى : قال بعضهم : العَرِيض من الظباء :الذى قد قارب الإثْناء . والعَرِيض عند أهل الحجاز : الخَصِىُّ ، والجميع العُرْضان . قال : ويقال : أعْرَضْتُ العِرْضانَ إذا خَصَيْتَها . ويقال : فلان عُرْضَة للشر ، أى قَوِىٌّ عليه ، وفلانة عُرْضَةٌ للزَّوج ، أى قَوِيَّة عليه ، وفَرَس عُرْضة للميدان ، وجَمَلٌ عُرْضة للحِمْل الثقيل . والعُرَاضة : الهَدِيَّة ، يقال : ماعَرَّضْتَهم ، أى ماأَهْدَيْتَ إليهم وأطعمتهم ، قال الشاعر (١) :

حَمْراء مِنْ مُعَرِّضات الغِرْبانْ يَقْدُمُها كُلُّ عَلاةٍ عِلْيَان

يقول : عليها التمر فتأْتى الغِرْبانُ فتأْكل مما عليها . والعُرَاضة : الشىء يُطْعِمه الرَّكْبُ من آسْتَطْعَمَهم من أهل المياه . والعُرَاضة والعَرِيضة واحد ، وجاء فى بعض الحديث : إذا طَلَعَت الشِّعْرَى سَفَرًا ولم تَرَ فيها مَطَرا فلا تَغْذُوَنَّ إمَّرةً ولا إمَّرا وأَرْسِلِ العُرَاضاتِ أثَرا يَبْغينك فى الأرض مَعْمَرا . فالعُرَاضات : الإبل العريضة الآثار . ويقال : قَوْسٌ عُرَاضة ، أى عريضة . والمِعْرَاض : السهم الذى لاريش عليه . والمِعْرَض : الثوب الذى تُعْرَض فيه الجارية ، وجمعه مَعَارِض . ويقال : لَقِحَت الناقة عِرَاضًا ، والعِرَاض : أن يُعارِضَها الفحل فَيَتَنَوَّخَها فيَضْرِبها ، فذلك الضِّراب هو العِرَاض ، وإذا لَقِحت الناقة كذلك ، قيل : لَقِحَت يَعارةً (٢) ، قال الراعى :

نَجائب لا يُلْقَحْن إلَّا يَعارةً عِرَاضًا ولا يُشْرَيْنَ إلا غَوَالِيا

---

(١) القائل هو الأجلح بن قاسط كما فى اللسان وأورد البيت هكذا :

يقدمها كل علاة عليـان حمراء من معرضات الغربان

(٢) اليعارة : الناقة الكريمة التي يقاد اليها الفحل لتلقح ، فان شاءت أطاعته وان شاءت امتنعت منه فلا تكره على ذلك .

ويقال : جاءت فلانة بولد عن مُعارضة وعن عِرَاضٍ ، وذلك إذا لم يكن له أبٌ يُعْرَف ، ويقال : أعْرَضتْ فلانة بأولادها إذا وَلَدَتْهم عِرَاضا طِوَالا من الرجال ، ويقال : أعْرَضَ الشيءُ إذا صار ذا عَرْضٍ ، قال ذو الرمة :

عطاءُ فَتًى بَنَى وبَنَى أبوهُ فأعْرَضَ فى المكارم واسْتَطَالا

أى تمكّن من طُولها وعَرْضِها . وأعْرَضَ فلان عن فلان يُعْرِض إعراضا إذا لم يلتفت إليه . ويقال عَرُضَ فلان وطال إذا ذَهَب عَرْضًا وطُولا . ويقال : عَرَّضْته للخير تعْرِيضا ، وزاد اللحيانى وأعْرَضْته . وعارَضْت الشىء بالشىء قابَلْته به . وخرج يُعارِض الرِّيح إذا لم يستقبلها ولم يستدبرها ، ويقال : فى فلان عُرْضِيَّة أى صعوبة ، وكذلك ناقة عُرْضِيَّة ، أى فيها صعوبة . والعِرَضْنة : أن يمشى مِشْية فى شِقٍّ فيها بَغْىٌ ، ويقال : هو يَتعَرَّض فى الجبل إذا أخذ يمينا وشمالا ، قال عبد الله ذو البِجَادَيْن يخاطب ناقة النبى صلى الله عليه وسلم :

تَعَرَّضِى مَدَارِجًا وسُومِى تَعَرُّضَ الجَوْزاء للنجوم

هذا أبو القاسم فاسْتَقِيمى

المَدَارِجُ : الثَّنايا الغِلاظ . ومُرَجَّب : مُعَظَّم وهو مأخوذ من تَرْجِيب النَّخلة ، وذلك أنها إذا كَرُمت على أهلها وعَظُمَ حَمْلُها رَجَبُوها ، والتَّرْجِيب : أن تُعْمَد برُجْبة ، وهى بناء يُبْنَى كالعَمُود تحتها تُعْمَد به ، قال الشاعر :

ليست[1] بِسَنْهاء ولا رُجَّبِيَّةٍ ولكنْ عَرَايَا فى السِّنين الجَوائح

وكان أبو بكر بن دريد ينشد « رُجَبِيَّة » بتشديد الياء فقط ، وأنشدنا أبو بكر ابن مجاهد المقرى عن أحمد بن يوسف التَّغْلَبى « رُجَّبِيَّة » بتشديد الجيم والياء وكذلك أقرأنى أبو بكر بن الأنبارى فى الغريب المصنَّف بتشديد الجيم والياء . وقوله : على عُفْرٍ ، أى على بُعْد من اللِّقاء ، وقال أبو زيد : بَعْدَ عُفْرٍ : بعد شهر ، وقال غيره : بَعْدَ حِينٍ ، والحِينُ : مثل البُعْد فى المعنى . وقوله : أذِنْت له معناه استمعت له ، قال قَعْنب ابن أمِّ صاحب :

(١) هذا البيت دخله الخرم وهو حذف فاء فعولن . وقائله سويد بن صامت يصف نخلة بالجودة . والسنهاء: التى أصابتها السنة واضر بها الجدب . والعرايا جمع عرية وهى التى يوهب ثمرها .

صُمٌّ إذا سَمِعوا خيرا ذُكِرْتُ به وإن ذُكرت بسُوء عندهم أَذِنُــوا

وقُرَاب وقَرِيب واحد ، مثل كُبَار وكَبِير ، وجُسَام وجَسِيم ، وطُوَال وطَوِيل. والصَّيْدَانة : القِدْر العظيمة . وقال الأصمعى : الحَضَارة والبِدَاوة ، بفتح الحاء وكسر الباء : للحَضَر والبَدْو ، وقال أبو زيد : البَدَاوة والحِضَارة ، بفتح الباء وكسر الحاء .

قال أبو على وهما عندى لغتان ، الحَضَارة والحِضارة ، والبَدَاوة والبِدَاوة ، ولَفَتَه : لَواه. واللَّفِيتة : العَصِيدة ، وإنما سميت لفيتةً لأنها تُلْفَت ، أى تُلْوَى . وٱلْتَبَك : ٱختلط ، يقال : لبَكْتُ الشيء وبَكَلْته إذا خَلطْته ، قال أُمية بن أبى الصَّلْت :

له داعٍ بمكَّةَ مُشْمَعِلٌّ وآخَرُ فَوْقَ دارَتِهِ يُنــادِى

إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى مِلاء لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهاد

أى يُخْلط بالشَّهْد ، يعنى الفالوذ . وقال أبوزيد : الرِّبَحْلة : اللَّحِيمة الجَيِّدة الجسم فى طُول ، ورَجُل رِبَحْلٌ . والسِّبَحْلة : الطويلة العظيمة ، ورجل سِبَحْل ؛ وقال الأصمعى : نَعَتَت ٱمرأةٌ من العرب ٱبنتها فقالت :

سِبَحْلَةٌ رِبَحْــلَهْ تَنْمِى نَبَاتَ النَّخْـله

ويقال : سِقَاءٌ سِبَحْل وسَبَحْلَل وسَحْبَلٌ ، أى عظيم . وقال : الجنوب لَيِّنةٌ تُؤَلِّف السحاب وتُكَثِّفه ، والشَّمال تُفرِّقه ، فيُسَمُّون الشَّمَال : مَحْوَةَ ، لأنها تمْحُو السحاب . والوَعْث : اللَّيِّن الوَطِيءُ ، كذا قال الأصمعى ، وقال أبو زيد نحو هذا ؛ وقال : هو الذى تَسُوخ فيه أخفاف الإبل ، وهو شديد عليها .

[مطلب حديث يحيى بن طالب وشكايته ورحلته إلى بغداد ليسأل السلطان]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو محمد بن سعيد قال : كان يحيى بن طالب الحنفى شيخا كريما يَقْرِى الأضياف ويُطْعِم الطعام ، فركِبه الدَّينُ الفادِحُ ، فَجَلَا عن اليمامة إلى بغداد يسأل السلطان قضاء دينه ، فأراد

رجل من أهل اليمامة الشُّخوص من بغداد إلى اليمامة ، فشيَّعه يحيى بن طالب ، فلما جلس الرجل فى الزَّوْرَق ذرفتْ عَيْنا يحيى وأنشأ يقول :

أَحَقًّا عبادَ الله أن لَسْتُ ناظرا ... إلى قَرْقَرَى يوما وأَعْلامِها الخُضْر (١)

إذا آرتحلتْ نحوَ اليمامة رُفْقةٌ ... دعاك الهوى وآهتاج قلبك للذكر

أقول لموسى والدموعُ كأنها ... جَداولُ ماء فى مَسارِبها تَجْرِى

أَلا هَلْ لشيخٍ وآبن ستين حِجَّةً ... بَكَى طَرَبًا نحو اليمامة من عُذْر

كأن فؤادى كلما مرّ راكب ... جناحُ غراب رام نَهْضًا إلى وَكْر

يُزَهِّدُنى فى كل خيرٍ صَنَعْته ... إلى الناس ما جَرَّبْتُ من قِلَّةِ الشكر

فياحَزَنا ماذا أُجِنُّ من الهَوَى ... ومن مُضْمَرِ الشوق الدَّخِيل إلى حِجْر

تَعَزَّيْتُ (٢) عنها كارها فتركتها ... وكان فِرَاقِيها أَمَرَّ من الصَّبْر

لعلَّ الذى يقضى الأُمور بعلمه ... سيصرفنى يوما إليها على قَدْر

فَتَفْتُرَ عَيْنٌ ما تَمَلُّ من البكا ... ويَصْحُوَ قلبٌ ما يُنَهْنَه بالزَّجْر

قال أبو بكر بن الأنبارى : حِجْرٌ : قَصَبة اليمامة . قال : فغُنِّى هارونُ الرشيد بشعر يحيى بن طالب .

أَيا أَثْلاتِ القاع من بَطْنِ تُوضَحٍ ... حَنِينِى إلى أَطْلالكنَّ طَوِيلُ

ويا أَثَلاتِ القاع قد مَلَّ صُحْبتى ... مَسِيرى فهل فى ظِلِّكُنَّ مَقيل

ويا أَثَلاتِ القاع قَلْبى مُوَكَّل ... بِكُنَّ وجَدْوَى خَيْرِكُنَّ قَليل

أَلا هل إلى شَمِّ الخُزَامَى ونَظْرةٍ ... إلى قَرْقَرَى قبل المَمات سبيل

فأَشربَ من ماء الحُجَيْلاء شربةً ... يُداوَى بها قبل الممات غليل

أُحدِّث عنكِ النفسَ أن لستُ راجعا ... إليك فحزنى فى الفؤاد دَخِيل

(١) تقدم قريبا الغبر بدل الخضر ، فلعلهما روايتان .

(٢) فى بعض النسخ الخطية المحفوظة بدار الكتب « تعزيت » وفى الأغانى طبع بولاق (ج ٢٠ ص ١٥٠) « تصبرت » .

أُريد(١) هبوطا نَحْوَكم فيردّنى إذا رُمْتُه دَيْنٌ علىَّ ثقيـل

فقال هارون الرشيد : يُقْضَى دينُه ، فطُلِب فإذا هو قد مات قبل ذلك بشهر .

وحدّثنا ابنُ الأنبارى قال حدّثنا أحمد بن يحيى النحوي قال : أراد الفضل ابن يحيى أو جعفر بن يحيى سفرا ، فقال : قاتل الله جميلا ، ما أشعره حيث يقول :

لَمَّا دنا البَيْنُ بَيْنَ الحَىِّ واقتسموا حَبْلَ النَّوَى فهو فى أيديهمُ قِطَعُ

جادت بأدمعها لَيْـلَى وأعجلنى وَشْكُ الفراق فما أبْقى وما أدَع

ياقلب وَيْحَكَ ماعَيْشِى بذى سَلَمٍ ولا الزمان الذى قد مرّ مُرْتَجَع

أكُلَّمـا بان حَىٌّ لا تلائِمُهـم ولا يُبَالون أن يَشْتـاق مَنْ فَجَعُوا

عَلَّقْتَنى بِهَوًى منهم فقد جَعَلَتْ من الفراق حَصاةُ القلب تَنْصَدِع

وقرأْت هذه الأبيات فى شعر جميل على أبى بكر بن دريد ، مكان فما أبْقِى ، فما أبْكى ، ومكان عَيْشِى ، عَيْشٌ ، ومكان بِهَوًى منهم ، بِهَوًى مُرْدٍ . وقال الأصمعى : من أمثالهم « جاء يَفْرِى الفَرَا ويَقُدُّ » إذا جاء يعمل عملا محكما ، ومثله « جاء يَفْرِى الفَرِىَّ » ويقال : « الحقُّ أبْلَج والباطلُ لَجْلَج » يراد أن الحق منكشف ، والباطل ملتبس . ويقال : « ماءٌ ولا كصَدَّاء » مثل حمراء ، بئر طيِّبة الماء جدا ، وكان أبو العباس محمد بن يزيد يقول : كَصَدْآء على وزن صَدْعاء ، يقول : هذا ماء ولا بأس به ، وليس كَصَدَّاء ، يضرب مثلا لمن حُمِد بعض الحَمْد ويُفضَّل عليه غيره . ويقال « فَتًى ولا كَمَالِكٍ » مثله . و « مَرْعًى ولاكالسَّعْدان » مثله .

وأنشدنا ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه لرجل من بنى كلاب :

فلما قَضَيْنَا غُصَّةً من حَدِيثنا وقد فاض من بعد الحديث المدامع

جرى بيننا مِنَّا رَسِيسٌ يزيـدنا سَقَاما إذا ما اسْتَيْقَنَتْه المسامع

كأن لم تَجَـاوِرْنا أُمامُ ولم نُقِمْ بفَيْضِ الحِمَى إذ أنت بالعَيْشِ قانع

(١) فى الأغانى

* أريد رجوعا نحوكم فيصدنى *

فهل مِثْلُ أيَّامٍ تَسَلَّفْن بالحِمَى عَوائدُ أو غَيْثُ السِّتَارَيْن واقع
فإنَّ نَسِيم الريح من مَدْرَج الصَّبا لِأَوْراب قَلْبٍ شَفَّه الحُبُّ نافع

قال أبو على : الرَّسُّ : الشيء من الخَبَر ، والرَّسِيسُ مثله ، قال الأَفْوَه الأَوْدى :

بمَهْمَهٍ ما لِأَنِيسٍ به حِسٌّ وما فيه له مِنْ رَسِيس

وقال أبو زيد : رَسَوْت عنه حديثا أَرْسُوه رَسْوًا : حدَّثْتُ عنه ، وقال غيره : رَسَسْتُ الحديثَ فى نفسى أَرُسُّه رَسًّا إذا حدَّثت به نفسك ، قال الأَصمعى : رَسَسْتُ بين القوم : أَصْلَحْت بينهم . والأَوْرَاب : واحدها وَرْبٌ ، وهو فَسَاد يكون فى القلب وفى غير ذلك ، والعرَب تقول : إنه لذو عِرْقٍ وَرِبٍ ، أى فاسد .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه لرجل من بنى كلاب أيضا :

تَحِنُّ إلى الرَّمْل اليَمَانِى صَبابةً وهذا لَعَمْرِى لو رَضِيتَ كَثِيبُ
فأَين الأَرَاكُ الدَّوْح والسِّدْر والغَضَا ومُسْتَخْبَرٌ عَمَّنْ تُحِبُّ قَرِيب
هُنَاكَ تُغَنِّينا الحَمَامُ ونَجْتَنِى جَنَى اللَّهْو يَحْلَوْلِى لنا ويَطِيبُ

قال أبو زيد : قال الكلابِيُّون : « سَمِعتُ سِرًّا فما جَأَيْتُه » مثال جَعَيْته ، أى لم أَكتمه ، وفلان لا يَجْأَى سِرًّا ، أى لايكتمه ، والمصدر الجَأْىُ ، والسِّقَاء لا يَجْأَى الماء ، أى لايحبسه ، والراعى لا يَجْأَى غنمه إذا لم يحفظها فتفرّقت . وفلان لايَحْجُو سِرًّا ، أى لا يكتمه ، والمصدر الحَجْوُ ، والسِّقاء لا يَحْجُو الماء ، أى لايحبسه ، والراعى لا يَحْجُو غنمه ، أى لا يحفظها .

قال الأَصمعى : يقال : طمَحَ فى السَّوْم إذا ٱستام بسِلْعته أكثر مما تُساوِى ، وتَشحَّى فى السَّوْم ، وأَبْعَطَ فى السَّوْم ، وشَحَطَ فى السَّوْم ، وذلك أن يتباعد . قال : ويقال : مَصَعَ الظَّبْىُ ولَأْلَأَ إذا حرَّك ذَنَبه . ومَثَلٌ من أمثالهم « لا آتيك مالَأْلَأَت الفُورُ والعُفْر » أي ماحركت أذنابها ، أى لا آتيك أبدا ، قال : والأعفر : الأحمر من الظباء . والفُورُ : السُّود ، وقال لى أبو بكر بن دريد : قال الأَصمعى : الفُور : الظِّباء لا واحدلها .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى :

رَفَعْنَا الْخُمُوشَ عن وجوه نسائنا إلى نِسْوة منهم فأَبْدَيْن مِجْلَدا

قال أبوالعباس : الخُمُوش : الخُدوش ، وهذا رجل قُتِل من قومه قَتْلى ، فكان نساؤهم يَخْمُشْن وجوههن عليهم ، فأصابوا بعد ذلك منهم قتلى ، فصار نساء الآخرين يَخْمُشْنَ وجوههن عليهم . يقول : لما قَتَلْنا منهم قَتْلَى بعد القَتْلَى الذين كانوا قَتَلوا منا ، حَوَّلْنا الخُمُوش عن وجوه نسائنا إلى وجوه نسائهم . قال : وهذا مثل قول عمرو بن معديكرب :

عَجَّتْ نساءُ بنى زُبَيْدٍ عَجَّةً كعَجيجِ نِسْوتنا غداةَ الأَرْنَب

قال أبوالعباس : العَجَّة : الصوت . والأَرْنَب : موضع . والمِجْلَد : جِلْدة تمسكها النائحة بيدها ، وربما أشارت بها إلى وجهها كأنها تَلْطِمه بها ، وأنشد :

خَرَجْن حَرِيراتٍ وأَبْدَيْن مِجْلَدا ودارت عليهن المُقَرَّمةُ الصُّفْر (١)

قال أبوالعباس : حَرِيرات : حارَّات الأجواف من الحُزْن . وقوله : دارت عليهن المقرّمة الصُّفْر ، يقول : سُبِين فأُجِيلت عليهنّ القِدَاح ليُؤْخَذن أَسْهُما ، قال ويروى : المُكَتَّبة الصفر ، يعنى السهام التى عليها أسماء أصحابها مكتوبة ؛ ولم يفسر أبو العباس مُقرَّمة ولا أبو بكر .

قال أبوعلى : وأنا أقول مُقَرَّمة : مُعَضَّضة ، وذلك أن الرجل كان يُعْلِم قِدْحَه بالعَضِّ .

[مطلب حديث زبراء الكاهنة مع بنى رئام من قضاعة وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن هشام بن محمد عن أبى مِخْنَف عن أشياخ من عُلَماء قُضَاعة قالوا : كان ثلاثة أَبْطُن من قُضَاعة مُجْتَوِرِين بين الشِّحْر وحَضْرَمَوْت : بَنُو ناعب ، وبَنُو دَاهِنٍ ، وبَنُو رِئَام ، وكانت بنو رئام أقلَّهم عَدَدًا وأشجعَهم لقاء ، وكانت لبنى رئام عجوز تُسَمَّى خُوَيْلة ، وكانت لها أَمَةٌ من مُوَلَّدَات العرب تسمى زَبْراء ، وكان يدخل على خُوَيْلة أربعون رجلا كلهم لها مَحْرَمٌ ، بَنُو إخْوة وبَنُو أَخَوَات ، وكانت خويلة عَقِيما ، وكان بنو ناعب وبنو داهن مُتَظَاهِرِين على بنى رئام ، فاجتمع بنو رئام ذاتَ يوم فى عُرْسٍ لهم وهم سبعون رجلا كلهم شُجاعٌ بَئِيس ، فَطَعِموا وأقبلوا على شرابهم ، وكانت زبراء

(١) البيت للفرزدق ؛ كما فى اللسان مادة حرر .

كاهنة ، فقالت لخُوَيْلة : انطلقى بنا إلى قومك أنْذِرْهم ، فأقبلت خُوَيْلة تتوكأ على زَبْراء ، فلما أبصرها القوم قاموا إجلالا لها ، فقالت : ياثَمَرَ الأكباد ، وأنْدادَ الأولاد ، وشَجَا الحُسّاد ؛ هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمُؤْيِدِ الشَّنْعاء ، فاسمعوا ما تقول . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت : واللّوحِ الخافق ، والليل الغاسق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق ، والمُزْن الوادق ؛ إنّ شَجَر الوادى لَيَأْدُو خَتْلا ، ويَحْرُق أنيابًا عُصْلاً ، وإن صَخْرَ الطَّوْد لَيُنْذِر ثُكْلا ، لاتَجِدُون عنه مَعْلا ؛ فوافَقَتْ قوما أَشَارَى سُكَارَى ؛ فقالوا : رِيحٌ خَجُوجٌ ، بَعِيدة ما بين الفُرُوج ، أتت زَبْراءُ بالأَبْلَق النَّتُوج . فقالت زبراء : مَهْلاً يابنى الأعزة ، والله إنى لأَشُمُّ ذَفَرَ الرجال تحت الحديد ، فقال لها فتى منهم يقال له هُذَيْل بن مُنْقِذ : ياخَذَاقِ ، والله ما تَشَمِّين إلا دَفَرَ إبْطَيْكِ ، فانصرفَتْ عنهم وارْتاب قوم من ذَوِى أسْنانهم ، فانصرف منهم أربعون رجلا وبَقِىَ ثلاثون فَرَقَدُوا فى مَشْرَبِهم ، وطَرَقَتْهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلة مع الصباح فوَقَفَت على مَصارِعهم ، ثم عَمَدَت إلى خَنَاصِرِهم فقطعتها ، وانْتَظَمَتْ منها قِلادةً وألْقتها فى عنقها ، وخرجت حتى لَحِقَتْ بمَرْضاوى بن سَعْوة المَهْرِى ، وهو ابن أُختها ، فأناخت بفِنائه وأنشأت تقول :

يا خَيْرَ مُعْتَمَدٍ وأَمْنَعَ مَلْجَإٍ ... وأعزَّ مُنْتَقِمٍ وأَدْرك طالب
جاءتك وافِدةُ الثَّكَالَى تَغْتَلِى ... بسوادها فَوْقَ الفَضاء النَّاضِب
عَيْرَانة سُرُح الْيَدَيْن شِمِلَّة ... عُبْر الهَوَاجِر كالهِزَفِّ الخَاضِب
هَذِى خَنَاصِرُ أُسْرَتِى مَسْرُودةً ... فى الجيدِ مِنِّى مِثْل سِمْطِ الكاعِب
عشرون مُقْتَبَلا وشَطْرُ عَدِيدِهم ... صُيَّابة مِلْقَوْم غَيْر أَشَايِبِ
طَرَقَتْهُمُ أُمُّ اللُّهَيْم فأَصبحوا ... تَسْتَنُّ فوقَهُمُ ذُيولُ حَوَاصِب
جَزَرًا لعافية الخَوَامِعِ بعدما ... كانوا الغِيَاثَ من الزَّمَان اللَّاحِب
قَسَمَتْ رجالُ بنى أَبِيهم بينهم ... جُرَعَ الرَّدَى بمَخَارِصٍ وقَوَاضِب

فَابْرُدْ غَلِيلَ خُوَيْلة الثُّكْلَى التى   رُمِيَتْ بأَثْقَلَ من صُخُور الصاقِب

وتَلَافَ قبل الفَوْتِ ثأْرِي إِنَّه   عَلِقٌ بثَوْبَىْ داهِنٍ أَو ناعب

فقال : حِجْرٌ على مَرْضَاوِى الأَعْذَبانِ والأَحْمَرَانِ ، أَو يَقْتُلَ بعدد رِئام من داهِنٍ وناعب ، ثم قال :

أَخَالَتَنا سِرٌّ النساء مُحَــرَّم   عَلَىَّ وتَشْهَادُ النَّدَامَى على الخَمْر

كذاك وأَفْلاذُ الفَئِيدِ وما ارْتَمَتْ   به بين جالَيْها الوَئِيَّةُ مِلْوَذْر

لئن لم أُصَبِّح داهنا ولَفِيفَها   وناعِبَها جَهْرًا بِرَاغِيَةِ البَكْــر

فَوَارِى بَنَانَ القَوْم فى غامِض الثَّرَى   وصُورِى إليكِ من قِناعٍ ومن سِتْر

فإِنى زَعِيمٌ أَن أُرَوِّىَ هامَهُمْ   وأَظْمِىءَ هامًا ما انْسَرَى الليلُ بالفجر

ثم خرج فى مَنْسِر من قومه ، فطَرَق ناعبا وداهنا فأَوْجَعَ فيهم .

قال أبو على : المُؤْيِدُ : الداهية والأَمر العظيم . والنُّفْنُف واللُّوح والسُّكَاك والسُّكَاكة والسَّحَاح والكَبَد والسُّمَّهى : الهواء بين السماء والأَرض ، يقال : لأَفْعلنّ ذلك ولو نَزَوْت فى اللُّوح ، ولو نَزَوْت فى السُّكَاك ، واللَّوْح بفتح اللام : العَطَش . وقال أبو زيد : أَدَوْتُ له آدُو أَدْوا إذا ختَلْته ، قال الشاعر :

أَدَوْتُ له لآخُــذَه   فَهَيْهات الفَتَى حَذِرا

ويقال : دَأَيْت له أيضا ودَأَلْت له بمعنى واحد . وحَرَق أَنْيابَه إذا حَكَّ بعضَها ببعض ، والعرب تقول عند الغضب يَغْضَبُه الرجلُ على صاحبه : « هو يَحْرُق عَلَىَّ الأُرَّمَ » أى الأَسنان ، والعُصْلُ : المُعْوَجَّة ، واحدها أَعْصَل . والمَعْلُ : المنجَا . والخَجُوج : السريعة المَرّ . والأَبْلَق : لايكون نَتُوجا ، والعرب تضرب هذا مثلا للشىء الذى لا ينال فتقول :

طَلَبَ الأَبْلَقَ[1] العَقُوق فلَمَّا   فاته أراد بَيْضَ الأَنُــوق

(١) ورد هذا المثل فى الطبعة الأولى والنسخ الخطية غير منظوم ، وفى مجمع الأمثال واللسان : أن رجلا سأل معاوية أن يفرض له فأجابه الى ذلك ، ثم سأل لولده فمنعه ؛ فسأل لعشيرته فتمثل معاوية بهذا البيت :

طلب الأبلق العقوق فلما   لم يجده أراد بيض الأنوق

والأَنُوق : الذَّكَر من الرَّخَم ولا بَيْض له ، هذا قول بعض اللغويين ، وعامتهم يقولون : الأَنوق : الرَّخَمة وهى تبيض فى مكان لايُوصَل فيه إلى بيضها إلا بعد عناء ، فيراد بهذا المثل أنه طلب ما لا يقدر عليه ، فلما لم يَنَلْه طَلَب مايجوز أن يَناله ، هذا على القول الثانى ، فأَما على القول الأَوّل ، فإنه طلب ما لا يُمْكِن ، فلما لم يَجِدْ طَلَب أيضا ما لا يكون ولا يُوجَد . والعَقُوق : الحامل ، يقال : أَعقَّت الفرسُ فهى عَقُوق ، ولم يقولوا : مُعِقٌّ ، تركوا القياس فيه ، وهذا هو قول الأَصمعى ، وقد قال بعض اللغويين : يقال عَقُوق ومُعِقٌّ . والذَّفَر يكون فى النَّتْن والطِّيب ، وهو حِدَّة الرِّيح ، والدَّفَرُ بفتح الفاء لايكون إلا فى النتن ، ومنه قيل للدُّنْيا : أُمُّ دَفْر ، وللأَمة دَفَارِ ، فأَما الدَّفْر بتسكين الفاء : فالدَّفْع ، يقال : دَفَرَ فى عُنُقه . وخَذَاق : كناية عما يَخرج من الإنسان ، يقال : خَذَق ومَزَق وزَرَق ، وهذا قول ابن الأَعرابى . والمُغَالاة[1] : المباعَدة فى الرَّمْى . وقال الأَصمعى : الناضِب : البعيد ، ومنه نَضَب الماءُ ، أى بَعُدَ عن أن يُنال . وعَيْرانة : تُشْبِه العَيْر لصلابتها . والسُّرُح : السَّهْلة رَجْعِ اليدين . والشِّمِلَّة : السريعة الخفيفة . ويقال : ناقة عُبْر أسفار إذا كانت قوية على السَّفر ، وعُبْر الهَواجِر إذا كانت قوية على الحرّ ، وأَصل هذا كأَنه يُعْبَر بها الهَواجِر والأَسفار . والهِزَفُّ والهِجَفُّ : الظَّلِيم الجافى . والخاضِب : الذى قد أَكَلَ الربيعَ فاحْمَرَّت ظُنْبُوباه وأَطرافُ ريشه . والظُّنْبُوب : مُقَدَّم عَظْم الساق . ومَسْرُودة : مَشْكوكة . ومُقْتَبَل : مُسْتأنَف الشَّباب . وأَشَايِب : أَخلاط من الناس . والصُّيَّابة : صَمِيم القوم وخالِصُهم . وأُم اللُّهَيْم : الداهية . والحَوَاصِب : الرياح التى تَسْفِى الحَصْباء . والخَوَامِعُ : الضِّباع . واللاحب : القاشر ، لَحَبْتُ الشىء قَشَرْته . والمَخَارِص ، واحدها مِخْرَص وهو سِكِّين كبير مثل المِنْجَل يقطع به الشجر ، وخَرِيصُ البحر : خَلِيجٌ منه كأَنه مَخْرُوص ، أى مقطوع من مُعْظَمه . والصاقِبُ : جبل معروف . وحِجْر : حَرَامٌ . والأَعْذَبانِ : النكاح والأَكل . والأَحْمران : اللحم والخمر . والسِّرُّ : النكاح ، قال الأَعشى :

فلا تَنْكِحَنَّ جارةً إنَّ سِرَّها ... عليك حَرَامٌ فَانْكحَنْ أو تَأَبَّدا

---

(١) قوله : والمغالاة الخ جاء بهذا مفسرا لقوله فى الشعر المتقدم : تغتلى بسوادها ؛ واغتلاء الدابة : ارتفاعها فى السير واسراعها كما فى كتب اللغة .

والأَفْلاذ ، واحدها فِلْذٌ ، ويقال : أعطيته حُزَّةً من لحم وفِلْذةً من لحم وحِذْيةً من لحم ، كلُّ هذا ماقُطِع طُولا ، فإذا أعطاه مجتمعا قيل : أعطاه بَضْعة وهَبْرة وَوَذْرَة وفِدْرةً . والفَئِيد : الشِّواء ، وهو فعيل بمعنى مفعول . يقال : فَأَدْت اللحم إذا شَوَيْتَه ، والمِفْأَدُ : السَّفُّود. والمُفْتَأَد : المُشْتَوَى . والجالان : الناحيتان من أعلاهما إلى أسفلهما ، يقال : جال البئر ، وجُولُ البئر. ويقال : رَجُلٌ مالَه جُولٌ ولامَعْقُول إذا كان ضعيف الرأى أحمق . والوَئِيَّة : القِدْر العظيمة . وصُورِى : مِيلِى . وزَعِيم : ضامن ، وكذلك قَبِيل وحَمِيل وكَفِيل وضَمِين واحد . ويقال من القبيل : قَبَلْت به أَقْبُل قَبَالة . وقوله أُرَوِّى هاما ، كانت العرب تقول : إذا قُتِل الرجل فلم يُدْرَك بثَأْره خَرَج من هامَتِه طائر يسمى الهامةَ فلا يزال يقول : اَسْقُونى اَسْقُونى حتى يُقتَل قاتلُه فيَسْكُن ، قال ذو الإصبع العدوانى :

ياعَمْرو إلَّا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصتِى أَضْرِبْك حيث[1] تقولُ الهامَةُ اَسْقُونى

وحدّثنا أبو بكر أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا ذم رجلا فقال : تَسْهَرُ والله زوجته جُوعا إذا سَهِر شِبَعا ؛ ثم لا يخاف مع ذلك عاجلَ عار ، ولا آجلَ نار ؛ كالبهيمة أَكَلَتْ ما جَمَعَتْ ، ونكحت ما وَجَدَتْ .

قال أبو على : قوله : إذا سَهِر شِبَعا يعنى من شِدَّة الكِظَّة والامتلاء .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن اَبن الكلبى قال : قيل لرجل من حِمْيَر : ما العِزُّ فيكم ؟ قال : حَوْطُ الحَرِيم ، وبَذْلُ الجسيم ؛ ورِعايةُ الحق ، وقولُ الصدق ؛ وتركُ التحلى بالباطل ، والصبرُ على المَتَاكل ؛ واَجتنابُ الحَسد ، وتعجيلُ الصَّفَد .

[مطلب حديث عوف بن محلم مع عبد الله بن طاهر]

وحدّثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى قال حدّثنا اَبن جُوَان صاحب الزيادى قال : قال اَبن مُحَلِّم : كنت آتى عبد الله بن طاهر فى كل سنة وكانت صِلَتى عنده خمسة آلاف درهم ، فأتيته آخر ما أتيته فشكوت إليه ضعفى ثم أنشدته :

(١) فى الأغانى (ج ٣ ص ٩) « حتى »

أَفِى كلِّ عامٍ غُرْبَةٌ ونُـــزُوح ... أَمَا للنَّوى مِنْ ونْيَةٍ فتريـــــح
لقد طَلَّح البَيْنُ المُشِتُّ[١] ركائبِي ... فهل أَرَيَنَّ البين وهو طَلِيـــح
وأَرَّقَنِى بالرَّىِّ نَوْحُ حمامـــة ... فَنُحْتُ وذو الشَّجْو الحزينُ ينوح
على أنها ناحت ولم تُذْرِ دَمْعةً ... ونُحْتُ وأَسراب الدموع سُفُوح
وناحت وفَرْخَاهَا بحيث تراهما ... ومِنْ دون أَفراخى مَهَامِهُ فِيح
عَسَى جودُ عبد الله أَن يَعْكِس النَّوَى ... فتُضْحِى عصا التَّسْيار وهى طَرِيح
فإِن الغِنَى مُدْنِى الفَتَى من صديقه ... وعُدْم الفتى بالمُقْتِرين نَزُوح

فتوجَّع له عبد الله وقال : صِلَتُك عشرةُ آلاف درهم فى كل سنة ولا تَتْعَبَنَّ إلينا فإنها توافيك فى منزلك إن شاء الله ، ففعل .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى وأبو بكر بن دريد يزيد كل واحد منهما على صاحبه من قصيدة توبة بن الحُمَيِّر :

يقول أُناس لايَضِيرك نأْيهـــا ... بلى كلُّ ماشَفَّ النفوس يَضِيرها
بلى قد يَضِير العينَ أَن تكثر البكا ... ويُمْنَعَ منها نومُها وسرورهــــا
أَرى اليوم يأْتى دون ليلى كأَنما ... أتت حِجَجٌ من دونها وشهورُهــا
لكل لقاءٍ نلتقيه بَشَاشـــةٌ ... وإن كان حَوْلاً كلَّ يوم أَزورها
وكنت إذا مازرت ليلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداةَ سُفورها
وقد رابنى منها صدود رأَيته ... وإِعراضُها عن حاجتى وبُسُورها
حمامَةَ بطن الواديين تَرَنَّمى ... سقاكِ من الغُرِّ الغوادى مَطِيرها
أَبينِى لنا لا زَال ريشُك ناعما ... وبَيْضُك فى خضراء غَضٍّ نضيرها[٢]

(١) فى بعض النسخ الخطية المحفوظة بالدار : « القذوف » .
(٢) ورد هكذا فى الأصل ؛ وفى الأغانى (ج ١٠ ص ٦٩) طبع بولاق .
* ولازلت فى خضراء دان بريرها *
والبرير : ثمر الأراك

وأُشرِف بالقُورِ اليَفَاع لعَلّنى   أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
وقد زعمت ليلى بأنّى فاجر   لنفسى تُقاها أو عليها فُجورها

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا الرياشى :

ألا قاتل اللهُ الحمامةَ غُدْوةً   على الأَيْك ماذا هَيَّجَتْ حين غَنَّتِ
تَغَنَّتْ غِناءً أعجميًّا فهيجت   جَوَاى الذى كانت ضلوعى أَكَنَّتِ
نَظَرْتُ بصَحْرَاء البريقين نَظْرَةً   حِجازيَّةً لو جُنَّ طَرْفٌ لجُنَّتِ

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم للعَوّام بن عقبة بن كعب :

أأَنْ سَجَعَتْ فى بطن وادٍ حمامةٌ   تُجَاوِب أُخرى ماءُ عَيْنَيْك غاسق
كأنك لم تَسْمَعْ بكاءَ حمامة   بليلٍ ولم يَحْزُنْك إِلْفٌ مفارِق
ولم تَرَ مفجوعا بشىءٍ يُحِبه   سواك ولم يَعْشَقْ كعِشْقِك عاشق
بلى فأَفِقْ عن ذِكْر لَيْلَى فإنما   أخو الصَّبْر مَنْ كَفَّ الهَوَى وهو تائق

قال وأنشدنا أبو حاتم لرجل من بنى نَهْشَل :

أُلامُ على فَيْض الدموع وإننى   بفيض الدموع الجاريات جَدِير
أَيَبْكِى حَمامُ الأَيْك من فَقْدِ إِلْفِه   وأصبر عنها إنَّنِى لَصَبُـــور

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا الرياشى عن الأصمعى قال أنشدنى مُنْتَجِع بن نَبْهان لرجل من بنى الصَّيداء :

دَعَتْ فوق أفنانٍ من الأيك مَوْهِنًا   مُطَوَّقةٌ وَرْقاء فى إِثْرِ آلف
فهاجت عَقَابِيلَ الهوى إذ ترَنَّمتْ   وشَبَّتْ ضِرامَ الشَّوْق تحت الشَّراسف
بَكَتْ بجفونٍ دَمْعُها غيرُ ذارفٍ   وأَغْرَتْ جفونى بالدموع الذَّوَارِف

وقال الأصمعى : من أمثالهم : « أَيْنَما أَذْهَبْ أَلْقَ سَعْدا » قال : كان غاضِبُ الأَضْبَط بن قريع سعدا فجاور فى غيرهم فآذَوْه فقال : « أينما أذهب ألق سعدا » أى قَوْمًا أَلْقَى منهم مثل ما لَقِيتُ من سعد . قال ويقال : « مُحْسِنَةٌ فَهِيلى » يقال ذلك

للرجل يُسِيء فى أمر يفعله فيؤمر بذلك على سبيل الهُزْء به . وقال الأصمعى : ومن أمثال العرب : « لا يُرَحِّلَنَّ رَحْلَكَ من لَيْسَ مَعك » أى لا تُدْخِلَنَّ فى أمرك من ليس نَفْعُه نَفْعَك ولا ضَرَرُه ضررك . ويقال : « المرءُ يَعْجِزُ لا المحَالَةُ » . يقول : إن العَجْز أتى مِنْ قِبَله ، فأَمّا الحيلةُ فواسعة .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى :

سَفِيرَا خُروجٍ أَدْلَجا لم يُعَرِّسا ... ولم تَكْتَحِلْ بالنوم عَيْنٌ تراهما

فلم أَرَ مُخْتالَيْن أَحْسَنَ منهما ... ولا نازلا يَقْرِى غَدًا كقِرَاهما

قال أبو العباس : سفيرا خروج يعنى غيْثيْن . والسَّفِير : المتقدم . وخُروج يعنى من السحاب .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى أبِى :

تُذَكِّرُنى أُمَّ العَـلاء حمائمٌ ... تَجَاوَبْنَ إذ مالت بهِنَّ غُصون

تَمَلَّأْ طَلاًّ رِيشُكنَّ من الندى ... وتَخضَرُّ مِمَّا حَوْلَكُنَّ فُنـون

أَلا ياحَمَاماتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً ... فإنِّى [1] إلى أصواتِكُنَّ حَزِين

فَعُدْنَ فلما عُدْن كِدْنَ يُمِتْنَنى ... وكدت بأَشجانى لهنَّ أُبِين

وأنشدنى جحظة :

* وكدت بأَسرارى لهن أُبِين *

وعُدْنَ بقَرْقارِ الهَدِير كأَنَّما ... شَرِبْنَ حُمَيًّا أو بهنَّ جنون

فلم تَرَ عَيْنى مثلَهُنَّ حمائمـا ... بَكَيْنَ ولم تَدْمَع لهن عيـون

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنى أبى :

دَعْ ذِكْرهُنَّ فما تزال تَشُبُّه ... وَرْقاءُ تَرْكب حانِيًا مَيَّادا

تَدْعُو حمائم أَيْكةٍ بِهَدِيلِها ... يُخْضِعْنَ حِينَ يُجِبْنَها الأَجيادا

يا وَيْحَهُنَّ حمائما هَيَّجْنَ لى ... شوقًا يكاد يُصَدِّعُ الأكبادا

(١) فى بعض النسخ الخطية المحفوظة بدار الكتب : « فقلبى » .

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر بن دريد قال : أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعى لحميد بن ثور ولم يروه الأصمعى فى شعر حميد :

إذا نادَى قَرِينَتَهُ حَمـــامٌ جَرَى لصَبابتى دَمْعٌ سَفُوح
يُرَجِّع بالدعاء على غصـــون هَتُوفٌ بالضُّحى غَرِدٌ فَصِيح
هَفَا لهَديله مِنِّى إذا مــــا تَغَرَّدَ ساجعًا قلبٌ قَرِيح
فقلتُ حَمامةٌ تَدْعُو حمامـــا وكُلّ الحُبِّ نَزَّاع طَمُـــوح

وأنشدنى أبو بكر :

كاد يَبْكى أو بَكَى جَزَعـــا من حمامات بَكَيْنَ معـــا
ذَكَّرَتْه عِيشَـــةً سَـــلَفَتْ قَطَّعَتْ أنْفاسه قِطَعـــا

وأنشدنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى قال أنشدنى أبو العباس محمد بن يزيد الثمالى لعَوْف بن مُحَلِّم :

ألا يا حمام الأيْك إلْفُكَ حاضِر وغُصْنُك مَيَّاد فَفِيم تَنُـــوح
أفِقْ لاتَنُحْ من غير شىء فإنَّنِى بَكَيْت زمانا والفؤاد صحيح
وَلُوعًا فَشَطَّتْ غُرْبَةً دارُ زينبٍ فها أنا أبكى والفـؤاد جريح

وحدثنى أبو بكر بن دريد قال : خرجنا من عُمَان فى سفرلنا فنزلنا فى أصل نخلة ، فنظرت فإذا فاختَتان تَزْقُوَان فى فرعها ، فقلت :

أقول لوَرْقاوَيْنِ فى فرع نخلةٍ وقد طَفَّل الإمساء أو جَنَحَ العَصْرُ
وقد بَسَطَتْ هاتا لتلك جَناحَها ومال على هاتيك مِنْ هذه النَّحْرُ
لِيَهْنِكُمَا أن لم تُراعا بفُرْقــةٍ وما دَبَّ فى تَشْتِيتِ شَمْلِكُما الدَّهْر
فلم أر مثلى قَطَّعَ الشوقُ قَلْبَه على أنه يحكى قَساوتَهُ الصَّخْر

[مطلب حديث خنافر الحميري مع رئيه شصار ودخوله في الإسلام بإرشاد رئيه المذكور وشرح الغريب في هذه القصة]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال : كان خُنافِر بن التَّوْءم الحِمْيَرِي كاهنا ، وكان قد أُوتي بَسْطةً في الجسم ، وسَعَةً في المال ، وكان عاتيا ، فلما وَفَدَتْ وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الإسلام أغار على إبل لمُرادٍ فاكْتَسَحها وخرج بأهله وماله ولَحِق بالشِّحْر ، فحالف جَوْدان ابن يحيى الفِرْضِمي (١) وكان سيدا منيعا ، ونزل بواد من أودية الشِّحْر مُخْصِبا كثير الشجر من الأَيك والعَرِين . قال خُنافِر : وكان رَئِيِّي في الجاهلية لايكاد يَتغيَّب عني ، فلما شاع الإسلام فَقَدْتُه مدة طويلة وساءني ذلك ، فبينا أنا ليلةً بذلك الوادي نائما إذ هَوَى هَوِيَّ العُقاب ، فقال : خُنافِر ، فقلت : شِصَار ؟ فقال : اسْمَعْ أَقُلْ ، قلت : قل أسمع ، فقال : عِه تَغْنَم ، لكل مُدَّةٍ نهاية ، وكل ذي أَمَد إلى غاية ، قلت : أَجَلْ ، فقال : كل دَوْلة إلى أَجَل ، ثُمَّ يُتاحُ لها حِوَل ، انْتُسِخَتِ النِّحَل ، ورَجَعَتْ إلى حقائقها المِلَل ؛ إنَّك سَجِيرٌ موصول ، والنُّصْحُ لك مبذول ؛ وإني آنَسْتُ بأَرض الشام ، نفرا من آل العُذَام ، حُكَّاما على الحكَّام ، يَذْبُرون ذا رَوْنق من الكلام ؛ ليس بالشعر المُؤلَّف ، ولا السَّجْع المتكلَّف ، فأَصْغَيْت فزُجِرت ، فعاوَدْتُ فظُلِفْت ؛ فقلت : بِمَ تُهَيْنِمون ، وإلامَ تَعْتَزُون ؟ قالوا : خِطَابٌ كُبَّار ، جاء من عند الملك الجَبَّار ، فاسْمَعْ ياشِصَار ، عن أصدق الأَخبار ، واسْلُك أوضح الآثار ، تَنْجُ من أُوار النار ؛ فقلت : وما هذا الكلام ؟ فقالوا : فُرْقانٌ بَيْنَ الكفر والإيمان ؛ رَسُول من مُضَر ، من أهل المَدَر ، ابْتُعِث فَظَهَر ، فجاء بقول قد بَهَر ، وأَوضح نَهْجًا قد دَثَر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومَعاذٌ لمن ازْدَجَر ، أُلِّفَ بالآي الكُبَر ؛ قلت : ومن هذا المبعوث من مُضَر ؟ قال : أَحْمَدُ خير البشر ، فإن آمَنْتَ أُعْطِيت الشَّبَر ، وإن خالَفْت أُصْلِيت سَقَر ، فآمَنْتُ ياخُنافِر ، وأَقبلتُ إليك أبادر ، فجانِب كلَّ كافر ، وشايِعْ كُلَّ مؤمن طاهر ؛ وإلَّا فهو الفراق ، لاعن تَلَاق ؛ قلت : من أَين أَبْغِي هذا الدِّين ؟ قال : من ذات الإِحَرِّين ، والنَّفَر

(١) الفرضمي منسوب الى فرضم كزبرج ، وهو كما في القاموس أبو بطن من مهرة بن حيدان .

اليَمانِيين ، أهل الماء والطين ؛ قلت : أَوْضِحْ ؛ قال : اَلْحَق بِيَثْرِبَ ذات النخل ، والحَرَّة ذات النَّعْل ، فهناك أهلُ الطَّوْل والفضل ، والمواساة والبذل ؛ ثم اَمَّلَسَ عنى . فَبِتُّ مذعورا أراعى الصباح ؛ فلما برق لى النور اَمْتَطَيْتُ راحلتى ، وآذَنْتُ أَعْبُدِى ، واَحتملت بأَهلى حتى وَرَدْت الجَوْف ؛ فَرَدَدْت الإبل على أربابها بحُولِها وسِقَابِها ، وأَقبلْتُ أريد صَنْعاء ، فأَصَبْتُ بها مُعاذَ بن جبل أَميرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعته على الإسلام وعَلَّمنى سُورًا من القرآن ؛ فمنَّ الله علىَّ بالهُدى بعد الضَّلالة ، والعِلْم بعد الجَهَالة ؛ وقلت فى ذلك :

أَلم تر أَن الله عاد بفضلـــه ... فأَنْقَذَ من لَفْحِ الزَّخِيخِ خُنَافِرا
وكَشَّفَ لى عن حَجْمَتَىَّ عَمَاهُما ... وأَوْضَحَ لى نَهْجِى وقد كان داثرا
دعانى شِصَارٌ لِلَّتِى لو رَفَضْتُها ... لأُصْلِيتُ جَمْرًا من لَظَى الهَوْبِ واهِرا
فأَصْبَحْتُ والْإِسلام حَشْوُ جَوانِحِى ... وجانَبْتُ مَنْ أَمْسَى عن الحق نائرا
وكان مُضِلِّى مَنْ هُدِيتُ بُرشْده ... فلله مُغْوٍ عادَ بالرُّشْد آمـــرا
نَجَوْتُ بحمد الله مِن كل قُحْمَة ... تُوَرِّثُ هُلْكًا يوم شايَعْتُ شاصِرا
وقد أَمِنَتْنى بَعْدَ ذاك يُحَابِرٌ ... بما كنتُ أُغْشِى المُنْدِياتِ يُحَابِرا
فَمَنْ مُبْلِغٌ فِتْيانَ قومى أَلُوكَـةً ... بأَنِّىَ مِنْ أَقتال مَنْ كان كافرا
عَلَيْكُمْ سَواءَ القَصْدِ لا فُلَّ حَدُّكُم ... فقد أَصبح الإِسلام للكفر قاهرا

قال أَبو على : اَكْتَسَحَها : كَنَسَها ، يقال : كَسَحْت البيتَ وقَمَمْتُه وخَمَمْتُه وسَفَرْتُه ، كلها بمعنى واحد. والمِقَمَّة والمِخَمَّة والمِكْسَحَة والمِسْفَرة : كلها المِكْنَسة . والخُمَامة والسُّباطة والكُسَاحة والقُمَامة والْكِبَا مقصور : كُلُّ ماكَنَسْتَه من البيت فأَلقيته من قُماش وتراب . والْكِباء ممدود : البَخُور ، يقال : قد كَبَا ثوبَه إذا بَخَّره. وفى رَئِىٍّ لغتان يقال : رَئِىٌّ ورِئِىٌّ وهو ما يتراءى للإِنسان من الجن . والحِوَل : التحوُّل . والسَّجِير : الصَّدِيق . والشَّجِير بالشين معجمة : الغريب ، وقد قال بعض اللغويين يقال : السَّجِير والشَّجِير للصَّدِيق . وآنَسْتُ : أَبصرت ، قال الله عز وجل :

﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ . والعُذَام : قبيلة من الجن كذا قال أبو بكر . ويقال : ذَبَرْتُ الكتاب إذا قرأته ، وزَبَرْته إذا كتبته ، وقد قالوا ذَبَرْته وزَبَرْته بمعنى واحد إذا كتبته . وظُلِفْت : مُنِعْت ، قال الشاعر[1] :

أَلَمْ أَظْلِف عن الشُّعَراء عِـرْضِى كما ظُلِفَ الوَسِيقةُ بالكُـــرَاع

والأُوَار : شدة الحر . والشَّبْر : الخَيْر وحرك للسجع[2] كما حركه العجاج لإقامة الشعر ، قال :

الحمدُ لله الذى أَعْطَى الشَّبَرْ مَوالِىَ الخَيْرِ إنِ المَوْلَى شَكَرْ

وقال الأصمعى : جمع الحَرَّة حِرار وحَرُّونَ وإحَرُّونَ . والنَّعْل : المكان الغليظ من الحَرَّة . وآذَنْت : أعلمت . والحُول جمع حائل وهى الأُنثى من أولاد الإبل . والسِّقَاب جمع سَقْب وهو الذَّكَر . وقال أبو بكر : الزَّخِيخُ بلغة أهل اليمن : النار . والحَجْمتان : العَيْنان بلغتهم ، قال شاعرهم – وأكل أُمَّه الذئبُ :–

فيا حَجْمَتَا بَكِّى على أُمِّ واهبٍ أَكِيلةِ قِـلَّوْبٍ ببعض المَذَانِب

والقِلَّوْبُ والقِلِّيب بلغتهم الذئب . والهَوْب : النار بلغتهم . والواهِرُ : الساكن مع شدة الحر ، وكل هذه الأحرف من لغتهم . ونائر : نافر . والقُحْمة : الشِّدَّة . والأَقْتال : الأعداء ، والأَقتال : الأقران ، واحدهم قِتْلٌ .

قال أبوعلى : التفسير لأبى بكر من قوله : والزَّخِيخُ بلغة أهل اليمن النار إلى قوله نائر .

وأنشدنا أبوبكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبوالحسن بن البراء قال أنشدنى إبراهيم بن سَهْل لقيس بن ذُرَيْح . قال : والناس يَنْحَلُونها غيره وبعضهم يصححها له ، وأنشدنا أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى عمرو الشيبانى عن قيس المجنون :

---

(١) الشاعر : هو عوف بن الأحوص كما أورده اللسان فى مادة « ظلف » .

(٢) قوله وحرك للسجع كما حركه العجاج الخ ، كذا قال الجوهرى فى صحاحه ؛ وغلطه ابن برى قال : لأن الشبر بسكون الباء مصدر وبفتحها اسم العطية كذا فى اللسان ؛ أى واسم العطية هو المراد هنا .

سَأَصْرِمُ لُبْنَى حَبْلَ وَصْلِك مُجْمِلاً ... وإن كان صَرْمُ الْحَبْل منكِ يَرُوع
وسوف أُسَلِّى النفسَ عنك كما سَلَا ... عن البَلَد النأْى البعيد نَزِيع
وإن مَسَّنى للضُّر منك كآبة ... وإن نال جسمى للفراق خُشُوع
سَقَى طَلَلَ الدار التى أَنْتُمُ بها ... بشَرْقِىٍّ لُبْنَى صَيِّفٌ ورَبِيـع
يقولون صَبٌّ بالنساء مُوَكَّلٌ ... وما ذاك من فعل الرجال بَدِيع
مَضَى زمنٌ والناسُ يَسْتَشْفِعُون بِى ... فهل لى إلى لُبْنَى الغَداةَ شَفِيـع
أَيا حَرَجات الحَىِّ حيث تَحَملوا ... بذى سَلَمٍ لا جادَكُنَّ رَبِيـع
وخَيْمَاتُكِ اللَّاتِى بمُنْعَرَج الُّلوَى ... بَلِينَ [بِلىً لم تُبْلَهُنَّ رُبُوع
إلى الله أَشكو نِيَّةً شَقَّت العَصا ... هِىَ اليومَ شَتَّى وهْىَ أَمْسِ جَمِيـع
وما كادَ قَلْبِى بعدَ أَيَّامَ جاوَزَتْ ... إلَىَّ بأَجراع الثُّدِىِّ يَرِيـــع
فإن انْهمالَ العَيْن بالدمع كُلَّما ... ذَكَرْتُك وَحْدى خاليا لَسَرِيـع
فلو لم يَهِجْنِى الظاعنون لَهَاجَنِى ... حَمَائمُ وُرْقٌ فى الديار وُقُــوع
تَجاوَبْنَ فاسْتَبْكَيْنَ من كان ذا هَوًى ... نَوَائح ما تَجْرى لَهُنَّ دمــوع
لَعمْرُك إنِّى يومَ جَرْعاء مالِكٍ ... نَعاصٍ لأَمْرِ المُرْشِدِين مُضِيـع
نَدِمْتُ على ما كان مِنِّى فَقَدْتُنى ... كما يَنْدَمُ المغْبونُ حين يَبِيع
إذا ما لحانى العاذلات بحبهـا ... أَبَتْ كَبِدٌ مِمَّا أُجِنُّ [صَدِيـــع
وكيف أُطيع العاذلاتِ وحُبُّها ... يُؤَرِّقُنِى والعاذلاتُ هُجُـــوع
عدِمْتُكِ من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنَّنِى ... نَهَيْتُكِ عن هذا وأَنتِ جميـع
فَقَرَّبْتِ لى غيرَ القريب وأَشْرَقَتْ ... هناك ثَنَايا مالَهُنَّ طُلُــوع
فضَعَّفَنِى[١] حُبِّكِ حَتَّى كأَنَّنى ... من الأَهل والمال التِّلاد خَلِيع
وحَتَّى دعانى الناسُ أَحمقَ مائقا ... وقالوا مُطِيعٌ للضلال تَبُـــوع

---

(١) هكذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها تضعفنى بالتاء ، والذى فى معجم ياقوت ومازال بى حبيك الخ .

قال وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا عبد الله بن خلف لقيس المجنون :

راحوا يَصِيدون الظباء وإننى   لأَرى تَصَيُّدَها عَلَىَّ حَرَامَا

أَشْبَهْنَ منك سوالفًا ومَدَامِعا   فأَرَى عَلَىَّ لها بذاك ذِمامَا

أَعْزِزْ عَلَىَّ بأَن أَرُوعَ شبيهها   أو أن يَذُقْنَ على يَدَىَّ حِماما

قال حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال : ذَكَر أعرابىٌّ رجلا فقال : مالَهُ لَمَج أُمَّه ، فرفعوه إلى السلطان ، فقال : إنما قلت مَلَجَ أُمَّه . قال أبو بكر قال أبو العباس : لمَجَها : نكحها ، ومَلَجَهَا : رَضَعَها .

وقرأت على أبى عمرو عن أبى العباس عن ابن الأعرابى قال : اختَصَم شَيْخان غَنَوِىٌّ وباهلىٌّ ، فقال أحدهما لصاحبه : الكاذب مَحَجَ أُمَّه ، قال الآخر : انظروا ماقال لى : الكاذب مَحَجَ أُمَّه ، أى جامَعَ أُمَّه ، فقال الغَنَوِى : كذَب ما قلت له هكذا ، إنما قلت له : الكاذبُ مَلَجَ أُمَّه ، يقال : مَلِجَ يَمْلَج ، ومَلَجَ يَمْلُج ، ولَمَجَ يَلْمُج إذا رَضَع .

قال أبو على : يقال : مَحَجَها ومَخَجَها ونَخَجَها ، وهو مأخوذ من قولهم : مَخَجْت الدَّلْو فى البئر إذا حَرَّكتَها لتمتلئ ونَخَجْتها أيضا بالنون .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو العباس لمسكين بن عامر الحنظلى :

أَصْبَحَتْ عاذلتى مُعْتَلَّــةً   قَرِمَتْ بل هى وَحْمَى للصَّخَب

أَصبحتْ تَتْفُل فى شَحْمِ الذُّرَى   وتَعُدُّ اللَّوْمَ دُرًّا يُنْتَهب

لا تَلُمْها إنَّها منْ نِسْوةٍ   مِلْحُها مَوْضوعَةٌ فَوْقَ الرُّكَب

قال أبو العباس : الوَحَمُ : الشَّهوة على الحَمْل ، فجعله هاهنا للصَّخَب .

قال أبو على : قال أبو بكر عن أبى العباس قوله : تتفل فى شحم الذرى يعنى أنها تتفل على إبلى وتُعَوِّذها من العيْن لتُعَظِّمها فى عينى فلا أَهَبها . وتَعُدُّ اللَّوْم دُرًّا يُنْتَهَب ، أى من حِرْصها عليه .

[مطلب الكلام على معنى قول بعض العرب ملحها موضوعة فوق الركب]

وقوله :

* مِلْحُها موضوعة فوق الرُّكَب *

حكى عن الأصمعي أنه قال : كانت زِنْجيَّة حَبَشِيَّة . والمِلْح : السِّمَن ، يقال: تَمَلَّح وتحَلَّم إذا سَمِن ، فيقول : بِسِمَنُها فوق رُكْبَتَيْهَا ، أى فى عَجِيزتها . وقال أبو عمرو الشيبانى :

* مِلْحُها موضوعة فوق الرُّكَب *

أى إنها بَخِيلة تَضَع مِلْحَها فوق ركبتيها ، فهى تأمرنى بذلك ، وقال غيرهما من اللغويين : قوله :

* ملحها موضوعة فوق الرُّكَب *

أى إنها سريعة الغضب ، يقال للسريع الغضب : مِلْحُه فوق ركبتيه ، وكذلك غَضَبُه على طَرَف أنفه .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : وَقَفَ علينا أعرابي ونحن برَمْلَة الِّلوَى فقال : رحم الله آمرأ لم تَمْجُجْ أُذُناه كلامى ، وقَدَّمَ مَعاذةً من سُوءِ مَقامى ؛ فإن البلاد مُجْدِبَة ، والحال مُسْغِبة ؛ والحياء زاجرٌ يَمْنَعُ من كلامكم ، والفقْر عاذرٌ يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء أَحَدُ الصَّدَقَتَيْن ؛ فَرَحِمِ اللهُ آمْرأً أَمَر بمَيْر ، أودعا بَخَيْر ؛ فقلت : مِمَّنْ أنت يَرْحَمُك الله ؟ فقال : اللَّهُم غَفْرًا ، سُوءُ الاكْتِساب ، يَمْنَعُ من الانتساب .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا العُكْلِيّ عن الحِرْمازِيّ عن آبن الكابى : أن رجلا أَغْلَظ لعمرو بن سعيد بن عمرو بن العاص ، فقال له عَمْرٌو : مَهْلاً ، عَمْرٌو ليس بحُلْوِ المَذَاقة ، ولا رِخْوِ المِلَاكة ؛ ولا الخَسِيس ولا المَخْسوس ، ولا النِّكْسِ الشَّكِسِ ؛ الهالك فَهَاهة ، الجاهِل سَفَاهة ؛ والله ما أنا بِكَهَام اللسان ، ولا كَلِيلِ الحَدّ ، ولا عَيِيِّ الخِطاب ، ولا خَطِل الجواب ، أَيْهاتَ ! جارَيْتُ والله الأَسْنان ، وجَرَّسَتْنِى الأمور ؛ ولقد عَلِمَتْ قريشٌ أَنى ساكِنُ الليل داهِيَةُ النهار ، لا أَنهض لغير حاجتى

ولا أَتْبَع أَفْياء الظِّلال ، وإنَّك أيُّها الرجل لأَبْيَض أُمْلُود ، رَقِيق الشَّعرَة ، نَقِىُّ البَشَرة ؛ صاحب ظُلُمَات ، وَوَثَّاب جُدُرَات ، وزَوَّار جارات .

قال أبو على : المُجَرَّس والمُضَرَّس والمُقَتَّل والمُنَجَّد الذى قد جرّب الأُمور وعَرَفَهَا . والْفَهُّ : الْعَيِىُّ الْكَلِيل اللسان كذا قال أبو زيد ، قال ويقال : جِئْتُ لحاجة فأَفَهَّنِى عنها فلان حتى فَهِهْت إذا أنْسَاكَها . والأُمْلُود : الناعم ، قال ذو الرمة :

خَرَاعِيب أُمْلُود كأَن بَنَانَهــا بَنَاتُ النَّقَا تَخْفَى مِرارًا وتَظْهَر

[مطلب ما قاله بعض الأعراب فى صفة قومه]

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يذكر قومه فقال : كانوا والله إذا اَصْطَفُّوا تحتَ القَتَام ، خَطَرَتْ بينهم السِّهام ، بوُفُود الحِمَام ؛ وإذا تَصَافَحُوا بالسُّيُوف فَغَرَتِ المَنَايا أفواهَها ؛ فربَّ يَوْمٍ عارمٍ قد أَحْسَنُوا أَدَبَه ، وحَرْبٍ عَبُوسٍ قد ضاحَكَتْها أَسِنَّتُهم ، وخَطْبٍ شَئِزٍ قد ذَلَّلُوا مَنَاكِبَه ، ويَوْمٍ عَمَاسٍ قد كَشَفُوا ظُلْمته بالصبر حتى يَنْجَلِى ؛ إنما كانوا البَحْرَ الذى لايُنْكَشُ غِمَارُه ، ولا يُنَهْنَه تَيَّارُه .

قال أبو على قوله : فَغَرَتْ : فَتَحَتْ ، قال حميد بن ثور :

عَجِبْتُ لها أنَّى يكون غِناؤُها فَصِيحًا ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَمَا

والشَّئِزُ : المُقْلِق ، والشَّأْزُ والشَّأْس : الأَرض الغَلِيظة ، قال العجاج :

* إن يَنْزِلُوا بالسَّهْل بَعْدَ الشَّأْس *

ومنه سمى الرجل شَأْسا . والعَمَاسُ : الشديد . ويُنْكَش : يُنْزَح . ويقال : قَلِيبٌ عَيْلَم لا يُغَضْغِض ولا يُؤْبِى ولا يُنْكَف ولا يُنْكَش ولا يُفَتَّح ولا يُغَرِّض ولا يُنْزَح ولا يُنْزَف .

قال أبوعلى : يجوز فتح الغين الثانيةِ وكسرُها من يُغَضْغَض ، وفتحُ الراء وكسرُها من يُغَرِّض ، ولا يجوز فى يُؤْبِى إلا كسر الباء فقط ، كذا قال لى أبو عمرو المطرز .

حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا السكن بن سعيد قال : قيل لرجل من حِمْيَر : ما الداء العُضَال ؟ قال : هَوًى مُحرِض ، وحَسَدٌ مُمْرِض ؛ وقَلْبٌ طَرُوب ، ولِسانٌ كَذُوب ؛ وسُؤَالٌ كَدِيد ، ومَنْعٌ جَحِيد ؛ ورُشْدٌ مُطَّرَح ، وغِنًى مُمْتَنَح .

قال أبو على : الحَرَضُ : الساقط الذى لا يَقْدِر على النُّهوض ، يقال : أَحْرَضَهُ الله إحْرَاضا . والكَدِيد : الذى يَكُدُّ المسئول. وجَحِيد : يابس لا بَلَلَ فيه ، قال أبو زيد : يقال : رجل جَحِدٌ وقد جَحِد إذا كان قليل الخير . وأرض جَحِدة : يابسة قليلة الخير . والمُمْتَنَح : المستعار وأصله من المِنْحة والمَنِيحة ، وهو أن يُعْطِىَ الرجلُ الرجلَ الشاة أو الناقة يَحْتَلِبها وينتفع بصُوفِها إلى مدة ثم يردها إلى صاحبها . قال أبو زيد : من أمثال العرب : « من أَجْدَبَ انْتَجَع » يقوله الرجل عند كراهته المنزلَ والجِوارَ وقِلَّة ماله .

قال أبو على : ومن أمثالهم : « الجَحْشَ لَمَّا بَذَّك الأَعْيَارُ » يقول عَلَيْك بالجحش إذا فاتتك الأعيار ، يضرب مثلا للرجل يَطْلُب الأمرغَيْرَ الخَسِيس فيفوته ، فيقول له : ٱطْلُبْ دون ذلك . ومن أمثالهم : « يا حَبَّذا التُّراثُ لَوْلَا الذِّلَّة » زعموا أن رجلا مات فبعث أخوه إلى ٱمرأته أن ٱبْعَثِى إلىّ بعَشَاء أخى ، فَبَعَثَتْ به فرآه كثيراً فقال : ياحبذا التراث لولا الذلة ، يقول : التراث حُلْوٌ لولا أن أهل بيته يَقِلُّون . ويقال : « أَصْلَحَ غَيْثٌ ما أَفْسَدَ بَرَدُه » يضرب مثلا للرجل يكون فاسدا ثم يصلح .

وأنشدنا ٱبن الأَنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى :

بَكَيْتُ إلى سِرْبِ القَطا إذ مَرَرْنَ بى ... وقلت ومثلى بالبكاء جـدير
أَسِرْبَ القَطا هل مَنْ يُعِير جناحَه ... لَعَلِّى إلى من قد هَوِيتُ أَطير

وأنشدنا أبو بكر بن دريد قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأبى المطرز العنبرى

أيا أَبْرَقَىْ مَغْنَى بُثَيْنَة أَسْعِدا ... فَتًى مُقْصَدًا بالشوق فهو عَميد
لَيالِىَ منَّا زائـرٌ متهالِكٌ ... وآخَرُ مشهورٌ ففيه صدود
على أنه مُهْدِى السلام وزائرٌ ... إذا لم يكن مِمَّن يخاف شهود

وقد كان فى مَغْنَى بُثَيْنة لو بدت عُيُونٌ مَهًا تبدو لنا وخُدُود

وأنشدنا أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوى قال : أنشدنا محمد ابن الحسن بن الحرون :

ولَمَّا رأت أن النَّوَى أجْنَبِيَّةٌ وأن خليلا مِنْ غَدٍ سَيَبِين

بَكَتْ فبكى من لاعِج الشَّوْق والأسَى وكُلٌّ بكلٍّ أن يَبِينَ ضَنِين

فقُلْت ولم أمْلِكْ سوابق عَبْرةٍ على الخَدِّ مِنِّى فالدمُوع هَتُون

لقد كُنْتُ أبكى قبل أن تَشْحَطَ النَّوَى فكيف إذا ما غِبْتُ عنكِ أكون

قال أبو محمد وأنشدنا أيضا :

ولما رأت أن قد عَزَمْتُ وراعَها الـــفِراقُ بَكَتْ والإلْفُ يَبْكِى من البَيْن

لَعَمْرِى لئن أبْكَيْتُ بالسَّيْرِ عَيْنَها لقد طالما أبْكَتْ بإعراضها عَيْنِى

قال الأصمعى يقال : بَنَى سافًا وسَطْرًا وسَطَرًا ومِدْماكًا كلُّه بمعنى واحد ، وهو السَّطْر من الطين واللَّبِن ، وأنشدنا بعض أصحاب أبى العباس المبرد لأبى العباس :

أُقْسِمُ بالمُبْتَسِمِ العَـــــذْبِ ومُشْتَكَى الصَّبِّ إلى الصب

لو كَتَبَ النَّحْوَ عن الرب ما زادَهُ إلَّا عَمَى قَلْب

قال أبو على : فحكى لنا أن أبا العباس ثعلبا أنشد هذين البيتين ، فقال متمثلا :

أَسْمَعَنِى عَبْدُ بَنِى مِسْمَـــع فَصُنْتُ عنه النَّفْسَ والعِرْضا

ولم أُجِبْهُ لاحْتِقـــارى لـــه ومَنْ يَعَضُّ الكَلْبَ إنْ عَضَّـــا

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم أو عبدالرحمن عن الأصمعى ــ الشك من أبى على ــ :

اقْرَأْ على الوَشَلِ السلامَ وقل له كُلُّ المَشَارب مُذْ هُجِرت ذَمِيم

سَقْيًا لِظلِّك بالعَشِىِّ وبالضُّحَى ولِبَرْدِ مائك والمِياهُ حَمِيم

لو كُنْتُ أَمْلِكُ مَنْعَ مائك لم يَذُقْ ما فى قِلَاتِك ماحَيِيتُ لئيم

قال أبو على : ٱلْقِلَاتُ جمع قَلْتٍ . والقَلْتُ : النُّقْرة تكون فى الصخرة .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا عبدالرحمن عن عمه لهلال المازنى وٱغْتَرَب عن قومه :

أقول لناقتى عَجْلَى وحَنَّتْ إلى الوَقْبَى ونحن على جُرَاد

أتاحَ اللهُ يا عَجْلَى بــلادًا هَوَاكِ بها مُرِبَّاتُ العِهَــــاد

وأسقاها فَرَوَّاهـــا بوَدْقٍ مخَارِجُـــه كأَطْـراف المَـــزاد

فما عن بِغْضةٍ مِنَّا وزُهْـــدٍ تَبَدَّلْنــــا بها عَلْيَا مُـــرَاد

ولكِنَّ الحوادثَ أَجْهَضَتْنَـــا عن الوَقْبَى وأطراف الثِّمَـــاد

قال أبو على : أَجْهَضَتْنا : أَخْرَجَتْنا . يقال : أَجْهَضَت الناقةُ إذا ألْقت ولدها لغير وقته . قال الأصمعى : ومن أمثال العرب : « هٰذَا ولَمَّا تَرِدِى تِهَامة » يُضْرب مثلا للرجل يَجْزَع قَبْلَ وقْتِ الجزَع ! ويقال : « عَرَفَ حُمَيْقٌ جَمَلَهُ » يضرب مثلا للرجل قد عَرَفَ الرجلَ فاجترأ عليه . ويقال : « من ٱسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَم » يراد به من وَلَّى غيرَ الأَمين فالظُّلْمُ جاء من عنده . ويقال : « خَرْقاءُ وَجدَتْ صُوفًا » يضرب مثلا للرجل المفسد يقع فى يده مال فَيَعيث فيه . وقال يعقوب بن السكيت : العرب تقول : لأُقِيمَنَّ مَيْلَك وجنَفَك ودَرْأَك وصَغَاكَ وصَدَغَك وقَذْلك وضَلْعَك ، كله بمعنى واحد ، يقال ضَلْعُ فلان مع فلان ، أى مَيْلُه . وقال غيره : فأما الضَّلَع فَخِلْقةٌ تكون فى الإنسان . وقرأْت على أبى بكر بن دريد لأبى كبير الهُذَلىّ :

نَضَع السيوفَ على طوائفَ مِنْهُمُ فَنُقيم منهم مَيْلَ ما لم يُعْدَل

الطوائف : النواحى : الأيدى والأرجلُ والرءوس ، وقوله : ميل مالم يعدل ، قال : مَيْلُه : فَضْلُه وزيادته ، وإنما يريد أن هؤلاء القوم كانوا غَزَوْهُم فقتلوهم فكأَن ذلك القتل مَيْلٌ على هؤلاء القوم ؛ ثم إن هؤلاء القوم المقتولين غَزَوْهُم بعدُ فقتلوهم فكأَن قتلهم لهم قيام[1] للمَيْل ، وهذا كقول ٱبن الزِّبَعْرَى :

* وأَقَمْنا مَيْل بَدْرٍ فاعْتَدَل *

(١) هكذا فى الأصل ؛ ولعل المناسب اقامة للميل .

يقولها فى يوم أُحُد ، يقول : اْعتَدَل مَيلُ بدر إذ قتلنا مثلهم يوم أُحُد . ويروى :

تَقَعُ السيوفُ على طوائفَ منهم فيُقَام منهم مَيْلُ ما لم يُعْدَل

[مطلب حديث مصاد بن مذعور وخروجه فى طلب الذود وما أخبره به الجوارى الأربع الطوارق بالحصى]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام عن أبيه قال : كان مَصَادُ بن مَذْعُور القَيْنِىّ رئيسا قد أخذ مِرْباعَ قومه دهرا ، وكان ذا مال فَنَدَّ ذَوْدٌ من أذوادٍ له فَخَرَج فى بِغَائها ؛ قال : فإنِّى لَفِى طلبها إذ هَبَطْت واديا شَجِيرًا كثيفَ الظِّلال وقد تفَسَّخَتْ أَيْنًا ، فأَنَخْت راحلتى فى ظل شجرة وحَطَطْتُ رحلى ورَسَغْتُ بعيرى واْضطجعْتُ فى بُرْدِى ، فإذا أَربع جَوَارٍ كأنَّهن اللآلئ يرْعَيْنَ بَهْمًا لهن ، فلما خالَطَتْ عينِىَ السِّنةُ أقبلن حتى جلسن قريبا منى وفى كف كل واحدة منهن حَصَياتٌ تُقَلِّبهن ، فَخطَّت إحداهن ثم طَرَقَتْ فقالت : قُلْنَ يابَنات عَرَّاف ، فى صاحب الجَمَل النِّيَاف ، والبُرْد الكُثَاف ، والجِرْم الخُفَاف . ثم طَرَقَت الثانية فقالت : مُضِلٌّ أذواد عَلَا كِد ، كُومٍ صَلَاخِد ، منهن ثلاثٌ مَقَاحِد ، وأربعٌ جَدائد ، شُسُفٌ صَمَارِد . ثم طرقت الثالثة فقالت : رَعَيْن الفَرْع ، ثم هَبَطْن الكَرَع ، بين العَقِدات والجَرَع . فقالت الرابعة : ليَهْبِط الغائطَ الأَفْيَح ، ثم ليَظْهَرْ فى المَلا الصَّحْصَح ، بين سَدِيرٍ وأَمْلَح ؛ فهناك الذَّوْدُ رِتَاعٌ بمُنْعَرَج الأَجرع . قال : فقمت إلى جملى فشددت عليه رحله وركبت ، ووالله ماسأَلتهن مَنْ هُنَّ ولا مِمَّنْ هُنَّ . فلما أدبَرْت قالت إحداهن : أَبْرَح فتًى إن جَدَّ فى طَلَب ، فما له غيرهن نَشَب ، وسَيَثُوب عن كَثَب ؛ فَفَزَّع قلبى والله قولُها ؛ فقلت : وكيف هذا ؟ وقد خَلَّفْت بوادىّ عَرْجا عُكَامِسًا ، فركبت السَّمْت الذى وُصِف لى حتى اْنتهيت إلى الموضع فإذا ذَوْدى رَواتِع ، فضربْت أعجازهن حتى أشرفت على الوادى الذى فيه إبلى ، فإذا الرِّعاء تدعو بالويل ، فقلت : ماشأْنكم ؟ قالوا : أغارت بَهْراء على إبلك فأَسْحَفَتْها ، فأمسيتُ والله مالى مال غير الذَّوْد فرَمَى اللهُ فى نواصِيهنّ بالرَّغْس ، وإنِّى اليومَ لأَكْثر بنى القَيْن مالا ، وفى ذلك أقول :

هو الدهر آسٍ تارةً ثم جارح سَوَانِحُه مَبْثُوثة والبَوَارح
فَبَيْنا الفتى فى ظِلِّ نَعْمَاءَ غَضَّــةٍ تُبَاكِرُه أفيـــاؤه وتُرَاوِح
إلى أن رَمَتْه الحادثاتُ بنَكْبَةٍ تضِيق به منها الرِّحاب الفَسَائح
فأَصْبَحَ نِضوًا لايَنُوءُ كأنَّمـا بأعظُمه مما عراه القَــوَادح
فما خِلْتُنى من بَعْدِ عَرْجٍ عُكَامِسٍ أُقَسِّس أذوادا وهُنَّ رَوَازِح
حَدَابِيرُ ما يَنْهَضْنَ إلا تَحَامُــلا شَواسِف عُوجٌ أَسْأَرَتْها الجَوَائح
فيا واثقًا بالدهر كن غير آمنٍ لِمَا تَنْتَضِيه الباهظاتُ الفَــوَادِح
فَلَسْتَ على أيَّامه بِمُحكَّمٍ إذا فَغَرَتْ فاها الخُطوبُ الكَوَالح
مُجيرُك منه الصَّبْرُ إن كنت صابرا وإلَّا كما يَهْوَى العَدُوُّ المُكاشِح

[مطلب الكلام فى معنى المرباع وشرح مادة ر ب ع]

قال أبوعلى : المِرْباع : رُبْعُ الغَنِيمة ، قال الأَصمعى : يقال رَبَع فلان فى الجاهلية وخَمَس فى الإسلام ؛ وذلك أن أهل الجاهلية كان الرئيس منهم يأْخذ رُبْع الغنيمة ، وأنشد غير الأَصمعىّ :

مِنَّا الذى رَبَعَ الجُيوش لصُلْبه عشْرون وهْوَ يُعَدُّ فى الأَحيــاء

وأنشدنا الأَصمعىّ :

لَكَ المِرْباعُ منها والصَّفَايــا وحُكْمُك والنَّشيطة والفُضُول

قال ويقال : رَبَع الجيش يَرْبَعه رَبَاعة إذا أخذ رُبُعَ الغنيمة . ورَبَع الوَتَر يَرْبَعه رَبْعًا إذا فتَلَه على أربع قُوًى . ورَبَع القومَ يَرْبَعهم رَبْعًا إذا كانوا ثلاثة فصار رابِعَهم ، ورَبَعَ الحَجَر رَبْعًا إذا احتمله .

وقال غيره : رَبَعْتُ عليه إذا عَطَفْت . ويقال : رَبَعْت : رَفَقْت . قال الحطيئة :

لَعَمْرى لَعَزَّتْ حاجةٌ لو طَلَبْتها أَمامِى وأُخْرَى لو رَبَعْت لها خَلْفى

ورَبَعْتُ عن الأَمر : كَفَفْتُ عنه ، قال رؤبة :

* هاجَتْ ومِثْلى نَوْلُه أَن يَرْبَعا *

وقال أبو نصر : رَبَع عليه فهو يَرْبَع رَبْعا إذا كَفَّ عنه ، يقال : ٱرْبَعْ على نفسك : يريد كُفَّ وٱرْفُق . والرُّبَعُ : الفَصِيل الذى نُتِج فى أَوّل الربيع ، قال الأصمعىّ أنشدنى عيسى بن عمر قال : سمعت بعض العرب ينشد :

وعُلْبَـــة نازَعْتُهـا رِبــاعى وعُلْبة عند مَقِيل الراعى

وناقةٌ مُرْبِــع إذا كان يتبعها رُبَعٌ ، فإذا كان من عادتها أن تُنْتَج فى رِبْعِيَّة النتاج فهى مِرْباع ، والجمع مَرابيع . ويقال : مكانٌ مِرْباع إذا كان يُنْبِت فى أَوّل ما تُنْبِت الأَرض ، قال ذو الرمة :

بأَوّل ما هاجَتْ لك الشَّوْقَ دِمْنَةٌ بأَجْرَعَ مِرْباعٍ مَرَبٍّ مُحَــلَّل

ومكان مربوع إذا أَصابه مَطَرُ الربيع ، قال ذو الرمّة

إذا ذابَتِ الشمسُ ٱتَّقَى صَقَراتها بأَفْنَان مَرْبُوع الصَّرِيمة مُعْبِــل

والمَرْبَع : المنزل الذى يُقام فيه فى الربيع ، يقال : هذه مَصَايِفُنا ومَرابِعُنا ، أى حيث نَرْتَبِــع ونَصِيف ، ويقال : رُبِعَ الرجُل يُرْبَع رَبْعا فهو مَرْبُوع إذا كان يُحَمُّ رِبْعًا ، وأُرْبِع أيضا ، قال الهذلىّ (١) :

مِنَ المُرْبَعِينَ ومِنْ آزِلٍ إذا جَنَّهُ اللَّيْلُ كالناحِطِ

ويقال : رُبِعْنا إذا أَصابنا مطر الربيع . ويقال : ٱمْتَارَ فلان فى الميرة الرِّبْعِيَّة ، أى فى أَوّل الزمن . ويقال : تَرَبَّعْنا بمكان كذا وكذا ، أى كُنَّا فيه فى الربيع ، وٱرْتَبَعْنا نَرْتَبِعُ ٱرْتِباعا . وأَرْبَع فلان إبله إذا رعاها فى الرَّبيع . وأَرْبَع فلان يُرْبِــع إرْباعا إذا وُلِدَ له فى حَدَاثته ، ووَلَدُه رِبْعِيُّون. ويقال : ٱرْتَبع البعيرُ يَرْتَبِع ٱرتباعا ، وما أَشدّ رَبَعَتَه ، وهو أَشدُّ ما يكون من العَدْو .

---

(١) هو أسامة بن حبيب الهذلى كما فى اللسان مادة « ربع » .

قال وأنشدنى رجل [١] من أهل العالية :

وَاعْرَوْرَتِ العُلُطَ العُرْضِىّ تَرْكُضُهُ أُمُّ الفَوَارِس بالدِّئداء والرَّبَعَـــهْ

والدِّئداء : دون الرَّبَعَة . وحَىٌّ من الأسد يقال لهم : الرَّبَعَة ، متحركة الباء . والرَّبْعة ساكنة الباء : الجُونة ، يقال : ماأوسع رَبْعَ بنى فلان ، لمحلهم والجمع رِباع ورُبُوع . ويقال : مافى بنى فلان مَنْ يَضْبِط رِباعَتَه غير فلان ، كأنه أمْره وشَأْنه ، قال الأخطل :

مافى مَعَدٍّ فتًى تُغْنِى رِباعَتُـهُ إذا يَهُمُّ بأمر صالحٍ فَعَــلا

وقال غيره : رِبَاعَتُه : قبيلته وقومه . قال الأصمعى : يقال : رجل مَرْبُوع ومُرْتَبَع إذا كان وَسَطًا لا بالطويل ولا بالقصير ، قال العجاج :

* رَباعِيًا مُرْتَبِعا أو شَوْقَبا *

ويقال : أرْبَع إذا جاءت إبله رَوَابع ، أى تَرِدُ فى رِبْعٍ ، فهو مُرْبِع . وأرْبَع الدابة يُرْبِع إرباعا إذا طَلَعَتْ رَبَاعِيَتُهُ . ويقال : أرضٌ مَرْبَعَة إذا كانت ذات يَرَابيع . وقال ابن الأعرابى :الرَّبِيع بلغة أهل الحجاز : الساقية الصغيرة ، وجمعه رِبْعان : والرَّبِيعة : الصخرة : والرَّبِيعة أيضا : بيضة الحديد . والمِرْبَعَة : عُصَيّة يأْخذ رَجُلانِ بطرفيها فَيُلْقِيان الحِمْل على البعير ، وأنشد الأصمعى :

أَيْنَ الشِّظَاظان وأَيْنَ المِرْبَعَهْ وأَيْنَ وَسْقُ الناقة الجَلَنْفَعَـهْ

الشِّظَاظ : عُود يُدْخَل فى عُرْوَتَى الجُوَالق ليثبت على البعير . والجَلَنْفَعة : الجافية ، ويقال : المُسِنَّة . والوَسْق : الحِمْل . ويقال : رابعْتُ الرجلَ ، وهو أن تأْخذ بيده ويأْخذ بيدك تحت الحِمْل حتى ترفعاه على البعير ، قال الراجز :

يا لَيْتَ أُمَّ الفَيْض [٢] كانت صاحبى مَكَانَ من أَنْشَا على الركائب

ورابَعَتْنِى تَحْتَ لَيْلٍ ضارب بساعدٍ فَعْمٍ وكَفٍّ خاضب

(١) فى اللسان مادة ربع أنه أبو داود الرؤاسى .

(٢) كذا فى الأصل ، والذى فى اللسان مادة ربع ياليت أم العمر .

وندّ : شَرَد . والذَّوْدُ : مابين الثلاثة إلى العشرة ، والعرب تقول : « الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبل » يقول : إذا اجتمع القليل إلى القليل صار كثيرا . وبِغَاؤها : طلبها. والشجير : الكثير الشجر . والأَيْنُ : الكَلال . ورَسَغْت : شددت رُسْغَه . والنِّيافُ : العالى . والكُثاف : الكثيف . والجِرْم : الجسد . والخُفَاف : الخفيف . والعَلاكِد : الصِّلاب . والكُومُ : العِظَام الأسنمة . يقال : ناقة كَوْماء وبعير أَكْوَم . والواحد من عَلاكِد عِلْكِد . والصَّلاخِد : العظام الشداد ، واحدها صُلاخِد ، وفيه لغات ، يقال : بعير صُلاخِد وصِلَّخْدٌ وصَلَخْدَى ، وناقة صَلَخْداة . والمَقَاحِد جمع مِقْحاد ، وهى الغليظة السَّنَام. والقَحَدة : السَّنام ، ويقال : أصل السَّنَام . والجَدَائِد جمع جَدُود ، وهى التى انقطع لبنها . قال الأصمعى : الشَّاسِف : أشدّ ضُمْرًا من الشَّازِب . والصَّمارِد جمع صِمْرِد ، والصِّمْرِد والبَكِيئة والدَّهِين : القليلة اللبن ، والفَرْع جمع فَرْعة ، وهى أعلى الجبل . والكَرَعُ : ماء السماء ينزل فيَسْتَنْقِع ، وسمى كَرَعا لأن الماشية تَكْرَع فيه . والعَقِدات جمع عَقِدة ، والعَقِدة والضَّفِرة : ماتَعَقَّد من الرمل . والغائط : المطمئن من الأرض . والمَلَا : الفضاء . والصَّحْصَح : الصحراء . وسَدِير وأَمْلَح : موضعان . والأَجْرَع والجَرْعاء : دِعْص لايُنْبِت شيئا . وأَبْرَح : أشد . والكَثَب : القُرْب . والعَرْج : نحو خمسمائة من الإبل . والعُكَابس والعُكَامِس جميعا : الكثير . وأسحفتها : استأصلتها . والرَّغْس : البركة والنَّماء ، قال رؤبة :

دَعَوْتُ رَبَّ العِزَّة القُدُّوسـا   دُعَاءَ مَنْ لايَقْرَع النَّاقُوسـا

* حتى أرانا وَجْهَك المَرْغُوسا *

والقَوادح ، واحدتها قادحة ، وهى العَيْب فى العُود والسِّن . وأَقْسَس : أَتبع . والرَّوازح : التى قد سَقَطت من الهُزال . والحَدَابِير : التى قد تقوّست من الهزال ، واحدها حِدْبار .

[مطلب خطبة إسماعيل بن أبي الجهم بين يدى هشام بن عبد الملك وما وقع بينهما من الحديث وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قدم وَفْدٌ على أمير المؤمنين هشام بن عبدالملك وفيهم رجل من قريش يقال له : إسماعيل بن أبي الجَهْم ، وكان أكبرهم سنا ، وأفضلهم رأْيا وحلما ؛ فقام متوكئا على عصا وقال : يا أمير المؤمنين ، إن خُطَباء قريش قد قالت فيك فأَطنبت ، وأثنت عليك فأَحسنت ؛ ووالله مابلغ قائلُهم قَدْرَك ، ولا أَحصى مُثْنِيهم فضلَك ؛ أفتأْذن لى فى الكلام ؟ قال : تكلم ، قال : أفأُوجِز أم أُطْنِب ؟ قال : بل أَوجِزْ ، قال : تَوَلَّاك الله أميرَ المؤمنين بالحُسْنَى ، وزَيَّنَك بالتُّقَى ، وجمع لك خير الآخرة والأُولى ؛ إن لى حوائج أَفأَذكرها ؟ قال : نعم ، قال : كَبِرَتْ سنى ، وضَعُفت قُواى ، واشتدّت حاجتى ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يَجْبُرَ كسرى ، وينفى فقرى ؛ قال : يابن أَبى الجهم ، ما يجبر كسرك وينفى فقرك ؟ قال : أَلف دينار وأَلف دينار وأَلف دينار ، قال هيهات يابن أبى الجهم ! بيت المال لايحتمل هذا ، قال : كأَنك آليت ياأمير المؤمنين أن لاتقضى لى حاجةً مَقَامِى هذا ، قال : أَلف دينار لماذا ؟ قال : أَقضى بها دينا قد فَدَحَنِى حَمْلُه ، وأَرهقنى أهلُه ؛ قال : نِعْمَ المَسْلك أَسْلَكْتَها ، دينًا قضيت ، وأَمانةً أَدّيت ؛ قال : وأَلف دينار لماذا ؟ قال : أُزوّج بها من أدرك من ولدى ، فأَشدّبهم عَضُدى ، ويَكْثُر بهم عددى ، قال : ولابأْس ، أَغْضَضْتَ طَرْفا ، وحَصَّنْتَ فرجا ، وأَمَّرْتَ نَسْلا ؛ وأَلف دينار لماذا ؟ قال : أَشترى بها أَرضا فأَعود بفَضْلها على ولدى ، وبفضل فضلها على ذوى قُراباتى ، قال : ولا بأْس ، أَردتَ ذُخرا ورَجَوْتَ أجرا ، ووصلت رَحِما ؛ قد أَمرنا لك بها ، فقال : الله المحمود على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرَّحِمَ خيرا . فقال هشام : تالله مارأيت رجلا ألطف فى سؤال ، ولا أَرفق فى مقال من هذا . هكذا فليكن القرشىّ .

قال : أَرْهَقَنِى : أَعجلنى ، ورَهِقَنى : غَشِيَنى ، يقال : رَهِق فلانادَيْنٌ يَرْهَقُه إذاغَشِيه ،

ورَهِقَت الكلابُ الصيدَ إذا غشيته ولحقته ، ورَهِقَنى فلان ، أى لَحِقنى ، ويقال : فلان عَطُوف على المُرْهَق ، أى على المُدْرَك ، وأرهقت الرجل إذا أدركته ، ويقال : هو يعدو الرَّهَقَى ، وهو أن يسرع حتى يكاد أن يَرْهَق الذى يطلبه . وفى فلان رَهَقٌ إذا كان فيه غِشْيان للمحارم ، قال ٱبن أحمر :

كالكوكب الأزهر ٱنشقَّتْ دُجُنَّتُه ... فى الناس لارَهَقٌ فيه ولا بَخَل

ويقال : إنّه لَمُرَهَّق إذا غشِيه الأضياف والسؤَّال ، قال ٱبن هَرْمة :

خَيْرُ الرجال المُرَهَّقُون كما ... خَيْرُ تِلاع البلاد أكْلَؤُها

وفلان يُرَهَّق فى دِينه إذا أُثْنِى عليه قِلةُ وَرَع . وأَرْهَق القومُ الصلاةَ إذا أخروها حتى يدنو وقت الأخرى . قال أبو زيد : أرهقتُه عُسْرا وإنما حتى رَهِقه رَهَقا : غيره . وراهَق الغلامُ إذا قارب الاحتلام .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال أنبأنا أبو سعيد عبدالله بن شبيب قال أنشدنا إسماعيل بن أبى أويس والزبير بن أبى بكر وعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون ومحمد بن طالوت الوادى ، قال أنشدنى أبى ، و ال كل هؤلاء أنشدنى لأبى صخر الهذلىّ يزيد بعضهم على بعض .

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر بن دريد هذه القصيدة لأبى صخر :

لِلَيْلَى بذات الجَيْش [1] دارٌ عرفتها ... وأُخرى بذات البين [2] آياتُها سَطْر

كأنَّهما مِلآنَ لم يتغيَّرا ... وقد مرَّ للدارين من بعدنا عَصْر

وقَفْت برَسْمَيْها فَعَيَّ جوابُها ... فقلت وعينى دَمْعُها سَرِبٌ هَمْر

ألا أيها الرَّكْب المُخِبُّون هل لكم ... بساكن أجزاع الحِمَى [3] بَعْدَنا خُبْر

فقالوا طوينا ذاك ليلا فإن يكن ... به بعضُ من تَهْوى فما شَعَر السَّفْر

(١) موضع من العقيق بالمدينة (ياقوت ج ٢ ص ١٧٨) .

(٢) اسم موضع ذكره ياقوت ولم يعينه .

(٣) والحمى : اسم لمواضع كثيرة ، حمى ضرية أشهرها واسيرها .

قال أَبو العباس قال عبد الله بن شبيب حدثنى أُم المِغْوار الباهلية قالت : كنت بفِناء بيتى فى السحر فمرّ بنا رَكْب فتمثلت بهذا البيت :

أَلا أَيها الركْب المخبُّون هل لكم بساكن أَجزاع الحمى بَعدنا خُبْر

فأَجابنا غلام من صدر راحلته فقال :

فقالوا طوينا ذاك ليلا فإن يكن به بعضُ من تهوى فما شَعرالسَّفر

خليلىّ هل يُسْتَخْبَر الرِّمْث والغَضَا وطَلْح الكَدَا من بطن مَرْوان والسِّدْر

هكذا أَنشدناه أَبو بكر بن الأَنبارى عن أَبى العباس بفتح الكاف وقال : هو اسم موضع .

قال أَبوعلى : أَحسبه أَراد كَدَاء فقصر للضرورة ؛ وأَنشدنا أَبو بكر بن دريد : كُدًى بضم الكاف وقال : هو جمع كُدْية :

أَما والذى أَبْكَى وأَضْحَك والذى أَمات وأَحيا والذى أَمْرُه الأَمر

لقد كنتُ آتيها وفى النفس هَجْرُها بَتَاتا لأُخْرَى الدهر ما طَلَعَ الفجر

فما هو إلا أَن أَرَاها فُجَـاءة فأَبْهَت لا عُرْفٌ لَدَىَّ ولا نُكْـر

وأَنْسَى الذى قد كنتُ فيه هجرتُها كما قد تُنَسِّى لُبَّ شاربها الخَمْر

وما تَرَكت لى من شَدًا أَهتدِى به ولاضِلَعٍ إلا وفى عَظْمِها وَقْرُ

وقد تركَتْنِى أَغْبِط الوحشَ أَن أَرى أَلِيفَيْنِ منها لا يَرُوعُهما الذُّعْر

ويَمْنَعُنى من بعض إنكار ظُلْمها إذا ظلمت يوما وإن كان لى عُذْر

مخافةُ أَنى قد علمت لئن بدا لِىَ الهجرُ منها ما على هجرها صَبْر

وأَنِّىَ لا أَدرى إذا النفس أَشْرَفَتْ على هجرها ما يَبْلُغَنَّ بِىَ الهجر

قال عبدالله بن شبيب حدثنى الزبير قال : لما أَنشد أَبو السائب هذا البيت قال : الموت الأَحمر والله يابن أَخى مادونه شىء :

أَبَىَ القلبُ إلا حُبَّها عامريــةً لها كُنْيةٌ عَمْرٌو وليس لها عمرو

تكاد يَدِى تَنْدَى إذا ما لَمسْتُها ويَنْبُتُ فى أَطرافها الورق النَّضر

وإنى لتعرونى لذكراك هِزَّةٌ كما آنتفض العصفور بَلَّله القَطْر

تمنَّيْتُ من حُبِّى عُلَيَّة أننـا على رَمَثٍ فى البحر ليس لنا وَفْر

على دائم لا يَعْبُرُ الفُلْكُ مَوْجــه ومن دوننا الأَهوال واللُّجَج الخُضْر

فنقضىَ هَمَّ النفس فى غير رِقْبة ويُغْرِق من نَخْشَى نميمَته البحر

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها فلما آنقضى ما بيننا سكن الدهر

قال عبد الله : وأنشدنى آبن أَبى أويس :

فياحُبَّ[1] لَيْلَى قد بلغتَ بِىَ المَدَى وزدتَ على ماليس يَبْلُغه الهجر

وياحُبَّها زدنى جَوًى كل ليلة ويا سلوة الأَيام مَوْعِدُكِ الحشر

فايست عَشِيَّات الحِمَى برواجع لنا أَبدًا ما أَبْرَمَ السَّلَم النَّضر

ولا عائد ذاك الزمانُ الذى مَضَى تباركْتَ ما تَقْدِرْ يَقَعْ ولك الشكر

قال أَبو بكر وزادنى أَبى عن أَحمد بن عبيد :

هجرتكِ حتى قلتِ لا يَعْرِف القِلَى[2] وزُرْتُك حتى قلت ليس له صبر

صدقْت أنا الصب المصاب الذى به تباريحُ حُبٍّ خامَرَ القلبَ أَو سِحر

فياحَبَّذا الأحيــاءُ ما دُمْتِ فيهم ويا حبذا الأَموات ما ضَمَّكِ القبر

[مطلب حديث الأعرابى الذى اشترى خمرا بجزة صوف وما حصل بينه وبين امرأته وتفسير الغريب من ذلك]

وحدّثنا أَبو بكر قال أَخبرنا عبد الرحمن عن عمه أَوأَبوحاتم ــ الشك من أَبى على ــ عن الأَصمعى قال : آشترى أَعرابى خمرا بجُزَّةٍ من صوف فغضِبَتْ عليه آمرأَته فأَنشأَ يقول :

غَضِبَتْ علىّ لأَن شَرِبْتُ بصوف ولئن غَضِبْتِ لَأَشرَبَنْ بخَرُوف

---

(١) كذا فى النسخ ؛ والمشهور : فياهجر ليلى ؛ ولعلهما روايتان .

(٢) المعروف : الهوى .

ولئن غضبتِ لأَشربنَّ بنعجة دَهْساء مائلة الإنــــاء سَحُــوف

ولئن غضبتِ لأَشربن بناقةٍ كَوْمَاء ناوِيةَ العظام صَفُــوف

ولئن غضبتِ لأَشربنَّ بسابح نَهْدٍ أَشمِّ المَنْكِبَيْن مُنِيــف

ولئن غضبتِ لأَشربنَّ بواحــدى ولأَجعلنَّ الصبر منه حَلِيفى

ولقد شَهِدْتُ الخيلَ تَعْثُر بالقنــا وأَجبتُ صوت الصارخ الملهوف

ولقد شهدتُ إذا الخصوم تَوَاكلوا بخصامٍ لا نَزِقٍ ولا عُلْفُــــوف

قال أبو على : الصَّفُوف : التى تَصُفُّ بين رجليها عند الحلْب ، ويقال : التى تَصُفُّ بين مِحْلَبَيْها . والسَّحُوف : التى لها سَحْفَتان من الشحم ، أى طبقتان. والسَّحْف : القَشْر ، يقال : سَحَفْت الشىء : قَشَرْته . والعُلْفُوف : الجافى . وقرأْت على أَبى عبد الله إبراهيم بن عرفة لذى الرمة :

كأَنَّ أَعجازها والرَّيْطُ يَعْصِبها بين البُرِينَ وأَعناق العَوَاهِيج

أَنقاءُ سارية حَلَّت عَزَالِيَهــا من آخر الليل ريحٌ غيرُ حُرْجوج

يصف نساء ، يقول : كأَن أَعجازهن أَنقاء سارية ، والأَنقاء جمع نَقًا ، والنقا : قطْعة من الرمل مستطيلة مُحْدَوْدِبة . والسارية : السحابة التى تُمْطِر ليلا ، فأَضاف النقا إليها لأَنها أَمطرته . والرَّيْط جمع رَيْطة . ويَعْصِبها : يَلْتاث بها ، يقول : هذه الرِّياط دِقاق ناعمة ، فإذا هَبَّت لها أَدنى ريح ٱلتفَّت على سوقها وأَعجازها . والبُرِين : الخَلاخِيل ، واحدها بُرَةٌ . والعَوَاهيج : الطِّوال الأَعناق من الظباء ، واحدها عوْهَج ؛ فكأَنه قال : كأَن بين أَسْؤُقها وأَعناقها كُثْبانا جادَتْهاسحابةُ ليل حَلَّت عزاليها سحابةٌ [1] ليِّنة . والعَزَالى : مخارج مائها مستعارة من المَزَادة ، لأَن العَزْلاء فَمُ المزادة ، وهذا مثل . والحُرْجُوج : الريح الشديدة الهبوب .

قال الأَصمعى : من أَمثال العرب « رُبَّ عَجَلة تَهَبُ رَيْثا » يراد به ربما استعجل الرجل فأَلقاه ٱستعجالُه فى بطء ، ويقال : « جَزَانِى جَزَاءَ سِنِمَّار » وسنمار : إنسان

(١) كذا فى الأصول التى بايدينا ولعلها « ريح لينة » .

كان عمل أُطُمًا لبعض الملوك ، فقال له : إن نُزِع هذا الحجر تَدَاعَى بناؤك ، فأمر به ، فَرُمِي من فوق الأُطُم لئلا يعلم به أحد غيره ، يضرب مثلا للرجل يحسن فيُجْزَى بإحسانه سُوءا ، وأنشد الأصمعى :

* جزاء سِنِمَّارٍ بما كان يعمل *

ويقال : « بفلان تُقْرَن الصَّعْبة » يراد به أنه يُذِلُّ المُسْتَصْعِب ، ويقال : « حَيْثُ لايَضَع الراقى أَنْفَه » يراد به أن ذلك الأمر لايُقْرَب ولايُدْنَى منه ، وكأنهم يرون أن أصل ذلك أن ملسوعا لُسِع فى اسْته فلم يقدر الراقى أن يُقَرِّب أنفه مما هناك .

قال أبو زيد : يقال : هو أَشْخَمُ الرأس ، بالخاء المعجمة ، وأشهب الرأس . ويقال : كَلَأٌ أَشْخَم إذا علا البياضُ الخضرةَ . وقد اشْخَامَّ واشْهَابَّ النَّبْتُ والرأس. ويقال : « لِيَسْتَغْنِ أَحدُكم ولو بِضَوْزِ سِواكه » أى بمضغه ،يقال : ضازَ الشىءَ يَضُوزه ضَوْزا إذا مضغه . وأنشد أبو زيد :

طِوَال الأَيادى والحَوَادِى كأنَّها سَماحِيجُ قُبٌّ طار عنها نُسالُها(١)

قال : الحوادى : الأرجل التى تَحْدُو الأيدى وتَتْلُوها ، قال : ويقال : ما أَعْظَبَه عليه ! أى ما أَصْبرَه ! وقد عَظَب يَعْظِب عَظْبا وعُظُوبا إذا صبر عليه ، وعَظَّبْته عليه تَعْظِيبا ومَرَّنْته تمرينا ، وأنشد :

لو كنتُ من زَوْفَنَ أو بَنِيهـا قبيلة قد عَظَبَتْ أيديهـا
مُعَوَّدين الحَفْرَ حَفَّارِيهـا لقد حَفَرْتُ نُبْثَةً تَرْويهـا

النُّبْثَة : الرَّكِيَّة التى تخرج نَبيثتها . وقال : قال بعض بنى عُقَيْل وبنى كلاب : هو الأَكرم والأَفضل والأَجمل والأَحسن والأَرذل والأَنْذَل والأَسفل والأَلأم . وهى الكُرْمى والفُضْلى والحُسْنَى والجُمْلَى والرُّذْلَى واللُّؤْمَى ، وهن الرُّذَل والنُّذَل واللُّؤَم .

---

(١) سماحيج ، واحدها سمحج وهو الطويل الظهر من الخيل والأتن ، وقب : جمع أقب وهو من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن . والنسال : ما تساقط من الشعر .

وقال الأَصمعى يقال : كَثُر ولد فلان وقد أَبقَّ ونَتَق فهو ناتق ، وكله سواء . وأمرأة ناتِقٌ إذا كثر ولدها ، وأَنشد للنابغة :

لم يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذاء وأُمُّهم طَفَحَت عليك بناتِقٍ مِذْكار

[مطلب حديث بعض مقاول حمير مع ابنيه وما دار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه وشرح غريب ذلك]

وحدثنا أَبو بكر بن دريد قال حدثنا الأُشنانداني عن التوّزى، عن أَبى عبيدة عن أَبى عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مَقَاوِل حِمْير آبنان يقال لأَحدهما : عمرو وللآخر : ربيعة ، وكانا قد بَرَعا فى الأَدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أَقصى عُمُرِه وأَشفَى على الفناء ، دعاهما لِيَبْلُوعقولَهما ، ويعرِف مبلغ علمهما ؛ فلما حضرا قال لعمرو — وكان الأَكبر — : أَخبرنى عن أَحب الرجال إليك ، وأَكرمهم عليك ، قال : السيِّد الجَوَاد ، القليل الأَنداد ، الماجد الأَجداد ، الراسى الأَوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحُسَّاد ، الباسل الذَّوَّاد ، الصادر الوَراد . قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : ماأَحْسَنَ ماوَصَف ! وغيرُه أَحب إلىَّ منه . قال : ومن يكون بعد هذا ؟ قال : السيد الكريم ، المانع للحريم ، المِفْضال الحليم ، القَمْقَام الزَّعِيم ، الذى إن هَمَّ فَعَل ، وإن سُئل بَذَل . قال : أَخبرنى ياعمرو بأَبغض الرجال إليك ، قال : البَرَم اللئيم ، المسْتَخْذِى للخَصِيم ، المِبْطان النَّهِيم ، العَيِىُّ البَكِيم ؛ الذى إن سُئل مَنَع ، وإنْ هُدِّد خضَع ، وإن طَلَب جَشِع . قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : غيرُه أَبغضُ إلىَّ منه ، قال : ومن هو ؟ قال : النَّئُوم الكَذوب ، الفاحش الغَضوب ؛ الرَّغِيب عند الطعام ، الجَبَان عند الصِّدام . قال : أَخبرنى ياعمرو ، أَىُّ النساء أَحب إليك ؟ قال : الهِرْكَوْلة[1] الَّلفَّاء ، المَمْكُورة الجَيْداء ؛ التى يَشفِى السقيمَ كلامُها ، ويُبْرِى الوَصِب إلمامُها ؛ التى إن أَحسَنْتَ إليها شَكَرَت ، وإن أَسأْت إليها صَبَرت ، وإن آستَعْتبتها أَعْتَبَتْ ؛ الفاترة الطَّرْف ، الطَّفْلة الكَف ، العَمِيمة الرِّدْف . قال : ما تقول ياربيعة ؟ قال :

---

(١) الهركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية .

نَعَتَ فأَحْسَنَ ! وغيرها أَحب إلىّ منها ، قال : ومن هى ؟ قال : الفَتَّانة العينين ، الأَسيلة الخَدَّين ، الكاعِبُ الثَّدْيين ، الرَّدَاح الوَرِكين ؛ الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ؛ الرخيمة الكلام ، الجَمَّاء العظام ، الكريمة الأَخوال والأَعمام ، العَذْبة الِّلثام. قال : فأَىُّ النساء إليك أَبغض ياعمرو ؟ قال : القَتَّاتة الكَذُوب ، الظاهرة العيوب ، الطَّوَّافة الهَبُوب ، العابسة القَطُوب ، السَّبَّابة الوَثُوب ؛ التى إن ائتمنها زوجها خانته ، وإن لان لها أَهانته ، وإن أَرضاها أَغضبته ، وإن أَطاعها عصته . قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : بئس والله المرأة ذَكَر ! وغيرُها أَبغض إلىّ منها ، قال : وأَيتهن التى هى أَبغض إليك من هذه ؟ قال : السَّليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ؛ التى وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ؛ التى إن عاتبها زوجها وَتَرَتْه ، وإن ناطقها انتهرته . قال ربيعة : وغيرُها أَبغضُ إلىّ منها ، قال : ومن هى ؟ قال : التى شَقِىَ صاحبُها ، وخَزِى خاطبُها ، وافتضح أَقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مِثْلُها فى خصالها كُلِّها ، لاتصلح إلا له ولا يصلح إلا لها . قال : فصفْه لى ؟ قال : الكَفُور غير الشكور ، اللئيم الفَجُور ؛ العَبُوس الكالح ، الحَرُون الجامح ؛ الراضى بالهوان ؛ المُخْتال المَنَّان ، الضعيف الجَنَان ، الجَعْد البَنَان ، القَئُول غير العَقُول ، المَلُول غير الوَصُول ؛ الذى لايَرِعُ عن المحَارم ، ولا يرتدع عن المظالم . قال : أَخبرنى ياعمرو ، أَىُّ الخيل أَحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأَقران للتجالد ؟ قال : الجَوَاد الأَنِيق ، الحِصَان العتيق ، الكَفِيت العَرِيق ، الشديد الوَثِيق ؛ الذى يفوت إذا هَرَب ، ويَلْحَق إذا طَلَب . قال : نِعْمَ الفرَسُ والله نَعَتَّ ! قال : فما تقول ياربيعة ؟ قال : غيره أَحب إلىّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : الحِصَان الجَوَاد ، السَّلِسُ القِيَاد ؛ الشَّهْم الفؤاد ؛ الصَّبُور إذا سَرَى ، السابق إذا جرى . قال : فأَى الخيل أَبغض إليك ياعمرو ؟ قال : الجَمُوح الطَّمُوح ، النَّكُول الأَنُوح ؛ الصَّئُول الضعيف ، المَلُول العَنِيف ؛ الذى إن جاريتَه سبقْتَه ، وإن طلبته أَدركْتَه ، قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : غيره أَبغض إلىّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : البَطِىء الثقيل ، الحَرُون الكَلِيل ؛ الذى إن ضربتَه قَمَص ، وإن دَنَوْت منه شَمَس ، ؛ يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، ويَقْطَع

بالصاحب . قال ربيعة : وغيره أبغض إلىّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : الجَمُوح الخَبوط ، الرَّكُوض الخَرُوط ، الشَّمُوس الضَّرُوط ، القَطُوف فى الصعود والهبوط ؛ الذى لايُسلِّم الصاحب ، ولاينجو من الطالب . قال : أخبرنى ياعمرو ، أى العيش أَلَذُّ ؟ قال : عَيْشٌ فى كرامة ، ونعيم وسلامة ، وٱغتباقِ مُدَامة . قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال نِعْمَ العيشُ واللهِ وَصَفَ ! وغيره أَحب إلىّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : عيش فى أَمْن ونعيم ، وعزٍّ وغِنًى عميم ؛ فى ظل نجاح ، وسلامة مساء وصباح ؛ وغيره أَحب إلىّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : غنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم . قال : فما أَحب السيوف إليك ياعمرو ؟ قال : الصَّقِيل الحُسام ، الباتِر المِجْذَام ، الماضى السِّطَام ؛ المُرْهَف الصَّمْصام ؛ الذى إذا هززته لم يَكْبُ ، وإن ضربت به لم يَنْبُ . قال : ماتقول يا ربيعة ؟ قال : نعم السيفُ نَعَتَ ! وغيره أحب إلىّ ، قال : وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الرَّوْنق اللامع ، الظمآن الجائع ؛ الذى إذا هززته هَتَك ، وإذا ضربت به بَتَك . قال : فما أَبغض السيوف إليك ياعمرو ؟ قال : الفُطَار الكَهَام ، الذى إن ضُرب به لم يَقْطَع ، وإن ذُبح به لم يَنْخَع . قال : فما تقول ياربيعة ؟ قال : بئس السيفُ واللهِ ذَكَرَ ! وغيره أَبغض إلىّ منه ، قال : وما هو؟ قال : الطَّبِـع الدَّدَان ، المِعْضَد المُهان . قال : فأَخبرنى ياعمرو ، أى الرماح أَحب إليك عند المِرَاس ، إذا ٱعْتَكَر الباس ، وٱشْتَجَر الدِّعاس ؟ قال أَحبها إلىّ المارن المُثقَّف ، المُقوَّم المُخطَّف ؛ الذى إذا هَزَزْتَه لم يَنْعَطِف ، وإذا طعنت به لم يَنْقَصِف . قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : نِعْمَ الرمحُ نَعَتَ ! وغيره أَحب إلىّ منه ، قال : وماهو ؟ قال : الذابل العَسَّال ، المُقَوَّم النَّسَّال ؛ الماضى إذا هززته ، النافذ إذا هَمَزْته . قال : فأَخبرنى يا عمرو عن أَبغض الرماح إليك ، قال : الأَعْصَل عند الطِّعان ، المُثَلَّم السِّنان ، الذى إذا هززته ٱنعطف ، وإذا طَعَنْت به ٱنْقَصَف . قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : بئس الرمح ذَكَرَ ! وغيره أَبغض إلىّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : الضعيف المَهَزّ ، اليابس الكَزّ ؛ الذى إذا أكرهته ٱنحطم ، وإذا طعنت به ٱنقصم . قال : ٱنصرفا الآن طاب لى الموت .

قال أبو على : قوله : وإن طَلَب جَشِع ، الجَشَع : أسوأ الحرص ، وقد جَشِع الرجل فهو جَشِع . والَّلفَّاء : الملتفَّة الجسم . والمَمْكُورة : المَطْوِيَّة الخَلْق . والرَّدَاح : الثقيلة العَجِيزة الضَّخْمة الورِكَيْن . والرَّخِيمة : اللينة الكلام ، قال ذوالرمة :

لها بَشَرٌ مثل الحرير ومنطق رَخِيم الحواشى لاهُرَاء ولانَزْر

والجَمَّاء العِظام : التى لايوجد لعظامها حَجْمٌ ، بمنزلة الجَمَّاء من البَقَر . فأما قوله: العَذْبة الِّلثام ، فإنه أراد موضع اللثام ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. والقَتَّاتة : النَّمَّامة ، وقال اللحيانى : القَتَّات والنَّمَّام والهَمَّاز والَّلمَّاز والغَمَّاز والقَسَّاس والدَّرَّاج والمُهَيْنِم والمُهْتَمِل والمائس والمَئُوس ، مثال مَعُوس والمِمْأَس ، مثال مِمْعَس ، وقد مَأَس يمْأَس مَأْسا إذا مشى بينهم بالنميمة والفساد ، ويقال : مَأَسَ بين الناس ، ومَسَأَ بينهم يَمْسَأُ مَسْأً مثل مَعْسًا ، وكله واحد ، ويقال : إنه لذو نَيْرَبٍ ومِئْبَرة وإبْرة إذا كان نَمَّاما ، كله عن اللحيانى . والهَبُوب : الكثيرة الانتباه ، قال الأصمعىّ : يقال : هَبَّ من نومه يَهُبُّ هُبوبا ، وأَهْبَبْته أى انبهته . وهَبَّت الريح تَهُبُّ هُبوبا وهَبِيبا ، كذا روى أبو نصر عنه : هبِيبا فى الريح ، وهَبَّ التيسُ يَهِبُّ هِبَابا وهَبِيبا إذا هاج وطلب السِّفاد ، وهَبَّ السيفُ هَبَّة ، وهو صَوْته عند وَقْعِه . وثَوْبٌ هَبَايِب وخَبَايِب إذا كان مُتَقَطِّعا والحِصَان : الذَّكَر من الخيل . وقال الأصمعى : الكِفْت والكَمِيت : السريع . والنَّكُول : الذى يَنْكِل عن قِرنه . والأَنُوح : الكثير الزَّحِير . والآنِح من الرجال على مثال فاعِل : الذى إذا سُئل تَنَحْنح من لُؤمه ، وقد أَنَح يأْنِح . والمِجْذام مِفْعال من الجَذْم ، وهو القطع . والسِّطَام : حَدُّ السيف وغيره ، وفى الحديث : « العَرَب سِطَام الناس » أى حَدُّهم . والفُطَار : الذى لايقطع وهو مع ذلك حديث الطَّبْع . وقوله : لم يَنْخَع : لم يبلغ النُّخَاع . والطَّبَع : الصَّدأ . والدَّدان : الذى لايقطع وهو نحو الكَهَام . والمِعْضَد : القصير الذى يُمْتَهن فى قطع الشجر وغيرها . والدِّعَاس : الطِّعان ، يقال : دَعَسه إذا طعنه ، والمداعسة : المطاعنة . والعَسَّال : الشديد الاضطراب

إذا هززته ، ومنه العَسَلانُ ، وهو عَدْوٌ فيه اضطراب ، والنَّسَلان قريب منه ، وأنشدنى أبو بكر بن دريد :

عَسَلَانَ(١) الذِّئْب أَمْسَى قارِبًا بَرَدَ الليلُ عليه فَنَسَلْ

والأَعْصَل : المُلْتوِى المُعْوَجُّ . وقرأت على أبى بكر بن دريد للحسن بن مطير الأسدى :

فيا عَجَبًا للناس يَسْتَشْرِفوننى كأَنْ لم يَرَوْا بعدى مُحِبًّا ولاقَبْلى
يقولون لى اصْرِمْ يَرْجِعِ العَقْلُ كلُّه وصَرْمُ حبيب النفس أذهبُ للعقل
ويَا عجبا من حُبِّ من هو قاتلى كأنى أجازيه المَوَدَّة مِنْ قتلى
ومن بَيِّنات الحُبِّ أن كان أهلُها أحبَّ إلى قلبى وعينى من أهلى

قال أبو على : استشرفت الشىء واستكففته كلاهما أن تضع يدك على حاجبك كالذى يستظل من الشمس وينظر هل يراه . وأنشدنا أبو بكر ولم يسم قائلا (٢) :

إنَّ التى زَعَمَتْ فؤادك مَلَّها خُلِقَتْ هواك كما خُلِقْت هَوًى لها
بيضَاء باكَرَها النعيمُ فَصاغَها بِلِبانه فَأَرَقَّها وأَجَلَّها
حَجَبَتْ تحيتها فقلت لصاحبى ماكان أكثرها لنا وأَقَلَّها
وإذا وجدت لها وساوسَ سَلْوةٍ شَفَعَ الضميرُ لها إلىَّ فسَلَّها

وقرأت عليه لعبد الله بن الدمينة الخثعمى :

ولما لَحِقْنا بالحُمُول ودُونَها خَميصُ الحشا تُوهِى القَميصَ عَواتِقُه
قليلُ قَذَى العينين يعلم أنه هو الموت إن لم تُلْقَ عَنَّا بَوائقُه
عَرَضْنا فسلَّمْنا فَسَلَّم كارِهًا علينا وتَبْريحٌ من الغَيْظ خانِقُه
فسايَرْتُه مقدارَ مِيلٍ وليتنى بِكُرْهِى له ما دام حَيًّا أُرافِقُه

(١) فى اللسان مادة « عسل » ينسب هذا البيت للبيد . وقيل هو للنابغة الجعدى .

(٢) القائل لهذه الأبيات هو ابن أذينة كما فى شرح الحماسة للتبريزى ص ٥٤٦ طبع مدينة « بن » سنة ١٨٢٨ م .

فلما رأت أن لا وصالَ وأنه مَدَى الصَّرْم مضروبا عليه سُرَادِقُه
رَمَتْنى بطَرْفٍ لو كَمِيًّا رمت به لَبُلَّ نَجِيعًا نَحْرُه وبنَائقُــه
ولَمْحٌ بعينيها كأنَّ وميضَــه وَميضُ حَيًا تُهْدَى لنَجْدٍ شَقائقُــه

وحدّثنى أبو بكر بن الأنبارىّ قال حدّثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد البصرىّ المقدمىّ قال حدّثنا الرياشىّ قال حدّثنا محمد بن عبدالوهاب الثقفىّ قال : دخلنا على خَلَفٍ الأحمر نعوده فى مرضه الذى مات فيه فقلنا له : كيف نجدك ياأبا مُحْرِز ؟ فأنشأ يقول :

يا أيها الليلُ الطويلُ ذَنَبُــــه كأنَّ دَيْنًا لك عندى تطلبه
* أما لهذا الليل صُبْحٌ يَقْرُبُه *

ثم أنشد يقول :

لايَبْرَح المرءُ يَسْتَقْرِى مضاجِعَه حتى يبيت بأقصاهنّ مُضْطَجِعا

قال أبو على : كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر واللغة ، وأشعر الناس على مذاهب العرب .

حدّثنى أبو بكر بن دريد : أن القصيدة المنسوبة إلى الشَّنْفَرى التى أوّلها

أَقيموا بنى أُمِّى صدورَ مَطِيِّكم فإنى إلى قومٍ سِواكم لأَمْيَــلُ

له ، وهى من المقدمات فى الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية .

حدّثنى أبو بكر بن أبى حاتم عن الأصمعىّ قال : قال يوما خلف لأصحابه : ماتقولون فى بيت النابغة الجعدى :

كأنَّ مَقَطَّ شَراسِيفِــــــه إلى طَرَفِ القُنْبِ فالمَنْقَـــب

لو كان موضع فالمَنْقَب فالقَهْبَلِس ، كيف كان يكون قوله :

لُطِمْنَ بتُرْسٍ شديد الصِّفــــاقِ من خَشَبِ الجَوْز لم يُثْقَب ؟

فقالوا : لانعلم ؛ فقال : والآبَنُس . وقال لهم مرة أُخرى : ماتقولون فى بيت النمر بن تولب :

أَلَمَّ بِصحبتى وهُمُ هُجـــود خيـالٌ طارقٌ من أُمِّ حِصْن

لو كان موضع من أم حصن من أُمِّ حَفْص ، كيف كان يكون قوله :

لها ما تشتهى عَسَلٌ مُصَفًّى إذا شاءت وحُوَّارى بِسَمْن ؟

قالوا : لانعلم ، فقال : وحُوَّارى بلَمْص ، وهو الفالوذ . قال أبو بكر : والقَهْبَلِس : ذَكَرُ الرجل ، وقد يستعار لغيره . وقال محمد بن سلام فى كتاب طبقات العلماء : كنا إذا سمعنا الشعر من أبى محرز لانُبالِى أَلَّانسمعه من قائله . وقرأْت على أبى بكر ابن دريد لأبى كبير الهذلى :

وأخو الأَباءة إذ رأى خُلَّانَهُ تَلَّى شِفَاعًا حَوْله كالإذْخِـــر

الأَباءة : الأَجَمَة ، يعنى : رجلا صار فى أجمة . وخلانه : أصحابه الذين يَوَدُّهم . وتَلَّى : صَرْعَى . وشِفَاعًا : اثنين اثنين ، وهو جمع شَفْع . وقوله : كالإذخر ، قال الأَصمعىّ : لا تكاد تجد من الإذخر واحدة على حِدة ، إنما تجد الأَرض مُسْتَحْلَسة منه ، والمُسْتَحْلَسة : الكثيرة النبات ، التى غَطَّاها النبات أَوكاد يغطيها ، فشبه كثرة القتلى بالإذخر لذلك .

قال الأَصمعىّ : من أَمثالهم : « أَهْونُ هالكٍ عجوزٌ فى عام سَنَةٍ » مَثَلٌ للشىء يُسْتخَفُّ بهلاكه . ويقال : « خَلِّهِ دَرَجَ الضَّب » أَى خله يذهب حيث شاء . ويقال : « لايَدْرى المَكْروب كيف يَأْتَمِرُ » يراد أَن المكروب يغطى عليه الشأْن فلا يدرى كيف ينْفُذ أَمره . ويقال : « لاتَعْجَبْ للعروس عامَ هِدَائها » يراد أَن الرجلَ إذا اسْتأْنف أَمرَه تَجَمَّل لك . ويقال : « نابٌ وقد تَقْطَع الدَّوِيَّةَ » يراد أَن المُسِنَّ تَبْقى منه بقيَّةٌ ينتفع بها . وقال أَبو زيد : ومَثَلٌ من الأَمثال : « الشَّرُّ أَلْجَأَه إلى مُخِّ العَرَاقِيب » يقال ذلك عند مسأَلة اللئيم ، أَعطاك أَو منعك .

[مطلب الكلام على مادة خ ل ف]

قال الأصمعيّ : خَلَفَ فلان فهو يَخْلُف خُلوفا إذا فسد ولم يُفْلح ، وهو خالِف وهى خالفة . ويقال : هو خالِفةُ أهلِ بيته إذا كان أحمقهم ، والخالِفة : عمود فى مؤخر البيت . وقال اللحيانى : عبدٌ خالفٌ ، أى لاخير فيه . وقال ابن الأعرابىّ : يقال : أبيعُك العبد وأبرأُ إليك من خُلْفته . ورجل ذو خُلْفة ، ورجل خالِفَةٌ وخالِفٌ وخِلَفْنَةٌ وخِلَفْناة ، وفيه خِلَفْناة . وقال أبو زيد : الخالِف : الفاسد الأحمق ، وقد خَلَفَ يَخْلُف خَلَافَةً . قال : ويقال : جاء فلان خِلَافِى وخَلْفِى وهما واحد . قال : ويقال : اخْتَلَف فلان صاحبَه فى أهله اخْتِلافا ، وذلك أن يُبَاصِره حتى إذا غاب عن أهله جاء فدخل عليهن . وقال الأصمعى : خَلَف فلان عن خُلُق أبيه إذا تَغَيَّر . وخَلَف فُوهُ يَخْلُف خُلوفا إذا تغيرت رائحته ، وقال اللحيانى : يقال : نَوْمُ الضُّحَى مَخْلَفَةٌ للفم . وقال أبو زيد : خَلَفَ الشرابُ واللبن يَخْلُف خُلوفا إذا حَمُض ، ثم أُطيل إنقاعُه فَفَسد . وقال أبو زيد والأصمعيّ : خَلَفَتْ نفسُه عن الطعام تَخْلُف خلوفا إذا أَضْرَبَتْ عنه من مرض ، وقال أبو زيد : لايقال ذلك إلا من المرض . وقال أبو نصر عن الأصمعيّ : خَلَّف خَلْف صِدْق بإسكان اللام إذا ترك عَقِبًا . ويقال : خذ هذا خلَفًا من مالك بتحريك اللام ، أى بَدَلًا منه ، وهو خَلَفٌ من أبيه ، أى بدل منه . وقال اللحيانى : الخَلَف : الولد الصالح . والخَلْف : الردىء . يقال : بَقِيتُ فى خَلْف سوء ، أى فى بقية سوء ، قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ وأنشد للبيد :

ذَهَبَ الذين يُعاش فى أكنافهم وبَقِيت فى خَلْفٍ كجلد الأجرب

والخَلْف : المِرْبَد يكون وراء البيت ، وأنشد اللحيانى :

وجيئا من الباب المُجَافِى تَوَاتُرًا وإن تَقْعُدا بالخَلْف فالخَلْف واسع

وقال الأصمعيّ واللحيانى : الخَلْف : الردىء من الكلام المُحَال . وقال ابن الأعرابى : جلس أعرابى مع قوم فَحَبَق ، فتَشَوّر فأشار بإبهامه إلى أسته وقال : إنها خَلْف نَطقت خَلْفا .

وحدثني أبو عمرو غلام ثعلب عن أبي العباس : أنه قال في قولهم : « سَكَتَ أَلْفًا ونَطَق خَلْفا » : أي سكت عن ألف كلمة ونطق بواحدة رديئة . قال الأصمعيّ : الخِلْفة : الاستقاء ، يقال : مِنْ أين خِلْفَتُكم ؟ أي من أين تَسْتَقُون ، وأنشد لذي الرمّة :

ومُسْتَخْلِفاتٍ من بلاد تَنُوفةٍ لِمُصْفَرّة الأشداق حُمْرِ الحَوَاصِل

يعني القَطَا يحملن الماء في حواصلهن . ويقال : نِتاجُ فلان خِلْفةٌ ، أي عام ذكر وعام أنثى . والخِلْفة : الشيء من الثمر يخرج بعد الشيء ، وقال غيره : الخِلْفة : النبت في الصيف ، والخِلْفة : الليل والنهار لاختلافهما . والخِلْفة : اختلافُ البهائم وغيرِها . ويقال : حَلَبَ الناقةَ خَلِيفَ لِبَئِها ، يعني : الحلْبَة التي بعد ذهاب اللِّبا . وروى أبو عبيد عن الأصمعيّ : الخَلِيف : الطريق في الجبل ، وقال أبو نصر : الخَلِيف : الطريق وراء الجبل أو في أصله ، وقال اللحياني : الخليف : الطريق وراء الجبل أو بين الجبلين . وقال اللحياني : المخْلَفة : الطريق أيضا ، يقال : عليك المخْلَفة الوُسْطَى . والخَوَالِف : النساء إذا غاب عنهن أزواجهن ، قال الله عزوجل : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ ﴾ . وقال الأصمعيّ : حَيٌّ خُلُوف ، أي غُيَّبٌ . وخُلُوف : حُضور . قال : والإخلاف : أن تعيد على الناقة فلا تَلْقَح . والإخلاف : أن تَعِدَ الرجلَ عِدَةً فلا تُنْجِزَها . والإخلاف : أن تضرب يدك إلى قِرَاب السيف لتأْخذه . والإخلاف : أن تَجْعَل الحَقَب وراء الثِّيل . والثِّيل ، وِعاءُ مِقْلَمه ، وهو قضيبه ، يقال : أَخْلِف عن بعيرك .

[مطلب حديث معاوية مع عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وما دار بينهما من سؤال وجواب وشرح غريب ذلك]

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن العباس ابن هشام قال : سأل معاويةُ — رحمه الله — بعد الاستقامة ، عبدَ الله بن عبد الحجر ابن عبد المَدَان ، وكان عبد الحجر وفَدَ على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه : عبدالله ،

فقال له : كيف عِلْمُك بقومك ؟ قال : كعلمى بنفسى ، قال : ما تقول فى مُرَاد ؟ قال : مُدْرِكُو الأَوتار ، وحُمَاة الذِّمَار ، ومُحْرِزو الخِطار . قال : فما تقول فى النَّخَع ؟ قال : مانعو السَّرْب ، ومُسْعِرو الحَرْب ، وكاشفو الكَرْب . قال : وما تقول فى بنى الحارث بن كعب ؟ قال : فرَّاجو الِّلكاك ، وفُرْسان العراك ، ولِزاز الضِّكاك ؛ تَرَاكِ تَرَاكِ . قال : فماتقول فى سَعْدالعَشِيرة ؟ قال : مانُعوالضَّيْم ، وبَانُو الرَّيْم ، وشافُو الغيْم . قال : ماتقول فى جُعْفِيٍّ ؟ قال : فُرْسان الصَّبَاح ، ومُعْلِمو الرِّماح ، ومُبَارِزو الرياح . قال : ماتقول فى بنى زبيد ؟ قال : كُمَاة أَنْجاد ، ساداتٌ أَمْجاد ، وُقُرٌ عند الذِّياد ، صُبُرٌ عند الطِّراد . قال : ماتقول فى جَنْب ؟ قال : كُفاةٌ يَمْنعون عن الحَرِيم ، ويَفْرُجون عن الكَظِم . قال : فما تقول فى صُدَاء ؟ قال : سِمَام الأَعداء ، ومَسَاعِير الهَيْجاء . قال : فما تقول فى رَهَاء ؟ قال : يُنَهْنِهُون عاديةَ الفَوارس ، ويَرِدُون المَوْتَ وِرْدَ الخَوَامس ؛ قال : أَنت أَعلم بقومك .

قال أَبو على : كلُّ ما حَمَيْتَه فهو ذِمَار . والسَّرْب : الإبل وما رَعَى من المال . والِّلكَاك : الزحام . والضِّكَاك : مثل اللكاك سواءً . والرَّيْمُ : الدَّرَجة ، قال أَبو عمرو ابن العلاء : أَتيت دار قوم باليمن أَسأَل عن رجل فقال لى رجل منهم : ٱسمُك فى الرَّيْم ، أَى ٱعْلُ فى الدرجة . والرَّيْم : الزيادة ، يقال : لى عليك رَيْمٌ على كذا وكذا ، قال الشاعر :

فأَقْعِ كما أَقْعَى أَبوك على ٱسْتِه ... رأَى أَن رَيْمًا فوقه لا يُعادِلُهْ

والرَّيْم : القَبْر ، قال مالك بن الرَّيْب المازنىّ :

إذا مُتُّ فاعتادى القُبورَ وسَلِّمِى ... على الرَّيْم أُسْقِيتِ السحابَ الغَوادِيا

والرَّيْم : عَظْمٌ يفضُل إذا ٱقتسم القومُ الجَزورَ ، وهذا قول الشيبانى ؛ وأَنشدنا غيره :

فكنت كعَظْمِ الرَّيْم لم يَدْرِ جازِرٌ ... على أَىِّ بَدْأَىْ مَقْسِمِ الَّلحْم يُجْعَل

والغَيْمُ : العطش ، وقال لى أَبو بكر بن الأَنبارى : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نعوذ بالله من الأَيْمة والعَيْمة والغَيْمة والكَرْم والقَرَم » وقال : الأَيمة : الخُلُوُّ من

النساء . والعَيْمة : شهوة اللبن . والغَيْمة : العطش . وقال : الكَزَم فيه قولان ، يقال : فلان أكْزَم البنان إذا كان بَخيلا ، ويقال : إن الكَزَم الأكل الشديد . والقَرَم : شهوة اللحم . والأمجاد : الأشراف . ويُنَهْنِهون : يَكُفُّون . والكظِيم : المكظوم ، وهو الذى قد ردّ نَفَسَه إلى جوفه . وقرأنا على أبى بكر بن دريد لحَكِيم بن مُعَيَّة :

إذا عَلَوْنَ أرْبَعا بأربـــع فى جَعْجَع مَوْصِيَّة بجعجـــع

* أنَنَّ تأنانَ النفـوس الوُجَّـــع *

يعنى الإبل علون أربعة أوْظِفة بأربع أذرع ، وكأنه أنّث على الكراع . وأنَنَّ ، من الأنِين ، يعنى : أنهن إذا بَرَكْن أنَنَّ ، ومثله قول كعب بن زهير :

ثَنَتْ أربعًا منها على ظهر أربع فهن بمَثْنِيَّاتِهِنّ ثمـــــــان

ومثله قول هِيت : تُقْبِل بأربَع وتُدْبِر بثمان ، يعنى : أنها تقبل بأربع عُكَنٍ ، فإذا رأيتها من خلف رأيت لكل عُكْنة طَرَفين فصارت ثمانية .

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن العُتْبى قال : أقام معاوية — رحمه الله — الخُطباء لبَيْعة يزيد ، فقامت المَعَدِّيَّة فشقَّقوا الكلام . ثم قام رجل من حِمْيَر فقال : لسْنا إلى رِعاء هذه الجِمال ، عليهم تشقيق المقال ، وعلينا صِدْق الصِّيال ؛ أمَا والله إنا لصُبُرٌ تحت البوارق ، مَرَاقِيل فى ظِلِّ الخوافِق ؛ لانسْأم الضِّراس ، ولا نشْمَئِزّ من المِراس ؛ وإن واحدنا لألْف ، وألْفنا كهف ؛ فمن أبْدَى لنا صَفْحَته ، حططْنا عِلاوَتَه ؛ ثم قام رجل من ذى الكَلاع فأشار إلى معاوية فقال : هذا أمير المؤمنين ، فإن مات فهذا — وأشار إلى يزيد — فمن أبى فهذا — وأشار إلى السيف — ثم قال :

معاوِيةُ ، الخَلِيفةُ لا تُمارَى فإن تَهْلِكْ فَسَائِسُنا يزيـــد

فمن غَلَب الشقاءُ عليه جَهْلا تَحَكَّم فى مَفارِقه الحَديـــد

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنا الرياشىّ للعَرْجىّ :

وما أنْسَ مِلأشْياء لا أنس مَوْقِفا لنا ولها بالسَّفح دون ثَبِيـــر

ولا قولَها وهْنًا وقد بَلَّ جَيْبَها سوابقُ دَمْع لا يَجِفُّ غَزِيـــر

أأنتَ الذى خَبَّرت أنَّك باكرٌ غَدَاة غدٍ أَو راحلٌ بِهَجِيـــــر
فقلت يَسِيرٌ بعضُ شَهْرٍ أَغِيبُه وما بعضُ يَوْمٍ غبته بيسير
أَحِينَ عَصَيْتُ العاذلين إِليكم ونازَعْتُ حَبْلِي فى هواكِ أَميرى
وباعَدَنى فيك الأَقارب كلُّهم وباح بما يُخْفِى اللسانُ ضميرى
وقلت لها قولَ امرىء شَفَّه الهوى إليها ولو طال الزمان فَقِير
فما أَنا إن شَطَّت بِك الدارُ أَو نأَتْ بى الدار عنكم فاعْلَمى بصَبُور

وقرأت على أَبى بكر رحمه الله :

وما أَنْسَ مِلأَ شياء لا أَنس قولَها وأَدْمُعُها يُذْرِين حَشْو المَكَاحِل
تمتَّع بذا اليوم القَصِير فإنه رَهِينٌ بأَيام الشهور الأَطاول

وقرأت على أَبى بكر أيضا :

شَيَّبَ أَيام الفراق مَفَـــارِقى وأَنْشزْن نفسى فَوْقَ حَيْثُ تكون
وقد لان أَيامُ اللِّوَى ثُمَّ لم يَكَدْ من العيش شىءٌ بعدَهُنَّ يَلِين
يقولون ما أَبْلاكَ والمال غامِــرٌ عليك وضَاحِى الجِلْد منك كَنِين
فقلت لهم لا تَعْذُلونِىَ وانظــروا إلى النازع المقصور كيف يكــون

وحدّثنا أَبو بكر قال حدثنا الرّياشى عن بعض أَصحابه قال : أَخبرنى رجل قال : أَتيت المجنون فجلست إليه فى ظل شجرة فقلت : ما أَشْعَرَ قيْسًا ! حيث يقول :

يَبِيت ويُضْحِى كلَّ يوم وليلة على مَنْهَجٍ تَبْكِى عليه القبائــل
قَتِيلٌ لِلُبْنَى صَدَّع الحبُّ قلبَه وفى الحب شُغْل للمحبين شاغل

فقال أنا أَشعر منه حيث أَقول .

سَلَبْتِ عظامى لَحْمَها فتَرَكْتها مُعَرَّقةً تَضْحَى لَدَيْكِ وتَخْصَر
وأَخْلَيْتِها من مُخِّها فكأَنهـــا قَوَارِيرُ فى أَجوافها الريحُ تَصْفِــر

إذا سمعتْ ذِكرَ الفراق تقَطَّعَتْ علائقُها مما تَخَاف وتَحْـذَر
خُذِى بِيَدِى ثم انْهَضِى بِى تَبيَّنِى بِىَ الضُّرَّ إلا أننى أتَسَتَّر

قال أبو على ويروى :

... ... تَقَعْقَعَتْ مَفَاصِلُها من هَوْل ماتَتَنَظَّــر

ثم مَرَّ فأَجْمَزَ فى الصحراء ، فلما كان فى اليومِ الثانى أتيته فجلست فى ذلك الموضع ، فلما أَحْسَسْت به قلت : ما أَشعر قيسا ! حيث يقول :

تُباكر أم تَرُوح غَدًا رَواحا ولن يَسْطِيعَ مُرْتَهَنٌ بَراحـا
سقيمٌ لا يُصاب له دواء أصاب الحبُّ مَقْتَلَه فباحا
وعَذَّبه الهوى حتى بـراه كَبَرْى القَيْرِ بالسَّفَنِ القِدَاحا
وكاد يُذِيقُهُ جُرَعَ المَنايـا ولو سَقَّاه ذلك لاستراحا

فقال : أنا أشعر منه حيث أقول :

ـ قال أبو على : وأنشدناها ابن الأنبارى عن أبيه ولم ينسبه إلى أحد ، وفى الروايتين اختلاف وأنا أذكرهما إن شاء الله ـ

فما وَجْدُ مغلوبٍ بِصَنْعاء مُوثَقٍ بساقَيْهِ من ثِقْلِ الحديد كُبُولُ

وروى ابن الأنبارى :

فما وَجْدُ مسجونٍ بصنعاء عَضَّهُ بساقيه من صنع القيُود كُبول
قليل الموالى مُسْتهام مُروَّع له بعد نومات العشاء عَوِيـل

وروى ابن الأنبارى :

ضعيف الموالى مُسْلَمٌ بِجَرِيرة له بعد نومات العيون عويل
يقول له الحَدَّاد أنتَ مُعَـذَّب غَداةَ غدٍ أو مُسْلَم فقتيـل
بأَعْظَمَ مِنِّى رَوْعَةً يـوم راعنى فراقُ حبيبٍ ما إليـه سبيـل

وروى ابن الأنبارى : بأَوْجَعَ منى لَوْعةً :

غَداةَ أَسِيرُ القَصْدَ ثم يَرُدُّنى عن القصد لَوْعاتُ الهَوَى فأَمِيل

وروى ابن الأنبارى : غداة أُريد القصد ، وروى : مَيْلات الهوى فأَميل . ثم قام هاربا وتركنى ، فعدت بعد ذلك مرارا فلم أره ، فأُخبرت أنه قد مات . وأنشد الأخفش :

أقول لمُقْلَتى يوم ٱلتقَيْنا وقد شَرِقتْ مآقِيها بماء
خُذِنَّ اليومَ مِنْ نَظَرٍ بحظٍّ فَسَوْفَ تُوَكَّلِين إلى البكاء

وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى لابن أبى مرة المكى :

ساعةَ وَلَّى شَمِتَ العاذل أذاك منه الفَرَجُ العاجلُ
لم أنْسَ إذ وَدَّعْته والْتَقَى ذا البدنُ الناعم والناحل
كأنما جسمى على جسمه غُصْنانِ ذا غَضٌّ وذا ذابل
يا رَبِّ ما أَطيبَ ضَمِّى له إلَىَّ لولا أنه راحل

وأنشدنا أحمد بن يحيى النديم قال أنشدنا أبى قال أنشدنا الجاحظ عمرو ابن بحر :

أَزِف البَيْنُ المُبِين قَطَعَ الشكَّ اليقين
حَنَّتِ العِيسُ فأبكا نى من العِيسِ الحَنِين
لم أكن ـ لا كنتُ ـ أدْرِى أن ذا البَيْنَ يكون
عَلَّمونى كَيْفَ أشتا ق إذا خَفَّ القَطِين

وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال : أتيت الزبير لأُودِّعه وأخرج من المدينة ، فقال لى : بلغنى أنك لما أتيت هشام بن إبراهيم لتودِّعه قال : لا أُودِّعك حتى أُغَنِّيك :

وأنا بَكَيْتُ من الفـــرا ق فهل بَكَيْتَ كما بكيتُ
ولَطَمْتُ خَــدِّى خاليــا ومَرَسْتُــه حتى اشتفيت
وعــــــواذلى يَنْهَيْنَنى عَمَّن هَوِيتُ فما انتهيت

قال الزبير : وأنا لا أُودِّعك حتى أُنشدك :

أزف البين المبين وجلا الشــك اليقين
لم أكن لا كنت أدرى أن ذا البين يكـــون
علمونى كيف أشتـــــا ق إذا خف القطين

وأنشدنا الأخفش قال أنشدنا ابن المدبر للمجنون وقال لى : ما سمعت أغزَل من هذين البيتين :

أمُزْمِعةٌ لَيْلَى ببين ولم تَمُت كأنَّك عمَّا قد أظَلَّك غافـــل
سَتَعْلم إن شَطَّتْ بهم غَرْبَةُ النـوى وزالوا بلَيْلَى أن قَلْبَـــك زائل

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى عن أبيه :

نحن غادُونَ مِنْ غَدٍ لافتراق وأرانى أموتُ قَبْلَ يكـــون
فلئن مُتُّ فاسترحْتُ من البَيْـ ـن لقد أحْسَنَتْ إلَيَّ المَنُون

قال أبو بكر : وأنشدنا أبو الحسن المُظَفَّر بن عبد الله :

مايُرِيدُ الفِراق ـ لا كان ـ مِنَّــا أشْمَتَ اللهُ بالفِراق التَّـــلاقى
لو وَجَدْنا على الفراق سبيــلا لأذَقْنَا الفِراق طَعْمَ الفـــراق

وأنشدنا أبو بكر بن دريد لأعرابى ، وغيره يقول : إنها لحبيب :

لو كان فى البَيْن إذ بانوا لَهُمْ دَعَةٌ لكان بَيْنُهُمُ من أعظم الضرر
فكيف والبَيْنُ موصولٌ به تَعَبٌ تَكَلُّف البِيدِ فى الإدْلاجِ والبُكَر
لو أنَّ ما تبتلينى الحادِثاتُ به يكون بالماء لم يُشْرَبْ من الكدر
أو كان بالعِيس ما بى يومَ رِحْلَتِهم أعْيَتْ على السائق الحادى فلم تَسِر

كأَنَّ أَيْدِى مَطَاياهم إذا وَخَدَتْ يَقْعُنَ فى حُرِّ وجهى أَوعلى بصرى

وقرأت على أَبى بكر بن دريد للحسين بن مطير الأَسدى وفى نوادر ابن الأَعرابى ، وفى الروايتين زيادة ونقصان ، وأَنا آتى بهما إن شاء الله تعالى :

لقد كنتُ جَلْدًا قبل أَن تُوقِدَ النَّوى على كبدى نارا بَطِيئا خُمودُها

ولو تُرِكَتْ نارُ الهوى لتَضرَّمَتْ ولكنَّ شَوْقًا كلَّ يوم يزيدها

وقد كنتُ أَرجو أَن تموت صبابتى إذا قَدُمَتْ أَيامها وعهودها

فقد جَعَلَتْ فى حَبَّة القلب والحَشا عِهَادُ الهوى تُولِى بشوق يُعِيدها

لِمُرْتَجَّةِ الأَطرافِ هِيفٍ خُصورُها عِذَابٍ ثَناياها عِجافٍ قُيودُها

بسُودٍ نَوَاصِيها وحُمْرٍ أَكُفُّها وصُفْرٍ تَرَاقِيها وبِيضٍ خُدودُها

وروى ابن الأَنبارى :

وصفر تراقيها وحمر أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها

مُخَصَّرة الأَوساط زانتْ عُقودَها بأَحْسَنَ مما زَيَّنَتْها عُقودُها

يُمَنِّينَنا حتى تَرِفَّ قُلوبُنا رَفيف الخُزَامَى بات طَلٌّ يَجُودُها

وفيهنَّ مِقْلاقُ الوِشاح كأَنها مَهاةٌ بِتُرْبانَ[1] طَوِيلٌ عُقُودُها

يريد : موضع العقود ، وهو العنق . قال : وقوله :

* ولو تُرِكَتْ نار الهَوى لَتَضَرَّمَتْ *

أَجود ، لأَنها كانت تَضرَم وحدها ، فكيف إذا زادها غيرها وأَوقدها ! وقرأْت عليه لابن مَيَّادة :

كأَنَّ فؤادى فى يَدٍ ضَبَثَتْ به مُحاذَرةَ أَن يَقْضِبَ الحَبْلَ قاضِبُهْ

وأُشْفِق من وَشْكِ الفراق وإنَّنى أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عليه فَرَاكِبُه

فوالله ما أَدرى أَيَغْلِبُنى الهوى إذا جَدَّ جِدُّ البين أَم أَنا غالبُه

---

(١) تربان : اسم موضع .

فإن أَسْتَطِعْ أَغْلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى فمثلُ الذى لاقَيْتُ يُغْلَب صاحبُه

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى:

قد قُلْتُ والعَبَرَاتُ تَسـ ـفَحُها على الخدِّ المآقى

حين انحدَرْت إلى الجَزِيـ ـرة وانْقَطَعْتُ عن العراق

وتَخَبَّطَتْ أيـــدِى الرِّفا ق مَهامِهَ البيد الرِّقـــاق

يا بُؤْسَ مَنْ سَلَّ الزما نُ عليه سَيْفًا للفراق

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء : قال أنشدنى ابن غالب :

ذَكَرَ الحبيبُ حبيبَـــــه ففؤادُه مثلُ الجَنَاح من الصَّبابة يَخْفِق

عَمَرَا زمانا يَكْتُمانِ هواهمــــا وكلاهما بادى الهوى مُتَشَوِّق

حتَّى إذا اجتمعا بأَحْسَنِ أُلْفَةٍ ما مِنْهُما فى وُدِّه مُتَخـلِّق

كَرَّ الزمانُ عليهما بفراقـــه وكذاك لم يَزَلِ الزمان يُفَرِّق

وأنشدنا أبو بكر التاريخى قال : أنشدنى البُحْتُرى لنفسه :

اللهُ جارُك فى انطلاقِـــكْ تِلْقَاءَ شامك أو عِرَاقِـــكْ

لا تَعْـذُلَنِّى فى مَسِيـــرك يَوْمَ سِرْت ولم أُلاقِـكْ

إنِّى خَشِيتُ مَوَاقِفًــــا للبين تَسْفَح غَرْب ماقِـــكْ

وعَلِمْتُ ما يَلْـقَى المُتَـــيَّمُ عنـد ضَمِّك واعْتِنَاقِك

وعلمتُ أن لقــــــاءنا سَبَبُ اشتيـــاقى واشتياقك

فتَرَكْتُ ذاك تَعَمُّـــــــدا وخَرَجْتُ أَهْرُب من فراقـــك

وقرأ أبو غانم الكاتب على أبى عبد الله نفطويه فى المسجد الجامع بالمدينة قبل الصلاة وأنا أسمع لتَوْبة بن الحُمَيِّر :

قالت مَخَافةَ بينِنـــا وبَكَتْ له فالبَيْن مبعوثٌ على المُتَخَوِّف

لو مات شىء من مخافة فُرْقةٍ لأَمَاتَنى للبين طُولُ تَخَـوُّفى
مَلَأَ الهوى قلبى فضِقْتُ بحَمْله حتى نَطَقْتُ به بغير تكَلُّف

وقرأ علـيه :

راعَك البينُ والمَشُوقُ يُرَاع حين قالوا تَشَتُّتٌ وانْصِـداع
لَسْتُ أَنْسَى مقالَها يوم وَلَّتْ وقُصَارَى المُشَيِّعِين الوَدَاع

وقرأ عليه :

بَكَيْت دَمًا حتَّى القيامةِ والحَشْر ولا زلت مَغْلُوبَ العَزيمةِ والصبر
أَتَظْعَن طَوْعَ النفس عَمَّن تحبه وتَبْكى كما يَبْكِى المُفَارِق عن صُغْر
أَقِمْ لا تَسِرْ والهمُّ عنك بمَعْزِل ودَمْعُك باقٍ فى جفونك مايَجْرِى

وقرأ عليه أيضا :

أتظعن عن حبيبك ثم تبكى عليه فَمَنْ دَعاك إلى الفراق
كأنَّك لم تَذُقْ للبَين طَعْمًا فَتَعْلَم أنه مُـــرُّ المَــــذاق
أَقِمْ وٱنْعَمْ بُطول القرب منه ولا تَظْعَنْ فَتَكْبَتَ باشتياق
فما ٱعتاض المفارِقُ من حبيب ولو يُعْطَى الشَّآمَ مع العراق

وقرأ عليه أيضا :

تَطْوِى المَرَاحلَ عن حبيبك دائبا وتَظَلُّ تبكيه بدمع ساجم
كَذَبَتْكَ نفسُك لست من أهل الهوى تشكو الفراق وأنت عين الظالم
أَلَّا أقَمْتَ ولو على جَمْرِ الغَضَى قُلِّبْتَ أَوحدّ الحسام الصارم

أَنشدنى جَحْظَةُ بعض هذه الأَبيات وأَنشدَناها بتمامها الأَخفشُ علىّ بن سليمان لمسلم بن الوليد :

وإنِّى وإسماعيلَ يَوْمَ وَداعه لكالغِمْد يوم الرَّوْع فارَقَهُ النَّصْل
أَمَا والحبَالات المُمَرَّاتِ بيننا وَسائلُ أَدَّتْها المَودَّةُ والوَصْل
لَمَا خُنْتُ عَهْدا من إخاء ولانَأَى بِذِكْرِك نَأْىٌ عن ضميرى ولاشُغْل

وإنِّىَ فى مالى وأهلى كأنَّنى لِنَأْيِك لا مالٌ لدىَّ ولا أهل
يُذَكِّرُنيكَ الدِّينُ والفضلُ والحِجا وقِيلُ الخَنَا والحِلْمُ والعلمُ والجهل
فألْقاك عن مذمومها متنزِّهـــا وألقاك فى محمودها ولك الفضل
وأحْمَدُ من أخلاقك البُخْلَ إنه بعِرْضِك لا بالمال حاشا لك البُخْل.
أمُنْتَجِعًا مَرْوًا بأثْقَال هِمَّةٍ دَعِ الثِّقْلَ واحمل حاجةً مالها ثِقْل
ثناءً كعَرْف الطِّيب يُهْدَى لأهله وليس له إلا بَنِى خالدٍ أهل
فإن أَغْشَ قومًا بعدهم أو أزُورهم فكالوَحْشِ يَسْتَدْنِيه للقَنَصِ المَحْل

وروى جحظة : يُدْنِيه من الأنس المحل . وأنشدنا بعض أصحابنا قال : أنشدنى عمرو بن بحر الجاحظ :

أنا أبكى خَوْفَ الفِراق لأنى بالذى يَفْعَلُ الفـــراقُ عليم
أنـــا مُسْتَيْقِن بأن مُقَـــامى ومَسِير الحبيب لا يســـتقيم

قال أبو على : وقرأت على أبى بكر بن دريد لجميل :

رَحَلَ الخَلِيطُ جِمالهم بسَـــواد وحَدَا على أثَرِ البَخِيلة حـــادى
ما إن شَعَرْتُ ولا سَمِعْت ببَيْنِهم حتى سمعت به الغرابَ ينادى
لما رأيتُ البينَ قلت لصاحبى صَدَعَتْ مُصَدِّعَةُ القلوب فؤادى
بانوا وغُودرَ فى الديار مُتَيَّم كَلِفٌ بذكرِكِ يابُثَيْنَةُ صادى

وقال أبو زيد : من أمثال العرب : « تَفْزَعُ من صوت الغراب وتَفْتَرِس الأسدَ المُشَبَّم » وهو الذى قد شُدَّ فُوهُ ، وذلك أن امرأة افترست أسدا وسمعت صوت غراب فَفَزِعت منه ، يقال ذلك للذى يخاف اليسير من الأمور وهو جرىء على الجسيم . ويقال : « كالمُشْتَرِى القاصِعاءَ باليَرْبُوع » يقال ذلك للذى يَدَعُ العين ويتبع الأثر ويختار مالا ينبغى له . ويقال : « رُوغِى جَعَارِ وانْظُرِى أيْنَ المَفَرّ » يضرب مثلا للذى يَهْرُب ولا يقدر أن يفلت صاحبه . ويقال : « كَلْبٌ اعْتَسَّ خَيْرٌ من كَلْبٍ رَبَض » يقال ذلك إذا طَلَب رجل الخير وقَعَدَ آخرُ فلم يطلب . وقال يعقوب بن السكيت :

يقال : قَطَبَ يَقْطِب قُطُوبا وهو قاطب إذا جمع ما بين عينيه ، وٱسم ذلك الموضع المَقْطِب ، ومنه قيل : الناس قَاطِبَةٌ ، أى الناس جَمِيعٌ ، ويقال : قَطَبَ شرابه إذا مَزَجَه فَجَمَع بين الماء والشراب . ويقال : عَبَس يَعْبِس عُبُوسا ، وبَسَر يَبْسُر بُسُورا . ويقال : رجل أَبْسَلُ وباسِلٌ ، أى كريه المَنْظَر ، ويقال : تَبَسَّل فى عينيه ، أى كَرُهَتْ مَرْآتُه ، قال أبو ذؤيب :

فكنت ذَنُوبَ البئر لما تَبَسَّلَتْ وسُرْبِلْتُ أكفانى ووُسِّدْتُ ساعدى

قال أبو زيد : يقال : دَهَيْتُ الرجلَ أَدْهاه دَهْيًا ، أى عِبْته وٱغْتَبْتُه وٱغْتَبْته ونَقَصْتُه . ويقال : نَجَهْت الرجلَ أَنْجَهُه نَجْها ، وجَبَهْتُه أَجْبَهُه جَبْهًا ، والأسم الجَبِيهة والنَّجْه ، والمعنى واحد ، وهو ٱستقبالُك الرجل بما يكره ، وهو رَدُّك الرجل عن حاجة طلبَكَها ، وأنشد :

حُيِّيتَ عَنَّـا أيُّها الوَجْهُ ولغَيْرِك البَغْضـاءُ والنَّجْه

ويقال : نَدَهْتُ الإبل أَنْدَهُها نَدْهًا ، وهو السَّوْق للإبل مجتمعة ، والثلاث من الإبل تُنْدَه إلى مابَلَغَتْ ، وإذا سِيقَ البعيرُ وَحْدَه فقد يُقْتَاس له من النَّدْه ، فيقال : بَعِير مَنْدُوهٌ ، ويقال : عند فلان نَدْهَة من صامت أو ماشية ، ونُدْهة وهى العشرون من الغنم ونحوُها والمائةُ من الإبل أو قُرَابَتُها ، ومن الصامت الأَلْفُ أو نَحْوُه .

[مطلب خطبة هانئ بن قبيصة فى قومه يحرضهم على الحرب يوم ذى قار]

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبوحاتم عن أبى عبيدة قال : قال هانئ بن قَبِيصة الشيبانىّ لقومه يوم ذى قار وهو يُحَرِّضهم : يامعشر بَكْرٍ ، هالكٌ معذور ، خيرٌ من ناجٍ فَرُور ، إن الحذر لايُنْجِى من القَدَر ، وإن الصبر من أسباب الظَّفَر ، المَنِيَّة ولاالدَّنِيَّة ، ٱستقبالُ الموت خيرٌ من ٱستدباره ؛ الطَّعْن فى ثُغَر النحور ، أكرم منه فى الأعجازو الظهور . ياآل بكر ، قاتلوا فما للْمنَايا منْ بُدٍّ .

وقرأت على أبى بكر بن دريد لحُمَيْد بن ثور الهلالىّ :

ولقد نَظَرْتُ إلى أغَـرَّ مُشَهَّرٍ بِكْرٍ تَوَسَّن بالخَمِيلة عُـونا

مُتَسَنِّمٍ سَنِماتِهـا مُتَفَجِّسٍ بالهَدْرِ يمـلأُ أنفسـا وعيونا
لَقِحَ العِجافُ له لسابعِ سَبْعَةٍ وشَرِبْنَ بَعْدَ تَحَلُّؤٍ فَرَوِينـا

يعنى بأغَرّ: سحابا فيه برق أو هو أبيض. وبِكْرٍ: لم يُمْطِر قبل ذلك. وتوسَّن: طرَقَها ليلا عند الوَسَن، أى وقت اختلاط النُّعاس بعيون الناس، يقال: تَوَسَّنْت الرجلَ، أى أتيته وهو وَسْنان، والخَمِيلة: رَمْلة كثيرة الشجر. وعُون جمع عَوَان، وهى الأرض التى قد أصابها المطر مرة، وهذا مثل وأصله فى النساء؛ قال الكسائىّ: العَوَانُ: التى قد كان لها زوج، ومنه قيل: حَرْبٌ عَوَانٌ. وقوله: مُتَسَنِّم، شبهه بالبعير الذى يَتَسَنَّم أسْنِمة الإبل، أى يعلوها. والسنمات: العظام السَّنَام، يريد أن هذا السحاب كأنه يَتَسَنَّم التِّلال والآكام، أى يعلوها؛ وهو مَثَل. ومُتَفَجِّس: متكبر. بالهَدْر: يعنى رَعْدَهُ. وقوله: يملأ أنفسنا: تعجبا منه، وقال بعضهم: لهَوْلها. ولَقِحَتْ: نَبَتَت عُشْبُها. والعِجاف: الأرضون التى لم تُمْطَر، وهو مثل. بعد تَحَلّؤ: بعد مَنْعٍ من الماء.

قال أبوعلىّ: وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن قال سمعت عمى يحدث سُوَّان أبا العباس ابن عمه ـ وكان من أهل العلم ـ قال: سَهِرْت ليلةً من لَيَالِىَّ بالبادية، وكنت نازلا عند رجل من بنى الصَّيداء من أهل القَصِيم، وكان ـ والله ـ واسِعَ الرَّحْل، كَرِيمَ المَحَلّ؛ فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق، فأتيت أبا مَثْوَاىَ فقلت: إنى قد هَلِعْتُ من الغُرْبة واشْتَقْت أهلى، ولم أفِدْ فى قَدْمَتِى هذه إليكم كبير علم، وإنما كنت أغْتَفِر وَحْشة الغُرْبة وجَفاء البادية للفائدة، فأظهر تَوَجُّعا، ثم أبْرَزَ غَداءً له فتغدّيت معه، وأمرَ بناقة له مَهْرِيَّة كأنها سَبِيكة لُجَيْن فارتَحَلها واكْتَفَلَها؛ ثم ركب وأرْدَفَنِى وأقبَلَها مَطْلِع الشمس، فما سِرْنا كبير مسير حتى لَقِيَنَا شيخٌ على حمار له جُمَّةٌ قد ثَمَغَها كالوَرْس فكأنها قُنَّبِيطة، وهو يترنَّم: فسلم عليه صاحبى وسأله عن نَسَبه؛ فاعتزَى أسَدِيًّا من بنى ثَعْلَبة؛ فقال: أتنشد أم تقول؟ فقال: كُلاًّ؛ فقال: أين تَؤُمّ؟ فأشار إلى ماء قريب من الموضع الذى نحن فيه؛

فأناخ الشيخ وقال لى : خُذْ بيد عمك فأنزِلْه عن حماره ، ففعلت ؛ فألقى له كِيساً قد كان اكْتَفَل به ، ثم قال : أنشدنا – رحمك الله – وتَصَدَّقْ على هذا الغريب بأبيات يَعِيهنّ عنك ويذكرك بهن ؛ فقال : إى ها الله إذًا ! ثم أنشدنى :

لقد طال يا سَوْداء منكِ المَوَاعِدُ ودُونَ الجَدَا المأْمول منك الفَراقِدُ
إذا أنت أُعْطِيتَ الغنى ثم لم تَجُدْ بفَضْل الغِنى أُلْفِيت مالَكَ حامد
تُمَنِّيننا غَدًا وغَيْمُكُم غـدا ضَبابٌ فلا صَحْوٌ ولا الغيم جائد
وقَلّ غَناءً عنكَ مالٌ جَمَعْتَه إذا صار ميراثا وَوَاراكَ لاحد
إذا أنت لم تَعْرُكْ بجَنْبِك بَعْضَ ما يَريبُ من الأَدْنَى رَمَاكَ الأَباعد
إذا الحِلْمُ لم يَغْلِبْ لك الجهلَ لم تزَل عليك بُرُوقٌ جَمَّةٌ ورواعد
إذا العزم لم يَفْرُجْ لك الشَّكَّ لم تزل جَنِيبًا كما استَتْلَى الجَنِيبة قائد
إذا أنت لم تترك طعاما تُحِبُّه ولا مَقْعَدًا تُدْعَى إليه الوَلائد
تَجَلَّلْت عارا لا يزال يَشُبُّه سِبَابُ الرجال نَثْرُهم والقَصائد

وأنشدنى أيضا :

تَعَزَّ فإنّ الصبر بالحُرّ أَجْمَل وليس على رَيْبِ الزمان مُعَوَّل
فلو كان يُغْنِى أن يُرَى المرءُ جازِعا لنازلة أو كان يُغْنِى التَّذَلُّل
لكان التَّعَزِّى عند كل مُصيبة ونازلة [بالحر] أولى وأجمل
فكيف وكُلٌّ ليس يَعْدُو حِمامَه وما لامرئٍ عما قَضَى الله مَزْحَل
فإن تكن الأَيام فينا تَبَدَّلَتْ ببُؤْسٍ ونُعْمَى والحوادث تَفْعَل
فما لَيَّنَتْ مِنّا قَناةً صَلِيبةً ولا ذَلَّلَتْنا للذى ليس يَجْمُل
ولكن رحَلْناها نفوسا كريمة تُحَمَّل ما لا يُسْتطاع فَتَحْمِل
وَقَيْنا بعَزْم الصبرِ مِنّا نفوسَنا فَصَحَّتْ لنا الأَعراضُ والناسُ هُزَّل

قال أبو بكر قال عبد الرحمن قال عمى : فقمت والله وقد أُنْسِيت أهلى ، وهان علىَّ طُول الغربة وشَظَفُ العيش سرورا بما سمعت ؛ ثم قال لى : يابنىّ ، من لم تكن ٱستفادةُ الأَدب أَحَبَّ إليه من الأَهل والمال لم يَنْجُب . وأنشدنا أبو بكر قال : أَنشدنى أبو عثمان :

إذا ما فقدتُمْ أَسْوَدَ العين كُنْتُمُ ... كراما وأنتم ما أَقـــامَ أَلَائِم

أَسْود العين : جبل ، والجَبَل لا يَغِيب ، يقول : فأَنتم لئام أَبدا . وقرأت عليه لعَدِىّ بن زيد يصف فرسا :

أَحالَ عليه بالقَنَاة غـــلامُنـــا ... فأَذْرِعْ به لخَلَّةِ الشاة راقعـــا

أَذرع به ، أى ما أَذرعَه ، أَى ما أَسرعه ! وقوله : لخلة الشاة راقعا ، أَى يَلْحَقُها فَيَرْقَع مابينه وبينها من الفُرْجة حتى لايكون بينهما فُرْجة ؛ وحكى عن خلف الأَحمر أنه قال : يَعْدُو الفرسُ وبين الشاتين خَلَّةٌ ، أَى فُرْجة فيدخل بينهما فكأَنه رَقَعَ الخلة بنفسه لَمَّا سار فيها .

[مطلب وصف بعض الأعراب المطر وشرح غريبه]

وحدثنا أَبو بكر قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أَعرابىّ عن مَطَر فقال : ٱسْتَقَلَّ سُدٌّ مع ٱنتشار الطَّفَل ، فَشَصَا وٱحْزَأَلّ ؛ ثم ٱكْفَهَرَّت أَرجاؤه ، وٱحْمَوْمَتْ أَرحاؤه ؛ وٱبْذَعَرَّتْ فَوارِقه ، وتَضَاحَكَتْ بَوَارِقُه ، وٱسْتَطَار وادِقُه ؛ وٱرْتَتَقَتْ جُوَبُه ، وٱرْتَعَنَ هَيْدَبُه ؛ وحَشَكَتْ أَخلافُه ، وٱسْتَقَلَّتْ أَردافُه ، وٱنتشرت أَكنافه ؛ فالرَّعْد مُرْتَجِس ، والبرق مُخْتَلِس ، والماء مُنْبَجِس ، فأَتْرَعَ الغُدُر ، وٱنْتَبَثَ الوُجُر ؛ وخَلَطَ الأَوعال بالآجال ، وقَرَنَ الصِّيران بالرِّئال ؛ فللأَودية هَدِير ، وللشِّرَاج خَرِير ، وللتِّلَاع زَفِير ، وحَطَّ النَّبْعَ والعُتْم ، من القُلَل الشُّمّ ، إلى القِيعَان الصُّحْم ؛ فلم يَبْقَ فى القُلَل إلا مُعْصَمٌ مُجْرَنْثِم ، أَوداحصٌ مُجْرَجَم ؛ وذلك من فضل رب العالمين على عباده المذنبين .

قال أبو علىّ : السُّدُّ : السحاب الذى يَسُدُّ الأُفق ، وهذا قول أَبى بكر ؛ وقال

أبونصر عن الأصمعىّ : جاءنا جَرَادٌ سُدٌّ إذا سدّ الأُفق . والطَّفَل : العَشِىُّ إلى حدّ المغرب . وشَصَا : ٱرْتَفَعَ ، ويقال : شصا برجله إذا رفعها عند الموت ، وشصا الزِّقُّ إذا ٱمتلأ وٱرتفعت قوائمه . ويقال : شصا بَصَرُه يَشْصُو شُصُوًّا إذا طَمَحَ ، وطمح معناه ٱرتفع ، ولهذا قيل للدابة : طَمُوح إذاكان يرفع رأْسه حتى يُفْرِط . وٱحْزَأَلّ : ٱرتفع أيضا . وٱكْفَهَرّ وٱكْرَهَفّ :تَرَاكَم ، والمُكْفَهِرٌّ والمُكْرَهِفٌّ من السحاب : الذى يركب بعضه بعضا . وأَرجاؤه : نواحيه ، واحدها رَجًا مقصور . وٱحْمَوْمَتْ : ٱسْوَدّت ؛ والحُمَّة : سواد تعلوه حمرة. وأَرحاؤه واحدها رَحًا وهو أوساطه . وٱبْذَعَرَّت : تفرّقت . والفَوَارِق واحدها فارق ، وهو السحاب الذى ينقطع من مُعْظَم السحاب ، وهذا مَثَلٌ وأَصله فى الإبل ، يقال : ناقة فارق ، وهى التى تَنِدُّ عن الإبل عند نتاجها ؛ قال الكسائى : فَرَقَتْ تَفْرُق فُروقا . وٱستطار: ٱنتشر . والوادِق : الذى يكون فيه الوَدْق ، وهو المَطَر العظيم القطر ، ويكون الدانى من الأَرض ، يقال : ودَقَ يَدِق إذا دنا ، والوَدِيقة من هذا ، وهى شدّة الحر ؛ لأَن حرارة الشمس تدنو من الأَرض . وارْتَتَقَتْ : ٱلْتَأَمَتْ . وجُوَبُه : فُرَجُه . وارْتَعَنَ : ٱسترخى . والهَيْدَب : الذى يتدلَّى ويدنو من الأَرض ، مثل هُدْب القَطِيفة . وحَشَكَت : امتلأَت ، قال زهير :

كما ٱسْتَغَاث بِسِىٍّ فَــزُّ غَيْطَلَة خافَ العيونَ فلم يُنْظَر به الحَشَك

قال الأَصمعىّ : إنما هو الحَشْك فحرّكه للضرورة ، كما قال رؤبة :

* مُشْتَبِه الأَعلام لَمَّاع الخَفَق *

وإنما هو الخَفْق . والخِلْف : مايقبض عليه الحالبُ من ضَرْع الشاة والبقرة والناقة . وٱستَقَلَّت : ٱرتفعت . وأَردافُه: مآخِيرُه . والأَكناف : النَّواحى . ومُرْتَجِس : مُصَوِّت ، والرَّجْس : الصوت . ومُخْتَلِس ، كأَنه يختلس البصرَ لشدّة لمعانه . ومُنْبَجِس : منفجر . وأَتْرَعَ : ملأَ ، والغُدُر : جمع غَدِير . وٱنْتَبَثَ : أَخرج نَبِيثَتها ، وهو تراب البئر والقبر. يريد أن هذا المطر لشدّته هَدَمَ الوُجُر ، وهى جمع وِجَار ، وهو سَرَب الثَّعْلب والضَّبُع ، حتى أَخرج ما داخلها من التراب ، والأَوعال : واحدها وَعِل ، وهو التيس الجبلىّ . والآجال: جمع واحدها إِجْلٌ ، وهو القَطِيع من البقر . يريد أَنه لشدّته حَمَلَ

الوعولَ وهى تسكن الجبال ، والبقر وهى تسكن القِيعان والرمال ، فجمع بينهما . وقوله : وقَرَن الصِّيران بالرِّئال ، فالصِّيران واحدها صُوارٌ وصِيَار أيضا ، وهو القطيع من البقر . والرِّئال : فراخ النَّعام ، واحدها رألٌ مهموز ، فالرئال تسكن الجَلَد ، والصيران تسكن الرمال والقيعان ، فقرن بينهما . وهَدِير : صَوْت كهدير الإبل . والشِّراج : مَجَارِى الماء من الحِرَار إلى السهولة . والتِّلاع : مجارى ما ارتفع من الأرض إلى بطن الوادى ، فإذا اتسعت التَّلْعة حتى تصير مثل نصف الوادى أو ثلثيه ، فهى مَيْثاء . فإذا عَظُمَت فوق ذلك ، فهى مَيْثاء جِلْواخ . والنَّبْع : شجر يتخذ منه القِسِىُّ ينبت فى الجبال . والعُتُم : الزيتون الجبلىّ ؛ قال الشاعر[1] :

تَسْتَنُّ بالضَّرْو مِنْ بَرَاقِش أَو هَيْـــلان أو ناضرٍ من العُتُم

تستن : تستاك . والضرو : البُطْم ، وهو الحبة الخضراء . والقُلَل : أعالى الجبال . والشُّمُّ : المرتفعة . والقِيعان : واحدها قاع ، وهى الأرض الطيبة الطين الحُرَّة . والصُّحْم : التى تعلوها حمرة واحدها أَصْحَم . والمُعْصِم : الذى قد تَمَسَّك بالجبال وامتنع فيها ، ويقال للرجل الذى يُمْسِك بعُرْف فرَسه خوف السقوط : مُعْصِم ؛ قال طُفَيْل :

إذا ماغدا لم يُسْقِط الرَّوْعُ رُمْحَه ولم يشهد الهَيْجا بأَلْوَثَ مُعْصِم

وألْوث : ضعيف . والمُجْرَنْثِم : المتقبض . والداحص : الذى يَفْحَص برجليه عند الموت ؛ قال عَلْقَمة بن عَبَدَة :

رغا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السماء فداحِصٌ بشِكَّتِهِ لم يُستَلَبْ وسَلِيب

والمُجَرْجَم : المصروع .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : سمعت أعرابيا من غَنِىٍّ يذكر مطرا صاب بلادَهم فى غِبِّ جَدْب فقال : تَدَارَك ربُّك خَلْقه وقد كَلِبت الأمحال ، وتقاصرت الآمال ، وعَكَفَ اليَاس ، وكُظِمَتِ الأنفاس ، وأصبح الماشى مُصْرِما ، والمُتْرِب مُعْدِما ، وجُفِيَت الحلائل ، وامْتُهِنَت العَقائل ، فأنشأ سحابا رُكَاما ،

(١) الشاعر هو النابغة الجعدى ، كما فى اللسان مادة « برقش » .

كَنَهْوَرًا سَجَّاما ؛ بُرُوقه متألِّقة ، ورُعُوده مُتَقَعْقِعة ؛ فَسَحَّ ساجيا راكدا ، ثلاثا غير ذى فُوَاق ؛ ثم أَمَرَ رَبُّك الشَّمال فَصَحَرت رُكامه ، وفَرَّقَت جَهَامَه ؛ فانْقَشَع محمودا ، وقد أَحيا وأَغنى ، وجاد فأَرْوَى ؛ والحمد لله الذى لا تُكَتُّ نِعَمه ، ولا تَنْفَد قِسَمُه ؛ ولا يَخِيبُ سائلُه ولا يَنْزُر نائله .

قال أبوعليّ : قوله : صاب : جاد ، والصَّوْب : المطر الجَوْد. وكَلِبَتْ : اشتدّت ، وكذلك كَلِبَ الشتاء . والأمحال جمع مَحْل ، وهو القحط . وعكف : أقام ؛ قال الراجز :

مَحَلُّها إن عَكَفَ الشَّفِيف الزَّرْبُ والعُنَّة والكَنِيف

الشفيف : البَرْد . والعُنَّة : الحَظِيرة يحبس فيها الإبل ، ومنه قيل للبعير : مُعَنّى ، وهو الذي قد هاج فحبس فى العُنَّة ، ويكون مُعَنًّى من التعنية وهو الحبس ، وهذا هو الوجه ، لأنه إذا جعل مُعَنًّى من العُنَّة وجب أن يكون الأصل مُعَنَّنًا ، ثم أبدل من النون الأخيرة ياء ، كما فُعِل بتَظَنَّيْت ، وأصله تَظَنَّنْت. وكُظِمَت : ردّت إلى الأجواف ، يقال : كَظَمَ غَيْظَه إذا حبسه . والماشى : صاحب الماشية ، يقال : مَشَى الرجل وأَمْشَى إذا كثرت ماشيته ؛ قال الشاعر (١) :

وكلُّ فتًى وإن أَمْشَى وأَثْرَى سَتَخْلِجُه عن الدُّنْيا مَنُون

والمُصْرِم : المقارِبُ المال المُقِلُّ ، كذا قال أبو زيد والأَصمعىّ ؛ وأنشدنا الأَصمعىّ للمعلوط :

يصدُّ الكِرَامُ المُصْرِمُون سَوَاءها وذو الحق عن أقرانها سَيَحِيد

والمُتْرِب : الغَنِىُّ الذى له المال مثل التراب كثرة ، يقال : أَتْرَبَ الرجلُ إذا استغنى ، وتَرِب إذا افتقر ، كأنه لَصِق بالتراب . وامْتُهِنَت : اسْتُخْدِمت واعْتُمِلَتْ ، يقال : مَهَنْت القومَ أَمْهَنهم مِهْنَة ومَهْنة ومَهْنا ، أَتَى بها اللحيانى ثَلَاثَتَها . والعَقَائل : الكرائم واحدتها عَقِيلة . وأَنشأَ : أَحدث . والنَّشْءُ : السحاب أوّل ما يخرج . والكَنَهْوَر :

(١) الشاعر هو النابغة الذبيانى كما فى اللسان مادة « مشى » .

قِطَع كأنها الجبال ،واحدتها كَنَهْوَرة. وسَمجَّام :صَبَّاب. ومُتَألِّقة :لامعة. ومُتَقَعْقِعة : مُصَوِّتة ، والقَعْقَعه : صوت السلاح وما أشبهه ، ويقال : إن قُعَيْقِعان ـ وهو جبل بمكة ـ سمي بذلك لتَقَعْقُع السلاح لحرب كانت فيه . وسَحّ : صَبَّ ، سَحَحْته أَسُحُّه سَحًّا ؛ أنشدنى أبو بكر بن دريد قال أنشدنى عبد الرحمن عن عمه :

وَرُبَّتَ غارةٍ أَوْضَعْتُ فيهــا كَسَحِّ الهَاجِرِىِّ[1] جَرِيمَ تَمْر

وساجٍ :ساكن ،يقال:ليلة ساجِيَة وساكِرَةٌ وساكنة بمعنى واحد ؛ قال الحادى[2] :

يا حَبَّذَا القَمْراءُ والليلُ الساجْ وطُرُقٌ مِثْلُ مُـــلَاء النَّسَّاج

وراكد : ثابت. والفُوَاق : أن يَصُبَّ صَبَّةً ثم يسكن ثم يصب أُخرى ثم يسكن ،مأخوذ من فُوَاق الناقة ، وهو مابين الحَلْبتين ،كأنه يَحْلُب حَلْبة ثم يسكن ثم يحلب أُخرى ثم يسكن. وطَحَرَتْ : أَذْهَبَت وأبعدت ، ومنه قيل : سَهْمٌ مِطْحَر إذا كان بعيد الذهاب ؛ قال أبو كبير الهذلىّ :

لَمَّا رأى أَن ليس عنهم مُقْصِرٌ قَصَرَ الشِّمال بكل أَبْيضَ مِطْحَر

ورُكَامُه : ماتراكم منه. والجَهَام : السحاب الذى قد هَرَاق ماءه. وتُكَتُّ : تُحْصَى ؛ أنشدنى أبو بكر بن دريد :

إلَّا بِجَيْشٍ لايُكَتُّ عَدِيدُه سُودِ الجلود من الحديد غِضابِ

ويَنْزُر : يَقِلُّ ، ومنه قيل : امرأة نَزُورٌ إذا كانت قليلة الولد.

وحدثنى غير واحد من أصحاب أبى العباس أحمد بن يحيى النحوىّ أنه قال: كلُّ شىء يَعِزُّ حين يَنْزُرُ إلا العِلْم ، فإنه يَعِزُّ حين يَغْزُر . وقال الأصمعىّ : من أمثال العرب «أَسْمَعُ جَعْجَعَة ولا أَرَى طِحْنا » أى أسمع جَلَبةً ولا أرى عملا ينفع.

قال أبو علىّ : الجعجعة : صوت الرحا وما أشبه ذلك الصوتَ. والطِّحن : الدقيق. ويقال : «كِلاَ جانِبَىْ هَرْشَى لَهُنَّ طريقُ » يضرب مثلا للأمرين يشتبهان ويستويان

(١) فى اللسان مادة (سحح) : « الخزرجى » والبيت لدريد بن الصمة .

(٢) فى اللسان مادة (سجا) : « الحارثى » .

أىَّ مَأْخَذ أَخَذَتهُما . ويقال : « حِرَّةٌ تَحْتَ قِرَّة » يضرب مثلا للأمر يظهر وتحته أَمْرٌ خَفِيٌّ غيره .

قال أبو على : الحِرَّة : حرارة العطش . والقِرَّة : البَرْد . ويقال : « ضِغْثٌ على إبَّالة » يضرب مثلا للرجل تُكَلِّفه الثِّقْل ثم تزيده على ذلك .

قال أبو عليّ : الإِبَّالةُ : الحُزْمة من الحطب . والضِّغْث : القُبْضة من الحشيش .

[مطلب الكلام على مادة ح س س]

وقال الأصمعيّ : يقال : « جِئ به من حَسِّك وبَسِّك » أى من حيث كان ولم يكن ، وروى أبو نصر : من حيث شئت ، والمعنى واحد ، والحِسُّ والحَسِيس : الصوت ، قال الله عزّ وجل : ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ والحِسُّ : وجع يأخذ المرأة بعد الولادة . والحِسُّ : بَرْدٌ يُحْرِق الكَلأَ .

ويقال : أصابتنا حاسَّة ، ويقال : البَرْد مَحَسَّة للنبت ، أى يحرقه ، ويقال : ضَرَبَه فما قال : حَسِّ مكسور ، وهى كلمة تقال عند الجزَع ؛ قال الراجز (١) :

فما أراهم جَزَعًا بِحَسِّ   عَطْفَ البَلايا المَسَّ بَعْدَ المَسِّ

ويقال : اشْتَرِ لى مَحَسَّةً للدابة . والحُسَاس : سَمَك صِغَار يجفف يكون بالبحرين . وقال اللحيانى : الحُسَاس : الشُّؤْم والنَّكَد ، وأنشدنا أبو زيد :

رُبَّ شَرِيبٍ لك ذى حُسَاسِ   أَقْعَسَ يَمْشِى مِشْية النِّفاس

* لَيْسَ بِرَيَّان ولا مُوَاسِى *

ويقال : انْحَسَّت أسنانُه إذا تكسرت وتَحَاتَّتْ ؛ قال العجاج :

فى مَعْدِنِ المُلْك القدِيم الكِرْس   ليس بمَقْلُوعٍ ولا مُنْحَسِّ

ويقال :حَسَسْتُهُم إذا قتلتهم ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ . ويقال : أَحْسَسْتُ بالخبر وحَسَسْت به وأَحَسْت به وحَسِيت به ؛ قال أبو زبيد :

خَلا أن العِتَاق من المَطَايا   حَسِينَ بـه فَهُنَّ إليـه شُوسُ

(١) الراجز هو العجاج كما فى اللسان مادة : « حسس » .

ويقال : حَسَسْت له أَحِسّ ، أى رَقَقْت له ، يقال : إنى لأَحِسّ له ، أى أَرِقّ له وأَرْحَمُه ، قال القطامىّ :

أخوك الذى لا تَمْلِكُ الحِسَّ نَفْسُه وتَرْفَضُّ عند المُحْفِظات الكَتَائف

والكَتَائف جمع كَتِيفة ، وهى هاهنا الحِقْد . والكَتِيفة أيضا : ضَبَّة الحديد ؛ وقال أبو نصر : الكَتِيفة : بَيْضَة الحديد ، ولا أعرف هذه الكلمة عن غيره . يقول : أخوك الذى إذا رآك فى شِدة لم يَمْلِك أن يَرِقّ لك ، وقال الأصمعىّ : يقال : إنّ البَكْرىّ لَيَحِسّ للسَّعْدِىّ ، أى يَرِقّ له . وقرأنا على أبى بكر بن دريد :

إذا تَجَافَيْنَ عن النَّسَـــائجِ تَجافِىَ البِيض عن الدَّمـــالجِ

يعنى : إبلا ، يقول : بِهِنّ جِراح من حُزُمِهِنّ ، فهنّ يَتَجافَين عنها كما تَجَافَى النساء عن دَمَالِجِهن إذا بَرَدَت عليهن .

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة النحوىّ المعروف بنفطويه وقرأته على أبى عمر المطرز فى أمالى أبى العباس أحمد بن يحيى للحسين بن مطير الأسدىّ :

مُسْتَضْحِـكٌ بِلَوامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ بمدامعٍ لم تَمْرِها الأَقْـــذاء
كثُرَتْ لكثرة وَدْقِه أطبـــاؤه فإذا تَحَلَّب فاضَتِ الأَطْبـــاء
فَلَهُ بلا حَـــزَنٍ ولابَمَسَرَّةٍ ضَحِكٌ يُراوِح بَيْنَـــه وبكاء
وكأَنَّ عارضَه حَرِيقٌ يَلْتَقِى أَشَبٌ عليــه وعَرْفَجٌ وأَلاء
لو كان من لُجَجِ السَّواحِلِ ماؤه لم يَبْقَ فى لُجَجِ السواحل ماء

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا الرياشىّ عن أبى عبيدة لعَبِيد بن الأبرص :

يامَنْ لِـبَرْقٍ أَبِيتُ الليلَ أَرْقُبُه فى عارضٍ كَمُضِىءِ الصُّبْح لَمَّاح
دان مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدَبُه يكاد يدفعه من قام بالراح
كأَنَّ رَيِّقَه لمـــا علا شَطِبًا(١) أَقْرابُ أَبْلَقَ يَنْفِى الخيلَ رَمَّاح

---

(١) شطب : جبل .

يَنْزِعُ جِلْدَ الحَصَى أَجَشّ مُبْتَرِك ... كأنه فاحِصٌ أو لاعِبٌ داحى
فَمَنْ بنَجْوَتِه كَمَنْ بمَحْفِلِه ... والمُسْتَكِنُّ كَمَن يَمْشى بِقِرْواح
كأنَّ فيه عِشارًا جِلَّةً شُرُفا ... شُعْثًا لَهَامِيمَ قد هَمَّتْ بإرْشاح
هُدْلًا مَشَافِرُها بُحًّا حَناجِرُها ... تُرْخِى مَرَابِعَها فى صَحْصَح ضاحى

وأنشدنا بعض أصحابنا لكُثَيِّر :

فالمُسْتَكِنُّ ومَن يَمْشِى بمَرْوتِه ... سِيَّانِ فيه ومَنْ بالسَّهْل والجَبَل

وأنشدنا للحمانى :

دِمَنٌ كأنَّ رياضَهـا ... يُكْسَيْنَ أَعْلامَ المطَارِفْ
وكأنَّمـا غُدْرَانُهـا ... فيها عُشُورٌ فى مصاحف
وكأنَّمـا أنوارُهـا ... تَهْتَزُّ بالرِّيح العَوَاصِف
طُـرَرٌ الوَصَائف يَلْتَقِيـ ... ـنَ بها إلى طُرَرِ الوَصائف
باتَتْ سَـوَاريها تَمَخَّـ ... ـضُ فى رَوَاعِدِها القَوَاصِف
ثُمَّ انْبَرَتْ سَحًّا كمـا ... كِيَةٍ بـأَرْبَعَة ذَوَارِف
وكأنَّ لَمْـعَ بُـرُوقِها ... فى الجَـوِّ أَسْيـافُ المُشَاقِف

وأنشدنا أبو بكر لعبيد :

سـقى الرَّبـابَ مُجَلْجِل الْـ ... أَكناف لَمَّـاعٌ بُـرُوقُهْ
جَوْنٌ تُكَفْكِفُـه الصَّبـا ... وَهْنًـا وتَمْـرِيه خَرِيقُه
مَرْىَ العَسِيفِ عِشـارَهُ ... حَتَّى إذا دَرَّتْ عُـرُوقُه
ودَنـا يُضِىءُ رَبـابُـه ... غابًا يُضَرِّمُـه حَرِيقُـه
حَتَّى إذا مـا ذَرْعُـه ... بالمـاء ضـاق فمـا يُطِيقُه
هَبَّتْ لـه مِنْ خَلْفِـه ... رِيحٌ شـآمِيَـةٌ تَسُـوقه
حَلَّتْ عَزَالِيَـه الجَنُـو ... بُ فَثَجَّ واهيـةً خُروقُـه

وقرأت على أبى بكر لكُثير :

تَسْمَعُ الرَّعْدَ فى المُخِيلةِ منها مِثْلَ هَزْمِ القُروم فى الأَشْوَال
وتَرَى البَرْقَ عارِضًا مُسْتَطِيرا مَرَحَ البُلْقِ جُلْنَ فى الأَجْلال
أو مَصَابِيحَ راهبٍ فى يَفَاعٍ سَغَّمَ الزَّيْتَ ساطعاتِ الذُّبال

وقرأت عليه لِكُثَيِّر :

أَهاجَكَ بَرْقٌ آخرَ اللَّيْلِ وَاصِبُ تَضَمَّنَهُ فَرْشُ الجَبَا فالمَسَارِبُ
يَجُرُّ ويَسْتَأْنِى نَشاصًا كَأَنَّه بِغَيْقَةَ حادٍ جَلْجَلُ الصَّوْتَ جَالِبُ
تألَّق واحْمَوْمَى وخَيَّمَ بالرُّبا أَحَمُّ الذُّرَى ذو هَيْدَبٍ متراكِبُ
إذا حَرَّكَتْه الريحُ أَرْزَمَ جانبٌ بلا هَزَقٍ منه وأَوْمَضَ جانب
كما أَوْمَضَتْ بالعَيْن ثم تَبَسَّمَتْ خَرِيعٌ بدا منها جَبِينٌ وحاجبُ
يمجُّ النَّدى لا يذكُر السير أهله ولا يرجع الماشى به وهو جادِبُ

وأنشدنا بعض أصحابنا لعبد الله بن المعتز :

ومُزْنة جادَ من أجفانها المَطَرُ فالرَّوْضُ مُنْتَظِمٌ والقَطْر مُنْتَثِرُ
تَرَى مَوَاقِعَهُ فى الأَرض لائحةً مِثْلَ الدَّراهم تَبْدُو ثم تَستَتِرُ

وأنشدنى له أيضا :

ما تَرى نِعْمةَ السَّماء على الأَرْ ض وشُكْرَ الرِّياضِ للأَمطار
وكأنَّ الرَّبيعَ يَجْلُو عَروسًا وكأنّا من قَطْرِه فى نِثَار

وأنشدنى له أيضا :

ومُوقَرةٍ بِثِقْلِ الماء جاءت تَهادَى فوق أعناق الرياح
فجادَتْ لَيْلَها وَبْلًا وَسَحًّا وهَطْلًا مثل أفواه الجِراح

ولابن المعتز فى وصف السحاب :

كأَن الرَّبَابَ الجَوْنَ والفجرُ ساطع دُخَانُ حَرِيقٍ لا يُضِيء له جَمْر

وأنشدنى بعض أصحابنا لأبى الغمر الجبلىّ :

نَسَجَتْه الجَنُوب وهو صَنَاعٌ ... فَتَرَقَّى كأنَّه حَبَشِىٌّ

وقَرَى كلَّ قَرْيةٍ كان يَقْرُو ... ها قِرًى لا يَجِفُّ منه القَرِىُّ

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى فى صفة سحابة :

كأنَّه لَمَّا وَهَى سِقَاؤه ... وانْهَلَّ من كلِّ غَمَامٍ ماؤه

* حَمٌّ إذا حَمَّشَه قَلَّاؤه *

قال أبو على : الحَمٌّ : مابَقِى من الشَّحْم إذا أُذيب . وحَمَّشَه : أحرقه . وأنشدنا محمد بن السرى السراج :

بدا البرقُ من أرض الحِجَاز فَشَاقَنِى ... وكلُّ حِجازىٍّ له البَرْقُ شائق

سَرَى مثل نَبْضِ العِرْق والليلُ دونه ... وأعْلام أُبْلَى كلها والأَسَالِقُ

قال أبو على : أخذه منه الطائى فقال :

إليك سَرَى بالمَدْح رَكْبٌ كأنهم ... على المَيْس حَيَّاتُ اللِّصَابِ النَّضَانِضُ

تَشِيمُ بُرُوقًا من نَدَاك كأنَّها ... وقَدْ لاح أُولاها عُرُوقٌ نَوَابِض

وأنشدنى بعض أصحابنا :

أرِقْتُ لبَرْق آخرَ اللَّيْل يَلْمَع ... سَرَى دائبًا منها يَهُبُّ ويَهْجَع

سَرَى كاقْتِذَاء الطير والليلُ ضارب ... بأرْوَاقه والصبحُ قد كاد يَسْطَع

وأنشدنى أيضا بعض أصحابنا :

أرِقْتُ لِبَرْقٍ سَرَى مَوْهِنًا ... خَفِىٍّ كغَمْزِك بالحاجب

كأنَّ تَألُّقَه فى السما ... يَدَا حاسِبٍ أو يَدَا كاتب

ولابن المعتز :

رأيْتُ فيها بَرْقَها مُنْذُ بَدَتْ ... كمثل طَرْف العين أو قَلْبٍ يَجِبْ

ثم حَدَتْ بها الصَّبا حتى بدا ... فيها لِىَ البرقُ كأمثال الشُّهُبْ

تَحْسَبُه فيهـــا إذا مـــا ٱنْصَدَعَتْ أحشاؤهـــا عنه شُجاعًا يَضْطَرِب
وتـــارة تحسبـــه كأنَّـــه أَبْلَقُ مـــال جُلُّه إذا وَثَـــب
حتى إذا ما رَفَعَ اليـومُ الضُّحَى حَسِبْتَه سَلاسِلًا من الذهب

وينشد أصحاب المعانى :

نار تُجَدِّد للعيـــدان تُضْـــرِمُها والنارُ تَلْفَح عِيدانًا فتحترق

وللطائى :

ياسَهْـــمُ للبَرْقِ الذى ٱسْتَطارا ثابَ على رَغْمِ الدُّجَى نهـــارا

* آضَ لنا ماءً وكان نارا *

وأنشدنى بعض أصحابنا لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أما تَرَى اليومَ قد رَقَّتْ حَـواشِيه وقد دَعاك إلى اللَّـذَّات داعيـــه
وجادَ بالقَطْر حتى خِلْتُ أن لـــه إلْفًـــا نـــآه فما يَنْفَـــكُّ يَبْـــكِيه

[مطلب حديث الرواد الذين أرسلتهم مذحج ووصفهم الأرض لقومهم بعد رجوعهم]

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن أبيه عن أشياخ من بنى الحارث بن كعب قالوا : أَجْدَبَتْ بلاد مَذْحِج فأرسلوا رُوَّادا من كل بطن رجلا ، فبعثتْ بنو زَبيد رائدًا ، وبعثت النَّخَع رائدا ، وبعثت جُعْفِيٌّ رائدا ؛ فلما رجع الرُّوَّاد قيل لرائد بنى زبيد : ماوراءك ؟ قال : رأيت أرضًا مُوشِمَةَ البِقَاع ، ناتِجَةَ النِّقَاع ، مُسْتَحْلِسَةَ الغِيطَان ، ضاحكَة القُرْيان ؛ واعدةً وأَحْرِ بوفائها ، راضيةً أرضُها عن سمائها . وقيل لرائد جعفى : ماوراءك ؟ قال : رأيت أرضا جَمَعَت السماءُ أقطارَها ، فأمْرَعَتْ أَصْبارَها ، ودَيَّثَتْ أَوْعَارَها ؛ فبُطْنانُها غمِقَة ، وظُهْرانُها غَدِقة ، ورياضُها مُسْتَوْسِقة ؛ ورقَاقُها رائخ ، وَوَاطِئُها سائخ ؛ وماشِيها مَسْرُور ، ومُصْرِمُها محسور . وقيل للنَّخَعِيّ : ماوراءك ؟ فقال : مَدَاحِى سَيْل ، وزُهَاء لَيْل ، وغَيْلٌ يُواصى غَيْلا ؛ قد ٱرْتَوتْ أَجْرازُها ، ودُمِّثَ عَزَازُها ــ وقال مرة :

ودَمِثَ ـ والْتَبَدَتْ أقوازُها ؛ فَرَائدُها أَنِق ، ورَاعِيها سَنِق ؛ فلا قَضَض ، ولا رَمَض ؛ عازِبُها لا يُفْزَع ، وواردُها لا يُنْكَع ؛ فاختاروا مَرَادَ النَّخَعى .

قال أبو على : قال الأصمعىّ : أَوْشَمَت السماءُ إذا بدا فيها برق ، وأَوْشَمَت الأَرضُ إذا بدا فيها نَبْتٌ ، وأنشد :

* كَمْ من كَعَابٍ كالمَهَاةِ المُوشِمِ[1] *

وهى التى قد نبت لها وَشْمٌ من النبات تَرْعى فيه ، هذا قوله فى كتاب الصفات ، وقال فى كتاب النبات : أَوْشَمَت الأَرضُ إذا بدا فيها شىء من النبات . وناتِحَة : راشِحة ، كذا قال أبو بكر . وقال : المُسْتَحْلِسة : التى قد جَلَّلت الأَرضَ بنباتها ، وقال الأَصمعىّ : اُسْتَحْلَس النَّبتُ إذا غَطَّى الأَرض أوكاد يغطِّيها ، والمعنى واحد . والقُرْيان : مجارى الماء إلى الرِّياض ، واحدها قَرِىٌّ ، وقرأْت على أبى بكر فى كتاب الصفات للعجاج :

* مَاءُ قَرِىٍّ مَدَّه قَرِىٌّ *

وواعدة : تَعِدُ تمامَ نباتها وخيْرِها ، وأنشد الأَصمعى :

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بهنّ وراقَـــهُ   لُعَاعٌ تَهَـــاداه الدَّكَادِكُ واعدُ[2]

وأَحْرِ : أَخْلِقْ . والسماء : المطر هاهنا ، يريد أن المطرجاد بها فطال النبت فصار المطر كأنه قد جَمَعَ أكنافَه ، وأنشد ابن قُتَيبة :

إذا سَقَط السماءُ بأَرْض قَوْمٍ   رَعَيْنَـــــاه وإن كانـــوا غِضَابا[3]

وقال أبو بكر : يقال : مازلنا نَطَأُ السماء حتى أتيناكم ، أى مَوَاقِع الغيث . وأَمْرَعَتْ : أَعْشَبَتْ وطال نباتها ، يقال : أَمْرَعَ المكان ومَرُع ، فهو مُمْرِع ومَرِيع ؛ قال الشاعر :

---

(١) ويروى : المرشم بالراء ؛ وقائله أبو الأخزر الحمانى كما فى اللسان مادة : « رشم » .

(٢) البيت لسويد بن كراع يصف ثورا وكلابا كما فى اللسان مادة : « لعع » .

(٣) البيت لمعود الحكماء معاوية بن مالك وسمى معود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة :

أعود مثلهـــا الحكمـاء بعدى   اذا ما الحق فى الحـدثان نابا

كذا فى اللسان مادة : « سما » .

يُقيم أُمورَهـــا ويَذُبُّ عنهـــا ويترك جَذْبَهـــا أَبَدًا مَرِيعَـــا

والأَصْبار : نواحى الوادى ما علا منه . ودُيِّثَتْ : لُيِّنت . والأَوعار جمع وَعْر ، وهو الغِلَظ والخُشُونة . والبُطْنان جمع بَطْن ، وهو ما غَمُض من الأَرض . وغَمِقة : نَدِيَّة ، كذا قال أَبو بكر ، وروى أَبو عبيد عن الأَصمعىّ فى صفة الأَرَضِين : فإِن أَصابها نَدًى وثِقَلٌ وَوَخامَةٌ فهى غَمِقَةٌ ، وذكر الحديث : « إِنَّ الأُرْدُنَّ أَرْضٌ غَمِقَةٌ وإِن الجابِيَةَ أَرْضٌ نَزِهَةٌ » أَى بعيدة من الوباء . والظُّهْران جمع ظَهْر ، وهو ما ارتفع يسيرا . وغَدِقة : كثيرة البلل والماء . ومُسْتَوْسِقة : منتظمة . والرِّقَاق : الأَرض اللينة من غير رمل . ورائخ : مُفْرِط اللِّين ، يقال : رَيَّخت العَجِينَ إِذا كَثَّرت ماءه ، وراخ العَجِينُ يَرِيخ . وقوله : وواطئها سائخ ، أَى تَسُوخ رجلاه فى الأَرض من لينها ، تَسُوخ وتَثُوخ بمعنى واحد ؛ وحدثنى أَبو بكر قال : قال الأَصمعىّ : لم يكن لأَبى ذؤيب بَصَرٌ بالخيل لقوله :

قَصَرَ الصَّبُوحَ لهـــا فَشُرِّجَ لَحْمُها بالنَّىِّ فَهْىَ تَثُوخ فيهـــا الإِصْبَعُ

قال : وهذا عَيْب فى الفرس أَن يكون رِخْوَ اللحم . والماشى : صاحب الماشية . والمُصْرِم : المُقِلُّ المُقارِب المال . ومَدَاحِى : مفاعل من دَحَوْته إِذا بسطته ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ أَى بسطها ، ودَحَوْتُ الكُرَةَ إِذا ضربتها حتى تسير على وجه الأَرض . وقوله : وزُهَاءَ ليل ، فالزُّهاء : الشخص ، وإِنما جعل نباتها زُهَاءَ ليل لشدة خضرته . والغَيْلُ : الماء الجارى على وجه الأَرض ، وفى الحديث : « ما سُقِىَ بالغَيْل ففيه العُشْرُ وما سُقِى بالدَّلْو فنِصْف العشر » . ويُواحِى : يُواحِمل . والأَجراز جمع جُرُز ، وهى التى لم يُصِبْها المطر ، ويقال : التى قد أُكل نباتُها . ودُمِّث : لُيِّن ، ودَمِثَ : لَانَ . والعَزَازُ : الصُّلْب السريع السيل ، وكذلك النَّزِلُ والجَلَدُ . والأَقواز جمع قَوْز ، قال الأَصمعى : القَوْز : نَقًى يستدير كالهلال ، وجمعه أَقواز وقِيزان ؛ وأَنشد الأَصمعى قول الراجز :

لمـــا رَأَى الرَّمْلَ وقِيزَانَ الغَضَى والبَقَرَ المُلَمَّعات بالشَّـــوَى

* بَكَى وقال هل تَرَوْن ما أَرَى *

أَنِق : مُعْجَب بالمَرْعَى . وراعيها : الذى يَرْعاها . والسَّنِق : البَشِم . والقَضْقَض : الحَصَى الصِّغَار ، يريد أن النبات قد غَطَّى الأَرض فلا ترى هناك قَضْقضا ؛ قال أبو ذؤيب :

أَمْ ما لجَنْبِك لا يُلائم مَضْجَعا ... إلا أَقَضَّ عليك ذاك المَضْجَع

والرَّمَض : أن يَحْمَى الحَصَى والحجارةُ من شدة الحر ، يقول : فليس هناكَ رَمَضٌ لأَن النبات قد غَطَّى الأَرَض . والعازب : الذى يَعْزُب بإبله ، أى يَبعُد بها فى المرعى . ويُنْكَع . يُمْنعَ ، يقول : الذى يَرِدُها لايُمْنَع . وقرأْنا علىأَبى بكربن الأَنبارى :

مَسَحُوا لِحَاهم ثم قالــوا سَالِمُوا ... ياليْتَنِى فى القوم إذ مَسَحوا اللِّحَى

يقول : إنهم اجتمعوا للصلح عند الطمأْنينة لَمَّا أَخذوا الدية ورَضُوابها فمسحوا لحاهم ، ثم قال بعضهم لبعض : سَالِموا ، وذلك أن الرجل لايَمْسح لحيته إلا عند الرضا ، فقال : يا ليتنى كنت فيهم حتى لا أَرضى بما يصنعون .

وأنشدنا ابن الأَنبارى قال أَنشدنا أَبو العباس أَحمد بن يحيى النحوىّ عن ابن الأَعرابىّ :

سَقَى اللهُ حَيًّا بَيْنَ صارةَ والحِمَى ... حِمَى فَيْدَ صَوْبَ المُدْجِنات المَوَاطِرِ

أَمِينَ فَأَدَّى اللهُ رَكْبًا إليهمُ ... بِخَيْرٍ وَوَقَّاهُــمْ حِمَامَ المَقَادِرِ

كأَنِّى طَرِيفُ العَيْنِ يَوْمَ تَطالَعَتْ ... بنا الرَّمْلَ سُلَّاف(١) القِلَاصِ الضَّوامرِ

حِذَارًا على القلب الذى لا يَضِيره ... أَحَاذَرَ وَشْكَ البَيْن أَم لم يُحَاذِرِ

أَقول لقَمْقَامِ بن زيْدٍ أَما ترى ... سَنا البَرْق يَبْدُو للعيون النواظر

فإن تَبْكِ للبَرْقِ الذى هَيَّجَ الهَوَى ... أُعِنْكَ وإن تَصْبِرْ فلستُ بصـابر

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء : قال أنشدنا إبراهيم بن سهيل لجميل بن معمر العُذْرى ـ قال أبوعلى : وليست هذه الأبيات فى شعر جميل ـ :

---

(١) كذا هو فى الأصل . وفى معجم ياقوت : (ص ٣٦١ ج٣) سلان : بالنون بدل الفاء . وهذه الأبيات لمحمد بن عبد الملك الفقعسى .

خَلِيلَىَّ هل فى نَظْرة بعد تَوْبةٍ أُداوِى بهـــا قلبى عَـــلَىَّ فُجـورُ
إلى رجُح الأَكْفال هِيفٍ خُصورُهــا عِذَاب الثَّنايا رِيقُهُنَّ طَهُـــــــور
تَذَكَّرْت مَن أَضْحَتْ قُرَى اللُّدِّ دونَه وهَضْبٌ لِتَيْما والهِضَابُ وُعُـــور
فَظَلَّتْ لِعَيْنَيْكَ اللَّجُوجَيْن عَبْـرةٌ يُهَيِّجها بَرْحُ الهَـــوَى فَتَــمُور
على أنني بالبَرْقِ من نَحْوِ أرضها إذا قَصُرَتْ عنــه العُيون بَصِير
وإنى إذا ما الرِّيحُ يومــا تَنَسَّمَت شَآمِيَةً عادَ العِظامَ فُتُـــــــور
أَلا ياغُرَابَ البَيْنِ لَوْنُك شاحب وأنتَ بروْعاتِ الفــراق جَدِير
فإن كان حَقًّا ما تَقول فأصبحت هُمومُك شَتَّى والجَنَــاح كَسِير
ودُرْتَ بأعــداء حَبِيبُك فيهم كما قد تَرَانى بالحَبِيب أَدُور
وكَيْفَ بــأعداء كأنَّ عيــونهـم إذا حـان إتْيانى بُثَيْنَةَ عُـــور
فإنى وإن أصبحت بالحبِّ عالما على ما بِعَيْنِى من قَذًى لَخَبِير

قال الأصمعىّ : من أمثال العرب : « إنَّ البَغَاثَ بأَرْضِنا يَسْتَنْسِر » يضرب مثلا للرجل يكون ضعيفا ثم يَقْوَى .

قال أبو على : سمعت هذا المثل فى صباى من أبى العباس وفسره لى فقال : يعود الضعيف بأرضنا قويا ؛ ثم سألت عن أصل هذا المثل أبا بكر بن دريد رحمه الله فقال : البَغَاثُ ضِعَاف الطير ، والنَّسْر أقوى منها ، فيقول : إن الضعيف يصير كالنَّسْر فى قُوَّته . ويقال : « لو أَجِدُ لشَفْرةٍ مَحَزًّا » أى لو أجد للكلام مَسَاغا . ويقال : « كأنَّما قُدَّ سَيْرُه الآن » يقال للشيخ إذا كان فى خِلْقة الأحداث . ويقال : « يَجْرى بُلَيْقٌ ويُذَمُّ » يضرب مثلا للرجل يُحْسِن ويُذَمّ . ويقال : « خُذْ ما قَطَعَ البَطْحاء » أى خذ ما آستطاع أن يمشى فيخوض الوادى . والبطحاء : بطن الوادى . ويقال : « ما يُنْدِى رَضْفةً » أى لا يخرج منه من البلل ما يُنْدِى الرَّضْفة . ويقال : « لا يبِضُّ حَجَرُه » أى لا يخرج منه خير ، يقال : بَضَّ الماءُ إذا خرج قليلا قليلا . والبَضُوض من الآبار : التى يخرج ماؤها قليلا قليلا ، وكذلك البَرُوض والرَّشُوح والمَكُول ، والعرب تقول : قد اجتمعت فى بئرك مُكْلَةٌ فَخُذْها ؛ أى ماء قليل .

[مطلب الكلام على مادة ع ق ب]

قال الأصمعى : عَقَبت الخَوْق ، وهى حَلْقة القُرْط ، وهو أن يُشَدَّ بالعَقَب إذا خَشُوا أن يَزِيغ ؛ وأنشد :

كأَنَّ خَوْقَ قُرْطِها المَعْقُوب على دَبَاةٍ أَو على يَعْسُوب[(١)]

وعقَبْت القِدْح بالعَقَب ، مثلهُ . وقال أبو نصر عن الأصمعى : عَقَّب قِدْحَه يُعَقِّبه تَعْقيبا إذا شَدَّ عليه عَقَبا . وقال اللحيانى : عَقَب قِدْحَه يَعْقُبه عَقْبا إذا انكسر فشده بعَقَب ، وكذلك كل ما تكَسَّر فَشُد . وقال أبو نصر عن الأصمعى : عَقَبَ يَعْقُب عَقْبًا ، وهو ماء يجىء بعد ماء ، أوجَرْىٌ بعد جَرْىٌ ، ويقال : لهذا الفرس عَقْبٌ . وحدثنى أصحاب أبى العباس قالوا قال أبوالعباس أحمد بن يحيى قال عُمارة بن عُقَيْل ابن بلال بن جرير فى قول سلامة [بن جندل][(٢)] :

وَلَّى الشَّبابُ وهذا الشَّيْبُ يَطْلُبه لو كان يُدْرِكُه رَكْضُ اليَعَاقِيب

قال : اليَعَاقِيب : ذوات العَقْب من الخيل . وقال اللحيانى : فَرَسٌ ذو عَقْب إذا كان له عَدْوٌ بعد عَدْو . وقال أبو نصر عن الأصمعى : عاقَبَ يُعاقِب مُعاقَبة إذا رَاوَح ، يقال : عاقَبَ بَيْنَ رِجْلَيْه ، وعاقَب زَمِيلَه ، ويقال : متى عُقْبَتُك ؛ قال ذو الرمة :

أَلْهاهُ آءٌ وتَنُّومٌ[(٣)] وعُقْبَتُه مِنْ لائح المَرْوِ والمَرْعَى له عُقَبُ

وقوله : وعُقْبَتُه ، يقول : يَرْعَى فى هذا مَرَّةً وفى هذا مرة . وقال اللحيانى : أَعْقَبْتُ فلانا من الركوب إذا نَزَلْتَ رَكِب ، ويقال : عاقَبْتُه فى هذا المعنى إذا ركِبْتَ عُقْبةً وحَمَلْتَه عُقْبة . وقال أبو عبيد ــ رحمه الله ــ عن الأصمعى : أَعْقَبْتُ الرجلَ إذا ركِبْتَ عُقْبة وركِبَ عُقْبة ، وقال : قال غير واحد : عاقَبْتُ الرجلَ من العُقْبة . قال : وقال الأصمعى : ويقال : أَكَل أُكْلةً أَعْقَبَتْه سَقَمًا ، والعَقِبُ : الوَلَد يَبْقَى بعد الإنسان ، وعَقِبُ القَدَم : مؤخَّرُها ، وفرس ذو عقِب ، قال : ومن العرب من يجزم القاف فى هذه الثلاث . وقال أبوزيد : جئت على عُقْب رمضان وفى عُقْبة إذا جئت وقد مَضَى

---

(١) البيت لسيار الأبانى كما فى اللسان مادتى « عقب » و « خوق » .

(٢) الزيادة عن اللسان مادة : «عقب» . (٣) الآء : ثمر شجر ؛ والتنوم : شجر .

الشهر كُلُّه ، وجئت على عَقِب رمضان وفى عَقِبه إذا جئت وقد بَقِيَتْ أيامٌ من آخره.
وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : عَقَّب يُعَقِّب تَعْقيبا إذا ما غَزَا ثم ثَنَّى من سَنَتِه .
قال طُفَيل الغَنَوىّ :

عَنَاجِيجُ من آل الوَجِيه ولاحقٍ مَغَاوِير فيها لِلأَرِيب معقَّب

وأَعْقَب يُعْقِب إعقابا إذا تَرَك عَقِبا ، قال طفيل :

كَرِيمة حُرِّ الوَجْهِ لم تَدْعُ هالكًا من القوم هُلْكًا فى غدٍ غَيْرَ مُعْقِب

قال أبو بكر : وروى أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى نصر ، وروى أبو العباس ثعلب عن أبى نصر : غير معقب ، يقول : لم تَقُلْ : وافُلَاناه قطُّ إلا وقد بَقِى من يقوم مكانه ، قال أبو عبيد عن الأصمعىّ : عَقَبْتُ الرجلَ فى أهله إذا بَغَيْتَه بشَرّ وخَلَفْتَه ، وعَقَبْتُ الرجل : ضَرَبْتُ عَقِبه وعَقْبَه جميعا . وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : العُقَاب : الرَّاية . قال الأصمعى : يقال للحجر النادر فى طَىِّ البئر : العُقَاب أيضا . والعُقْبة : مابَقِى فى القِدْر من المَرَق ، وجمعها عُقَبٌ ، قال دريد بن الصِّمَّة :

إذا عُقَبُ القُــدُور عُــدِدْنَ مالا يُحِبُّ حَلائِلُ الأَبْرامِ عِرْسِى

وقال اللحيانى : يقال لما ٱلتصق فى أسفل القِدْر من محترق التَّابَل وغيره : عُقْبَة . وقال أبو نصر عن الأصمعى العُقْبُ : العاقبة ، قال الله تعالى : ﴿ وخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ ويقال : ٱحذر عُقُوبةَ الله وعِقَابَه . وعُقْبه . وعِقْبَةُ الجَمال : أَثَرُه وهيئته . وقال اللحيانى : عليه عِقْبة السَّرْو والكَرم إذا كان عليه سِيمَا ذلك . قال : وعِقْبة القَمَر : عَوْدَتُه ؛ وأنشد :

لا يُطْعِم[1] الغِسْلَ والأَدْهَانَ لِمَّتَه ولا الذَّرِيرةَ إلا عِقْبَةَ القَمَــــر

وحدّثنى أبوعمر المطرز وعبد الله الورّاق قالا حدّثنا أبوعمرو بن الطوسى أن أباه قال : سَمعنا عُقْبة القمر بالضم . ويقال : العُقْبَى لك فى الخير . والعُقْبَى إلى الله :

(١) هكذا فى الأصل ، وفى اللسان مادة «عقب»:

لا تطعم المسك والكافور لمته ولا الذريرة الا عقبة القمر

وفسره بأن «العقبة» بالضم نجم يقارن القمر فى السنة مرة . والبيت لبعض بنى عامر .

أى المَرْجع إلى الله . وحكى الكسائىّ : وهو خَيْرٌ لك فى العُقْبى والعُقْبان ، أى فى العاقبة. ويقال : أَعْقَبَ الرجلُ يُعْقِب إعْقابا إذا رَجع إلى خير ، وعَقَبَ الشَّيْبُ بعد السواد يَعْقُب عُقُوبا إذا جاء بعده . ويقال فيه أيضا : عَقَّب يُعَقِّب تَعْقِيبا إذا جاء بعده فَخَلَفه ، وكذلك كلُّ شىء خَلَفَ شيئا فقد عَقَبَه وعَقَّبه . ويقال : عَقَبت الإبلُ إذا تحوّلت من مكان إلى مكان تَرْعَى فيه . ويقال : أَعْقَبْته خيرا وشرا بما صنع ، ويقال : عاقَبْته بذنبه عِقَابا شديدا . ويقال : عَقَب فلانٌ يَعْقُب عَقْبا إذا طلب مالا أو شيئا ، وأَعْقَب هذا هذا إذا ذهب الأَوّلُ فلم يبق منه شىء وصار الآخر مكانه. ويقال : عَقَبَ هذا هذا إذا جاء وقد بَقِىَ مِنَ الأَوّل شىء . ويقال : جئت على عُقُب ذلك بالتثقيل ، وعُقْب ذلك بالتخفيف ، وعلى عَقِب ذلك بالتثقيل ، وعَقْب ذلك بالتخفيف ، وعُقْبان ذلك . قال : والعاقِبَةُ : الوَلَد .

أنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى ابن الأعرابىّ :

أيَا والِيَىْ سجْن اليَمامة أشْرِفا … بِىَ القَصْرَ أنْظُرْ نَظْرةً هل أرَى نَجْدا

فقال اليَمامِيَّان لَمَّا تَبَيَّنا … سَوابق دَمْع ما ملكْتُ لها ردّا

أَمِنْ أَجْلِ أعرابيّةٍ ذات بُرْدةٍ … تُبَكِّى على نَجد وتَبْلَى كذا وَجْدا

لعَمْرى لَأَعْرابيَّةٌ فى عباءة … تَحُلُّ دِماثًا مِنْ سُوَيْقةَ أوفَرْدا

أَحَبُّ إلى القلب الذى لَجَّ فى الهوى … من اللابسات الرَّيْطَ يُظْهِرْنَه كَيْدا

وقرأت على أبى بكر بن دريد لمَعْدان بن مُضَرِّب الكِنْدى :

إن كان ما بُلِّغْت عَنِّى فلامَنى … صَديقى وشَلَّتْ من يَدَىَّ الأناملُ

وكَفَّنْتُ وَحْدِى مُنْذِرا فى رِدَائه … وصادَفَ حَوْطًا من أعادِىَّ قاتلُ

وأنشدنى الرياشىّ لأعرابىّ :

وفى الجيرة الغَادِينَ مِنْ بَطْن وجْرَةٍ … غَزَالٌ أَحَمُّ المُقْلَتَيْن رَبِيبُ

فلا تَحْسَبِى أنَّ الغريبَ الذى نَأى … ولكنَّ مَنْ تَنْأَيْنَ عنه غَرِيبُ

وقرأت عليه لأعرابيّ :

هَجَرْتُكِ أيَّامـــا بذى الغَمْرِ إنَّنى ... على هَجْرِ أيَّامٍ بـذى الغَمْرِ نـادم

وإنِّى وذاك الهَجْـرَ لـو تَعْلَمِينَه ... كَعازِبةٍ عن طِفْلها وهْىَ رائـــم

الرائم : التى تَرْأَم ولَدها .

وأنشدنا أبوبكر بن الأنبارى قال أنشدنا عبدالله بن خلف لقيس بن ذريح :

هَبِينِى امْرأً إن تُحْسِنى فَهْوَ شـاكرٌ ... لذاكِ وإن لم تحسنى فهو صـافح

وإن يَكُ أقوامٌ أساءوا وأهْجَرُوا ... فإنَّ الذى بينى وَبَيْنَكِ صالح

ومهما يَكُن فالقلب يالُبْنَ ناشرٌ ... عليكِ الهَوى والجَيْبُ ماعِشتُ ناصح

وإنَّكَ من لُبْنَى العَشيَّةَ رائـــحٌ ... مَرِيضُ الذى تُطْوَى عليه الجوانح

[مطلب حديث الجوارى الخمس اللاتى وصفن خيول آبائهن]

وحدثنا أبوبكر رحمه الله قال حدثنى عمّى عن أبيه عن ابن الكلبىّ عن أبيه قال : اجتمع خَمْسُ جوارٍ من العرب فَقُلْنَ : هَلُمُمْنَ نَصِف خيل آبائنا فقالت الأُولى : فَرَس أبى وَرْدة ، وماوَرْدة ! ذاتُ كَفَلٍ مُزَحْلَقٍ ، ومَتْنٍ أخْلَق ، وجَوْف أخْوَق ؛ ونَفْسٍ مَرُوح ، وعَيْن طَرُوح ، ورجْل ضَرُوح ، ويَد سَبُوح ؛ بُدَاهتها إهذاب ، وعَقْبها غلاب . وقالت الثانية : فرس أبى اللَّعَّاب ، وما اللَّعَّاب ! غَبْيةُ سَحاب ، واضطرامُ غاب ، مُتْرَصُ الأوْصال ، أشَمُّ القَذَال ، مُلاحَك المَحَال ؛ فارسُه مُجيد ، وصَيْدُه عَتِيد ، إن أقْبَل فَظَبْىٌ مَعَّاج ، وإن أدْبَر فَظلِيم هَدَّاج ، وإن أحْضَر فَعِلْجٌ هَرَّاج . وقالت الثالثة : فَرَسُ أبى حُذَمة ، وما حُذَمة ! إن أقْبَلَتْ فَقَناةٌ مقوَّمة ، وإن أدْبَرَتْ فأُثْفِيَّة مُلَمْلَمة ، وإن أعْرَضَتْ فذئبةٌ مُعَجْرَمة ؛ أرْساغُها مُتْرصة ، وفُصُوصها مُمَعَّصة ، جَرْيها انْثِرار ، وتَقْرِيبُها انْكِدَار . وقالت الرابعة : فَرَسُ أبى خَيْفَق ، وما خيفق ! ذات ناهقٍ مُعْرَق ، وشِدْقٍ أشْدَق ، وأدِيم مُمَلَّق ؛ لها خَلْقٌ أشْدَف ، ودَسِيعٌ مُنَفْنَف ، وتَلِيلٌ مُسَيَّف ، وثَّابة زَلُوج ، خَيْفانة رَهُوج ؛ تَقْرِيبُها إهْماج ، وحُضْرها ارْتِعاج . وقالت الخامسة : فَرَسُ أبى هُذْلُول ، وما هُذْلُول ! طَرِيدُه مَحْبول ، وطالِبُه مَشْكُول ؛ رَقيق المَلاغِم ، أمين المَعَاقِم ؛ عَبْلُ المَحْزِم ، مِخَدٌّ مِرْجَم ؛ مُنِيف الحارك ، أشَمُّ السَّنابِك ؛

مَجْدُول الخَصَائل ، سَبِطُ الفَلَائل ؛ غَوْجُ التَّلِيل ، صَلْصال الصَّهيل ؛ أَدِيمُه صاف ، وسَبِيبُه ضاف ، وعَفْوُه كاف .

قال أبوعلى :المُزَحْلَق : المُمَلَّس الذى كأَنَّه زُحْلُوقة ،وهى آثار تَزَلُّج الصبيان من فوق إلى أسفل . والأَخلق : الأَمْلس ، ومنه قيل : صَخْرة خَلْقَاء . وأَخْوَق : واسع ؛ وقال أبوعبيدة عن أبى عمرو :الخَوْقاء : الصَّحْراء التى لاماء بها ، ويقال : الواسعة . ومَرُوح : كثيرة المَرَح . وطَرُوح : بَعِيدة مَوْقِع النظر . وضَرُوح : دَفُوع ، يريد أنها تَضْرَح الحجارة برجليها إذاعَدَتْ . وسَبُوح : كأَنَّها تَسْبَح فى عَدْوِها من سرعتها . وبُدَاهتُها : فُجَاءتها ، والبُدَاهة والبَدِيهة واحد. والإِهْذاب :السرعة ، يقال :أَهذَب الفَرَسُ إهْذابا فهومُهْذِب . والعَقْب : جَرْىٌ بعد جَرْى . وغِلَاب ،مصدر غالبته مُغالبة وغِلَابا ، كأنها تُغَالِب الجَرْى . والغَبْيَة : الدُّفْعة من المطر . والغابُ جمع غابة ، وهى الأَجَمة . ومُتْرَص : مُحْكَم ، أَتْرَصْتُ الشىء : أَحْكَمْته . وأَشَمُّ : مرْتَفِع . والقَذَال : مَعْقِد العِذار . ومُلَاحَك : مُدَاخَل ، كأَنه دُوخِل بعضُه فى بعض . والمَحَال جمع مَحَالة ، وهى فَقَار الظَّهر ، وواحدة الفَقَار فَقَارة . وحدثنى أبو بكر قال : ذكر الأَصمعى أنه رأى فَقَار فرسٍ مَيِّت فإذا ثلاث فِقَر من عَظْم واحد ، وكذا تكون العِرَابُ فيما ذَكَروا . ومُجِيد : صاحب جَوَاد . وعَتِيد : حاضر . قال أبو عبيدة : مَعَجَ الفرسُ إذا اَعْتَمد على إحدى عِضَادَتَى العِنَان مرة فى الشِّق الأَيمن ومرة فى الشق الأَيسر ، وقال الأَصمعىّ : يقال : مَعَجَ فى سيره وعَمَج إذا أَسْرَع . وهَدَّاج : فعّال من الهَدْج ، وقال الأَصمعىّ : الهَدْج : المَشْىُ الرُّوَيْد ، ويكون السريع .

قال أبوعلى : وقال لى أبو بكر : الهَدْج والهَدَجان : مَشْىُ الشيخ إذا أَسرع عن غير إرادة ، قال وحدثنا أبوحاتم قال : نَهَضَ أبو العباس سُرَّانُ ابن عمّ الأَصمعىّ من عنده يوما فأَتْبَعَه بصرَه فقال : هَدَج أبو العباس هَدَج ، ثم أنشدنا :

ويأْخذه الهُدَاج إذا هَـــداه ولِيـــدُ الحَىِّ فى يَـــدِهِ الرداء[1]

---

(١) البيت للحطيئة كما في اللســان مادة : «هدج» .

وأنشدنى أبو بكر :

وهَدَجانًا لم يكن من مِشْيَتِى كَهَدَجانِ الرَّأْلِ خَلْفَ الهَيْقَت[1]

قال أبو نصر : هَرَجَ الفرسُ يَهْرِج هَرْجا إذا كان كثير الجَرْى ، وإنه لمِهْرَج وهَرَّاج ؛ قال أوس :

فأَعْقَبَ خَيْرًا كلُّ أَهْوَج مِهْـــرَجٍ وكُلُّ مُفَدَّاة العُـــلالـة صِلْدِم

أهوج : يعنى فرسا ، أى أَعْقَبَ خيرا مما أقاموا عليه وصَنَعوه . والأَهْوَج : الذى يَرْكَب رأْسَه فيمضى . ومُفَدَّاة العُلَالة ، والعُلَالةُ : الجرى الذى بعد الجرى الأوّل ، فيقال لها إذا طلبت عُلَالتها وَيهًا فِدًا لك . والصِّلْدِم : الشديدة ؛ قال الراجز :

* من كُلِّ هَرَّاجٍ نَبِيلٍ مَحْزِمُهْ *

والعِلْج : الحمار الغليظ . وحُذَمة فُعَلة من الحَذْم ، قال أبو بكر : الحَذْم : السُّرْعة ، وقال غيره : الحَذْم : القَطْع ، ومنه قول عمر ـ رحمه الله ـ فى الأذان : فإذا أَقَمْتَ فاْحْذِمْ . وقولها : فَقَنَاةٌ مُقَوَّمة ، تريد أنها دقيقة المُقَدَّم ، وهو مدح فى الإناث . والأُثْفِيَّة : واحدة الأثافى . ومُلَمْلَمة : مجتمعة ، تريد أنها مدوّرة المُؤَخَّر ؛ لأن الأثافي تُختار مُدَوَّرة . وقولها : مُعَجْرَمة ، قال أبو بكر : العَجْرَمة : وَثْبٌ كَوَثْبِ الظَّبْى ، ولا أعرف عن غيره فى هذا الحرف تفسيرا . ومُمَحَّصة : قليلة اللحم قليلة الشَّعَر ، ومَحِص الجِلْد إذا سَقَط شعره وٱمْلاسّ . وٱنشرار ، قال أبو بكر : ٱنصباب ، كأنه يَشُرّه شَرًّا . وخَيْفَق فَيْعَل ، من الخَفْق وهو السرعة ، وقال أبو بكر : والخَفْق أيضا : ٱضطراب السَّرَاب فى الهاجرة .

قال أبو على : ويقال : خَفَق النجم إذا غاب ، وخَفَق الرجلُ إذا ٱضطرب رأْسه من شدّة النعاس . والناهِقَان : العَظْمان الشاخصان فى خَدَّىِ الفرس . ومُعْرَق : قليل اللحم . وقال أبو عبيدة : النَّواهق من الحمار : مَخْرَج نُهَاقه . وأَشْدَق : واسع الشِّدْق . ومُمَلَّق : مُمَلَّس ، وحُدِّثت عن أبي العباس أحمد بن يحيى أنه قال : المَلَقات : الحِبَال

(١) قال فى اللسان : أراد الهيقة ، فصير هاء التأنيث تاء فى المرور عليها . والبيت لابن علقمة التيمي كما في النوادر لأبى زيد ص ٢٥٥ .

المُلْس. والشَّدَف : الشخص ، والأَشْدف : العظيم الشَّخْص . والدَّسِيع : مُرَكَّب العُنُق فى الحارِك . ومُنَفْنَف : واسع ، وهو مُفَعْلَل من النَّفْنَف ، وهو الهواء بين السماء والأرض . والتَّلِيل : العُنُق . ومُسَيَّف : كأنّه سيْف . وزَلُوج : سريعة ، قال الأَصمعىّ : الزَّلِيج والزَّلَجان : السرعة . والخَيْفانة : الجرادة التى فيها نُقَط سود تخالف سائر لونها ، وإنما قيل للفرس : خَيْفانة لسرعتها ، لأَنّ الجرادة إذا ظهر فيها تلك النُّقَط كان أَسْرع لطَيَرانها . ورَهُوج : كثيرة الرَّهَج ، والرَّهَج : الغبار . وإهْمَاج : مبالغة فى العَدْو ، وقال الأَصمعى : أَهْمَجَ الفرس إهماجا إذا اجتهد فى عَدْوه . والارْتِعاجُ : كثرةُ البرق وتَتابُعه . ومَحْبُول : فى حِبالة . ومَشْكُول : مُوثَقٌ فى شِكال . والمَلاغِم : أرادت ها هنا الجَحَافِل ، وإنما المَلاغِم من الإنسان ماحَوْلَ الفم ، ومنه قيل : تَلَغَّمتْ[1] بالطِّيب إذا جعَلَتْه هناك . والمَعَاقِم : المَفَاصِل . وعَبْل : غليظ . والمَحْزِم : موضع الحِزَام . ومِخَدّ : يَخُدُّ الأرض أى يجعل فيها أَخَادِيد ، والأَخادِيدُ : الشُّقوق ، واحدها أُخْدُود . ومِرْجَم : يَرْجُم الحجر بالحجر ؛ كما قال رؤبة يصف الحمار :

* يَرْمِى الجَلَامِيدَ بجُلْمُودٍ مِدَقّْ *

وقد يكون أن تَرْجُم الأرضَ بحوافرها ، والتفسير الأَوّل أَحب إلَىَّ . ومُنِيف : مُرْتَفِع . والحارِكُ : مِنْسَج الفرس . والسَّنَابِكُ : أَطراف الحوافر ، واحدها سُنْبُك . ومَجْدُول : مفتول . والسَّبِيبُ : شعر الناصية . وضَافٍ : سابِغٌ . والفَلِيلُ : الشعر المجتمع ، وحدّثنى أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أَبى عن أَحمد بن عبيد قال : يقال للقطعة من الشعر : الفَلِيلة ، وللقطعة من الصوف : العمِيتة . والغَوْجُ : اللَّيِّن المِعْطَف . والصَّلْصَلَة : صوتُ الحديد ، وكلُّ صوتٍ حادٍّ .

وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا أبو حاتم عن الأَصمعىّ للصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرىّ :

حَنَنْت إلى رَيَّـــا ونَفْسُك باعَدَتْ   مَزَارَك من رَيَّا وشَعْبَـــاكُمَا مَعا

فما حَسَنٌ أَن تـأْتِىَ الأَمر طائعاً   وتَجْزَعَ أَنْ داعِى الصبابة أَسْمَعا

قِفَا وَدِّعَا نَجْدًا ومَنْ حَلَّ بالحِمَى   وقَلَّ لنَجْدٍ عندنـــا أَن يُوَدَّعـــا

---

(١) قوله : تلغمت ؛ أى المرأة كمـا فى عبارة اللسان وغيره .

ولمّا رأيت البِشر أعْـرَضَ دُوننا ... وجالَتْ بَنَاتُ الشَّوْق يَحْنِنَّ نُزَّعا

بَكَتْ عَيْنِيَ اليسرى فلمّـازَجَرْتُها ... عن الجهل بعد الحلم أَسْبَلَتَـا معا

تَلَفَّتُّ نحو الحَيِّ حتى وجَدْتُنِي ... وَجِعْتُ من الإِصْغاء لِيتًا وأَخْـدَعا

وأَذْكُرُ أَيـام الحِمَى ثم أَنْثَنى ... على كبدِي من خَشْيةٍ أن تَصَدَّعـا

ولَيْسَتْ عَشِيّاتُ الحِمَى بِرَواجعٍ ... إليك ولكن خَلِّ عَيْنيك تَدْمعـا

قال وأنشدنى الرياشيّ :

فإن كنتُم تَرْجون أن يَذْهَب الهوى ... يَقِينًا ونَرْوَى بالشراب فَنَنْقَعا

فَرُدُّوا هبوب الريح أوغَيِّرُوا الجَوَى ... إذا حَلَّ أَلْـواذَ الحشا فَتَمَنَّعـا

تلفَّتُّ نحو الحىِّ حتى وجـدتنى ... وجعت من الإصغاء ليتا وأخـدعا

وأنشد نفطويه :

أَحِنُّ إلى نَجْدٍ وإنى لَيَـائسٌ ... طَوَالَ الليالى من رجوع إلى نجد(١)

فإنك لا لَيْلٌ ولا نَجْدَ فَاعْتَرِفْ ... بهجر إلى يـوم القيـامة والوَعْـد

وأنشدنى أيضا نفطويه :

يالَيْتَ شِعْرِى عن الحى الذين غَدَوْا ... هل بعدَ فُرْقتهم الشَّمْـل مُجْتَمِعُ

وكلُّ مـا كنتُ أخشى قد فُجِعْتُ به ... فليس لى بَعْدَهُمْ من حـادث جَزَعُ

قال وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أحمد بن يحيى النحويّ :

أَلا أَيُّهَا البَيْتان بالأَجْـرَع الذى ... بـأَسفلِ مُفْضاه غَضًا وكَثِيبُ

هَجَرْتُكما هَجْرَ البَغِيض وفيـكما ... من النـاس إنسـانٌ إلىَّ حَبِيبُ

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا الرياشيّ لرجل طلّق امرأتين من أهل الحمى :

أَلاَ تسأَلان الله أن يَسْقِيَ الحِمىَ ... بلى فسقى الله الحِمَى والمَطَالِيـا

وأَسْأَلُ من لاقَيْتُ هل سُقِىَ الحِمَى ... وهل يَسْأَلَنْ عنّى الحمى كيف حاليا

---

(١) البيتان لأعرابى من بنى طهية ؛ كما فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٧٤٨) .

وإنى لَأَسْتَسْقِى لِثِنْتَيْنِ بالحمى ولَوْ تَمْلِكَان البحر مَا سَقَتَانِيا

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى عن أبيه عن أحمد بن عبيد :

لا تَعْذُلِينا[1] فى الزيارة إنَّنا وإيَّاكِ كالظمآنِ والماءُ بارد

يراه قريبا دانيا غير أنه تَحُول المنايا دونه والرَّوَاصِد

وقال الأصمعىّ : من أمثال العرب « ذَكَّرَنى الطَّعْنَ وكنتُ ناسيا » يضرب مثلا للرجل يسمع الكلمة فيتذكر بها شيئا . قال : ويقال : «الحُسْنُ أَحْمَرُ » أى من أراد الحُسْنَ صَبَرَ على أشياء يكرهها . وقال أبو زيد : يقال : «مَنْ حَفَّنا أو رَفَّنا فَلْيَتَّرِكْ » زعموا أن امرأة كان قَوْمٌ يُعْطُونها ، فوجدت نعامة قد غَصَّتْ بِصُعْرُور ، فَعَمَدَتْ إلى ثوب فَغَطَّت به رأسها ؛ ثم أتت القوم الذين كانوا يَصِلُونها فقالت لهم هذا الكلام ، أى إنى قد اسْتَغْنَيْتُ عما كنتم تَصِلُونَنى به . والصُّعرور : صمغ السَّمُر ، ولا يُسَمَّى صُعْرورا حتى يَلْتوِي . وقال الأصمعىّ : من أمثالهم : « يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ » يقال للرجل إذا فَعَل فَعْلة أخطأ فيها ، يراد بذلك أنك مِنْ قِبَلِك أُتِيتَ ؛ وزعموا : أن أصل ذلك أن رجلا قَطَع بَحْرا بزِقٍّ فانفتح ، فقيل له ذلك .

[مطلب شرح مادة خ ل ل]

وقال أبو النصر عن الأصمعىّ : يقال : فلان كريم الخُلَّة والخِلِّ والمُخالَّة ، أى كريم الإخاء والمُصَادَقة ، وزاد اللحيانى : والخِلالة والخِلال ، وأنشد للنابغة :

وكيف تُصَادِقُ من أَصْبَحَتْ خِلالَتُه كأبى مَرْحَب

وغيره يروى : وكيف تُوَاصِلُ . وقال أبو عبيد : الخُلَّة : الصَّداقة ومنه الخَلِيل . وقال أبو نصر عن الأصمعى واللحيانى : فلان خُلَّتِي وفلانة خُلَّتِى ، الذكرُ والأنثى فيها سواء . وقال أبو بكر بن الأنبارى فى كتاب أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى نصر : وخِلِّى ؛ وأنشد أبو نصر واللحيانى لأوْفَى بن مَطَر :

أَلاَ أَبْلِغَا خُلَّتِى جابرًا بأَنَّ خَلِيلَك لم يُقْتَل

(١) هو من الطويل دخله الخرم ، وهو حذف الحرف الأول من «فعولن» .

وأنشد اللحيانى قال : أنشدنا أبو الدينار :

شَبِعْتُ من نَوْمٍ وزاحَتْ عِلَّتِى   وطَرَقَتْنِى فى المَنَـــام خُلَّتِى

وما عَلِمْتُ أنهـــا أَلَمَّتِ   حَتَّى قَضَتْ حـاجَتَهـا ووَلَّتِ

قال اللحيانى : زاحت : ذَهَبَتْ ، قال : وقال أبو الدينار : أَشَدّ الزَّيَحَان ، قال : وحكى الكسائى :أَشَدّ الزُّيُوح بضم الزاى .قال : ويقال :خالَلْتُه مُخَالَّة وخِلاَلا ؛ قال أبو عبيد : ومنه قول امرئ القيس :

* ولستُ بمَقْلِىّ الخِلاَل ولا قالى *

وقال أبو نصر : المُخْتَلُّ الجسم :النحيف الجسم .وقال اللحيانى : يقال للمهزول القليل اللحم : إنه لخَلٌّ الجسم وخَلِيل الجسم ومُخْتَلٌّ الجسم . وقال أبو عبيد عن الأصمعىّ : الخَلُّ : القليل اللحم ،قال : وقال الكسائىّ مثله ، وزاد : خَلَّ لَحْمُه يَخِلُّ خَلاًّ. وخُلُولا . وقال أبو نصر : يقال : ما أَخَلَّك إلى هذا أى ما أَحْوَجَك إليه . والخَلَّة : الحاجة ، ويقال للرجل إذا مات : اللهم اخْلُفْ على أهله بخَيْرٍ واسْدُدْ خَلَّته ، يريد الفُرْجة ؛ قال أوس بن حجر :

لِيُهْلَك فَضَالَةَ لا تَسْتَوى ال   فُقُودُ ولا خَلَّةُ الذاهـــب

يريد الفُرْجة التى تَرَك والثُّلْمة ؛ يقول : كان سَيِّدا فلما مات بقيت ثُلْمَتُه . وقال اللحيانى : الزقْ بالأَخَلِّ فالأَخَلِّ أى بالأفقر فالأفقر . والعرب تقول : الخَلَّة تدعو إلى السَّلَّة . قال أبو على قال أبو بكر بن دريد : والسَّلَّة : السَّرِقة . ويقال : فلان مُخْتَلُّ الحال. وقال أبو نصر وأبو عبيد عن الأصمعىّ : الخَليل : الفقير المحتاج ؛ قال زهير :

وإن أتـاه خَلِيلٌ يَــوْمَ مَسْأَلةٍ   يَقُول لا غائبٌ مالِى ولا حَرِمُ

وقال أبو نصر : يقال : فى فلان خَلَّة حَسَنة ، أى خَصْلة. وقال اللحيانى :يقال : إن شراب بنى فلان لَيْسَتْ بخَمْطة ولاخلَّةٍ ، أى ليست بحامضة ؛ قال : وجمع خَلَّة خَلٌّ . والخَمْطة : التى أخذت شيئا من الريح كريح النَّبِق والتُّفَّاح . ويقال : خَلَّل الشرابُ إذا صار خلاًّ ، وكذلك كل شىء من الأشربة حَمُض فقد خَلَّل. وقال الأصمعىّ :

الخُلَّة : ماحَلاَ من النَّبْت . والعرب تقول: الخُلَّة : خُبْزُ الإبل ، والحَمْضُ : لَحْمها أو فاكهتها . ويقال : جاءت إبل بنى فلان مُخْتَلَّة أى قد أكلت الخُلَّة ، وجاءوا مُخِلِّين إذا جاءوا وقد أَكَلَت إبلُهم الخُلَّة ؛ قال العجاج :

* جاءوا مُخِلِّينَ فلاقَوْا حَمْضا *

قال أبو على : وقال أبو بكر بن دريد : هذا البيت يضرب مثلا لكل من أتى مُتَهَدِّدا فصادف مايَقْمَع تَهَدُّده . قال : والعرب تقول : أنت مُخْتَلٌّ فَتَحَمَّضْ . وقال اللحيانى : يقال : قد عَمَّ فلان وخَلَّ وخلَّل ، والمُخَلِّل : الذى يَخُصُّ ؛ وأنشد :

قد عَمَّ فى دعائه وخَلَّا وخطَّ كاتِباه وٱسْتَمَلَّا

وأنشد أيضا :

عَهِدْتُ بها الحَىَّ الجَمِيعَ فأَصبحوا أَتَوْا داعِيًا لله عَمَّ وخَلَّلا

وقال أبو نصر وأبو عبيدة واللحيانى عن الأصمعىّ : خَلَّ كِساءه وثوبه يَخُلُّه خَلًّا إذا شَكَّه بالخِلَال . وقال اللحيانى : يقال : طعنته فاخْتَلَلْتُ فؤاده ؛ وأنشد :

نَبَذَ الجُؤَارَ وضَلَّ هِدْيَة رَوْقِه لَمَّا ٱخْتَلَلْتُ فؤادَه بالمِطْرَد

وقال أبو نصر : أخلَّ بِمَوْعده إذا لم يُوف به . وقال اللحيانى : الخِلَّة : جَفْن السيف ، وجمعها خِلَلٌ . قال : ويقال : وَجَدْتُ فى فمى خِلَّةً فَتَخَلَّلْت ، وهو ما يبقى بين الأسنان من الطعام ، والجمع خِلَل ، ويقال : أكل خُلَالته . وقال أبو نصر : الخِلَّة والخُلَالَةُ واحد ، وهو مايبقى بين الأسنان من الطعام ، والجمع خِلَلٌ . وقال اللحيانى : خَلَّل بين أصابعه بالماء وخَلَّل لحيتَه إذا تَوَضَّأَ . ويقال : خَلَّ الفَصِيلَ يَخُلُّه خَلًّا إذا جعل فى أنفه عُودا لئلا يَرْضَع . والخَلُّ : الطريق فى الرَّمْل ، والخَلُّ والخمر : الخير والشر ، يقال : ما فلان بِخَلٍّ ولا خَمْرٍ ، أى ليس عنده خير ولا شر ؛ قال النمر بن تولب :

هَلَّا سأَلْتِ بعادِياء وبَيْتِه والخَلِّ والخَمْرِ التى لم تُمْنَع

[مطلب حكم ومواعظ من كلام الحكماء]

حدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : قال معاوية :

الفُرْصةُ خُلْسة ، والحَيَاءُ يَمْنَع الرِّزق ، والهَيْبةُ مَقْرُون بها الخَيْبة والكَلِمةُ من الحِكْمة ضَالَّةُ المؤمن .

وحدّثنا قال أنبأنا عبدالرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا من بنى مُرَّة يَعِظُ ابْنًا له وقد أفْسَدَ ماله فى الشراب فقال : لاالدَّهْر يَعِظُكَ ، ولا الأيام تُنْذِرُك ، والساعاتُ تُعَدُّ عليك ، والأنفاس تُعَدّ منك ؛ أَحَبُّ أَمْرَيْك إليك ، أرَدُّهما بالمَضَرَّة عليك . قال : وأخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يقول لأخٍ له : اعلم أن الناصح لك المُشْفِقَ عليك مَنْ طالَعَ لك ما وراءَ العَوَاقِب بَرويَّتِه ونَظَره ، ومَثَّلَ لك الأحوال المَخُوفة عليك ، وخَلَط الوَعْر بالسَّهْل من كلامه ومَشُورته ، ليكون خَوْفُك كِفاء رجائك ، وشُكْرُك إزاء النعمة عليك ؛ وأن الغاشَّ لك والحَاطِبَ عليك مَن مدَّ لك فى الاغْتِرار ، وَوَطَّأَ لك مِهَادَ الظلم ، تابعًا لَمرْضاتك ، مُنْقَادًا لهواك .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله قال حدّثنا أحمد بن يحيى النحوىّ قال حدّثنا عبدالله بن شبيب قال : قال شَبِيب بن شَبَّة لخالد بن صفوان : مَنْ أحبُّ إخوانك إليك ؟ قال : من سَدَّ خَلَلِي ، وغَفَر زَلَلِي ، وقَبِل عِلَلِي .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبوعيسى الخُتَّلِي قال حدّثنا أبو يعلى الساجى قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال : كان يقال : عَلَيْكَ بِدينِك ، ففيه مَعَادُك ؛ وعليك بمالك ، ففيه مَعَاشُك ؛ وعليك بالعلم ، ففيه زَيْنُك . وقرأنا على أبي بكر بن دريد رحمه الله تعالى :

فَلَمَّا مَضَى شَهْرٌ وعَشْرٌ لِعِيرِها ... وقالوا تجىءُ الآن قد حان حِينُها

أَمَرَّتْ من الكَتَّان خَيْطًا وأرسلت ... جَرِيًّا إلى أخرى قريبا تُعِينها

هذه امرأة تنتظر عِيرًا تَقْدم وزَوْجُها فيها ، فأرادت أن تَنْتِف بالخَيْط . وتَتَهَيَّأُ له . والجَرِىُّ : الرَّسول ، يقول : أرسلته إلى جارة لها تَنْتِفها لِتتزَيَّن ، وبعد هذا قال :

فما زال يَجْرِى السِّلْك فى حُرِّ وجهها ... وجبهتها حَتَّى تَنَتْه قُرُونُها

ثَنَتْه : كَفَّته . وقرونها : ذوائبها : وقرأت على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد ابن عرفة لعمر بن أبي ربيعة :

يا ليتنى قد أَجزْتُ الحَبْلَ نحوكُم   حَبْلَ المعرَّف أو جــاوزْتُ ذا عُشَر
إنَّ الثَّواء بــأرض لا أَرَاكِ بهــا   فاسْتَيْقِنِيه ثواءٌ حَقٌّ ذى كَــدَر
ومــا مَلِلْتُ ولكن زاد حُبُّكُمُ   ولا ذكَرْتُكِ إلا ظَلْتُ كالسَّــدِر
أُذْرِى الدموعَ كذى سُقْمٍ يُخامره   وما يُخامرنى سُقْمٌ سوى الذِّكَر
كم قد ذَكَرْتُك لو أُجْزَى بِذِكْرِكُمُ   يا أَشْبَه الناسِ كُلَّ النــاس بالقمر
إنى لأَجْذَلُ أنْ أَمْسِى مُقــابِلَهُ   حُبًّا لرؤية من أَشْبَهْتِ فى الصُّور

وأنشدنى أبو بكر بن دريد للبَعِيث الهاشمىّ :

أَلا طَرَقَتْ لَيْلَى الرِّفــاقَ بغَمْرةٍ   ومِنْ دون لَيْلَى يَذْبُلٌ فالقَعَاقِعُ
على حِين ضَمَّ الليلُ من كل جانبٍ   جَناحيه وانْصَبَّ النجومُ الخَوَاضِع
طَمِعْت بِلَيْلَى أن تَرِيعَ وإنمــا   يُقطِّـع أعنــاقَ الرجال المَطَامِـع
وبايَعْت ليلى فى الخَلاء ولم يكن   شُهودٌ على ليــلى عُدُولٌ مَقَانِـع
ومــا كلُّ مــا مَنَّتْك نَفْسُك مُخْلِيًا   يَكُون ولا كلَّ الهَوَى أنت تابع
فمــا أنت من شىء إذا كُنْتَ كلَّما   تَذكَّرْتَ لَيْلَى ماءُ عينيك دامــع

وقرأت على أبى بكر بن دريد ليزيد بن الطَّثَرِيَّة :

عُقَيْلِيَّــة أَمَّــا مَــلاثُ إزارها   فَدِعْصٌ وأمــا خَصْرُهــا فبَتِيل
تَقَيَّظُ أكنــافَ الحِمَى ويُظِلُّها   بنَعْمان من وادى الأَراك مَقِيــل
أَلَيْس قليــلًا نَظْرَةٌ إن نظرتُهــا   إليكِ وكَلَّا لَيْسَ منــكِ قليــل
فيا خُلَّةَ النفس التى ليس فــوقهــا   لَنَــا مِنْ أَخِلَّاءِ الصَّفــاء خليــل
ويامَنْ كَتَمْنا حُبَّه لم يُطَعْ بــه   عَدُوٌّ ولم يُؤْمَن عليــه دَخِيــل
أمَا منْ مَقَامٍ أَشْتكِى غربةَ النَّوى   وخَوْفَ العِــدا فيــه إليكِ سبيل
فَــدَيْتُــك أعدائى كثيرٌ وشُقَّتِى   بعيدٌ وأشياعى لــديك قليــل
وكنتُ إذا مــا جئتُ جئتُ بِعِلَّةٍ   فأفْنَيْتُ عِلَّاتِى فكيف أقول

فمـــا كُلَّ يوم لى بأَرْضِك حــاجة ولا كُلَّ يوم لى إليكِ رســـول

قال أبو على : أخذ من هذا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، حدثنا جحظة قال حدثنى حماد عن أبيه إسحاق بن إبراهيم قال : أنشدت الأَصمعىّ :

هــل إلى نَظْرةٍ إليـــكِ سبيلُ يَرْوَ منها الصَّدَى ويُشْفَ الغَليــل

إنَّ مــا قَلَّ منك يكثرُ عنــــدى وكثيرٌ ممن تُحِبُّ القليـــــل

قال : فقال لى : هذا والله الديباج الخُسْرَوَانِىُّ ؛ فقلت : إنهما لليلتهما ؛ فقال أفسدتهما .

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه :

والله لا نَظَرَتْ عينى إذا نَظَــرَتْ إلّا تَحَدَّر منهــا دَمْعُهـــا دِرَرا

ولا تَنَفَّسْتُ إلا ذاكرًا لــكُمُ ولا تَبَسَّمْتُ إلا كاظِمًــا عِبرَا

وأنشدنا أبوبكر بن دريد قال أنشدنا الأُشناندانىّ عن التوّزىّ لطَهْمَان بن عمرو من بنى بكر بن كلاب :

ولو أَنَّ لَيْلَى الحارِثِيَّة سَلَّمَــتْ عَلَىَّ مُسَجًّى فى الثِّياب أَسُـــوق

حَنُوطِى وأَكفـــانى لَــدَىَّ مُعدَّةٌ وللنَّفْس من قُرْب الوفاة شَهِيق

إذًا لَحسِبْتُ المــوتَ يَتْركُنى لها ويُفْــرَجُ عَنِّى غَمُّــه فــأُفِيق

ونُبِّئْت لَيْلَى بالعــراق مَريضةً فماذا الــذى تَغْنَى وأنتَ صَدِيق

شَفَى الله مَرْضَى بالعراق فإننى على كلِّ شــاكٍ بالعِراق شَفِيق

قال : وقرأت عليه لتوبة بن الحُمَيِّر :

ولو أَنَّ ليلى الأَخْيَلِيَّــة سَلَّمت عَلَىَّ ودونى تُرْبةٌ وصـــفائح

لسلَّمْت تَسليمَ البشــاشةِ أَوزَقَا إليها صَدًى من جانب القبر صائح

وأُغْبَطُ من لَيْلَى بما لا أنالــهُ أَلاَ كلُّ ما قَرَّتْ به العينُ صالح

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت

رجلا يقول : الحَسَدُ ماحِقُ الحَسَنات ، والزَّهْوُ جالبٌ لمَقْتِ الله ومَقْتِ الصالحين ، والعُجْب صارفٌ عن الأُزدياد من العلم داعٍ إلى التَّخَمُّطِ. والجهل ، والبُخْل أَذَمُّ الأَخلاق وأَجْلَبُها لسُوء الأُحْدُوثة . قال : وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلا يوصى آخر وأراد سفرا فقال : آثِرْ بعمَلِك مَعادَك ، ولاتَدَعْ لشهوتك رَشادَك ؛ ولْيَكُنْ عَقْلُك وَزِيرَك الذى يَدْعُوك إلى الهدى ، ويَعْصِمُك من الرَّدَى ؛ أَلْجِمْ هواك عن الفواحش ، وأَطْلِقْه فى المَكارم ؛ فإنك تَبَرُّ بذلك سَلَفَك ، وتَشِيد شَرَفَك .

وحدثنا قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يوصى ابنه فقال : ٱبْذُل المَوَدَّة الصادقةَ تَسْتَفِدْ إخوانا ، وتَتَّخِذْ أعوانا ؛ فإن العَداوةَ موجودةٌ عَتِيدَة ، والصَّداقة مُسْتَعْزَةٌ بَعِيدة ؛ جَنِّبْ كَرامتَك اللئام ، فإنهم إن أَحْسَنْتَ إليهم لم يَشكُروا ، وإن نَزَلَتْ شديدةٌ لم يَصْبِروا .

قال أبو على : مُسْتَعْزِزة : مُنْقَبِضة شديدة ، يقال : رأيت فلانا ٱعْتَرَزَ مِنِّى أى ٱنقبض . وٱسْتَعْرَزَتِ الجلدةُ فى النار إذا تَقَبَّضَت ؛ قال الشماخ :

وكلُّ خليلٍ غَيْرِ هاضمِ نَفْسِـــه   لوَصْلِ خليـلٍ صارِمٌ أو مُعَارِزُ

يقول : كل مَنْ لم يَظْلِمْ نفسَه لأخيه ويَحْمِلْ عليها فإنه قاطع أو منقبض .

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا أبوحاتم عن العتبىّ قال : قال رجل لعبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى : يا أمير المؤمنين ، هَزَزْتُ ذوائب الرِّحال إليك ، فلم أجد مُعَوَّلا إلا عليك ؛ أَمْتَطِى الليلَ بعد النهار ، وأَقْطَع المَجاهِل بالآثار ؛ يَقُودنى نحوَك رجاء ، وتَسُوقُنى إليك بَلْوَى ؛ والنفس راغبة ، والاجتهاد عا ر ؛ وإذا بَلَغْتُك فَقَدْنِى ؛ قال : ٱحْطُطْ عن راحلتك فقد بَلَغت .

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا الرياشىّ عن العتبىّ قال : سئل أعرابىّ عن ٱمرأة فقال : هى أَرَقُّ من الهواء ، وأَطْيَب من الماء ، وأحسن من النَّعْماء ، وأبعد من السماء .

وحدثنا قال حدثنا الرياشىّ عن الأَصمعىّ قال : العرب تقول : لاثَناء مع الكِبْر ، ولا صَدِيق لذى الحَسَد ، ولا شَرَف لسَيِّئ الأَدب . قال : وكان يقال : شَرُّ خِصال الملوك الجُبْن عن الأَعداء والقَسْوة على الضعفاء ، والبُخْل عند الإعطاء .

وحدثنى أبو يعقوب ورّاق أبى بكربن دريد قال حدثنا أحمد بن عبيد الجوهرىّ قال سمعت أحمد بن عبد العزيز يقول سمعت أبى يقول : قام رجل إلى معاوية فقال له : سألتك بالرحِمِ التى بينى وبينك ؛ فقال : أَمِنْ قريش أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن سائر العرب ؟ قال : لا ، قال : فأَيَّةُ رَحِمٍ بينى وبينك ؟ قال : رَحِمُ آدم ؛ قال : رَحِمٌ مَجْفُوَّة ، والله لأكونَنَّ أَوَّلَ من وَصَلَها ؛ ثم قضى حاجته .

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : قيل لأعرابى قَدِمِ الحَضْرة : ماأَقْدَمَك ؟ فقال : الحَيْن الذى يُغطِّى العَيْن .

وحدثنا أبو عبدالله نفطويه قال حدثنا محمد بن موسى السامى قال حدثنا الأصمعىّ قال : مات ولد لرجل من الأعراب فصلَّى عليه فقال : اللهم إن كنت تَعْلَم أنه كريم الجَدَّيْن ، سَهْلُ الخَدَّين ؛ فاغفر له وإلا فلا .

وحدثنا قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوىّ عن ابن الأعرابىّ قال : ضَلَّت ناقةُ أبى السَّمَّال فقال : والله لئن لم يَرُدَّها الله علىَّ لا أُصلى أبدا ؛ قال : فوجدها متعلقة بزمامها بشجرة ؛ فقال : علم الله أنها مِنِّى صِرَّى ، أى عزيمة .

وحدثنى أيضا قال حدثنى أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ قال : قيل لابنة الخُسِّ : ما أَحَدُّ شَىْءٍ ؟ قالت : ضِرْسٌ جائع ، يَقْذِف فى مِعًى ضائع[1]. قيل : فما أَلَذُّ شيء ؟ قالت : قُبْلة فَتاةٍ فَتًى ، وعيشك ما ذُقْتُها . وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر :

وخِمــارِ عانِيَةٍ شَدَدْت برأسِهــا أُصُلًا وكان مُنَشَّــرا بِشِمَالِهــا

هذه امرأة فَزِعة ، أخذت خمارها بيدها ، فلما أدْرَكَها أَمِنَت فاخْتَمَرت ؛ ونحوٌ منه بيت عنترة :

ومُرْقِصةٍ رَدَدْتُ الخَيْلَ عنهــا وقــد هَمَّتْ بإلقــاء الزِّمام

مُرْقصة : امرأة قد ركبت بعيرا فهى تُرْقِصه ، أى تُنَزِّيه وتَحُثُّه ، وقد هَمَّت أن تُلْقِى زمامَها وتستسلم .

---

(١) ضائع : جائع .

[مطلب استعطاف إبراهيم بن المهدى للمأمون وعفوه عنه ورد ماله وضياعه إليه]

وحدثنا الأَخفش قال : بلغنى أن إبراهيم بن المهدىّ دخل على المأْمون قبل رضاه عنه فقال : ياأَمير المؤمنين ، وَلِىُّ الثَّأْرِ مُحَكَّم فى القصاص ، ومن تَناوَله الاغترارُ بما مُدَّ له من أَسباب الرخاء أَمِنَ عاديةَ الدَّهْر ، وقد جَعَلَكَ الله فوق كل ذى ذَنْب ، كما جَعَلَ كل ذى ذنب دُونَك ، فإن تأْخُذْ فَبِحَقِّك ، وإن تَعْفُ فبفَضْلِك ؛ ثم قال :

ذنبى إليـــــك عظـــيم وأَنت أعظـــم منــــه
فخـــذ بحَقِّـــك أَوْ لا فاصفح بفضلك عنـــــه
إن لم أَكـــن فى فعـــالى من الكِرام فَكُنْـــــه

فقال : القدرة تُذْهِب الحَفِيظة ، والندمُ توبة ، وعفوُ الله بينهما ، وهو أَكبر ما يُحَاوَل ، ياإبراهيم ، لقد حَبَّبْتَ إِلَىَّ العفوَ حتى خِفْت أَلَّا أُوجَرَ عليه ، لا تَثْرِيب عليك ، يغفر الله لك . وعفا عنه وأَمر بردّ ماله وضِياعه ؛ فقال :

رَدَدْتَ مــالى ولم تَبْخَلْ عَلَىَّ به وقبل ردّك مــالى قد حَقَنْتَ دَمِى
فأُبْتُ منــك وما كافَأْتُهَا بيدٍ همـــا الحياتان منوَفْرٍ ومن عَدَم
وقام علمُــكَ بى فاحْتَجَّ عنــدك لى مَقامَ شـــاهــدٍ عَدْلٍ غيرِ مُتَّهَـم
فلو بَذَلْتُ دَمِى أَبْغِى رِضـــاك به والمالَ حَتَّى أَسُــلَّ النَّعْلَ منقَدَمى
ما كان ذاك سوى عاريَّةٍ رَجَعَتْ إليك لو لم تَهَبْهَا كنتَ لـــــمتُلَم

قال الأَصمعىّ : ومن أَمثال العرب : « حُرٌّ انْتَصَر » يضرب مثلا للرجل يُظْلَم فَيَنْتَقِم . ويقال : « أَصْرَدُ مِن عَنْزٍ جَرْباء » يضرب مثلا للرجل يَجِد البرد . ويقال : « خَرْقاءُ عَيَّابة » يضرب مثلا للرجل العاجز عن الشيء وهو يَعِيبالعجز . ويقال : « أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حَضَنًا » أَي من بَلَغ منالأَمرهذا المبلغ فقد بَلَغ مُعْظَمَه . وحَضَنٌ : جبل بنجد . ويقال : « حَنَّ قِدْحٌ ليس منها [1] » يضرب مثلا للرجل يُدْخِل نَفْسه فى القوم

(١) القدح : أحد قداح الميسر ؛ واذا كان أحد القداح من غير جوهر اخوانه ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فيعرف أنه ليس منها .

ليس منهم . قال : وبلغني أن عمر رضى الله عنه لما قال ابن أبي مُعَيْط : أأُقتَل مِنْ بين قريش ؟ قال : «حَنَّ قِدْحٌ ليس منها» فلا أدرى أقاله مبتدئا أم قيل قبل.

وقال أبو زيد : يقال : «رَبَضُكَ منك وإن كان سَمَارا» يقول : منك فصِيلتُك ، وهم بنو أبيه ، وإن كانوا قَوْمَ سَوْء . ويقال : «منك عِيصُك وإن كان أَشِبًا» يقول : منك أصْلك وإن كان غير صحيح . ويقال : «أعْيَيْتَنِى مِن شُبَّ إلى دُبَّ» أى أعييتنى من لَدنْ شَبَبْت إلى أن دَبَبْت على العصا ، يقال ذلك للمرأة والرجل . ويقال: «أعْيَيتِنِى بأُشُرٍ فكيف أَرْجُوكِ بِدُرْدُر» يقول : أعييتنى وأنت شابة باردة الأسنان ، فكيف أرجوك إذا سقطت أسنانُك . والدُّرْدُر : مكان السِّنِّ من اللَّحْى .

[مطلب شرح مادة ذرأ مهموزا ومعتلا]

وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : ذَرِئَ رأسُ الرجل يَذْرَأُ ذَرَأً ، وقد عَلَتْه ذُرْأَة ، أى بياض ؛ وأنشد :

* وقد عَلَتْنِى ذُرْأَةٌ بادى بَدِى (١) *

وأنشد أبو بكر بن دريد بعد هذا البيت .

* ورَثْيةٌ تَنْهَضُ فى تَشَدُّد *

وقوله : بادى بدى ، أى فى أوّل الأمر ، ويقال : جَدْىٌ أَذْرَأُ وعَنَاق ذَرْآء إذا كان فى رأسه ورأسها بياض ؛ ومنه قيل : مِلْح ذَرْآنِىٌّ ، أى شديد البياض ؛ وقال غيره : وذَرَآنِىٌّ أيضا . وقال اللحيانى : يقال ذَرَأَ اللهُ الخَلْق يَذْرَؤُهم ، والله البارئ الذَّارِئ ، والخَلْق مَذْرُوءون ومَبْرُوءون . وقال أبو نصر : ذَرا يَذْرُو ذَرْوًا إذا مَرَّ مَرًّا سريعا ، وذرا نابُ الجمل يَذْرُو ذَرْوًا إذا انكسر حَدُّه ؛ وقال أوس بن حجر :

وإنْ (٢) مُقْرَمٌ منّا ذَرَا حَدُّ نابه تَخَمَّطَ فينا نابُ آخرَ مُقْرَم

وذَرَت الريحُ الترابَ تَذْرُوه ذَرْوًا ؛ ومنه قيل : ذَرَّى الناسُ الحِنْطة ؛ قال : ويقال : ذَرَت الريحُ التراب تَذْرِيه ، بمعنى ذَرَتْه تَذْرُوه ، وطَعَنَه فأذْراه عن فرسه . أى رَمَى به

(١) البيت لأبى نخيلة السعدى كما فى اللسان مادة «ذرأ» والأغانى (ج ١٨ ص ١٥١) .

(٢) فى اللسان ماد «قرم» : اذا مقرم الخ .

وقَلَعَه عن السَّرْج ، وقال الأصمعىّ : أَذْرَتْه إذا قَلَعَتْه من أصله قَلْعًا ، وذَرَتْه طَيَّرَتْه قال ابن أحمر :

لها مُنْخُل تُذْرِى إذا عَصَفَتْ به أَهَابِىَّ سَفْسَاف من التُّرْب تَوْأَم

وقال اللحيانىّ : ذَرَت الريحُ التراب تَذْرُوه وتَذْرِيه إذا سَحَفَتْه وأذهبته . قال : وقال الكسائى : ذَرَوْت وذَرَيْت وذَرَّيْت بمعنى واحد ، أى نَقَّيْتها فى الريح . قال أبو نصر : فلان يُذَرِّى فلانا ، أى يرفع من شأنه ويمدحه ، قال الراجز .

عَمْدًا أُذَرِّى حَسَبِى أن يُشْتَمَا بهَدْرِ هَدَّارٍ يَمُجُّ البَلْغَما

وقال أبو زيد : ذَرَّيْت الشاة إذا جَزَزْتها وتركت على ظهرها شيئا منه لتُعرف به ، ولا يكون ذلك إلا فى الضأن ؛ وقال أبو نصر وغيره : ذِرْوَةُ كلِّ شىء أعلاه ، ويقال : فلان فى ذَرَى فلان ، أى فى دِفْئِه وظِلِّه . ويقال : اسْتَذْرِ بهذه الشجرة ، أى كن فى دِفْئِها ، وهو الذَّرَى مقصور . ويقال : « جاء يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ » إذا جاء باغيا يَتَهَدَّد ، قال : والمِذْرَوَان : الناحيتان ؛ قال بعض[1] هُذَيْل يذكر القوس :

على كُلِّ هَتَّافَةِ المِذْرَوَيـ ـنِ صَفْراءَ مُضْجَعَةٍ فى الشِّمال

يعنى : الجانبين اللذين يقع عليهما الوتر من أسفل ومن أعلى .

قال أبو على : وهذا القول مشتمل على من سَمَّى ناحيتى الرأس مِذْرَوَيْن ؛ وعلى ما رواه أبو عبيد عن أبى عبيدة أن المِذْرَوَيْن أطراف الأَلْيتين ؛ وأنشد لعنترة :

أَحَوْلِى تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوَيها لِتَقْتُلَنِى فهأنذا عُمَارا

قال : وليس لهما واحد ، لأنه لو كان لهما واحد فقيل مِذْرَى لقيل فى التثنية مِذْرَيَان بالياء وما كانت بالواو ، وقال أبو نصر : يقال : بلغنى عنه ذَرْوٌ من خبر ، أى طَرَفٌ ولم يتكامل .

(١) هو أمية بن أبى عائذ كما فى منتهى أشعار الهذليين لأبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى ص١٩٣ طبع لندن سنة ١٨٥٤ م ورواية البيت فيه هكذا :

على عجس هتافة المذروين زوراء مضجعة فى الشمال

والعجس : المقبض . وزوراء : معوجة .

وأنشدنا أبو بكربن دريد لمعقر بن حمار البارقى :

إذا ٱسْتَرْخَتْ عِمَادُ الحَىِّ شُدَّتْ ولا يُثْنَى لقــائمةٍ وَظِيـــفُ

يقول : هم سائرون وبيوتهم على ظهور إبلهم ؛ فإذا ٱسترخى منها شيء شُدَّ من غير أن يُنِيخوا بعيرا ويَثْنُوا وَظِيفَه . وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى المعروف بنفطويه :

أَمَا واللهِ ثُمَّ اللهِ حقـــا يَمِينَ البِرِّ أُتْبِعُهـــا يمينـا

لقـد حَلَّتْ أُمَيْمةُ من فـؤادى تِـــلاعًا مـا أُبِحْنَ وما رُعِينـا

ولكنّ الخليـــل إذا قـلانـا وآثر بالمــوَدّة آخَـــرِينـــا

صَـدَدْتُ تكرُّما عنــه بنفسى وإن كان الفـــؤاد بـه ضَنِينا

وأنشدنا قال أنشدنى عبيد الله بن إسحاق بن سلام :

نَزَلَتْ بمكَّةَ فى قَبـــائل نَوْفَلٍ ونَزَلْتُ خَلْفَ البئـــر أَبْعَدَ مَنْزِل

حَذَرًا عليهـا من مَقالةِ كاشحٍ ذَرِبِ اللســان يَقُول مالم أَفْعَل

وأنشدنى نفطويه لنفسه :

أَتَخَالُنى من زَلّــةٍ أَتَعَتّبُ قَلْبِى عليك أَرَقُّ ممـــاتَحْسَب

قلبى وروحى فى يديك وإنمـــا أنت الحيـاة فأَيْنَ عنـك المَذْهَب

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى البيت الأوّل من هذين البيتين عن أبى العباس أحمد بن يحيى ، وقرأت القصيدة بأسرها على أبى بكر بن دريد لجميل بن مَعْمَر العذرىّ :

وقالوا لا يَضِيرك نأْىُ شهــر فقلت لصاحبىَّ فمـــن يَضِـير

يَطُول اليومُ إن شَحَطَتْ نَـواها وحَوْلٌ نلتقى فيـــه قصير

وحدّثنا أبوبكر بن أبى الأزهرمستملى أبىالعباس المبرّد قال أنشدنا الزبيرلبثينة :

وإن سُلُوِّى عـن جميل لَساعةٌ من الدهر ماحانت ولاحان حِينُها

سواءٌ علينا يا جَميلُ بن مَعْمَر إذا مُتَّ بأْساءُ الحيـاة ولِينُها

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله قال أنشدنى أبى :

لما تَبَدَّت من الأَستار قلت لها سبحان سبحان ربى خالق الصور

ما كنت أَحْسَبُ شمسا غير واحدة حتى رأيت لها أُختا من البشر

كأنها هى إلا أن يُفَضِّلَهـا حُسْنُ الدلال وطَرْفٌ فاتِرُ النظر

وقرأت على أبى بكر بن دريد لابن الدمينة :

ألا لا أرى وادى المياه يُثِيب ولا النَّفْسَ عن وادى المياه تَطِيب

أُحِبُّ هبوط الواديين وإننى لمُسْتَهْتَرٌ بالواديين غريب

أَحقًّا عبادَ الله أن لست واردا ولا صادرا إلا علىَّ رَقِيب

ولا زائرا وحدى ولا فى جماعة من الناس إلا قيل أنت مُرِيب

وهل رِيبَةٌ فى أن تَحِنَّ نجيبةٌ إلى إلْفِها أو أن يَحِنَّ نجيب

وإن الكَثِيب الفَرْدَ من جانب الحمى إلىَّ وإن لم آتِـهِ لحبيب

وقرأت عليه أيضا :

صَفْراء من بَقَرِ الجِواء كأنما تَرَكَ الحياءُ بها رُداعَ سقيم [1]

من مُحْذِيات [2] أخى الهوى جُرَعَ الأسى بدَلالِ غانيـةٍ ومُقْلة رِيم

وقَصِيرة الأَيام وَدَّ جَلِيسُهـا لو دام مجلسها بفَقْدِ حَمِيم

وقرأت عليه أيضا :

لكِ الله إنِّى واصلٌ ما وَصَلْتِنِى ومُثْنٍ بمـا أَوْلَيْتِنِى ومُثِيب

فلا تتركى نفسى شَعاعًا [3] فإنها من الوجد قد كادت عليكِ تذوب

(١) الأبيات لقيس بن معـاذ مجنون بنى عامر (المعروف بمجنون ليلى) كما فى اللسان مادة «ردع» . والرداع هنا ، وجع الجسد .

(٢) محذيات : من أحذيته اذا أعطيته .

(٣) نفس شعاع : متفرقة . والأبيات لقيس بن معاذ مجنون بنى عامر كما فى اللسان مادة «شعع» .

وإنى لأستحييكِ حتى كأنما علىّ بظَهر الغيب منك رقيب

وقرأت عليه لجميل بن معمرالعذرىّ ، وأنشدنى البيتين الأوّلين أبو معاذ عبدان المتطبب :

فلو أرسلتْ يومـــا بُثَيْنة تَبْتَغِى يمينى ولـــو عَزَّت علىّ يمـــى

لأَعْطَيْتُها ما جـاء يَبْغِى رسولُها وقلت لهـــا بعـد اليمين سَلِينى

سَـلِينِىَ مـا لى يابُثَيْن فإنمـا يُبَيَّنُ عنـــدَ المالِ كلُّ ضَنِين

فمـالَكِ لَمَّـا خَبَّر النـاسُ أننى أسأْتُ بظَهْرِ الغَيْب لم تَسَلِينى

فأُبْلِىَ عُذْرا أو أَجِىءَ بشاهـد من النـاس عَدْلٍ أنهم ظلمـونى

ولَسْتُ وإن عَزَّت علىَّ بقـــائلٍ لها بعـد صَرْمٍ يا بُثَيْنُ صِلِينى

ونُبِّئْتُ قوما فيكِ قد نَذَرُوا دَمِى فَلَيْتَ الرِّجال المُوعِـدِين لَقُونى

إذا ما رَأَوْنى مُقْبِلا عن جَنَـابةٍ يقولـــون مَنْ هذا وقد عَرَفُونى

وأنشدنا أبو بكر بن السراج هذين البيتين الأخيرين :

فَلَيْتَ رجالا فيكِ قـد نَذَرُوا دَمِى وهَمُّوا بقتـلى يابُثَيْنُ لَقُـــونى

إذا ما رأونى طـالعا من ثَنِيَّةٍ يقولون من هذا وقد عرفونى

[مطلب من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية تكرما وصيانة لنفسه]

وحدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس بن هشام قالا : حَرَّم رجالٌ الخَمْرَ فى الجاهلية تَكَرُّما وصِيانةً لأنفسهم ، منهم عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عباد بن يَشْكُر بن بَكْر بن عَدْوان بن عمرو بن قَيْس ابن عَيْلان ، وقال فى ذلك :

سـأَلةٌ للفـــتى ما ليس فى يده ذَهَّابــة بعُقُول القوم والمـال

أقسمت بالله أَسْقِيهـا وأَشْرَبُها حَتَّى يُفَرِّق تُرْبُ القَبْر أو صـالى

مُورِثةُ القـــومِ أَضْغانا بلا إِحَنٍ مُزْرِيَةٌ بالفتى ذى النَّجْدَة الحالى

وحَرَّم قَيْسُ بن عاصم الخمروقال فى ذلك :

لَعَمْرُك إنَّ الخمــر ما دُمْتُ شاربا   لَسَالبةٌ مــالى ومُذْهِبَةٌ عقــلى

وتارِكَتِى من الضِّعــاف قُــوَاهُمُ   ومُورِثَتِى حَرْبَ الصَّديق بلا تَبْل (١)

قال : وحَرَّمَ صَفْوان بن أُمَيَّة بن مُحَرِّثٍ الكِنَانىّ الخمر فى الجاهلية وقال فى ذلك :

رأَيتُ الخمر صــالحةً وفيهــا   مَنَاقِبُ تُفْسِد الرجل الكريمــا

فلا والله أَشْرَبُهــا حيــاتى   ولا أَشْفِى بهــا أَبدًا سقيمــا

قال : وحَرَّمَ عفيفُ بن مَعْدِ يكربَ عمّ الأَشعث بن قيس الخَمْرَ وقال :

وقائلةٍ هَلُمَّ إلى التصــابى   فقلتُ عَفَفْتُ عمــا تَعْلَمِينــا

وَوَدَّعْتُ القِداح وقــد أرانى   بها فى الدَّهْرِ مَشْعُوفــا رَهِينــا

وحَرَّمْتُ الخُمور علىَّ حــتَّى   أَكــون بقَعْرِ مَلْحُود دَفِينــا

وقال عفيف بن معد يكرب أيضا :

فلا والله لا أُلْفَى وشَرْبًــا   أُنازِعُهــم شرابًا مــا حَيِيتُ

أَبَى لِىَ ذاك آباءٌ كِرَامٌ   وأَخــوالٌ بِعِزِّهمُ رَبِيــت

قال : وحَرَّم سُوَيْد بن عدىّ بن عمرو بن سلسلة الطائىّ ثم المَعْنِىُّ الخَمْرَ وأدرك الإسلام فقال :

تَرَكْتُ الشِّعر واستبدلتُ منــه   إذا داعى مُنادِى الصُّبْح قاما

كتابَ الله ليس له شريــك   وَوَدّعْتُ المُدامة والنَّدامَى

وحَرَّمْتُ الخُمــورَ وقــد أرانى   بها سَدِكًا وإن كانت حَرَامــا

[مطلب شرح مادة الشعف بالمهملة والشغف بالمعجمة]

قال أبوعلى : الشَّعَف : حُرْقة يَجِدُها الرجل مع لَذَّة فى قلبه ؛ ولذلك قال امرؤ القيس :

أَيَقْتُلُنى وقد شَعَفْتُ فؤادَها   كما شَعَفَ المَهْنُوءةَ الرَّجُلُ الطالى

(١) كذا فى الأصل المخطوط ، والتبل : العداوة . وفى الطبعة الأولى «نبل» بالنون .

لأن المهنوءة تجد للهِناء لَذةً مع حُرْقة . والشَّغَف : أن يَبْلُغ الحُبُّ شَغَاف القلبِ ، وهي جلدة دونه ؛ والشَّغَاف أيضا : داء يكون فى أحد شِقَّى البطن ، ولذلك قال النابغة :

وقد حَالَ هَمٌّ دون ذلك والِجٌ وُلُوجَ الشَّغَافِ تَبْتَغيه الأَصــابع

يعنى أصابع الأطباء يَلْمِسْنَه : هل وَصَل إلى القلب أم لا ، لأنه إذا اتصل بالقلب تَلِفَ صاحبُه. ويقال : سَدِكَ به وعَسِكَ وعَبِقَ وَلكِدَ ولَكِىَ وحَلِسَ وعَبِق ولَذِمَ وغَرِىَ إذا لَصِق به ولَزِمه ، وكذلك دَرِبَ به وضَرِىَ به ولَهِجَ به وأعْصَم به وأخْلَدَ به وعَضَّ به وأَزِمَ به وألَظَّ به ، قال الحارث بن حِلِّزة :

طَرَقَ الخَيالُ ولا كَلَيْلة مُدْلِجٍ سَدِكًا بأرْحُلِنا ولم يَتَعَــــرَّج

وقال الآخر :

وما كُنْتُ أَخْشَى الدهرَ إحلاسَ مُسْلِمٍ من الناس ذَنْبًاجاءه وهْوَمُسْلِما

أراد : وماكنت أخشى الدهر إلزامَ مسلم مسلما ذنبا جاءه وهو ، أى جاءاه معًا. وقال رؤبة :

* والمِلْغُ يَلْكَى بالكلامِ الأَمْلَغ *

المِلْغُ : الماجن . والأَمْلَغُ : الأَمْجَن . وقال كعب بن زهير يمدح الأنصار :

دَرِبُوا كما دَرِبَتْ أُسودُ خَفِيَّة غُلْبُ الرِّقاب من الأُسود ضَوارِى

وقال العَجّاج :

يَقْتَسِر الأَقــرانَ بالتَّقَحُّـــم قَسْرَ عَزِيزٍ بالأَكال مِــلْذَم

والأَكَال : ما أُكِل . وقال أوس بن حجر :

فمـــا زَال حَتَّى نالَها وهو مُعْصِمٌ على مَوْطِنٍ لَو زَلَّ عنها تَفَصَّلا

قال أبوعلىّ . حدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن العتبىّ قال سمعت أعرابيا يقول : أسوأُ ما فى الكريم أن يَكُفَّ عنك خَيْرَه ، وخيرُ ما فى اللئيم أن يَكُفَّ عنك شَرَّه .

وحدّثنا أبوعثمان الأشناندانىّ عن الأخفش سعيد بن مسعدة قال : كتب رجل

من أهل البصرة إلى أخ له : أمابعد ، فإنه يُسَهِّل علىّ طلبَ الحاجة أمران فيك ، وأمران لى ، وأمر من قِبَل الله ، وبه تمامها ، فأما اللذان فيك : فاجتهادك فى النُّجْح ومبالَغَتُكَ فى الاعتذار ؛ وأما اللذان لى : فإنى لا أُضَيِّقُ عليك بعذرى ، ولا أصون عنك شكرى ؛ وأما الذى من قبل الله جلّ وعزَّ : فإيمانى بأن كُلَّ مَقْدورٍ كائنٌ ، والسلام.

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان عن التوَّزى عن أبى عبيدة قال : مَرَّ رجل من أهل الشام بامرأة من كَلْب فقال : هل مِن لَبَنٍ يُباع ؟ فقالت : إنك لَلَئيمٌ أوحديث عهد بقومٍ لئام ، هل يبيع الرِّسْلَ كريمٌ أويمنعه إلا لئيم ! إنا لَنَدَع الكُومَ لأضيافنا تَكُوس ، إذا عَكَفَ الزمان الضَّروس ، ونُغْلِي اللحمَ غَرِيضا ، ونُهِينه نَضِيجا . قال أبو علىّ : الرِّسْل : اللَّبَن .

وأنشدنا أبو بكر :

فَتًى لا يَعُدُّ الرِّسْل يَقْضِى مَذمَّةً إذا نزل الأضياف أويَنْحَر الجُزْرا

وكذلك أيضا الرِّسْل فى المَشْى بكسر الراء : وهو الهَيِّن الرَّفِيق ؛ قال صخر الغىّ :

لو أنَّ حَوْلِى من تَميم[1] رَجْــلا لَمَنعُونى نَجْدةً أو رِسْــــلا

يقول : لمنعونى بأمر شديد أو بأمر هين ، والرَّسَل بفتح الراء والسين : الإبل ؛ قال الأعشى :

يَبْغِى[2] ديارًا لها قد أَصْبَحَتْ غَرَضًا زَوْرًا تَجانَفَ عنها القَوْدُ والرَّسَل

القَوْدُ : الخيل . وتكُوس : تَمْشِى على ثلاث . ونُغْلِى من الغَلاء .

قال أبو علىّ : وحدثنا أبو بكر عن العكلىّ عن ابن أبى خالد قال : قال زياد : ما قرأتُ كِتابَ رَجُلٍ قطُّ إلا عَرَفْتُ عَقْلَه فيه ، وما رأيت مثلَ الربيع بن زياد رَجُلا ، ما كَتَبَ إلىّ كِتابا قط إلا فى جرِّ منفعة أو دفع مَضَرَّة ، ولا سألْتُه عن شىء قط إلا وَجَدْتُ منه عنده علما ، ولا نَظَرْتُه فى شىء إلا وجدته قد سَبَقَ على الناس فيه ، ولا سايَرَنى قَطُّ فَمَسَّت رُكْبَتُه ركبتى .

---

(١) فى اللسان مادة «رسل» قريم .

(٢) فى اللسان (مادة رسل) «يسقى رياضا» .

وحدّثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدّثنا محمد بن يونس قال حدّثنا الأصمعيّ قال : توضأ أعرابى فبدأ بوجهه ورجليه ثم استنجى ، فقيل له : أخطأت السُّنَّة ؛ فقال : لم أكن لأبدأ بالخَبِيثة قبل جوارحى .

[مطلب ما قال الشعراء فى البكاء ووصف الدموع]

وحدّثنا أيضا قال حدّثنا أحمد بن يحيى النحوى قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنى القروى عن موسى بن جعفر بن أبى كثير قال : كان المجنون لمّا أصابه ما أصابه يخرج فيأتى الشأم فيقول : أين أرض بنى عامر؟ فيقال له : أين أنت عن أرض بنى عامر؟ عليك بنجم كذا وكذا ، فينصرف حتى يأتى أرض بنى عامر فيقف عند جبل لهم يقال له : التَّوْباذ ، وينشد :

وأَجْهَشْتُ للتَّوْبــــاذ حين رأيتـه ... وكَبَّرَ للرحمن حين رآنى

فأَذْرَيْتُ دمعَ العين لَمَّـــا رأيته ... ونادى بأعلى صوته فدعانى

فقلت لـه أيْنَ الذين عَهِدْتُهُمْ ... حَوَالَيْك فى أَمْنٍ وخَفْضِ زمان (١)

فقال مَضَوْا واَسْتَوْدَعُونى بلادهم ... ومن ذا الذى يبقى على الحَدَثان

وإنى لأَبْكِى اليوم من حَذَرِى غدًا ... فــراقَك والحَيَّــانِ مجتمعـان

سِجَالًا وتَهْتانًا وَوَبْلا وديمــــةً ... وسَحًّــا وتَسْــكَابا وتَنْهَمِــلان

ثم يمضى حتى يأتى العراق فيقول مثل ذلك ، ثم يأتى اليمن فيقول مثل ذلك .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى عن أبيه عن أحمد بن عبيد عن أبى عمرو الشيبانى للمجنون :

ذُدِ الدَّمعَ حتى يَظْعَنَ الحَىُّ إنمــــا ... دُموعُك إن فاضت عليك دليل

كأَنَّ دموعَ العيــن يوم تَحَمَّــلوا ... جُمانٌ على جَيْبِ القَمِيص يَسِيل

وأنشدنا أبوعبد الله نفطويه قال أنشدنا أحمد بن يحيى :

ومُسْتَنْجِدٍ بالحُزْن دَمْعًا كأنــــه ... على الخَدِّ مِمَّــا لَيْسَ يَرْقَأُ حائر

---

(١) رواية معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٨٨٨ : * بربك فى خفض وعيش ليان *

إذا دِيمةٌ منــه ٱسْتَقَلَّتْ تَهَلَّلَت أَوائلُ أُخْــرى ما لَهُنَّ أَواخـــر

مَلَا مُقْلَتَيْه الدمعُ حـــتَّى كأَنَّــه لِمَــا ٱنْهَلَّ من عينيه فى الماء ناظر

وأنشدنا هذه الأبيات أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوى عن أبى العباس محمد بن يزيد الثُّمالى ، وقال : قال أبو العباس : هذه الأبيات أحسن ماقيل فى الدموع ، وزاد فى آخرها بيتا :

ويَنْظُرُ مِنْ بينِ الدموعِ بمُقْلةٍ رَمَى الشَّوْقُ فى إنسانها فهو ساهر

وقرأت على أبى بكر بن دريد رحمه الله :

نَظَرْتُ كأَنِّى من وراء زُجاجةٍ إلى الدار من ماء الصَّبابة أَنْظُرُ

فَعَيْناىَ طَوْرًا تَغْرَقانِ من البـــكا فأَعْشَى وحِينًا تَحْسِران فأُبْصِر

وأنشدنى أبو عبد الله نفطويه عن أحمد بن يحيى لذى الرمّة :

وما شَنَّتَا خَرْقاء واهِيَتا الكُــلَى سَقَى بهما ساقٍ ولَمَّــا تَبَــلَّلا

بأَضْيَعَ مِن عَيْنَيك للدمع كُلَّمــا تَذَكَّرْتَ رَبْعًا أَو تَوَهَّمْت مَنْزِلا

وحدّثنى أبو بكر التاريخى قال : قال بشار : مازال غلام [(١)] من بنى حنيفة يُدْخِل نَفْسَه فينا ويخرجها منّا حتى قال :

نَزَفَ البكاءُ دُمــوعَ عَيْنِك فٱسْتَعِرْ عَيْنًا لغيرك دَمْعُهـــا مِدْرارُ

من ذا يُعِيرُكَ عَيْنَه تَبْكِى بِهـــا أَرأَيتَ عَيْنًا للبكـــاء تُعَار

وأنشدنى أيضا قال أنشدنى البُحْتُرى لنفسه :

وَقَفْنـــا والعُيونُ مُشَعَّــلاتٌ يُغَالِب دَمْعَها نَظَرٌ كليـــل

نَهَتْهُ رِقْبَةُ الواشِين حَـــتَّى تَعَلَّق لا يَغِيض ولا يَسيل

وأنشدنى بعض أصحابنا لدِعْبِل الخُزاعى :

يارَبْعُ أَيْنَ تَوَجَّهتْ سَلْـــمَى أَمَضَتْ فَمُهْجةَ نفسه أَمْضَى

---

(١) غلام من بنى حنيفة : يعنى به العباس بن الأحنف ؛ فان العباس من بنى حنيفة وهذان البيتان فى ديوانه (ص ٦٨ طبع الجوائب)

لا أبْتَغِي سَقْيَ السحاب لها في مُقْلَتِي عِوَضٌ من السُّقْيا

وأنشدني جحظة لنفسه :

ومِنْ طاعتي إيَّاه أُمْطِرُ ناظري له حين يُبْدِي من ثناياه لي بَرْقا

كأنَّ دموعي تُبصِرِ الوصل هاربًا فَمِن أَجْلِ ذا تَجْرِي لِتُدْرِكَه سَبْقا

وكان أبو بكر بن دريد يستحسن [1] قول أبي نُواس في هذا المعنى :

لا جَزَى اللهُ دَمْعَ عينيَ خَيْرا وجزى الله كلَّ خيرٍ لساني

نَمَّ دمعي فليس يكتُم شيئًا ورأيتُ اللسان ذا كتمان

كنت مِثْلَ الكتاب أَخْفاه طَيٌّ فاسْتَدَلُّوا عليه بالعُنْوان

وأنشدنا نفطويه لنفسه :

قلبي عليك أَرَقُّ من خَدَّيْكا وقُوَاي أوهى من قُوَى جَفْنَيْكا

لِمَ لا تَرِقُّ لمن تُعَذِّبُ نفسَه ظُلْما ويَعْطِفُه هَواهُ عليكا

وأنشدنا أبو بكر لنفسه :

إن الذى أَبْقَيْتَ من جسمه بامُتْلِفَ الصَّبِّ ولم يَشْعُر

صُبَابةٌ لو أنها دمعةٌ تَجُول في جَفْنِك لم تَقْطُر

قال الأصمعي : من أمثال العرب « لايَعْدَمُ شَقِيٌّ مُهْرًا » أي لايعدم شقي عَناء . ويقال : « لاتَعْدَمُ الحَسْناءُ ذامًا » يراد : لايخلو الرجل من أن يكون به ما يُعاب . ويقال : « لَيْسَ عليكَ نَسْجُه فاسْحَبْ وجُرَّ » يضرب مثلا للرجل يُفْسِد ما لم يَتَعَنَّ فيه . ويقال : « اللَّيْلُ أَخْفَى للوَيْل » أي الستر أستر من المُكاشَفة . ويقال : « قَبْلَ الرِّماء ، تُمْلَأُ الكَنائن » يراد به : قَبْلَ وقوع الأمر يُعَدُّ له .

وأنشدني أبو العبَّاس البيتَ الأوَّلَ من هذين البيتين ، فأنشدته أبا بكر بن دريد فزادني البيت الثاني .

ولَذٌّ كطَعْمِ الصَّرْخَدِيِّ تَرَكْتُه بأَرض العِدَا من خَشْيَة الحَدَثان

---

(١) قوله : قول أبي نواس الخ . كتب بهامش الأصل : هذه الأبيات للعباس بن الأحنف اهـ .

وَمُبْدٍ لِىَ الشَّحْنَاءَ بينى وبينه دعَوْتُ وقد طال السُّرَى فَدَعانى

لَذٌّ يعنى النوم. والصَّرْخَدِىُّ: العَسَل، كذا قال أبو المياس. والعِدَا: الأعداء. والحَدَثان: مايَحْدُث من الأُمور. وقال أبو بكر: اللَّذُّ: اللذيذ، يعنى النوم. والصَّرْخَدِىُّ: الخمر. وقوله: ومُبدٍ لى الشَّحناء يعنى كلبا. وذلك أن الرجل إذا تحيَّر فى الليل فلم يَدْرِ أين البيوت نَبَحَ، فتسمعه الكلاب فَتَنْبَح، فيقصد أصواتَها؛ وهذا الذى تقول له العرب: المُسْتَنْبِح. ثم أنشدنى:

وَمُسْتَنْبِحٍ باتَ الصَّدَى يَسْتَتِيهُهُ فَتَاهَ وجَوْزُ الليل مُضْطَرِبُ الكِسْر [1]

رَفَعْتُ له نارا ثَقُوبًا زِنادُها تُلِيحُ إلى السارى هَلُمَّ إلى قِدْرِى

فلما أتى والبُؤْسُ رادِفُ رَحْلِهِ تَلَقَّيْتُه مِنّى بوَجْهِ امرئٍ بَشْر

فقلت له أَهْلٌ كأَهْلٍ فلم يَجُرْ بك الليلُ إلا للجميل من الأَمر

وكادت تَطِيرُ الشَّوْلُ عِرْفانَ صَوْتِه ولم تُمْسِ إلا وهْىَ خائفة العَقْر

[مطلب الكلام على مادة ب ش ر]

قال أبو على: بَشْرٌ: مصدر بَشَرْتُه أَبْشُره بَشْرًا، والبِشْرُ: الاسم، أراد بوجهِ امرئٍ ذى بَشْرٍ، فحذف المضاف، وفى بَشَرْتُ لغات [2]، قال الكسائى: يقال: بَشَّرْتُ فلانا بخير أُبَشِّره تَبْشيرا، وبَشَرْتُه أَبْشُره بَشْرًا، وبَشَرْتُه أَبْشِره بَشْرًا وبُشُورا، وأَبْشَرْته أُبْشِرُه إبشارا فى معنى واحد، وحكى عن بعضهم أنه قال: دخلت على الناطفى فَبَشَرَنى بِبِشْرٍ حَسَنٍ، قال: وسمعت أبا ثَرْوان ورَجُلا من غَنِىٍّ يقولان: بَشَرَنى فلان بخير وبَشَرْتُه بخير. قال ويقال: أَبْشَرَ فلان بخير، أى اسْتَبْشَر، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ﴾ أى اسْتَبْشِروا، وكذا كلام العرب إذا أخبروا عن أنفسهم

---

(١) الكسر (بالفتح ويكسر): الناحية.

(٢) حاصل أبواب هذا الفعل: أن بشر بوزن فرح لازم فقط. وبشر بوزن نصر وأبشر بوزن أكرم يتعديان ويلزمان. وبشر المضاعف متعد فقط.

قالوا : قد أَبْشَرْنا ، أى فَرِحْنا . قال ويقال أيضا : بَشَرْت بهذا الأمر أَبْشُر بشُورا ، أى فَرِحت واسْتَبْشَرْت ، على معنى أَبْشَرت . وهى فى قضاعة ؛ وقرأ أبو عمرو : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ ﴾ بالتخفيف .

[مطلب الكلام على مادة خ ف ى]

وقال اللحيانى : خَفَيْتُ الشيءَ أَخْفِيه خَفْيًا وخُفِيًّا إذا استخرجته وأظهرته ؛ وأنشد :

خَفَاهُنَّ(١) من أَنْفاقِهِنَّ كــأَنَّما خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من سحاب مُرَكَّب

قال أبو على :وغيره يروى : من عَشِيٍّ مُجَلِّب ، أى مُصَوِّت . ويقال : اخْتَفَيْت الشيءَ ، أى أظهرته . وأهل الحجاز يسمون النَّبَّاش : المُخْتَفِى ، لأنه يستخرج أكفان الموتى . وأَخْفَيْت الشيء أُخْفِيه إخفاء إذا سترته ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ وهى قراءة العامة والناس ، وروى عن سعيد بن جبير : أنه كان يقرأ ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ أى أظهرها ، وقال أبو عبيدة : أَخْفَيْت الشيءَ كتمته وأظهرته . ويقال : دَعَوْتُ الله خُفْية وخِفْية ، أى فى خَفْض ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ادْعُوا ربَّكُمْ تَضَرُّعًا وخُفْيَةً ﴾ وهى قراءة الناس والمجتمع عليها ، وكان عاصم يقرأ ﴿ تَضَرُّعًا وَخِفْيَةً ﴾ فى جميع القرآن . وقال اللحيانى وأبو نصر : الخافى : الجِنُّ . قال اللحيانى يقال : أصابته رِيحٌ من الخَوَافى . وأصابته ريحٌ من الخافى ، وهو واحد الخَوَافى ، وقال أبو نصر : الخَوَافِى جمع الجمع ، وسمعت أبا بكر بن دريد يقول : إنما قيل لهم خافٍ لخَفَائهم واستتارهم عن العيون . وقال اللحيانى : الخَوَافى من السَّعف :مادُون القِلبَة ، واحدتها خافِيَةٌ . والخَوَافِى من ريش الطائر : مادون المَنَاكِب ، وهى أربع ريشات . قال ويقال لأربع ريشات فى مُقَدَّم الجناح :القَوَادم ، ثم تليها أربع ريشات مَنَاكب ، ثم تليها أربع ريشات خَوَافٍ ، ثم يلى الخَوَافِى أربعٌ أباهرُ . وقال غيره : فى جناح الطائر عشرون ريشة مما يلى الجَنْب . فأربعٌ قوادِمُ ،وأربعٌ مناكبُ ، وأربعٌ كُلًى ، وأربع خَوَافٍ ، وأربعٌ أباهر. ويقال : بَرِحَ الخَفاء ، أى ظهر الأَمر ، وصار كأنه فى بَرَاحٍ . وهو المكان المستوى المُتَّسِع . وقال اللحيانى قال بعضهم : بَرِحَ الخَفاء ، أى ذَهَب السِّر وظهر ؛

(١) البيت لامرىء القيس يصف فرسا كما فى اللسان مادة « خفى » .

والخَفاء ههنا : السِّر . وقال : الخَفَاء مصدر خَفِىَ يَخْفَى خَفاء ؛ وقال بعضهم : الخَفاء : المتطأطئ من الأرض ، والبَرَاحُ : المرتفع الظاهر ، فيقول : ارتفع المتطأطئ حتى صار كالمرتفع الظاهر ؛ وقال أبو نصر : الخَفاء : ماغاب عنك .

[مطلب الكلام على مادة خيف وخوف]

وقال اللحيانى يقال : الناسُ أَخْيافٌ فى هذا الأمر ، أى مختلفون لايستوون . ويقال : خَيَّفَت المرأةُ أولادَها إذا جاءت بهم أَخْيَافًا ، أى مختلفين ، ويقال : تَخَيَّفَت الإبل وتَبَرْقَطَتْ إذا اختلفت وجوهُها فى الرعى . والخَيْفُ : ما ارتَفَع عن مَجْرَى السيل وانحدرعن غِلَظ الجبل ، ومنه مسجدالخَيْف بِمنًى . ويقال : أخاف الرجلُ فهو مُخِيفٌ إذا أتى الخَيْفَ ، والقومُ مُخِيفُون . والخَيْف : جلد ضَرْعِ الناقة ، يقال : ناقة خَيْفاء ، والجمع خَيْفَاواتٌ وخِيفٌ ، ويقال : بَعِير أَخْيَف إذا كان واسع الخَيْف ، وهو جلد الثِّيل[1] ؛ وأنشدنا أبو نصر :

صَوًى لهــا ذا كِدْنة جُلْذِيّـــــا أَخْيَفَ كانت أُمُّــه صَفِيّا [2]

وقال اللحيانى يقال : خَيِفَت الناقة تَخْيَف خَيَفًا إذا اتسع جلد ضَرْعِها . ويقال : فرس أَخْيَف ، والأُنثى خَيْفاء ، والجمع خِيفٌ ، إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأُخرى كحلاء . والخَيْفان : الجراد إذا صارت فيها ألوان مختلفة ، واحدتها خَيْفانَةٌ ، وبه سميت الفرس خَيْفانة لسرعتها ، وقال أبو بكر : إنما قيل للفرس خيْفانة لأن الجرادة إذا ظهرت فيها تلك الألوان كان أسرع لطيرانها . وقال اللحيانى : تخوَّفْت الشئَ تَنَقَّصْتُه ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ أى على تَنَقُّص . ويقال : تحَوَّفْتُ الشيءَ بالحاء غير معجمة ، إذاأخذتَ من حافاته . وقال أبونصر : وجَمْعٌ مُخِيف إذا أخاف من ينظر إليه . وحائطٌ مَخُوف ، وثَغْرٌ مَخُوف ، وطَريق مَخُوف ، إذا كان يُفْرَق منه . وقال اللحيانى : وقد يقال : ثَغْر مُخيف إذا كان يُخِيف أهله . ويقال : خِفْتُ من الشىء أَخَاف خَوْفًا وخِيفَةً وخِيفًا ، وهو جمع خِيفة ؛ قال الهذلىّ [3] :

(١) الثيل (بالكسر والفتح) : وعاء قضيب البعير وغيره ؛ أو هو القضيب نفسه (قاموس) .

(٢) البيت للفقعسى يصف الراعى والابل كما فى اللسان مادة « صوى » .

(٣) هو صخر الغي كما في منتهى أشعار الهذليين ص ٤٦ طبع لندن سنة ١٨٥٤ م .

فلا تَقْعُدَنَّ على زَخَّـــــةٍ وتُضْمِرَ فى القلب وَجْدًا وخِيفا

والزَّخَّة : الدَّفعة ، يقال : زَخَّ فى صدره يَزُخُّ زَخًّا ، أى دَفَع ، ومنه قيل للمرأة مِزَخَّة . ويقال : فلان خائفٌ والقوم خائفون وخُوَّف وخُيَّف ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ وفى حرف أُبَىٍّ وابن مسعود ﴿أَنْ يَدْخُلُوها إِلَّا خُيَّفًا﴾ والخَافَة : خَرِيطة من أدَمٍ ضَيِّقة الرأس واسعة الأسفل ، تكون مع مُشْتَار العَسَل إذا صَعِد لِيَشْتار .

وحدّثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى عَمِّى صَبَّاح بن خاقان قال قال خالد بن صفوان لبعض الوُلاة : قَدِمْتَ فأَعْطَيْتَ كُلًّا بِقِسْطه من وجهك وكرامتك ، حَتَّى كأنك لَسْتَ من أحَدٍ ، أو حتى كأنك من كل أحد .

وأنشدنى أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى أبى عن أحمد بن عبيد :

مالِرَسُولِى أتـانى منك باليـأس وقال أَظْهَرْتَ بعدى جَفْوَةَ القاسى
إنى أُحِبُّك حُبًّا لا لفـاحشة والحُبُّ ليس به فى الله من باس

وقرأت على أبى بكر بن دريد :

ولَمَّـا أَبى إلا جِمَاحـا فؤادُه ولم يَسْلُ عن لَيْلَى بمـال ولا أهـل
تَسَلَّى بأُخرى غيرِها فإذا التى تَسَلَّى بها تُغْرِى بليلى ولا تُسْلى

وأنشدنا أبو عبد الله :

يامُنْيَةَ النفس إن أُعْطِيتُ مُنْيَتَها وسُؤْلَتِى إن دَنَوْنـا أو نَأَيْنـاكِ
هل بِعْتِنا بَبَدِيلٍ مُنْذُ لم نَرَكُمْ فمـا بشىء من الأشياء بِعْنـاك
إن كُنْتِ لم تَذْكُرينا عند فرقتنا فيَشْهَد اللهُ أَنَّـا مـا نَسِيناك

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : تَذَاكَر قومٌ صِلَةَ الرَّحِم وأعرابى جالس ، فقال : مَنْسَأَةٌ فى العُمْر ، مَرْضَاةٌ للرب ، مَحَبَّةٌ فى الأهل .

وحدّثنا أَبو بكر قال أَخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : وَصَف أعرابىٌّ ناقة فقال : إذا اكحالّت عينُها ، وأَلِلَتْ[١] أُذُنُها ، وسَجِح خدُّها ، وهَدِل مِشْفَرُها ، واستدارت جُمْجُمَتُها ، فهى الكَرِيمة .

قال أبو على : سَجِح : سَهُل وحَسُن . وهَدِلَ : اسْتَرْخَى .

وحدّثنا أَبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن قال سمعت عمى يقول سمعت أعرابية تقول لرجل : رماكَ اللهُ بليلة لا أُخْتَ لها ، أى لاتعيش بعدها .

وحدّثنا أَبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال قال أَكْثَمُ بن صَيْفِىٍّ : سُوءُ حَمْل الفاقةِ يُحْرِض[٢] الحَسَب ، ويُقَوِّى الضَّرورة ، ويُذْئِر أَهلَ الشَّماتة .

قال أبو على : يُذْئِر : يُحَرِّش ، يقال : أَذْأَرْتُه بأَخيه إذا حَرَّشْته عليه وأَوْلَعْته به ، وقد ذَئِر هو ذَأَرًا حين أَذْأَرْته ؛ قال الشاعر .

ولَقَـــدْ[٣] أَتانِى عن تَميم أَنَّهم ذَئِروا لِقَتْلَى عامر وتَغَضَّبـوا

وحدّثنا أَبو بكر قال أَخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال بعض العرب : أَوْلَى الناس بالفَضْل أَعْوَدُهم بفَضْله ، وأَعْوَنُ الأَشياء على تَذْكية العَقْل التَّعلُّم ، وأَدلُّ الأَشياء على عقل العاقل حسن التدبير .

وحدّثنا أَبوبكر قال أَخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال قال رجل من العرب : مارأَيتُ كَفُلان ، إن طَلَب حاجةً غَضِبَ قبل أَن يُرَدَّ عنها ، وإن سُئِل حاجةً رَدَّ صاحبَها قبل أَن يَفْهَمَها .

وحدّثنا أَبو بكر قال أَخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال بعض الأَعراب : لاأَعْرف ضُرًّا أَوْصَل إلى نِياط القلب من الحاجة إلى من لم تَثِقْ بإسعافه ولاتأْمَنْ رَدَّه ، وأَكْلَمُ المصائب فَقْدُ خليل لا عِوَض منه .

وحدّثنا أَبو بكر قال أَخبرنا أَبوحاتم عن الأَصمعىّ قال : ذكر رجل حاتما الطائى فقال : كان إذا قاتَلَ غَلَب ، وإذا غَنِم أَنْهَب وإذا سُئل وَهَب ، وإذا أَسَرَ أَطْلَقَ .

---

(١) اللت : انتصبت فى دقة واستواء . (٢) يحرض : يفسد .

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص ؛ كما فى اللسان : (مادة ذأر) .

وحدّثنا قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قيل لأعرابي : أيُّ شيء أمْتَعُ ؟ فقال : مُمَازَحَةُ المُحِبِّ ، ومحادثة الصديق ، وأَمَانِيُّ تَقْطَع بها أيّامَك .

وحدّثنا قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال سمعت أعرابيا يقول : مَنْ لم يَرْضَ عن صَديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سَخَطُه ، ومن عاتَبَ على كل ذَنْبٍ كَثُرَ عَدُوُّهُ ، ومن لم يُؤَاخِ من الإخوان إلا مَنْ لا عيب فيه قَلَّ صَدِيقُه . وأنشدنا أبو عبد الله :

الرُّمْح لا أَمْــلأ كَفِّى بــه   واللِّبْد لا أَتْبَع تَزْوالَــــهُ

يقول : لا أُقاتل بالرمح وَحْدَه فأشْغَل كفى به دون غيره من السلاح ، ولكنى أُقاتل به وبغيره ، وإذا زال اللِّبْدُ عن مَتْن الفرس لم أَزُلْ معه وثَبَتُّ ؛ يصف نفسه بالفروسية .
وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا عبد الله بن خلف عن موسى بن صالح عن معاوية بن صَدَقة الجَحْدَرِىّ قال : كان رجل من مُجَاشِع يقال له : سعد بن مُطَرِّف ، يَهْوَى ابنةَ عَمٍّ له يقال لها : سُعاد ، فكان يأْتيها ويتحدّث إليها ولا يعلمها بما هو عليه من حبِّها ، حتى سُلَّ جسمُه ونَحَل بدنه ، فبينا هو ذات يوم معها جالس إذ نظر إليها وأنشأ يقول :

وما عَرَضَتْ لى نَظْرةٌ مُذْ عرفتها   فأَنْظُــرُ إلامُثِّلَتْ حيث أَنْظــر
أَغَارُ على طَرْفى لهـــا فكـأنّنى   إذا رام طَرْفِى غَيْرَها لست أُبْصِر
وأَحْذَر أَن تَصْغَى إذا بُحْتُ بالهوى   فأَكتُمهـا جُهْدِى هَوَاى وأَستــر

فلما سمعت ذلك منه ساءها وكرِهت أن ينشر خبرهما ، فأَقْصَتْه وأَظهرت هجره ؛ فكتب إليها :

مُتُّ شَوْقًا وكِدْتُ أَهْلِكُ وَجْدا   حين أَبْدَى الحبيبُ هجرا وصدّا
بأَبى مَنْ إذا دَنَــوْتُ إليـــه   زادنى القــرب منه نأْيا وبعدا
لا وحُبّيـــه لا وَحَقِّ هــــواه   ما تنــاسيتُه ولا خُنْتُ عهــدا
حاشَ لله أن أَكــون خَلِيًّـــا   من هواه وقــد تَقَطَّعْتُ وجــدا

كيف لا كيف عن هواه سُلُوِّى وهو شمس الضحى إذا ما تَبَدَّى

فكانت تحب مواصلته ، وتُشْفِق من الفضيحة فتُظْهِر هجره وتُبْعِده ، فلم يزل عَلِيل البدن والقلب .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى أبى :

أَلَمَّتْ وهل إلْمامُها لك نافعُ وزارت خَيالا والعيون هَوَاجِعُ
بنفسى مَنْ تَنْأَى ويَدْنُو خيالُها ويَبْذُل عنها طَيْفُها ويُمانِع
خَليلَىَّ أَبْلَانِى هَوَى مُتَمَنِّع له شيمةٌ تَأْبَى وأخرى تُطاوع
وإن شفاء النفس لو تعلمينه حبيبٌ مُواتٍ أو شَبابٌ مُراجِع

وأنشدنا أبو بكر بن دريد للمجنون :

وإنى لأَسْتَغْشِى وما بِىَ نعسةٌ لَعَلَّ خيالًا منكِ يَلْقَى خَياليا
وأَخْرُج من بين البيوت لَعَلَّنِى أُحَدِّث عنكِ النفس فى السر خاليا
أَصَبْرًا ولَمَّا تَمْضِ لى غيرُ ليلة رُوَيْد الهَوَى حَتَّى يُغِبَّ لياليا
أرى الدهر والأيام تَفْنَى وتنقضى وحُبُّكِ ما يزداد إلَّا تَمَاديا

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه للمجنون :

وعُلِّقْتُ لَيْلى وَهْىَ غِرٌّ صغيرةٌ ولم يَبْدُ للأَتراب من ثَدْيِها حَجْمُ
صغيرَيْن نَرْعَى البَهْم يا لَيْتَ أننا إلى الآنَ لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَر البَهْم

وأنشدنا أبو عبد الله أيضا فى هذا المعنى لخالد بن المهاجر :

أَمْسَتْ مَنَازِلُكم بمَكَّةَ مِنْكُمُ قَفْرًا وأَصْبَحَتِ المَعالمُ خاليه
لو كنتُ أَمْلِك رَجْعَكُم لَرَجَعْتُكُم قد كُنْتُم زَيْنِى بها وجَمَالِيَه
عُلِّقْتُها غِرًّا غلاما ناشئا غَضَّ الشَّباب وعُلِّقَتْنى جارِيَه
حتى ٱسْتَوَيْنا لم تَزَل لِىَ خُلَّةً أَبْكِى إذا ظَعَنَتْ بعينٍ باكيه

وأنشدنا أيضا :

إذا حُجِبَتْ لم يَكْفِكَ البَدْرُ فَقْدَها وتَكْفيك فَقْدَ البدر إن حُجبَ البدر
وحَسْبُك من خَمْرٍ تَفُوتُك رِيقُها ووالله ما مِنْ رِيقِها حَسْبُك الخَمْر

وأنشدنا أيضا :

قد قلتُ للبدر واسْتَعْبَرْتُ حين بدا يابَدْرُ ما فيك لى من وَجْهِها خَلَف
تَبْـدُو لنا كُلَّما شئنا مَحاسِنُها وأنت تنقُص أحيانا وتَنْكَسِف

وقرأت على أبي بكر بن دريد لجميل بن مَعْمَر العُذْرى :

تَنَادَى آلُ بَثْنَــةَ بالرَّواح وقد تَرَكُوا فؤادك غير صاح
فيالَكَ مَنْظَرًا ومَسِـيرَ رَكْـبٍ شَجَانى حين أمْعَنَ فى الفَيَاح
ويا لَكِ خُلَّةً ظَفِرتْ بعقـــلى كما ظَفِرَ المُقَامر بالقِداح
أريد صلاحهـا وتريد قتلى فَشَتَّى بين قَتْـلِى والصـلاح
لَعَمْرُ أبيكِ لا تَجِدِين عَهْـدى كَعَهْدِك فى المَوَدَّة والسَّمـاح
ولـو أرْسلْت تستهدين نفسى أتـاكِ بهـا رَسُولُك فى سَرَاح

وقرأت عليه له أيضا :

فإن يَكُ جُثْمانِى بأَرض سواكمِ فإنَّ فؤادى عندكِ الدَّهْرَ أجْمعُ
إذا قلت هذا حِينَ أسْلُو وأجْتَرِى على صَرْمِها ظَلَّتْ لها النَّفْسُ تَشْفَع
وإن رُمْتُ نفسى كيف آتِى لِصَرْمِها ورُمْتُ صدودا ظَلَّت العينُ تَدْمَع

وكتبت من كتاب أبي بكر بن دريد رحمه الله وقرأت عليه أيضا قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

ألَا يا كَأْسُ قد أفْنَيْتِ قَـوْلى فَلَسْتُ بقائلٍ إلَّا رَجِيعـا
ولست بنائم إلا بِهَــمٍّ ولا مُسْتَيْقِظٍ إلا مَرُوعـا

أؤمل أن ألاقى آل كأس … كما يَرْجُو أخو السَّنَةِ الرَّبيعا
وإنكِ لو نَظَرْتِ فَدَتْكِ نَفْسِى … إلى كَبِدِى وَجَدْتِ بها صُدُوعا

وقرأت عليه أيضا :

ولما بدا لى مِنْك مَيْلٌ مع العدَى … سِوَاى ولم يَحْدُثْ سواك بَدِيل
صَدَدْتُ كما صَدَّ الرَّمِىُّ تَطَاوَلت … به مُدَّة الأيام وهْوَ[قتيل

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا إبراهيم بن عبد الله الورّاق :

نَزَفْت دمعى وأَزْمَعت الفراق غَدًا … فكيف أبكى ودَمْعُ العَيْنِ مَنْزُوف
وَاسَوْأَتَا من عُيون العاشقين غدًا … إذا رَحَلْت ودَمْعُ العين موقوف

وأنشدنا قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء لإبراهيم بن المهدىّ :

لم يُنْسِنِيكِ سرورٌ لا ولا حَزَنٌ … وكيف لا كَيْفَ يُنْسَى وَجْهُكِ الحَسَنُ
ما زِلْتُ مذ كَلِفَتْ نفسى بِحُبِّكُمُ … كُلِّى بكُلِّكِ مَشْغُول ومُرْتَهَن
نُورٌ تَجَسَّم من شمس ومن قمر … حتى تكامَل منه الرُّوحُ والبَدَن

قال أبو بكر : ويروى :

ولا خَلَا منك قلبى لا ولا بدنى … كُلِّى بكُلِّكِ مشغول ومُرْتَهَن

قال أبو بكر وأنشدنى أبى للحسن بن وهب :

بِأَبِى كَرِهْتُ النارَ لما أُوقِدَتْ … فعَرَفْتُ ما مَعْنَاك فى إبعادها
هِىَ ضَرَّةٌ لك بالْتماعِ ضيائها … وبحُسْنِ صُورتها لدى إيقادها
وأرى صَنِيعَك بالقلوب صَنِيعَها … بسَيَالها وأَراكها وعَرَادِها
شَرِكَتْكِ فى كل الأُمور بحسنها … وضيائها وصلاحها وفسادها

وقرأت على أبى بكر بن دريد لأبى الشِّيص :

وَقَفَ الهوَى بى حَيْثُ أَنْتِ فليس لى … مُتَأَخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ
أَجِد المَلامة فى هَواكِ لذيذةً … حُبًّا لذكرك فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّم

أَشْبَهْتِ أَعــدائى فَصِرْتُ أُحِبُّهم إذ صارحَظِّى منــك حَظِّىَ منهمُ
وأَهَنْتِنِى فأَهَنْتُ نفسى صاغرا ما مَنْ يَهُون عليك ممن أُكــرِم

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى أبو الحسن بن البراء لإبراهيم بن المهدى :

إذا كَلَّمتنى بالعيــون الفــواتر رَدَدْتُ عليها بالدموع البوادر
فلم يَعْــلَم الواشــون مــادار بيننا وقد قُضِيَتْ حاجاتُنا بالضمائر
أقاتِلَتِى ظُلْمًا بأَسْهُمِ لَحْظهــا أَمَاحَكَمٌ يُعْدِى[1] على طَرْف جائر
فلو كان للعُشَّاق قاضٍ من الهــوى إذًا لَقَضَى بين الفؤاد وناظرى

قال أبو بكر : وسرق هذا المعنى خالد الكاتب فقال :

أعــان طَرْفى على جسمى وأحشــائى بنَظْرةٍ وَقَفَتْ جسمى على دائى
وكنتُ غِرًّا بمــا يَجْنِى على بَدَنى لاعِلْمَ لى أن بَعْضِى بَعْضُ أدوائى

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء لبعض شواعر الأعراب :

ولو نظَرُوا بين الجَوَانح والحَشَا رَأَوْامن كتاب الحُبِّ فى كَبِدِى سَطْرا
ولوجَرَّبوا ما قد لَقِيتُ من الهوى إذًا عَذَرُونى أو جعلت لهم عذرا
صَدَدْتُ وما بى من صُدُودٍ ولا قِلًى أَزُورُهُم يوما وأَهْجُرُهُم شهرا

وأنشدنى أيضا قال أنشدنى على بن محمد المدائنى قال أنشدنا أبو الفضل الرَبَعىّ الهاشمى قال أنشدنا إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

أخاف عليها العَيْنَ من طُول وصْلِها فأهجرها الشهرين خوفا من الهجر
وما كان هِجْرانى لها عَنْ مَلَالة ولكننى أَمَّلْتُ عاقبــة الصَّبْرِ
أُفَكِّر فى قلبى بأَىِّ عُقــوبةٍ أُعاقِبُه فيكم لِتَرْضَوْا فمــا أدرى
سوى هجركم والهجرُ فيــه دَمَارُه فعاقبتهُ فيكم من الهجر بالهجر
فكنت كمن خــاف النَّدَى أن يَبُلَّه فعاذَ من الميزاب والقطر بالبحر

---

(١) يعدى : يعين وينصر .

وقال أبو زيد : من أمثال العرب «بَرِّقْ لمن لا يَعْرِفُكْ» يضرب مثلا للذى يُوعِد من يَعْرِفه ؛ يقول : اصنع هذا بمن لا يعرفك . وقال الأصمعىّ : ومن أمثالهم « حَرَّكَ خِشَاشَه » إذا عَمِل بما يؤذيه . ويقال : «ضَرَبَ لذلك الأمر جِرْوَتَه» أى وَطَّن عليه نفسه . ويقال : « لَوَى عنه عِذَارَهُ » أى عصاه فلم يُطِعْه فى أمره . ويقال : « شَرَّابٌ بأَنْقُعٍ » أى مُعاوِدٌ للأمور يأتيها مرة بعد مرة . وسألنا أبا عبد الله عن بيت أبى العَمَيْثَل بعد أن قرأناه على أبى بكر بن دريد مصححين له :

أَيَّامَ أَلْحِفُ مِئْزَرِى عَفَرَ المَـــلَا وأَغُضُّ كلَّ مُرَجَّلٍ رَيَّـــان

فأخْبَرَنا عن أحمد بن يحيى بهذا التفسير قال أَلْحِف : أُلْبِس . والعَفَرُ : التراب ، يقول : أَجُرُّه عليه من الخُيَلاء والنشاط . والمَلا : الفضاء . وَأَغُضُّ : أَنْقُصه وأشرب ما فيه . والمُرَجَّل : زِقٌّ سُلِخ من قِبَل رِجله . ورَيَّان : ممتلئ ؛ قال وقال سعدان : أنشدنيه أبو العميثل وهذا معناه ؛ وقال ابن الأعرابىّ أَغُضُّ : أَكُفُّ . والمُرَجَّل : الشَّعر يُرَجَّل ويُهَيَّأ ، وَرَيَّان من الدُّهْن ، وهو كقول الأعشى :

ولقد أُرَجِّلُ جُمَّتِى بعَشِيَّـــةٍ للشَّرْب قَبْلَ سَنَابِك المُرْتاد

ولم ينكر القول الأول ، وقال : قد سمعته من قائله .

[مطلب الكلام فى تفسير مادة أكل]

وقال أبو نصر : إنه لَذُو أُكْلة فى الناس ، أى ذو نَمِيمة وَوَقِيعة ؛ وقال أبو عبيد عن الأصمعىّ : إنه لذو أُكْلة فى الناس وأَكْلة ، أى ذو غِيبة يَغْتَابُهم ؛ وقال اللحيانى : إنه لَذُو أُكْلة وإِكْلة لِلُحوم الناس . وقالوا جميعا الأُكْلة : اللُّقْمة ، يقال : ما أكلْت إلا أُكْلة ، والأَكْلة : الفَعْلة الواحدة من الأَكل . والإِكْلة : الحال التى تأكل عليها قاعدا أو متكئا . وقال اللحيانى الأَكَال : مايُؤْكَل ، يقال : ماذُقْتُ اليوم أَكَالا . والأَكِلة غير ممدود والإِكْلة والأُكَال : الحِكَّة ، يقال : إنه ليجد أَكِلة على فَعِلة ، وإِكْلة وأُكَالا ؛ ويقال : أَكِلَت الناقةُ تأْكَل أَكَلًا إذا نبت وَبَرُ جنينها فى بطنها فوجدت لذلك حِكَّةً وأذًى ، وناقة أَكِلةٌ ، على فَعِلة . وقال الأصمعىّ . بأسنانه أَكَلٌ إذا كانت مُتَأَكِّلة ، وقال أبو نصر : يقال : كَثُرت الآكلة فى أرض بنى فلان ، أى الراعية ، وقال اللحيانى :

الأَكِلة على فَعِلة . وقال الأصمعىّ : تَأَكَّل السيفُ تَأَكُّلا إذا تَوَهَّج من الحِدَّة ؛ قال أوس بن حجر :

وأَبْيَضَ صُولِيًّا كأَنَّ غِرَارَه ... تَلَأْلُؤُ بَرْقٍ فى حَبِىٍّ تَأَكَّلا

وزاد اللحيانى ، والتَّأَكُّل : شدّة بَرِيق الكحل إذا كُسِرَ أو الفِضّة أو الصَّبِر . وقالوا جميعا : فلان ذو أُكْلٍ إذا كان ذا حَظٍّ ورزق فى الدنيا ، والجميع الآكال . وقال اللحيانى : يقال : أُكُلُ بستانك دائم ، أى ثَمَرُه . وقال أبو نصر والأصمعىّ : ثوب ذو أُكْلٍ إذا كان كثير الغزل صفيقا . وإنه لذو أُكْل إذا كان ذا رأى وعقل ، وقال اللحيانى فيهما بالتثقيل أُكُل . وقال اللحيانى الأَكِيل : الطعام المأكول ، والأَكِيل : الذى يأكل معك رجلا كان أو امرأة ، يقال : هذا أَكِيلى وهذه أَكِيلى ، ولغة أبى الجراح : هذه أَكِيلَتِى . ورَجُلٌ أَكُول ، وقَوْمٌ أُكَّال وأَكَلة ، يقال : هم أَكَلة رأس ، أى قليل بقدر ما يُشْبِعهم رأس . وقال اللحيانى والمِئْكَلة : ضَرْب من البِرام ، وضَرْبٌ من الأقداح ؛ وكلّ ما أُكِلَ فيه فهو مِئْكلة ، والجمع مآكل . ورَجُلٌ وَكَلٌ ، أى ضعيف ليس بنافذ . ورجل أُكَلة ، أى كثير الأكل . وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه :

أيا زِينَـــةَ الدنيـــا التى لا يَنَالُها ... مُنَاى ولا يَبْدُو لقلبى صَرِيمُهـــا
بِعَيْنَىَّ قَذاةٌ من هواك لـو انّها ... تُدَاوَى بِمَن أَدْوَى لَصَحَّ سَقِيمُها
وبُرْءُ قذاة العين إن لم يكن لهـــا ... طبيبٌ يُداوِى نَظْرَةٌ تستديمهـــا
فما صَبَرَتْ عن ذكرك النفسُ ساعةً ... وإن كنتُ أحيانا كثيرا أَلومها
علىَّ نذورٌ يوم تَـــبْرُزُ خاليـــا ... لِعَيْنَىَّ وأيامٌ كثيرٌ أَصومهـــا

وحدثنى أبو يعقوب ورّاق أبى بكر بن دريد قال حدثنى محمد بن الحسن عن المفضَّل بن محمد بن العلاف قال : لما قَدِمَ بغاء ببنى نمير أَسْرَى ، كنت كثيرا ما أذهب إليهم فأسمع منهم وكنت لا أَعدَم أن ألقى الفصيح منهم ، فأتيتهم يوما فى عقب مطر ، وإذا فَتًى حَسَنُ الوجه قد نَهَكَهُ المرض ينشد :

أَلَا يا سَنَا بَرْقٍ على قُلَلِ الحِمَى ... لَهِنَّــكَ مِنْ بَرْقٍ علىَّ كَرِيمُ

لَمَعْتَ ٱقْتِذاءَ الطَّيْرِ والقَوْمُ هُجَّعٌ فَهَيَّجْتَ أسقاما وأنت سليم

فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرْفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ فإنسانُ طَرْفِ العامِرِىِّ كَلِيمِ

رَمَى طَرْفَه البرقُ الهلالىّ رَمْيَةً بذكر الحِمَى وَهْنًا فبات يَهِيمُ

فقلت له : ياهذا ، إنك لفى شُغُل عن هذا؛ فقال : صدقت ، ولكن أنْطَقَنى البرق ؛ ثم ٱضطجع فما كان ساعةٌ حتى مات ، فما يُتَوَهَّم عليه غيرالحب. وكان أبو بكر بن دريد — رحمه الله — كثيرا ما ينشد آخر بيت من هذه الأبيات ، ثم أنشدنى يوما :

ثِقِى بجميل الصبر مِنِّى على الدهر ولا تَثِقِى بالصَّبْر منى على الهَجْر

وإنى لَصَبَّارٌ على ما ينوبنى وحَسْبُكَ أن الله أثنى على الصبر

ولَسْتُ بِنَظَّار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبوالعباس للمجنون :

أُصَلِّى فما أَدْرِى إذا ما ذَكَرْتُها أَثِنْتَيْن صَلَّيْتُ الضُّحى أَمْ ثمانيا

أَرانى إذا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَها بوجهى وإن كان المُصَلَّى يمانيا

وما بى إشراكٌ ولكنَّ حُبَّها كعُود الشَّجَا أَعْيَا الطبيبَ المداويا

[مطلب ماقالته بعض نساء الأعراب تصف زوجها بمكارم الأخلاق لأمها]

وحدثنا أبوبكر — رحمه الله — قال أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : وَصَفَتْ أعرابيّة زوجها بمكارم الأخلاق عند أُمها فقالت : يا أُمَّهْ ، من نَشَرَ ثَوْبَ الثناء فقد أَدَّى واجب الجزاء ، وفى كتمان الشُّكْر جُحودٌ لما وَجَب من الحق ، ودُخولٌ فى كُفْرِ النِّعم ؛ فقالت لها أُمها : أَىْ بُنَيَّة ! أَطَبْتِ الثناء ، وقُمْتِ بالجزاء ، ولم تَدَعِى للذمّ موضعا ؛ إنى وجدت مَنْ عَقَل لم يَعْجَل بذَمٍّ ولا ثناء إلا بعد ٱختبار ؛ فقالت : يا أُمَّه ، ما مَدَحْتُ حتى ٱختبرت ، ولا وصفت حتى عرفت .

وحدثنا أيضا عن العكلىّ عن ٱبن أَبى خالد عن الهيثم قال : كتب مالك بن أسماء ابن خارجة إلى الهيثم بن الأسود النخعىّ ، يشكر له قيامه بأمر رجل من آل حذيفة

ابن بدر عند الحجّاج حتى خَلَّصه منه : أما بعد ، فإنه لما كَلَّت الألسن عن بلوغ ما اَسْتَحْقَقْت من الشكر ،كان أَعْظَمَ الحِيَل عندى فى مكافأتى إخلاصُكَ صِدْقَ الضمير ، وكما لم نعرف الزيادة فى العلا إذ جَرَيْت غاية طَوْلك جَهِلْنا غاية الثناء عليك ، فليس لك من الناس إلا ما أُلْهِموا من محبتك ، فأنت كما وصف الواصف إذ يقول :

فما تعرف الأوهـامُ غايةَ مدحه يقيناً كما ليست بغايته تَدْرِى

وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدثنى أبى عن بعض أصحابه قال : وَقَّعَ جعفرُ ابن يحيى بن خالد بن برمك فى كتاب صديق له : ما جاوَزَتْنى نعمةٌ خُصِصْت بها ، ولا قَصُرَت دونى ما كان بك مَحَلُّها . قال : ووَقَّع إلى عمرو بن مسعدة ، إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا ، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عِيًّا .

وحدثنا أيضا عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال أخبرنا العتبى عن أبيه قال : أتت رَمْـلَةُ بنت معـاوية مُراغِمةً لزوجها عمرو بن عثمان بن عفّان فقال : مالَكِ يا بُنَيَّة ؟ أطَلَّقك زَوْجُك ؟ قالت : لا ، الكَلْبُ أَضَنُّ بشَحْمَته ، ولكنه فاخَرَنى ، فكلما ذكر رجلا من قومه ذكرت رجلا من قومى ، حتى عدّ ابنىّ منه ، فَوَدِدْت أن بينى وبينه البحر الأخضر ؛ فقال لها : يا بنية ، آل أبى سفيان أقل حظا [(١)] فى الرجال من أن تكونى رجلا .

وحدثنى أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : مر أعرابىّ برجل يكنى أبا الغمر ، وكان ضخما جسيما ، وكان بوّابا لبعض الملوك ، فقال : أعِنِ الفقير الحَسِير ، فقال : ما أَلْحَفَ سائلَكم ، وأكثر جائعكم ! أراحنا الله منكم ؛ فقال له الأعرابىّ : لو فُرِّق قوتُ جسمك فى جسوم عشرة منا لكفانا طعامُك فى يوم شهرا ، وإنك لَعظيم السَّرْطَة ، شديد الضَّرْطَة ؛ لو ذُرِّى بحَبْقَتِك بَيْدَرٌ [(٢)] لكَفَتْه ريحَ الجِرْبِياء [(٣)] .

(١) فى الطبعة الأولى « خطا » بالمعجمة بعدها مهملة ، وما أثبتناه عن نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية .

(٢) البيدر : موضع الطعام الذى يداس فيه . (٣) ريح الجربياء : ريح الشمال .

وحدثنا أَبو عبد الله نفطويه قال حدثنا محمد بن موسى السامى قال حدثنا الأَصمعىّ قال : دخل رجل من الأَعراب على رجل من أَهل الحَضَر فقال له الحَضَرىّ : هل لك إلى أن أُعلِّمك سورة من كتاب الله ؟ فقال : إنى أُحْسِن من كتاب الله ما إن عَمِلْتُ به كفانى ؛ قال : وما تُحْسِن ؟ قال : أُحسن سُوَرًا ؛ قال : اقرأ ؛ فقرأ فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أَحد ، وإنَّا أَعطيناك الكوثر ، فقال له الرجل : اقرأ السورتين – يريد المُعَوِّذتين – ، فقال : قَدِم علىَّ ابن عمٍّ لى فوهبتُهما له ، ولستُ براجع فى هبتى حتى أَلْقى الله .

وحدثنا أَبوبكر – رحمه الله – قال حدثنا أَبو حاتم عن الأَصمعىّ قال : سمع يونس رجلا ينشد :

اسْتَوْدَعَ العلْمَ قِرْطاسا فَضَيَّعه وبئس مُسْتَوْدَعُ العلم القراطيسُ

قال : قاتله الله ! ما أَشدّ صَبَابَتَه بالعلم وصيانتَه للحفظ ! إنَّ علمك من روحك ، ومالَكَ من بدنك ، فصُنْ علمك صيانتَك رُوحَك ، ومالَكَ صيانتك بدنَك . وقرأت على أَبى بكر بن دريد للنمر بن تولب :

أَوْدَى الشبابُ وحُبُّ الخالةِ الخَلَبَه وقد بَرِئْتُ فما بالصدر مِنْ قَلَبَه

وقد تَثَلَّم أَنيـــابى وأَدركـنى قِرْنٌ علىَّ شديد فاحش الغَلَبَــه

وقد رَمَى بُسَرَاه اليومَ مُعْتمـــدا فى المَنْكِبَيْن وفى الساقين والرَّقَبه

أَوْدَى : ذهب وهلك . والخالة جمع خائل ، مثل بائع وباعة . والخلبة جمع خالب ، مثل كافر وكَفَرة ، يخبر أَنه شيخ قد ترك صحبة الشباب والفتيان ، وهم الخالة الخلبة الذين يختالون فى مِشْيتهم ويَخْلُبون النساء . ثم قال : برئت ، أَى برئ صدرى من وُدِّهم والعَلاقة بهم ، فما به قَلَبَة من وُدِّهم ، يقال للإنسان وغيره من الحيوان : مابه قلبة ، أَى ما به وجع ولا مكروه ، وأَصله من القُلَاب ، قال الأَصمعىّ : القُلَاب : أن تُصِيب الغُدَّةُ القلبَ ، فإذا أَصابته لم يَلْبَث البعير أَن تقتله . وقوله : وأَدركنى قرن : يعنى الهَرَم . وقوله : * وقد رمى بسراه اليوم معتمدا * فالسُّرَى جمع سُرْوَة ،

مثل رُشْوة ورُشًى ، وهو نَصْل السهم إذا كان مُدوَّرا مُدَمْلَكا ولا عرض له ؛ يريد أن الهرم قد رمى بسهامه فى جميع جسده فأضعفه ، كما قال :

* فى المنكبين وفى الساقين والرقبه *

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبوحاتم قال : سمعت الأصمعىّ كثيرا مايقول : من قَعَد به نَسَبُه ، نَهَض به أدَبُه .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد لخارجة بن فليح المللى :

أَحِنُّ إلى ليــلى وقــد شَطَّ وَلْيُها ... كما حَنَّ محبوس عن الإلف نازع

إذا خوّفتنى النفسُ بالنأْى تــارة ... وبالصَّرْم منهــا أَكْذَبَتْها المطــامع

أَكَلَّ هواكِ الطَّرف عن كل بهجة ... وصَمَّت عن الداعى سواكِ المسامع

وقرأت عليه لجميل بن مَعْمَر العذرىّ :

ألم تعلمى ياعَذْبة المــاء أننى ... أَظَلُّ إذا لم أُسْقَ ماءكِ صــاديا

وما زلتِ بى يا بَثْنُ حتى لَوَ انّنى ... من الوجد أَسْتَبْكِى الحمام بَكَى ليا

وَدِدْتُ على حُبِّ الحياةِ لَوَ انها ... يُزَاد لها فى عمرها من حياتيا

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى :

ومُسْتَوحِشٍ للبين يُبْدِى تَجَلُّدا ... كما أَوْحَشَ الكفين فَقْدُ الأَصابع

وكم قــد رأينا من قَتيل لخُلَّةٍ ... بسهم التَّجَنِّى أو بسهم التقاطع

وكم واثقٍ بالدهر والدهرُ مولَعٌ ... بتأْليف شَتَّى أو بتفريق جامع

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا إبراهيم بن عبد الله لعُلَيَّة بنت المهدىّ :

تَجَنَّبْ فإن الحُبَّ داعية الحُــبِّ ... وكَمْ من بعيد وهومُسْتَوجِبُ القرْب

تَفَكَّر فإنْ حُدِّثْت أن أخا هَوًى ... نجا سالمــا فارْجُ النَّجاة من الحب

فأَحسَنُ أيام الهوى يَوْمُكَ الذى ... تُرَوَّع بالتحريش منه وبالعَتْب

إذا لم يكن فى الحب سُخْطٌ ولا رضا ... فأَيْنَ حَلاواتُ الرسائل والكُتْب

وقال الأصمعىّ: من أمثال العرب «إنّه لَسَاكِنُ الرِّيح» يقال ذلك للرجل الوادع. ويقال: «إنّه لَوَاقِعُ الطائر» مثل للرجل الساكن الأمر. ويقال: «فى رأسه نُعَرَةٌ» مثل للرجل الطامح الرأس، الذى لايستقرّ. ويقال: «الخُرْقُ شُؤْم» يراد به أن الرجل إذا خَرُقَ فى أمر دخل عليه شؤمه. ويقال: «الرِّفْقُ يُمْنٌ» وهو خِلَافُه.

[مطلب تفسير مادة ك ل ل]

وقال أبو نصر يقال: كَلَّ بَصَرُه يَكِلُّ كُلُولا، وكَلَّ لسانهُ يَكِلُّ كِلَّة وكُلُولا، وكَلَّ السيفُ كِلَّة وكَلًّا إذا لم يقطع، وكَلَّ فى الإعياء كَلَالا، وكَلَّل يُكَلِّل تكليلا إذا حَمَل على القوم، يقال: كَلَّل تَكْليلة السَّبُع. والكَلَالة: مادون الوالد والولد، وانْكَلَّت المرأةُ إذا ما تبسمت، وانْكَلَّ السحاب إذا ما تبسم بالبرق، وكَلَّأَ يُكَلِّئُ تَكْلِئة وتَكْليئا، وكَلَّى تَكْلِية إذا أتى مكانا فيه مُسْتَتَرٌ، والكَلَّاء والمُكَلَّأُ: مكان تُرْفَأُ فيه السفن، وهو ساحل كل نهر.

قال أبو على وقال أبو زيد: كَلَّأَ القوم السفينة تَكْلِيئا إذا حبسوها. وكَلَّأْت فى الطعام تَكْلِيئا وأَكْلأْت إِكلاء إذا أَسْلَفْت فيه. وما أَعْطَيْتَ فيه من الدراهم نسيئة فهى الكُلْأَة.

قال أبو علىّ وقال أبو نصر: الكالىء: الدَّيْن المؤخَّر، لم يهمزه الأصمعىّ وهمزه غيره. وأنشدنى الأصمعىّ.

وإذا تُبَاشِرُك الهُمُـو مُ فإنّها كالٍ وناجِزْ (١)

وفى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: أنه نهى عن الكالئ بالكالئ كأنه نهى عن الدين بالدين، وهو النسيئة بالنسيئة، وأبو عبيدة يهمز الكالئ. ويقال: تَكَلَّأْت كُلْأَةً إذا ٱسْتَنْسَأْت. ويقال: بَلَّغَ الله بك أَكلأَ العُمُر، يعنى آخره. ويقال: اكْتَلأْت من الرجل اكْتِلاء إذا احترست منه، واكْتَلأَتْ عينى اكْتِلاء إذا لم تَنَمْ وسَهِرَتْ.

[مطلب ماوقع بين المأمون والجارية بحضرة هارون الرشيد]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال حدّثنى عبدالله بن عمرو بن عبد الرحمن الورّاق قال حدّثنا المفضل بن حازم قال حدّثنا منصور البرمكىّ قال:

(١) قائل البيت عبيد بن الأبرص؛ كما فى اللسان مادة «كلأ».

كان لهارون الرشيد جارية غُلَامِيَّة ، – يعنى وَصِيفة على قدّ الغلام – وكان المأمون يميل إليها وهو إذ ذاك أمرد ، فوقفت يوما تصبّ على يد الرشيد من إبريق معها ، والمأمون جالس خلف الرشيد ، فأشار المأمون إليها كأنه يُقَبِّلها ، فأنكرتْ ذلك بعينيها ، وأبطأت فى الصبّ على مقدار نظرها إلى المأمون وإشارتها إليه ؛ فقال الرشيد : ما هذا ! ضعى الإبريق من يدك ، ففعلت ؛ فقال : والله لئن لم تَصْدُقِينى لأقتلنك ، فقالت : ياسيّدى ، أشار إلىّ عبدالله كأنه يقبلنى فأنكرت ذلك ، فالتفت إلى المأمون ونظر إليه كأنه ميِّت لِمَا دخله من الجَزَع والخَجل ، فرحمه وضمّه إليه وقال : ياعبدالله ، أتحبها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : هى لك ، قم فادخل فى تلك القبة ، ففعل ؛ ثم قال : هل قلت فى هذا الأمر شعرا ؟ قال : نعم ياسيدى ، ثم أنشد .

ظَبْىٌ كتبتُ بطَرْ فِى من الضمير إليه
قَبَّلته من بعيد فاعْتَلَّ من شفتَيْه
ورد أخبث رَدٌّ بالكسر من حاجبيه
فما بَرِحْتُ مكانى حتى قَدَرْتُ عليه

[مطلب ما قيل فى عناق الحبيب]

ومن أحسن ماقيل فى العِناق ما أنشدناه أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا عبدالله ابن خلاف قال : أنشدنى أحمد بن يحيى بن أبى فنن :

خَلَوْتُ فنادمتها ساعةً على مثلها يَحْسُد الحاسد
كأنّا وثوبُ الدجى مُسْبَل علينا لِمُبْصِرنا واحد

قال أبو بكر : وسرق هذا المعنى ابن المعتزّ فقال :

ما أقْصَرَ الليل على الراقد وأهْوَنَ السُّقْم على العائد
يَفْدِيك ما أبقيت من مهجتى لَسْتُ لما أوليتَ بالجاحد
كأننى عانقت رَيْحَانة تَنَفَّسَتْ فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى حَسِبْتَنا من جسد واحد

وأحسن فى هذا المعنى علىّ بن العباس الرومىّ وأنشدناه النَاجم عنه :

أُعانِقُها والنفسُ بَعْدُ مَشوقةٌ إليها وهَلْ بعد العِنَاق تدانى

وأَلْثِمُ فاها كى تَموت حرارتى فيشتدُّ ما أَلْقَى من الهَيَمان

ولم يكُ مقدار الذى بى من الهوى ليشفيَه ما ترْشُف الشفتان

كأَن فؤادى ليس يَشْفِى غليلَه سوى أن يُرَى الروحان يمتزجان

ولبعضهم فى هذا المعنى :

رأيت شخصك فى نومى يعانقنى كما يعانق لامُ الكاتب الألفا

ولبَشَّار :

فَبِتْنا معًا لا يَخْلُص الماءُ بيننا إلى الصبح دونى حاجب وسُتُور

أخذ منه علىّ بن الجهم فقال :

فبتنا جميعا لو تُرَاق زجاجةٌ من الخمر فيما بيننا لم تَسَرَّب

[ما قيل فى وصف الشعر بفتح الشين]

ومن أحسن ما قيل فى الشَّعَر قول ابن الرومىّ أنشدناه الناجم عنه :

وفاحِمٍ واردٍ يُقَبِّلُ مَمْ شاه إذا اختال مُرْسِلًا غُدَرَهْ

أقبل كالليل من مَفارقه مُنْحَدِرًا لا يَذُمُّ مُنْحَدَرَه

حَتَّى تَنَاهَى إلى مَوَاطِئه يَلْثَمُ من كل مَوْطِىءٍ عَفَرَه

كأنه عاشق دنا شَغَفًا حتى قَضَى من حبيبه وَطَرَه

وقرأت على أبى بكر بن دريد لبكر بن النطّاح :

بيضاء تسحب من قيامٍ فَرْعَها وتَغيب فيه وهو وَحْفٌ أَسْحَمُ

فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مُظلِم

ولمسلم :

أَجَدَّكِ ما تَدْرِين أَنْ رُبَّ ليلةٍ كأَنَّ دُجاها من قُرونك تُنْشَرُ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله لعبد الله بن المعتزّ :

سَقَتْنِى فى ليــلٍ شبيهٍ بشَعْرِها ... شَبِيهةَ خَدَّيْهــا بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين بالشَّعْر والدُّجَى ... وشمسين من خمرٍ وخدّ حبيب

[مطلب ماقيل فى فتور الطرف]

ومن أحسن ما قيل فى فُتور الطَّرْف قول أبى نُوَاس :

ضعيفة كَرِّ الطَّرْف تَحْسَب أنهــا ... قريبةُ عهد بالإفاقــة من سُقْم

وقرأت على أبى بكر بن دريد لنفسه :

ليس السليمُ سلِيمَ أَفْعَى حَـــرَّةٍ ... لكنْ سَليمَ المُقْلة النَّجْـــلاء
نظرتْ ولا وَسَنٌ يخالِط عينهــا ... نَظَرَ المريض بسَوْرة الإغْفــاء

ولعبد الله بن المعتزّ :

وتجرح أحشائى بعينٍ مريضـــةٍ ... كما لان مَتْنُ السيف والحَدُّ قاطع
عليمٌ بما يُخْفِى فؤادى من الهــوى ... جَوَاد بهِجْرانى وللوصـــل مانع

وأنشدنا أبو بكر التاريخىّ قال أنشدنى البُحْتُرِىّ لنفسه :

وفى القهـــوة أشــكالٌ ... من الســاق وألـــوانُ
حَبَابٌ مثـــل مـــا يَضْحَـ ... ـك عنـــه وهـــو جَذْلان
وسُكْرٌ مثـــلُ مـــا أَسْكَـ ... ـر طَرْفٌ منـــه وَسْنـــان
وطعْمِ الرِّيـــق إذ جـــاد ... به والصَّبُّ هَيْمـــان
لنـــا مِنْ كفِّـــه راحٌ ... ومن رَيَّـــاه رَيْحـــان

وقرأت على أبى بكر بن دريد لعدىّ بن الرِّقَاع :

وكأنَّهــا وَسْطَ النساء أعارهــا ... عينيه أَحْوَرُ من جـــآذر طاسِم
وَسْنان أَقْصَدَه النُّعاس فَـــرَنَّقَتْ ... فى عينـه سِنَةٌ وليس بنـــائم

[مطلب ماقيل فى الريق]

ومن أحسن ماقيل فى الريق ما أنشدَناه أبو بكر بن الأنبارى لبشّار :

يا أطْيَبَ الناس رِيقًا غَيْرَ مُختَبَرٍ إلا شهادةُ أطراف المَسَاوِيك

مَنَّيْتِنا زَوْرة فى النوم واحدة فاثْنِى ولا تَجْعَلِيها بَيْضَةَ الدِّيك

يارحمة الله حُلِّى فى منـــازلنـــا حَسْبِى برائحة الفِرْدَوْس مِنْ فِيكِ

ولعلىّ بن العباس الرومىّ أنشدناه الناجم عنه :

تَعِلُّك ريقًا يَطْرُد النومَ بَرْدُه ويَشْفى القلوب الحائمات الصَّوَادِيا

وهل ثَغَبٌ[1] حَصْباؤه مثلُ ثَغْرِها يُصادَف إلا طَيِّب الطَّعْم صافيا

وله أيضا أنشدناه الناجم عنه :

يارُبَّ رِيقٍ بات بدرُ الدجى يَمُجُّـــه بين ثَنَاياكـــا

يُرْوِى ولا ينهاك عن شربـــه والماء يُرْوِيك ويَنْهــــاكا

[من أحسن ما قيل فى طروق الخيال]

ومن أحسن ما قيل فى طروق الخيال قول البُحْتُرىّ – وهو أحد المُحْسِنين فيه حتى قيل : طَيْف البحترىّ – أنشدنيه التاريخىّ عنه :

أَلَمَّتْ بنا بعد الهُدُوءِ فسامَحَتْ بوصل مَتَى تَطْلُبْه فى الجِدِّ تَمْنَع

وَوَلَّت كأن البَيْن يَخْلِج شخصها أَوَانَ تَوَلَّت من حَشَاى وأضلعى

وأنشدنا بعض أصحابنا للمؤمل :

أتانى الْكَرَى ليلًا بشخص أُحِبُّه أضاءت له الآفاق والليــل مظلم

فكَلَّمنى فى النوم غيرَ مُغاضِبٍ وعَهْدِى به يَقْظَــانَ لا يَتَكَلَّم

وذكر العباس بن الأحنف ما العلةُ فى طروق الخيال فقال :

خَيالُكِ حين أرقد نُصْبَ عينى إلى وقت انتباهى لا يزول

---

(١) الثغب (بالتحريك) : ذوب الجمد ، والغدير فى ظل الجبل .

وليس يزورنى صِلَةً ولكن حديث النفس عنكِ به الوصول

وتبعه الطائىّ فقال :

زار الخَيالُ لها لا بل أَزَاركَهُ فِكْرٌ إذا نام فكر الخلق لم يَنَم

ظَبْىٌ تَقَنَّصْتُه لما نَصَبْتُ له فى آخر الليل أشراكا من الحُلُم

وأنشدنا علىّ بن هارون المنجّم لعلىّ بن يحيي المنجم :

بأبى والله مَنْ طَرَقـــا كابتسام البرق إذ خَفَقـــا

زارنى طَيْفُ الحبيب فمـــا زاد أن أغْرَى بى الأَرَقـــا

[من أحسن ما قيل فى مشى النساء]

ومن أحسن ما قيل فى مشى النساء ما أنشدناه صاحبنا أبو علىّ بن الأعرابىّ :

شَبَّهْتُ مِشْيتها بمِشْيــة ظافر يختال بين أسِنَّــة وسُيُوف

صَلِفٍ تَنَاهت نفسُه فى نفسه لَمَّا انْثَنَى بِسِنانه المرعوف

وقرئ على أبى بكر بن الأنبارى فى شعر ابن مقبل وأنا أسمع :

يَهْزُزْن للمشى أوصالًا مُنَعَّمـةً هَزَّ الجَنُوب مَعًا عيدان يَبْرِينا

أو كاهتزاز رُدَيْنِيٍّ تَنَاوَلَــه أيدى التِّجار فزَادوا مَتْنَه لِينـا

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقا مالت جوانبه يَنْهال حِينًا ويَنْهاه الثَّرَى حينا

ولعمر بن أبى ربيعة قرأته على أبى عبد الله نفطويه :

أَبْصَرْتُها غُــدْوةً ونِسْـــوتَها يمشين بين المَقام والحَجَـر

بِيضًا حِسَانًا خَرائدا قُطُفـــا يَمْشِين هَوْنًا كمِشْية البَقَـــر

قد فُزْنَ بالحسن والجمال مَعًا وفُزْنَ رِسْلاً بالدَّلِّ والخَفَـــر

وللعباس بن الأحنف :

شَمْسٌ مُقَدَّرةٌ فى خَلْق جارية كأنَّما كَشْحُها طَىُّ الطَّوامِيــر

كأنها حين تَمْشِى فى وَصَائِفها تَمْشِى على البَيْض أو زُرْق القَوَارِير

[مطلب ما قيل فى الحسن]

ومماقيل فى الحسن :

إذاعِبْتُها شَبَّهْتُهَا البدرَ طالعا   وحَسْبُكَ مِنْ عَيْبٍ لها شَبَهُ البَدْر

وأنشدنا الناجم لنفسه فى غير هذا المعنى :

طالَبْتُ مَنْ شَرَّد نومى وذَعَر   بقُبْلة تُحْسِن فى القلب الأثر

فقال لى مُسْتَعْجِلا وما انتظر   ليس لغير العَيْنِ حَظٌّ فى القمر

أخذه من على بن الجَهْم حيث يقول :

وقُلْنَ لنا نحن الأهِلَّةُ إنما   نُضِىء لمن يَسْرِى بلَيْل ولانَقْرِى

فلانَيْلَ إلا ما تَزَوَّد ناظرٌ   ولا وصل إلا بالخيال الذى يَسْرى

[ما قيل فى القيان و العود]

ومن أحسن ما قيل فى قَيْنة :

من كفِّ جارية كأن بَنانها   من فضّة قد طُرِّفَتْ عُنَّابا

وكأن يمناها إذا نطقت بها   تُلْقِى على يدها الشمال حسابا

وحدّثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال : سمع بعض العرب صوت العود ، فقيل له : ماتسمع ؟ فقال : حَسَنًا ، ولكن اُقْطَعْ هذا الأبَجَّ فإنى أَشْنَؤه — يريد البَمَّ — . ومن أحسن ماقيل فى العود :

فكأنه فى حِجْرِها وَلَدٌ لها   ضَمَّتْه بين ترائب ولَبَان

طَوْرًا تُدَغْدِغ بطنه فإذا هفا   عَرَكَتْ له أُذُنا من الآذان

ومن أحسن ماشُبِّه به العود ما أنشدَناه بعض أصحابنا :

كأنَّ تِمْثاله ساقٌ إلى قَدَمٍ   نِيطَت إلى فَخِذٍ بانت عن الكَفَل

آذانه منه قد جُمِّعْنَ أربعةٌ   تجيب أربعة فى كفّ مُعْتَمِل

فذا أَغَنٌّ وهذا فيه زمزمةٌ   وذاك صافٍ وهذا فيه كالصَّحَل

وللحمدونىّ :

وناطقٍ بلسانٍ لا ضميرَ له كأنه فَخِذٌ نِيطت إلى قَـــدَم
يُبْدِى ضميرَ سواه فى الحديث كما يبدى ضمير سواه الخَطُّ بالقلم

ومن أحسن ما قيل فى وصف مغنِّيات قول ابن الرومىّ ، وأنشدناه الناجم عنه :

وقِيانٍ كأنَّها أمهـــاتٌ عاطفاتٌ على بَنِيها حَــوَانى
مُطْفِلات وما حَمَلْن جَنِينــا مُرْضِعات ولَسْنَ ذات لِبان
مُلْقِمات أَطفالَهنَّ ثُدِيًّــا ناهدات كأحسن الرمَّـــان
مُفْعَمات كــأنها حافــلات وهى صِفْرٌ من دِرَّة الألبان
كلُّ طِفْل يُدْعَى بأسماء شَتَّى بين عود ومِزْهَر وكِـــرَان
أُمّه دهرَها تترجم عنـــه وهو بادى الغنى عن الترجمـان

[وصية بعض الحكماء لابنه]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال بعض الحكماء لابنه : يابُنَىَّ ، اقبل وصيتى وعهدى ، إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار ، كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار ؛ وبُعْد قلوب الفجار من الائتلاف ، كبُعْد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافُها على آرِىٍّ[1] واحد ؛ كن يابُنَىَّ بصالح الوزراء أغْنَى منك بكثرة عدّتهم ، فإن اللؤلؤة خفيف مَحْمِلُها كثير ثمنها ، والحجر فادحٌ حَمْلُه قليل غَنَاؤه .

[حكمة من حكم الأحنف بن قيس]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى زيد قال حدّثنا هشام بن حسان الفردوسىّ عن الحسن قال : قال الأحنف بن قيس : الكَذُوبُ لا حيلة له ؛ والحسود لا راحة له ؛ والبخيل لا مُروءة له ؛ والمَلُول لا وفاء له ؛ ولا يَسُود سَيِّئُ الأخلاق ؛ ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلا أن يكتُم ذلك ويَتَجَمَّل .

---

(١) الآرى (بتشديد الياء وتخفيفها) : الآخية ، وهى مربط الدابة .

وحدّثنا أَبو بكر قال حدّثنا أَبو حاتم قال : قيل للأَحنف : بِمَ بَلَغْت مابلغت ؟ قال : لو عاب الناسُ الماءَ ما شربته .

قال : وقال : من لم يَسْخُ نفسا عن الحظِّ الجسيم للعيب الصغير ، لم يُعَدَّ شفيقا على نفسه ، ولاصائنا لِعِرْضه . وقال الأَصمعيّ : من أَمثال العرب : « دَعْ بُنَيَّاتِ الطريق » أَى اقْصِدْ لمُعْظَم الشأْن . ويقال : « لا تُوبِسِ الثرى بينى وبينك » أَى لاتقطع الودّ الذى بيننا . ويقال : « السعيد من اتَّعظ بغيره » يراد من رأَى غيره فاتعظ سَعِد . ويقال : « طَوَيْتُه على بُلَلَتِه » يراد اسْتَبْقَيْته قبل أَن يَبْلُغ فساده ، وذلك أَن السقاء إذا طويته وهو مُبْتَلٌّ تَثَنَّى ، وإذا طُوِى وهو يابس تَكَسَّر ، أَى فقد طلبت مصلحته .

[مطلب ما تقول العرب فى معنى لا أفعل ذلك أبدا]

وقال أَبو زيد : يقال : لاترَى ذلك يافلان ما سَمَر ابْنَا سَمِير ، وهما الليل والنهار ؛ وأَنشدنا ابن الأَعرابىّ :

وشبابى قد كان من لَذَّةِ العيـ ـش فأَوْدَى وغاله ابْنَـا سَمِيـر

وقال أَبوزيد : ولا أَفعل ذلك ما أَبَسَّ عَبْدٌ بناقته ، وهو تحريكه شفتيه حين يُريد أَن تقوم له ، وقال ابن الأَعرابىّ : وإبساسه : اسْتِدْراره إياها للحَلْب ، وخَدْعُه لها ولطفُه بها ؛ وأَنشدنى لأَبى زبيد :

فلَحَا الله صاحبَ الصُّلْح منّا ما أَطافَ المُبِسُّ بالدَّهْمـاء

وقال أَبو زيد : ولا أَفعل ذلك ماغرّد الطائر تغريدا . ولاأَفعل ذلك آخِرَ الأَوْجَس ، وهو الدَّهْر .

وأَنشدنى أَبوبكر بن دريد لمرّار الفَقْعَسِىّ :

لايشترون بهجعةٍ هجعوا بهـا ودواء أَعينهم خُلُود الأَوْجَس

وقال اللحيانى : لا أَفعل ذلك سَجِيسَ الأَوْجَس ، وسَجِيسَ عُجَيْس ، وزاد ابن الأَعرابىّ : وما غَبَا غُبَيْس ؛ وأَنشد :

قد وَرَدَ المـاءَ بِلَيْلٍ قَيْسُ نَعَمْ وفى أُمِّ البنين كَيْس
عن الطعـام ما غَبَا غُبَيْس

ولا أفعله السَّمَرَ والقَمَر . ولا أفعله ما حَدَا الليلُ النهارَ . وما أرْزَمَتْ أُمٌّ حائل ، والحائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ قال أبو ذؤيب :

فَتِلْكَ التى لا يَبْرَح القلبَ حُبُّها ولا ذِكْرُها ما أرْزَمَتْ أُمٌّ حائل

ولا أفعله يَدَ المُسْنَد وهو الدَّهْر ؛ قال الشاعر :

لَقُلْتُ من القول ما لا يزا لُ يُؤْثَرُ عَنِّى يَدَ المُسْنَد

ولا أفعله يَدَ الدَّهْر . ولا أفعله ما أنَّ فى السماء نَجْمًا ؛ معناه ما كان فى السماء نجم . ولا أفعله ما سَجَعَ الحَمام . وما حَمَلَتْ عينى الماء . وما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً . ولا أفعل ذلك ما أطَّت الإبل . وأطِيطُها : حَنِينُها ؛ وقال أبو عبيد : أطيط الإبل : نَقيض جلودها عند الكِظَّة ؛ قال الأعشى :

ألَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أثْلَتنا ولَسْتَ ضائرَها ما أطَّتِ الإبلُ

وقال اللحيانى : ولا أفعل ذلك ما لألأت الفُور [1] والعَفْر والظباء ، أى ما حركت أذنابها . ولا أفعل ذلك ما حَنَّت الدَّهْماء ؛ وهى ناقة . ولا أفعل ذلك ما حَنَّت النِّيب . قال أبو علىّ : وقال أبو زيد : لا أفعل ذلك ما اخْتَلَفَ المَلَوان والأجَدَّان ، وهما الليل والنهار ؛ وزاد اللحيانى : والجَدِيدان ، وهما الليل والنهار . وقال يعقوب : والفَتَيَانِ ، وهما الليل والنهار أيضا ، وكذلك العَصْران . وغيره يقول العَصْران : الغَداة والعَشِىُّ ؛ وهو الأجود عندنا . وزاد ابن الأعرابىّ : ولا أفعله القَرَّتَيْنِ . وأنشدنا ابن الأعرابىّ للصَّلَتان العَبْدىّ فى الفَتَيَيْن :

ما لَبَّثَ الفَتَيَانِ أن عَصَفا بهم ولِكُلِّ حِصْنٍ يَسَّرا مفتاحا

وأنشد أيضا فى العصرين :

ولا يَلْبَثُ العَصْران يَوْمٌ وليلةٌ إذا طَلَبا أن يُدْرِكا ما تَيَمَّما

وأنشد يعقوب فى المَلَوَيْن لابن مقبل :

ألا يا دِيَارَ الحَىِّ بالسَّبُعانِ أمَلَّ عليها بالبِلَى المَلَوَانِ

(١) الفور : الظباء .

وقال أبوزيد : لا أفعل ذلك ما هَدْهَدَ الحَمامُ ، أى ما غَرَّد . وما خالفتْ دِرَّةٌ جِرَّةٌ ، وما اخْتَلَفَت الدِّرَّة والجِرَّة ، واختلافُهما أن الدِّرَّة تَسْفُلُ إلى الرِّجْلين والجِرَّة تعلو إلى الرأس . ولا آتيك حتى يَبْيَضَّ القارُ . ولا آتيك سَجِيسَ الليالى ؛ وأنشد ابن الأعرابىّ :

ذَخَرْتَ أبا عمرو لقومـك كلِّهم سَجِيسَ الليالى عندنا أكْرَمَ الذُّخْر

وقال أبو زيد : ولا أفعل ذلك حتى يَحِنَّ الضَّبُّ فى أثر الإبل الصادرة . ولا أفعل ذلك أَبَدَ الأَبِيد ، وأَبَد الآبِدِين ، وأَبَدَ الأَبَدِيَّة ؛ وزاد اللحيانى : وأَبَدَ الآباد . وقال أبو زيد : ويقال لا آتيك سِنَّ الحِسْل ، أى حتى يَسْقُطَ فُوهُ ، وهو لا يسقط أبدا ، إنما أسنانه كالمِنْشار ؛ وأنشد ابن الأعرابىّ وغيره :

تَسْأَلُنى عن السِّنِين كَمْ لى فَقُلْتُ لـو عُمِّرْتُ عُمْرَ الْحِسْلِ (١)

أو عمرَ نوح زَمَنَ الفِطَحْـلِ والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كطين الوَحْـلِ

وسألت أبا بكر بن دريد رحمه الله عن زمن الفطحل فقال : تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رَطْبة

[مطلب شرح مادة و ت ر]

وقال الأصمعىّ : الحَتَار : الوَتَر الذى يكون فى القوس ، وحَتَارُ كلِّ شىء : وَتَرتُه ، وهوحَرْفه ، ووَتَرَةُ كل شىء : حرفه . ووترة الأنفِ : حرفه ؛ ويقال : ما زال على وَتِيرة واحدة ، أى على طريقة واحدة ؛ والوَتِيرة : حَلْقة يُتعلَّم عليها الطَّعْن ؛ وأنشد :

تُبَـارِى قُرْحَـةً مِثْلَ الـ وَتِيرة لم تَكُنْ مَغْـدا

قال أبو علىّ : المَغْدُ النَّتْف . والوَتِيرة : شىء مستطيل من الأرض يَنْقاد ؛ قال الهذلىّ (٢) :

فَذَاحت بالوَتَائرِ ثُمَّ بَدَّتْ يَدَيْهـا عنـد جانبها تَهِيـل

(١) البيتان لرؤبة بن العجاج ؛ كما فى اللسان مادة « فطحل » .

(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلى يصف ضبعا نبشت قبرا ؛ كما فى اللسان مادة « ذوح » .

وقال الأصمعىّ : فَذَاحت : أسرعت . وبَدَّت : فَرَّقت ؛ وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال : قال أبو عمرو الشيبانى : ذاحت : حَفَرَتْ . والوَتِيرة : الفَتْرة والتَّوَانى ، قاله أبو نصر ؛ وأنشد لزهير :

نَجَاء مُجِدٌّ ليس فيه وَتِيـــرةٌ وتَذْبِيبُهـــا عنه بأَسْحَمَ مِذْوَد

وقال أبو نصر : سمعت من غير الأصمعىّ : الوتائر : ما بين الأصابع ، الواحدة وَتِيرة ؛ وقال الأصمعىّ : الوتْر : الفَرْد ، وأهل الحجاز يفتحون الواو فى الفرد ويكسرونها فى الذَّحْل ، ومَنْ تحتهم من قيس وتميم يُسَوُّونهما فى الكسر ، ويقولون فى الفَرْد : أَوْتَرْت أُوتِر إيتارا ، وفى الذَّحْل : وَتَرْته فأنا أَتِرُه تِرَةً وَوَتْرًا . ويقال : تَوَاتَرت الإبلُ والقَطَا إذا جاءت بعضها خلف بعض ولم يَجِئْنَ مُصْطَفَّات ؛ وأنشد :

قَرِينةُ سَبْعٍ إن تَوَاتَرْنَ مَـــرَّةً ضُرِبْنَ فَصَفَّتْ أَرؤُسٌ وجنُوب (١)

ومنه وَاتِرْ كُتُبَك . والمُوَاتَرة : أن يجىء الشىءُ بعد الشىء وبينهما هُنَيَّة ، فإن تَتَابعَتْ فليست بمُتَواتِرة . ويقال : وَتَّرَ قَوْسَه وأَوْتَرَها .

وقرأت على أبى بكر بن دريد للنمر بن تولب :

أَشَاقَتْكَ أطلالٌ دوارسُ مِنْ دَعْد خَلَاءٌ مَغَانِيهـــا كحاشية البُرْد

على أنهـــا قالت عَشِيَّةَ زُرْتُهـــا هُبِلْتَ أَلم يَنْبُتْ لذا حِلْمُه بعـــدى

أشاقتك : هيجتك وشوّقتك . والمَغَانى : المَنَازل التى كانوا يَغْنَوْن بها ، أى يُقيمون بها ، واحدها مَغْنًى . وهُبِلْت : ثُكِلْت ؛ والعرب تقول : لأُمِّك الهَبَل ، أى الثُّكْل . وقوله : ألم ينبت لذا حلمه بعدى ، يعنى ضِرْس حِلْمِه وهو أقصى الأضراس وآخرها نباتا .

وقال يعقوب : يقال : سانيته وفانيته وصادَيْتُه ودالَيْتُه ورَادَيْتُه ، وهى المُسَاناة والمُفَاناة والمُصَاداة والمُدَالاة والمُرَاداة ، وهى المُسَاهَلة ؛ وأنشد للبيد :

وسانَيْتُ مِنْ ذى بَهْجةٍ وَرَقَيْتُه عليـــه السُّموطُ عابسٍ مُتَغَضِّبِ

وفارقتـــه والوُدُّ بينى وبينـــــه وحُسْنُ الثَّنَاء مِنْ وراء المُغَيَّبِ

---

(١) فى اللسان مادة « وتر » أن هذا البيت لحميد بن ثور .

وأنشد :

* إذا اللهُ سَنَّى عَقْدَ أمرٍ تَيَسَّرا *

وأخبرنا الغالبي قال قال لنا ابن كيسان أبو الحسن : أنشدني هذا البيت المبرد :

فلا تَيْأَسا واسْتَغْوِرا الله إنَّه إذا الله سَنَّى عقد أمر تيسرا

اسْتَغْوِراه : سَلَاه الغِيرة ، وهى الميرة ، أى سَلَاه الرزق . وأنشد يعقوب لنُصَيب[1] فى المفاناة :

تُقيمه تارةً وتُقْعِده كما يُفَانِى الشَّمُوسَ قائدُها

وأنشد فى المصاداة لمُزَرِّد :

ظَلِلْنا نُصَادِى أُمَّنا عن حَمِيتِها كأهل الشَّموس كُلُّهم يَتَوَدَّد

وقال العجّاج فى المُدالاة :

يَكادُ يَنْسَلُّ من التَّصْدِيرِ على مُدَالاتِىَ والتَّوْقِيرِ

وقرأت على أبى بكر فى المُرَاداة لطُفَيل الغنوىّ :

يُرادَى على فأس اللجام كأنَّما يُرَادَى به مِرْقاةُ جِذْعٍ مُشَذَّبِ

وقال غير يعقوب : رَادَيْته ودارَيْته واحد . وقرأنا على أبى بكر بن دريد للغنوىّ :

ظَلِلْنا مَعًا جارَيْن نَحْتَرِسُ الثَّأَى يُسائِرُنى مِنْ نُطْفةٍ وأُسائِرُه

وَصَف سَبُعا . نحترس الثَّأي ، أى كلٌّ واحد منا يخاف صاحبه أن يَغْدر به . والثَّأَى : الفساد ، وأصله فى الخَرْز ، وهو أن تنخرم الخُرْزَتان فتصيرا واحدة فيتسع الثَّقب فيفسُد ، ثم جُعِل مثلا لكل فساد . ويُسائِرنى ، من السُّؤْر وهى البَقِيَّة ، أى يَرِدُ قبلى فيشرب فيُبْقِى لى ، وأَرِدُ قبله فأُبْقِى له .

[مطلب خطبة عتبه بمكة عام حج وما دار بينه وبين الأعراب]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو عثمان عن العتبى عن أبيه عن هشام

(١) فى اللسان مادة « فنى » ينسب هذا البيت للكميت .

ابن صالح عن سعيد قال : حَجَّ عتبة سنة إحدى وأربعين ـ والناسُ قريبٌ عَهْدُهم بفتنة ـ فصلى بمكة الجمعة ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد وَلِينا هذا المقام الذى يُضاعَف فيه للمحسن الأجر ، وعلى المُسِيء فيه الوِزر ؛ ونحن على طريق ما قَصَدْنا ، فلا تَمُدُّوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع دوننا ، ورُبَّ مُتَمَنٍّ حَتْفُه فى أُمْنِيَّته ، فاقبلوا العافية ما قَبِلناها فيكم وقَبِلْناها منكم ؛ وإياكم ولَوًّا فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن تريح مَنْ بعدكم ؛ وأنا أسأل الله أن يعين كُلاًّ على كل . فصاح به أعرابىّ : أيها الخليفة ؛ فقال : لَسْتُ به ولم تُبْعِد ؛ فقال : ياأخاه ، فقال : سمعت فقل ؛ فقال : تالله أنْ تُحْسِنُوا وقدأسأْنا ، خيرٌ من أن تُسِيئوا وقدأحْسَنَّا ، فإن كان الإحسان لكم دوننا فما أحَقَّكم باسْتِتْمامه وإن كان مِنَّا ؛ فما أولاكم بمكافأتنا ؛ رجل من بنى عامر بن صَعْصَعَة يَلْقاكم بالعُمومة ، ويَقْرُب إليكم بالخُئُولة ؛ قد كَثَّرَه العِيالُ ، وَوَطِئَه الزمان ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر . فقال عتبة : أستغفر الله منكم ، وأستعينه عليكم ؛ قد أمرنا لك بِغِناك ، فَلَيْتَ إسراعَنا إليك ، يقوم بإبطائنا عنك .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا العكلىّ قال حدّثنا أحمد بن محمد المزنىّ قال : قال أبو جهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كُلال :

نَمِيـــل على جوانبـــه كأنّــا ... نَميـــل إذا نميـــل على أبينا
نُقَلِّبُــــه لنَخْبُر حـــالَتَيْــه ... فَنَخْبُر منهمـــا كَرَمـــاً ولِينا

فأمر له بمائة ألف .

[حديث أسيد بن عنقاء الفزارى وما كان من مواساة عميلة الفزارى له وما مدحه به]

وحدّثنا أبو بكر بن شقير النحوىّ فى منزله فى غَلَّة صافٍ ونحن يومئذ نقرأ عليه كتب الواقدىّ فى المغازى وكان يرويها عن أحمد بن عبيد عن الواقدىّ ، قال حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال : كان أسيد بن عنقاء الفزارىّ من أكثر أهل زمانه وأشدّهم عارضة ولسانا ، فطال عُمْره ، ونكبَه دَهْرُه ، واختلَّت حالته ؛ فخرج عشيَّةً يَتَبَقَّلُ لأهله ، فمرّ به عُمَيْلة الفَزَارىّ فسلَّم عليه وقال : ياعمِّ ، ما أصارك إلى ما أرى من حالك ؟ فقال : بُخْلُ مثلك بماله ، وصَوْنى وجهى عن مسألة الناس ؛ فقال :

والله لئن بَقِيتُ إلى غَدٍ لأُغَيِّرنَّ ماأرى من حالك ؛ فرجع ابن عَنْقاء إلى أهله فأخبرها بما قال له عُمَيْلة ؛ فقالت له : لقد غرّك كلامُ غلام جُنْحَ لَيْلٍ ؛ فكأنما ألقمتْ فاهحجرا فبات مُتَمَلْمِلا بين رجاء ويأْس ، فلما كان السحر سمع رُغاء الإبل ، وثُغاء الشاء ، وصَهِيل الخيل ، ولَجَب الأَموال فقال : ماهذا ؟ فقالوا : هذا عُمَيْلة ساق إليك ماله ؛ قال : فاسْتَخْرَج ابن عنقاء ثم قَسَمَ ماله شَطْرَيْن وسَاهَمَه عليه ؛ فأنشأ ابن عنقاء يقول :

رآنى على مابى عُمَيْلةُ فاشْتَكَى ... إلى مالـه حالى أَسَرَّ كما جَهَر

دعانى فآسانى ولو ضَنَّ لم أَلُمْ ... على حِين لا بَدْوٌ يُرَجَّى ولا حَضَر

فقلت لـه خيرا وأثنيت فِعْلَه ... وأَوْفاك ما أَبْلَيْتَ مَنْ ذَمَّ أو شَكَر

ولما رأى المجدَ اسْتُعِيرت ثيابُه ... تَرَدَّى رداءً سابِغَ الذَّيْل وأتَزَر

غلامٌ رماه الله بالخير مقبلا ... له سِيمِيَاء لا تَشُقُّ على البصر

كأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فوق نَحْرِه ... وفى أنفه الشِّعْرَى وفى خدّه القمر

إذا قِيلَتِ العَوْراء أَغْضَى كأنه ... ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصر

وأنشدنا أبو عبد الله قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ :

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضلَ حَيائه ... ويَدْنُو وأَطرافُ الرماح دَوَانى

وكالسيف إن لايَنْتَه لان مَتْنُه ... وحَدَّاه إن خاشَنْتَه خَشِنَان

وأنشدنا أبو بكر بن دريد :

يُشَبَّهُون مُلُوكًا فى تَجِلَّتِهم ... وطُولِ أَنْضِيَةِ الأَعناق والأُمَم (١)

إذا غدا المِسْك يَجْرى فى مَفارِقهم ... راحوا كأَنَّهُم مَرْضَى من الكرم

(١) الأنضية : جمع نضى ؛ وهو ما بين الرأس والكاهل من العنق . والأمم جمع أمة وهى القامة . وقد اختلف فى قائل هذين البيتين ، ففى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٣ طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٢ م والكامل للمبرد ص ٣٥ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م والأغانى ج ١٢ ص ١٢١ طبع بولاق واللسان فى مادة « نضا » أنهما للشمردل بن شريك اليربوعى . وفى اللسان أيضا نقلا عن ابن برى أنهما لليلى الأخيلية .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أحمد بن يحيى :

تَخَالُهُمُ للحِلْمِ صُمًّا عن الخَنَا — وخُرْساً عن الفَحْشاء عند التَّهَاتُر

ومَرْضَى إذا لاقَوْا حَياءً وعِفَّةً — وعند الحروب كاللُّيوث الخَوادر

لهم ذُلُّ إنصافٍ ولِينُ تواضع — بهم ولهم ذَلَّتْ رقاب المَعَاشِر

كأَنَّ بهم وَصْماً يخافون عارَه — وما وَصْمُهم إلا اتِّقاءُ المَعَاير

وأنشدنا أيضا عن أبي العباس :

أحلامُ[1] عادٍ لا يَخاف جليسُهم — إذا نَطَقُوا العَوْراءَ غَرْبَ لسان

إذا حُدِّثُوا لم تَخْشَ سُوءَ استماعهم — وإن حَدَّثوا أَدَّوْا بحُسْن بيان

وأنشدنا أيضا قال أنشدنى أبى :

يَصَمُّ عن الفحشاء حتى كأنه — إذا ذُكِرَتْ فى مجلس القوم غائبُ

له حاجبٌ عن كل ما يَصِمُ الفتى — وليس له عن طالب العُرْف حاجب

وأنشدنا أيضا قال أنشدنى أبى لبكر بن النطاح يمدح خِربان بن عيسى قال : وكان أبو عبيدة يقول : لم أسمع لهؤلاء المحدَثين مثل هذا :

لم ينقطع أحدٌ إليك بوُدِّه — إلا اتَّقَتْه نوائبُ الحَدَثان

كلُّ السيوف يرَى لسيفك هَيْبَةً — وتخافك الأرواحُ فى الأبدان

قالت مَعَدٌّ والقبائلُ كلُّها — إن المَنِيَّةَ فى يدى خِرْبان

مَلِكٌ إذا أخذَ القَناةَ بكفِّه — وَثِقَتْ بشِدَّة ساعد وبَنَان

وقرأت على أبى جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة عن أبيه للأسدىّ :

ولائمةٍ لامَتْكَ يا فَيْضُ فى النَّدَى — فقلتُ لها هل يَقْدَحُ اللَّوْمُ فى البحر

أرادت لِتَثْنِى الفَيْضَ عن عادة الندى — ومن ذا الذى يَثْنِى السَّحابَ عن القَطْر

مَواقعُ جود الفيضِ فى كلِّ بَلْدة — مَواقعُ ماء المُزْن فى البلد القَفْر

---

(١) أحلام عاد ، هو من الطويل دخله الخرم . وهو حذف الفاء من « فعولن » .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن أبيه عن يونس عن أبي عمرو بن العلاء قال : لما تُوِّجَ النعمان واطمأن به سريرُه ، دَخَلَ عليه الناس وفيهم أعرابىّ فأنشأ يقول :

إذا سُسْتَ قوما فاجْعَل الجُود بينهم وبينك تَأْمَنْ كلَّ ما تَتَخَوَّف

فإن كُشِفَتْ عند المُلِمَّات عَوْرةٌ كفاك لباسُ الجُود ما يَتَكَشَّفُ

فقال : مقبولٌ منك نُصْحُك ، ومِمَّنْ أنت ؟ قال : أنا رجل من جَرْم ؛ فأمر له بمائة ناقة ؛ وهى أوّل جائزة أجازها .

وقرأت على أبى بكر وأنشدناه أبو عبد الله نفطويه عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ لقيس بن عاصم المِنْقَرِىّ :

إنى امرؤ لا يَعْترى حَسَبِى دَنَسٌ يُفَنِّده ولا أَفَنُ

مِنْ مِنْقَرٍ فى بيت مَكْرُمة والفرعُ ينبت حَوْلَه الغُصْن

خُطَباءُ حين يقول قائلهم بِيضُ الوجوه مَصَاقِعٌ لُسُن

لا يَفْطَنون لعيب جارِهمُ وهُمُ لحفظ جواره فُطُن

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن أبى عبيدة للعَرَنْدَس أحد بنى بكر بن كلاب يمدح بنى عمرو الغَنَوِيِّين قال : وكان الأصمعىّ يقول : هذا المُحَال ، كلابىٌّ يمدح غَنَوِيا !

هَيْنُون لَيْنُون أيسار ذوو كَرَم سُوَّاس مَكْرُمة أبناء أيسار

إن يُسْأَلوا الخيرَ يُعْطُوه وإن خُبِروا فى الجَهْد أُدْرِك منهم طِيبُ أَخبار

فيهم ومنهم يُعَدُّ الخير مُتَّلِدا ولا يُعَدُّ نَثَا خِزْىٍ ولا عار

لا يَنْطِقون عن الأهواء إن نَطَقُوا ولا يُمَارُون إن مارَوْا بإكثار

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيْتُ سَيِّدَهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقرأت عليه للنمر بن تولب :

ثم اسْتَمَرَّت تريد الرِّيح مُصْعِدَةً نحو الجنوب فَعَزَّتْها على الريح

قوله : تريد الريح ، يعنى الطَّرِيدة تستقبل الريح أبدا ، وإنما تفعل ذلك لتبرد أجوافها باستقبال الريح . وعزَّتْها : غلبتها ، يعني فرسة غَلَبت الطريدة ، والدليل على ذلك قوله قبل هذا البيت :

لقد غَدَوْتُ بصُهْبَى وهى مُلْهِبةٌ إلهـابُها كضِرَام النار فى الشِّيح

وصُهْبَى : اسم فرسه ، ثم قال :

جاءت لِتَسْنَحَنى يَسْرًا فقلتُ لها على يَمينك إنِّى غير مَسْنُوح

جاءت ، يعنى الطريدة . لتسنحنى ، أى لتَمْضِى على يسارى ، ثم قال : ثم استمرت تريد الريح .

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : قال بعض الحكماء : إن مما سخَا بنفس العاقل عن الدنيا عِلْمَه بأن الأرزاق فيها لم تُقْسَمْ على قَدْر الأخطار .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شَبَّة أبو زيد قال حدثنا الأصمعيّ قال حدثنا ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة قال : قال عروة لبنيه : يابَنِىَّ ، لايُهْدِيَنَّ أحدكم إلى ربّه ما يَستحى أن يُهْدِيه إلى حَرِيمه ، فإن الله أكرم الكُرَماء ، وأحق من اختير له . قال : وكان يقول : يابَنِىَّ ، تعلَّموا العلم ، فإنكم إن تكونوا صِغَار قوم فعَسَى أن تكونوا كُبراءهم ، واسَوْءَتَا ! ماذا أقبح من شيخ جاهل ؟ وكان يقول : إذا رأيتم خَلَّةً رائعة من شر من رجل فاحذروه وإن كان عند الناس رَجُلَ صِدق ، فإن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم خلة رائعة من خير من رجل فلا تَقْطَعُوا إنَاتَكُم[1] منه وإن كان عند الناس رجل سَوْء ، فإن لها عنده أخوات . وقال : الناسُ بزمانهم أشْبَهُ منهم بآبائهم .

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : وجد فى حكمة فارس : إنى وجدت الكُرماء والعقلاء يبتغون إلى كل صِلَةٍ ومعروف سببا ؛ ورأيت المَوَدَّة بين الصالحين سريعا اتصالها ، بطيئا انقطاعُها ، ككُـوب الذهب سريع الإعادة إن أصابه ثَلْمٌ أو كَسْر ؛ ورأيت المودة بين الأشرار بَطِيئا اتصالُها ،

(١) إناتكم : رجاءكم . عن اللسان مادة « أنى » .

سريعا انقطاعُها ، ككُوب الفَخَّار ، إن أصابه ثَلْمٌ أو كسر فلا إعادة له ؛ ورأيت الكريم يَحْفَظ الكريم على اللِّقاءة الواحدة ومعرفة اليوم ؛ ورأيت اللئيم لا يَحْفَظ إلا رَغْبَةً أو رَهْبة .

[مطلب خطبة عتبة بمصر وكان قد غضب لأمور بلغته عن أهلها]

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو عثمان عن العتبي عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد قال : كنا بمصر فبَلَغَنا أمور عن أهلها ، فصَعِد عُتْبة المنبر مُغْضَبا فقال : أيا حامِلِين ألأم أنوفٍ رُكِّبَتْ بين أعين ، إنما قَلَّمْت أظفارى عنكم لِيَلِين مَسِّى إياكم ، وسألْتُكم صلاحَكم لكم إذ كان فسادكم راجعا عليكم ؛ فأمَّا إذ أبيتم إلا الطعنَ فى الولاة والتنقُّصَ للسلف ، فوالله لأقَطِّعن على ظهوركم بطونَ السياط ، فإن حَسَمَتْ داءكم وإلا فالسيف من ورائكم ؛ فكم من موعظة مِنَّا لكم مَجَّتْها قلوبُكم ، وزَجْرة صَمَّت عنها آذانُكم ؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذ جُدْتُم لنا بالمعصية ، ولا أويِسُكم من مراجعة الحُسْنَى إن صِرْتُم إلى التى هى أبرّ وأتقى .

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال الأحنف ابن قيس : إن الله جعل أسْعَد عبادِه عنده وأرشدهم لديه وأحْظَاهم يوم القيامة ، أبذلَهم للمعروف يداً ، وأكثرَهم على الإخوان فضلا ، وأحسنَهم له على ذلك شكرا .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى ــ رحمه الله ــ قال حدثنى أبى عن أحمد بن عبيد عن الزيادى عن المطلب بن المطلب بن أبى وداعة عن جده قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه عند باب بنى شيبة فمرّ رجل وهو يقول :

يأيُّها الرجلُ المُحَوِّل رحلَه ألَّا نَزَلْتَ بآل عبد الدار
هَبِلَتْكَ أمُّك لو نزلتَ برحلهم مَنَعُوك من عُدْمٍ ومن إقتار

قال : فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر فقال : « أهكذا قال الشاعر » ؟ قال : لا والذى بعثك بالحق ، لكنه قال :

يأيها الرجل المحوّل رحله ألَّا نزلت بآل عبد مناف[1]

---

(١) قائل هذه الأبيات هو مطرود بن كعب الخزاعى يرثى بها عبد المطلب جد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ (انظر اللسان فى مادة « رجف ») .

هبلتك أُمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين فقيرَهم بغنيِّهم حتى يعود فقيرهم كالكافى
ويُكَلِّلون جِفَانَهم بسَدِيفهم(١) حتى تَغِيبَ الشمسُ فى الرَّجَّاف(٢)
منهم عَلِىٌّ والنبىُّ محمدٌ القائلان هَلُمَّ للأضياف

قال : فَتَبَسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : «هكذا سمعت الرُّواة يُنْشِدونه» .

وحدثنا أَبو بكر قال حدثنا أَبوحاتم وعبد الرحمن عن الأَصمعىّ عن بعض موالى بنى أُمَيَّة قال : خرج داود بن سَلْم إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فلما قَدِم عليه قام غلمانه إلى متاعه فأَدخلوه وحَطُّوا عن راحلته ، فلما دخل أَنشده :

ولما دُفِعْت لأَبوابهم ولاقَيْتُ حَرْبًا لَقِيت النجاحا
وجدناه يَحْمَده المُعْتَفُون ويأْبَى على العُسْر إلَّا سماحا
ويُغْشَوْن حتى تَرَى كَلْبهم يَهَاب الهَرير ويَنْسَى النُّباحا

فأَمر له بجوائز كثيرة ، ثم آستأْذنه فى الانصراف فأَذِن له وأَعطاه أَلف دينار ، فلما خرج من عنده وغِلمانُه جُلوسٌ لم يقم إليه أَحد منهم ولم يُعِنْه ، فظن أَن حربا ساخط عليه فرجع إليه وقال : أَواجِدٌ أَنت عَلَىَّ ؟ قال : لا ، ولم ذلك؟ فأَخبره خبر الغلمان ، قال : آرجع إليهم فَسَلْهُم ، فرجع إليهم فسأَلهم ، فقالوا : إنا نُنْزِل الضيف ولا نُرَحِّله ، فلما قدم المدينة ، سمع الغاضِرِيُّ بحديثه فأَتاه فقال : إنى أَحب أَن أَسمع هذا الحديث منك ، فحدّثه ، فقال : هو يهودىّ أَو نصرانىّ إن لم يكن فِعْلُ الغلمان أَحْسَنَ من شعرك .

وقرأْتِ على أَبى بكر بن دريد للنمر بن تولب :

تَضَمَّنْتَ أَدْواء العَشِيرة بينها وأَنْتَ على أَعواد نَعْش تُقَلَّب

قوله : تضمنت أَدواء العشيرة بينها ، أَى ضَمِنْت ما كان فى العشيرة من داء

(١) السديف : شحم السنام أو قطعه .
(٢) الرجاف : البحر ، سمى بذلك لاضطرابه وتحرك أمواجه ، وقيل : يوم القيامة .

أو فساد إذ كنت فيهم حَيًّا ، وأنت اليوم على أعواد نعش . وقال الأصمعىّ : تضمنت : أصلحت ، والمعنى عندى : أنه كان يضمن دماء العشيرة فيصلح بينها .

[مطلب امتداح أبي العتاهية لعمر بن العلاء وحسد الشعراء له على ما أعطاه من الجائزة]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا عبد الله بن خلف قال حدّثنا إسحاق ابن محمد النخعىّ قال حدثنى محمد بن سهل قال حدثنى المدائنىّ قال : امتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدىّ ، فأمر له بسبعين ألف درهم ، وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه ، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثياب ؛ ثم إن جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر ، فقال بعضهم : ياعَجَبًا للأمير ، يعطى أبا العتاهية سبعين ألف درهم ! فبلغ ذلك عمر فقال : عَلَىَّ بهم ، فأُدْخِلوا عليه ، فقال : ما أَحْسَد بعضكم لبعض يامعشر الشعراء ! إن أحدكم يأْتينا يريد مدحنا فيشَبِّب فى قصيدته بصديقته بخمسين بيتا ، فما يبْلُغنا حتى تذهب لَذَاذة مدحه ورَوْنَقُ شعره ، وقد أتانا أبو العتاهية فشَبَّب ببيتين ثم قال :

إنى أمنْتُ من الزمان ورَيْبِه ... لما عَلِقْتُ من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلاله ... لَحَذَوْا له حُرَّ الوجوه نِعالا

ما كان هذا الجودُ حتى كُنْتَ يا ... عُمَرًا ولو يَوْمًا تزول لزالا

إنَّ المطايا تشتكيك لأنها ... قَطَعَتْ إليك سَبَاسِبًا ورمالا

فإذا أَتَيْنَ بنا أَتَيْنَ مُخِفَّةً ... وإذا رَجَعْنَ بنا رَجَعْن ثِقالا

فقال له عمر حين مدحه : أَقِم حتى أنظر فى أمرك ؛ فأقام أياما ولم يرشيئا ، وكان عمر ينتظر مالًا يجىء من وجه فأبطأ عليه ، فكتب إليه أبو العتاهية :

يابن العَلاء ويابن القَرْم مِرْداس ... إنى امتدحتك فى صَحْبي وجُلَّاسي

أُثْنِي عليك ولى حال تُكَذِّبُنى ... فيما أقول فأَسْتَحْيِى من الناس

حتى إذا قيل ما أعطاك من صَفَدٍ ... طأطأت من سوء حال عندها راسى

فقال عمر لحاجبه : اكْفِنِيه أياما ، فقال له الحاجب كلاما دفعه به ، وقال له : تنتظر ، فكتب إليه أبو العتاهية :

أَصابت علينا جُودَك العَيْنُ ياعمر فنحن لها نَبْغِى التَّمائم والنُّشَر[1]

أَصابتك عينٌ فى سخائك صُلْبةٌ ويارُبَّ عين صُلْبة تَفْلِقُ الحَجَرْ

سنَرْقِيك بالأَشعار حتى تَمَلَّها فإن لم تُفِقْ منها رَقَيْناك بالسُّوَرْ

قال : فضحك عمر ، وقال لصاحب بيت ماله : كم عندك ؟ قال : سبعون ألف درهم ، قال : ادفعها إليه ، ويقال : إنه قال له : اعْذِرْنى عنده ولا تُدْخِله علىّ فإنى أستحى منه .

قال أبو علىّ : قال الأَصمعىّ : من أَمثال العرب : « العَبْدُ من لا عَبْدَ له » أى من لم يكن له عبد ولاكافٍ امْتَهَنَ نفسَه . ويقال : « لو كُوِيتُ على داء لم أَكْره » أى لو عُوتبت على ذنب ما امْتَعَضْتُ . ويقال : « كمُبْتَغِى الصَّيْد فى عِرِّيسة الأَسَد » يضرب مثلا للرجل يَطْلُب الغنيمة فى موضع الهَلَكة . ويقال : « أَجْودُ مِنْ لافِظة » وأراد بلافِظَة البحرَ . ويقال : « أَجْبَنُ مِنْ صافِرٍ » وأراد بصافر : ما يَصْفِر من الطير ، وإنما يوصف بالجبن لأنه ليس من سباعها . وقرأنا على أَبى بكر بن دريد قول الراجز :

قد عَلِمَتْ إن لم أَجِدْ مُعِينا لأَخْلِطَنَّ بالخَلُوق طِينا

يعنى امرأته ، يقول : قد علمت إن لم أجد معينا يعيننى على سَقْيها ، سأَستعين بها وأَستعملها حتى يَخْتلط ماعليها من الخَلُوق بالطين والماء .

[مطلب ما تقول العرب فى معنى أخذت الشىء كله]

وقال يعقوب بن السكيت : يقال : أَخذه بأَجْمَعِه وأَجْمُعه ، وأَخذه بِحَذَافِيرِه ، وقال أبو عبيدة عن الكسائى : أَخذه بحَذَافِيره وجَذَامِيره وجَرَامِيره وجَرَامِيزه ؛ وحكى عن أَبى عبيدة : بِرَبَّانِه بفتح الراء فى معناها ؛ وعن الأَصمعىّ : بِرُبَّانه أى بجميعه ؛

(١) النشر : جمع نشرة ؛ وهى رقية يعالج بها المجنون والمريض .

قال :وقال الفرّاء :أَخذَه بصِنَايَته وسِنَايته مثله . وقال يعقوب : وأَخَذه بِجَلْمته ، وقال لى أَبو بكر بن الأَنبارى : وبِجُلْمته أَيضا ، وقال يعقوب : وأَخذه بزَغْبَرِه ، وقال لى أَبو بكر بن الأَنبارى : ويقال : بزِغْبِره ، وأَظننى سمعت اللغتين جميعا من أَبى بكر ابن دريد ، وقال يعقوب : وأَخَذه بزَوْبَرِه ، وأَنشد لأَبن أَحمر :

وإن قال غاوٍ من تَنُوخ(١) قَصِيدةً بها جَرَبٌ عُدَّتْ عَلَىَّ بزَوْبَرا

وقال أَبو عبيدة : وأَخذه بَزأْبَرِه ، وقال يعقوب : وأَخذه بُصبْرَته وبأَصْباره ، وأَخذه بزَأْبَجِه وبزَأْمَجِه ، وأَخذه بأَصيلته ، وأَخذه بظَلِيفته ، وأَخَذه مُكَهْمَلا ؛ قال : وحكى أَبو صاعد : أَخذه بزَوْبَره وبأَزْمَله : كُلُّه أَخذه جميعا ؛ وأَخَذه بِربَغِه وبحَدَاثته وبرُبَّانه . قال أَبو الحسن بن كيسان : هذه الثلاثة معناها : بأَوّله وابتدائه ، وأَنشد لأَبن أَحمر :

وإنّما العَيْشُ برُبَّانِه وأَنتَ من أَفنانه مُقْتَفِر

أَخبرنى بذلك الغالبىّ عن آبن كيسان ، وروى أَبو عبيدة فى بيت آبن أَحمر :

* وأَنت من أَفنانه مُعْتَصِر *

وقال أَبو نصر وغيره عن الأَصمعىّ : إنه قال : بُربَّانه : بحداثته.

[مطلب شرح مادة جلا وجلل]

وقال الأَصمعى : جَلَوْت العروس أَجْلُوها فهى مَجْلُوَّة ، وجَلَوْت المِرْآة أَجْلُوها فهى مَجْلُوَّة ، ومصدرهما جميعا جِلاء ، ويقال : أَعْطِ العَروس جِلْوتها ، وقدجَلَّاها زَوْجُها وَصِيفةً أَى أَعطاها حين سُئِل الجِلْوة ، وزَوْجُها يُجَلِّيها تَجْلِية . وجَلَّى الطائرُ تَجْلِية إذا أَبْصَر الصيدَ من مكان بعيد . وجَلَّ القومُ يَجِلُّون جُلولا ، وجَلَا القومُ يَجْلُون جلاء إذا خرجوا من بلد إلى بلد ، ومنه قيل : آسْتُعْمِل فلان على الجالَّة والجالِية ، وهو أَن يُجْعَل على قوم خرجوا من بلد إلى بلد ، فالجالَّة من جَلَلْت ، والجالِيَةُ من جَلَوْت . وجَلَّ البَعْرَ يَجُلُّه جَلًّا إذا آلتقطة . والجَلَّة : البعر . والإِبل الجَلَّالة : التى تأْكل الجِلَّة . ويقال : خَرَج الإِماء يَجْتَلِلْنَ ، أَى يأْخُذْن الجِلَّة ، وأَنشد لعمر بن لجأ يصف ناقة :

(١) فى اللسان مادة زبر : وان قال عاو من معد الخ .

تُخْسِبُ مُجْتَلّ الإمــاء الحُرَّم   من هَدَبِ الضَّمْــران لم يُحَزَّم[١]

تُخْسِب ، أى تكْفِى . والمُجْتَلّة : التى تَلْقُط الجِلَّة . وقوله : من هَدَبِ الضَّمْران ، أى من بَعْر إبل رَعَتْ هَدَب الضمران فَبَعَرت ، وذكر الضمران لأنه من أجْوَد ما يُرْعَى . وقوله : لم يُحَزَّم ، أى هو بعر منثور لم يحزم كما يُحَزَّم الضمران إذا احتُطِب . وجَلَّ الرجلُ يَجِلُّ جِلَّة إذا عَظُم وغَلُظ ،وكذلك الصبىّ والعُود . وإبلٌ جِلَّة ، أى مُسِنَّة ، وقد جَلَّت إذا أَسَنَّت ، ومَشْيَخة جِلَّة أى مَسَانٌّ ، والواحد جليل . والمَجَلَّة : صحيفة كان يكتب فيها شىء من الحِكَم ؛ وأنشد بيت النابغة الذبيانىّ:

مَجَلَّتُهم ذات الإلٰه ودِينُهم   قَوِيمٌ فمــا يَرجُون غير العواقب

قال أبو حاتم : يروى مَجَلَّتهم ومَحَلَّتهم ، فمن روى مجلتهم ، أراد الصحيفة ، ومن روى محلتهم ، أراد بلادهم الشام . والجَلَل : الصغير اليسير . والجَلِيل : العظيم . وقال أبو نصر : والجَلَل : العظيم أيضا . وقال أبوبكر بن الأنبارى : وجدت فى كتاب أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى نصر ، كان الأصمعى يقول : الجَلَل : الصغير اليسير ، ولا يقول : الجَلَل : العظيم .

قال أبو على قال الأصمعىّ : لا يقال : الجَلَال إلا فى الله عزَّ وجلَّ ، وقال أبو حاتم : وقد يقال ، وأنشد :

فــلا ذَا جَلَالٍ هِبْنَهُ لِجَلَالِــهِ   ولا ذا ضَيَاعٍ هُنَّ يَتْرُكْنَ للفقــر

وجُلُّ كل شىءٍ : العظيمُ منه . وقرأت على أبى بكر بن دريد فى كتاب الأبواب للأصمعىّ : فَعَلْت ذاك من جَلَل كذا وكذا ، أى من عِظَمِه فى صدرى . وقال أبو نصر : فَعَلْت ذاك لِجَلَلِكَ وجَلَالِك أى لعظمتك فى صدرى ، وأنشد الأصمعىّ لجميل :

رَسْمِ دارٍ وَقَفْت فى طَلَلِــــه   كدْتُ أقضِى الغَــداةَ مِنْ جَلَلِه

ورَوَيْتُ من غير هذا الوجه تفسيرَ من جَلَلِه : من أجْلِه . ويقال : فعلت ذاك من أجْلك وجَلَلك وجَلَالِك ، وأنشد الأصمعى فى جلالك :

---

(١) فى اللسان مادة : « جلل » أنه قاله فى وصف ابل ؛ وروى « لم يحطم » بدل « لم يحزم »

وغِيدٍ نَشَاوَى من كَرًى فوق شُزَّبٍ　　من اللَّيْــــلِ قد نَبَّهْتُهم من جَلَالِكا

أى من أجلك . والجُلَّى : الأمر العظيم ، وجمعها جُلَل . والجَلِيل : الثُّمام ، واحدته جَلِيلة ، وأنشد الأصمعى :

ألا لَيْتَ شعرى هــل أَبِيتَنَّ ليلةً　　بوادٍ[1] وحَوْلِى إذْخِرٌ وجَلِيــلُ

وذكر شيوخنا : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم سمع بلالا ينشد هذا البيت فقال : « حَنَنْتَ يابن السوداء » . ويقال : هو ابْنُ جَلا ، أى المنكشف المشهور الأمر ، وأنشد الأصمعىّ :

أنا ابْنُ جَلَا وطَلَّاعِ الثَّنــايا　　مَتَى أَضَعِ العِمــامــة تَعْرِفونى[2]

قال : وابن أَجْلَى مثله ، وأنشد للعجاج :

لاقَوْا بــه الحَجاجَ والإِصْحــارا　　به ابن أَجْلَى وافَقَ الإِسْفارا

قال : ولم أسمع بابن أجلى إلا فى بيت العجاج . وقوله : لاقوا به ، أى بذلك المكان ، وقوله: الإصحارا أى وجدوه مُصْحِرا ووجدوا به ابْنَ أَجْلَى ، كما تقول : لَقِيت به الأسد ، أى كأنى لَقِيت بلقائى إياه الأسد . وقوله : وافق الإسفارا ، أى واضحا مثل الصُّبْح . وقال غيره : عَيْنٌ جَلِيَّة ، أى بصيرة ، قال أبو دواد الإيادى :

بل تَأَمَّلْ وأنت أَبْصَــرُ مِنِّى　　قَصْدَ دَيْر السَّوى[3] بِعينٍ جَلِيَّة

والجَلِيَّة أيضا : الأمر البَيِّن الواضح ، قال النابغة :

فآبَ مُضِلُّوه بعَيْنٍ جَلِيَّـــــة　　وغُودِر بالجَوْلان حَزْم ونــــائلُ

وقال الأصمعىّ : والجَلا : انحسار الشعر من مُقَدَّم الرأس ، رَجُلٌ أَجْلَى وامرأة جَلْواء ، وقد جَلِىَ يَجْلَى جَلًا مقصور .

---

(١) فى اللسان : « بفج » بالفاء المفتوحة والجيم المشددة .

(٢) القائل لهذا البيت هو سحيم بن وثيل الرياحى كما فى الجزء الأول من الأصمعيات ص ٧٣ طبع ليبزج سنة ١٩٠٢ .

(٣) قال ياقوت : انه بظاهر الحيرة ، ومعناه دير العدل لأنهم كانوا يتحالفون عنده فيتناصفون . وقال الكلبي : هو منسوب الى رجل من اياد : وقيل غير ذلك .

وقرأت على أبى بكر بن دريد لبكر بن النطّاح :

ولو خَذَلَتْ أموالُه جُودَ كَفِّـــه لقاسَمَ مَنْ يرجود شَطْرَ حيـاتِه
ولـو لم يَجِدْ فى العُمْر قِسْمًا لزائرٍ لجادَ لَهُ بالشَّطْر مِنْ حَسَناتِه

وأنشدنى بعض أصحابنا لبكر بن النطاح :

وإذا بدا لك قاسِمٌ يَوْمَ الوَغَى يَخْتالُ خِلْتَ أمامَه قِنْدِيـــلا
وإذا تَعَرَّض للعَمُود ولَيَّـــه خِلْتَ العَمود بكَفِّـه مِنْدِيـلا
قالوا ويَنْظِم فارِسَيْنِ بطعنةٍ يوم اللقـاء ولايراه جليـلا
لا تَعْجَبوا فَلَوَ انَّ طُولَ قَناتِـــهِ مِيلٌ إذًا نَظَم الفوارس مِيـــلا

وأنشدنى بعض أصحابنا له :

يا عِصْمة العَرَب التى لو لم تَكُنْ حَيًّـا إذًا كانت بغير عماد
إن العيونَ إذا رَأَتْك حِدَادُهـــا رَجَعَتْ من الإجلال غَيْرَ حِـدَاد
وإذا رَمَيْتَ الثَّغْر منـك بعَزْمـة فَتَّحْت منـــه مَواضع الأسداد
فكأَنَّ رُمْحَك مُنْقَعٌ فِي عُصْفُــر وكأنَّ سَيْفَك سُلَّ من فِرْصاد[1]
لوصال من غَضَبٍ أبـو دُلَفٍ على بِيض السيوف لَذُبْنَ فى الأغماد
أذْكَى وأوقـد للعـداوة والقِرَى نارَيْن نـارَ وَغًى ونـار رماد

وقرأت على أبى بكر بن دريد لليلى الأخيلية ، وقال لى : كان الأصمعى يرويها لحميد بن ثور الهلالىّ قال أبوعلى : فكذا وجدته بخط ابن زكريا ورّاق الجاحظ فى شعر حميد :

يـأيُّها السَّدِم المُلَـوِّى رأسَه لِيَقُود من أهل الحجاز بَرِيما
أتريد عمرو بن الخَلِيع ودُونَه كَعْبٌ إذًا لوجدته مرءومـــا
إن الخَليع ورهطه فى عامــر كالقلب أُلْبِس جُؤْجُؤًا وحَزِيما

(٢) الفرصاد : الصبغ الأحمر .

لا تَغْزُوَنَّ الدهرَ آلَ مطَرِّف لاظالما أبدا ولا مظلوما
قومٌ رِباطُ الخيلِ وَسْطَ بُيوتهم وأَسِنَّةٌ زُرْقٌ تُخال نجوما
ومُخَرَّق عنه القميصُ تَخالُه وَسْطَ البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رَفَعَ اللواء رأيتَه تحت اللواء على الخَميس زَعِيما
لن تستطيع بأن تُحَوِّل عِزَّهم حَتَّى تحوّل ذا الهِضَاب يَسُوما[1] ،
إن سَالَمُوك فَدَعْهُمُ من هذه وٱرْقُدْ كَفَى لك بالرُّقاد نَعِيما

قال أبوعلى : البَرِيم : الخيط فيه سواد وبياض . ويقال للقَطِيع من الغنم إذا كان فيه مَعَزٌ : بريم . وسألت أبا بكر بن دريد عن معنى قول المُتَنَخِّل الهذلىّ :

عَقَّوْا بسَهْم فلم يشعر به أحد ثم استفاءوا وقالوا حَبَّذَا الوَضَحُ

فقال : يقال : عَقَّى بسهم إذا رَمَى به نحو السماء لا يريد به أحدا ، وإذا ٱجتمع الفريقان للقتال ثم بَدَا لأحد الفريقين وأرادوا الصلح رَمَوْا بسهم نحو السماء ، فعَلِم الفريقُ الثانى أنهم يريدون الصلح فتراسلوا فى ذلك. واستفاءوا : رجعوا عما كانوا عليه. وقالوا : حبذا الوضح : أى اللبن ، أى حبذا الإبل والغنم نأخذها فى الدية ، كما قال الآخر :

ظَفِرْتَ بهَجْمةٍ سُودٍ وحُمْرٍ تُسَرُّ بما يُساء به اللبيب

أى فَرِحْتَ بالدية .

[مطلب كتاب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضى يطلب إليه رجلا يستعين به فى أموره]

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا الحسن بن خضر عن أبيه قال : كتب الحسن ابن سهل إلى محمد بن سَمَاعة القاضى : أما بعد ، فإنى ٱحْتَجْتُ لبعض أمورى إلى رجل جامع لخصال الخيرذى عِفّة ونَزاهةِ طُعْمةٍ[2] ، قد هَذَّبتْه الآداب ، وأحكمته التَّجارِب ؛ ليس بِظَنِينٍ فى رأيه ، ولاَ بمطعون فى حسبه ؛ إن ٱوْتُمِن على الأسرار قام

(١) يسوم : اسم جبل فى بلاد هذيل .
(١) الطعمة بضم الطاء وكسرها : وجه الكسب الطيب أو الخبيث .

بها ، وإن قُلِّد مُهِمًّا من الأمور أجزأ فيه ؛ له سِنٌّ مع أدب ولسان ، تُقْعده الرَّزانة ويُسَكِّنه الحلم ، قد فُرِّع عن ذكاء وفِطْنة ، وعَضَّ على قارحة من الكمال ؛ تَكْفيه اللَّحظة ، وتُرْشِده السَّكْتة ؛ قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام فى أمورهم فَحُمِد فيها ؛ له أناةُ الوُزَراء ، وصَوْلة الأمراء ، وتَوَاضُع العلماء ، وفَهْمُ الفقهاء ، وجواب الحكماء ؛ لايبيع نَصِيبَ يومه بحرمان غده ، يكاد يَسْتَرِقُ قلوبَ الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه ؛ دلائلُ الفضل عليه لائحة ، وأماراتُ العلم له شاهدة ؛ مُضْطَلِعًا بما ٱسْتُنْهِض ، مُسْتَقِلًّا بما حُمِّل ؛ وقد آثرْتُك بطلبه ، وحَبَوْتُك بارتياده ؛ ثِقَةً بفضل ٱختيارك ، ومعرفةً بحسن تَأَتِّيك ؛ فكتب إليه : إنى عازم أن أرغب إلى الله جل وعزّ حَوْلًا كاملا فى ٱرتياد مثل هذه الصِّفة ، وأُفَرِّق الرسل الثِّقاتِ فى الآفاق لٱلتماسه ، وأرجو أن يَمُنَّ الله بالإجابة ، فأفوزَ لديك بقضاء حاجتك والسلام .

وأخبرنا أبو عبد الله قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حُدِّثت عن إسحاق ابن إبراهيم الموصلىّ قال : وصف رجل رجلا فقال : كان والله سَمْحًا سَحًّا ، بمرسهلا ؛ بينه وبين القلب نسب ، وبين الحياة سبب ؛ إنما هو عيادة مريض ، وتُحْفة قادم ، وواسِطَة قِلادة .

قال أبو عبد الله وحدّثنا أبو العباس قال : وصف أعرابىّ رجلا فقال : كان والله مَطْلُول المُحادَثة ، يَنْبِذ إليك الكلام على أَدْرَاجِه ، كأَنَّ فى كل رُكْنٍ من أركانه قَلْبًا يَقِدُ . قال أبو علىّ : يعنى مُسْتَحْدَثَ[1] الحديث .

[مطلب ما تقول العرب فى معنى ما بالدار أحد]

وقال يعقوب بن السكيت : يقال : ما بالدار أَحَدٌ ، وما بها دَوِّىٌّ ودُعْوِىٌّ وطُهْوِىٌّ ودُبِّىٌّ ولاعِى قَرْوٍ .

قال أبو علىّ : وقال لى الغالبىّ : قال لنا ٱبن كيسان : دَوِّىّ ، منسوب إلى الدوِّية . وقال اللحيانى : دُعْوِىٌّ من دَعَوْتُ . ودُبِّىٌّ من دَبَبْت ، وزاد نُمِّىٌّ من نَمَمْت .

(٢) يريد : مستعلب الحديث حلوه .

الأَصمعىّ : يقال : ما بالدار عَرِيبٌ . قال أَبو علىّ : معناه مُعْرِب ، أى ما بها أحد ؛ قال عَبِيد :

فَعَرْدَةُ فَقَفَا حِبِـــرٍّ ليس بها منهم عَرِيب

وأنشدنا أَبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أَبو العباس :

أُمَيْم أَمِنْك الدَّار غَيَّرَها الْبِلَى وهَيْفٌ[1] بِجَوْلان التراب لَعُوب

بَسَابِس لم يُصْبِحْ ولم يُمْسِ ثاويا بها بَعْدَ بَيْنِ الحَىِّ منك عَرِيب

وما بها دَبِّيجٌ ، وَدِبِّيجٌ فِعِّيل من الدَّبْج ، وهو النقش والتزيين ، وأَصله فارسىّ مأْخوذ من الديباج ، وأَنشد ابن الأَعرابىّ :

هل تَعْرِف المَنْزِل من ذات الهُوج لَيْس بها مِنَ الأَنِيس دِبِّيج

وما بها دُورِىٌّ ؛ وقال اللحيانى : دُورِىٌّ ودُؤْرِىٌّ ، يهمز ولا يهمز .

قال أَبو علىّ : دُورِىٌّ منسوب إلى الدُّور ، فأَما دُؤْرِىّ بالهمز ، فهو عندنا غلط .

وما بها طُورِىٌّ ، قال أَبوعلىّ : منسوب إلىالطورة ، وفى بعض اللغات الطيرة . وما بها وابِرٌ ، وما بها نَافِخُ ضَرَمَة ، وما بها صافِرٌ ، وما بها دَيَّارٌ ؛ وأَنشد غيره لجرير :

وبَلْدةٍ ليس بهـــا دَيَّارُ تَنْشَقُّ فى مَجْهولها الأَبْصَارُ

وقال اللحيانى : وما بها أَرِمٌ ، على فَعِل . وقال أَبوزيد : ما بها أَرِمٌ ولا أَرِيمٌ ، على فَعِيل ، وأَنشدنا أَبو بكر بن الأَنبارى :

تلك القُرونُ وَرِثْنَا الأَرْضَ بَعْدَهُمُ فما يُحَسُّ عليها مِنْهُمُ أَرِمُ

وقال ابن الأَعرابىّ : ما بها آرِمٌ ، على فاعل ، وما بها أَيْرَمِىٌّ وإِرَمِىٌّ . وقال اللحيانى : ما بها وابنٌ ووابِرٌ ، وأَنشد ابن الأَعرابىّ :

يَمِيناً أَرَى من آل زَبَّان وابِرًا فَيُفْلِت منى دونَ مُنْقَطع الحَبْل

وقال ابن الأَعرابى :وما بها أَمَرٌ . وقال الأَصمعىّ والكسائىّ : ومابها شَفْرٌ ؛ وأَنشدنى ابن الأَنبارى :

(١) الهيف : كل ريح ذات سموم تعطش المال وتيبس الرطب .

فَوَاللّهِ لا تَنْفَكُّ منَّا عداوةٌ ولا منهمُ ما دام من نَسْلنا شَفْرُ

وقال اللحيانى : مابها شَفْرٌ ولا شُفْر . وقال غيره : ما بها طُؤْوِیٌّ ، على مثال قولك : طُعْوِیّ ، وما بها طُوئِیٌّ ، على مثال طُوعِیٌّ ؛ وأَنشدنى أَبو بكر بن دريد وأَبو بكر بن الأَنبارى للعجاج :

وبَلْدَةٍ لَيْسَ بهـــا طُوئِیٌّ ولا خلا الجِنَّ بها إنْسِیٌّ

وزاد اللحيانى : مابها طَاوِیٌّ غير مهموز . أَبو زيد : ما بها تَأْمُور ، مهموز ، أَى مابها أَحد . ويقال : ما فى الرَّكِيَّة تَأْمُور ، يعنى الماء ، وهو قياس على الأَوّل . الأَصمعىّ : ما بها كَرَّابٌ ولا كَتِيع ، أَنشدنى ابن الأَنبارى .

أَجَدَّ الحَیُّ فاحْتَمَلوا سِرَاعًا فما بالدار إذ ظَعَنُوا كَتِيـــعُ

ولا بها دَارِیٌّ ، قال الأَصمعىّ وأَبو عمرو : الدارِیُّ : الذى لا يَبْرَح ولا يطلب معاشا ؛ قال الراجز :

لَبِّثْ قليلا يَلْحَقِ الدارِيُّـــونْ ذوو الجِبَاب البُدَّنُ المَكْفِيُّـــون

* سَوْفَ تَرَى إن حَضَروا ما يُغْنُون *

وحقيقته أَنه منسوب إلى الدار للزومه لها . وحكى يعقوب عن غيرهم : ما بها عَيْنٌ ولا عَيَنٌ ، وقال الأَصمعىّ : العَيَن :الجماعة ، وأَنشد :

إذا رآنى واحدًا أَو فى عَيَنْ يَعْرِفنى أَطْرَقَ إطْراق الطُّحَنْ[1]

والطُّحَنُ : دويبة تكون فى الرمل مثل العَظَاءة . وزاد أَبو عبيد عن الفرّاء : ما بها عائِنٌ . وزاد اللحيانى : مابها عائنة . وقال غيره : ما بها طَارِفٌ ولا أَنيس . وقال اللحيانى : ما بها تامور ولا تُومُور . وقال ابن الأَعرابىّ : مابها عائرةُ عَيْنَيْن . وقال غيره : يقال إن له من المال عائرةَ عَيْنَيْن ، أَى مال يَعِير فيه البصرُ هاهنا وهاهنا من كثرته . وقال أَبو عبيدة : عليه مال عائرة عَيْن ، يقال هذا للكثير ؛ لأَنه من كثرته يملأُ العينين حتى يكاد يفقؤهما من كثرته .

(١) فى اللسان مادة « طحن » : قال ابن برى : الرجز لجندل بن المثنى الطهوى .

وسألت أبا بكر عن معنى قول المُتَنَخِّل :

لكِنْ كبِيرُ بنُ هِنْدٍ يَوْمَ ذلِكُم   فُتْخُ الشَّمائل فى أَيْمانهم رَوَحُ

فقال : فُتْخُ الشمائل مفتوحة الشمائل ،لأنهم قد أمسكوا بها الدَّرَق ، وأصل الفَتَخ : اللِّين والاسترخاء .وقوله : فى أيمانهم رَوَحٌ ، أى تباعد عن الجنب ، لأنهم قد رفعوها بالسيوف وأمالوها للضرب .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

العَهْدُ عَهْدَان فَعَهْد امرىءٍ   يأْنَفُ أن يَغْدِر أو يَنْقُضا

يَرْعَى بظَهْر الغيب إخوانَه   حفظا ويَسْتَقْبِلُهُمْ بالرضا

لو قابَل السيفَ على حدّه   فى بعض ما فيه أخوه مَضَى

وعَهْدُ ذى لَوْنَيْن مَلَّالةٍ   يُوشِك إنْ وَدَّك أن يُبْغِضا

ليس له صبر على صاحب   إلا قليلا رَيْثَ أن يَرْفُضا

خُلَّتُه مثلُ الخِضاب الذى   بينا تراه قانِيًا إذ نَضَا

إن لم تَزُرْه قال قد مَلَّنِى   وبالحَرَى إن زرت أن يُعْرِضا

فإن أسا يوما فعاتبته   قال عَفَا ربُّك عما مضى

ولن تراه الدهرَ فى حالة   إلا عَبُوس الوجه قد حمَّضا

قال أبو علىّ : أنشدنا أبو بكر عن أبى حاتم :

وإن سعيد الجَدِّ من بات ليلة   وأصبح لم يؤْشَبْ[1] ببعض الكبائر

فَمَوْلاك لايُهْضَمْ لديك فإنما   هَضِيمة مَوْلى المرء جَدْع المَنَاخِر

وجارُك لايَذْمُمْك إنَّ مَسَبَّة   على المرء فى الأَدْنَيْنَ ذَمُّ المُجاور

وإن قلتَ فاعلم ما تقول فإنه   إلى سامع ممن يُغَادِى وآثر

فإنك لا تَسْطِيع رَدَّ مقالة   شَأَتْك وزَلَّت عن فُكَاهة فاغِر

(١) يقال أشبه بالأمر يأشبه : قذفه به وخلط عليه الكذب فيه .

كما ليس رامٍ بَعْدَ إرسال سهمه ... على رَدِّه قبل الوقوع بقادر
إذا أنت عاديتَ الرجال فلا تَزَلْ ... على حَذَرٍ لا خَيْرَ فى غيرِ حاذر
ومن لا يُصَانِعْ فى أمورٍ كثيرةٍ ... يُضَرَّس بأنياب ويُوطَأْ بحافر
ترى المرء مخلوقا وللعَيْنِ حَظُّهـا ... وليس بأحْناء(١) الأُمور بخابر
فذاك كماء البحر لَسْتَ مُسِيغه ... ويَعْجَبُ منه ساجيا(٢) كلُّ ناظر
وتَلْقَى الأَصيلَ الفاضلَ الرأى جِسْمُه ... إذا ما مَشَى فى القوم ليس بقـاهر
كذلك جَفْنٌ رَثٌّ عن طُول مُكْثِه ... على حَدٍّ مَفْتُوق الغِرارَيْنِ بـاتر
وعاشٍ بعَيْنَيْه لما لا ينـاله ... كساعٍ برجليه لإدراك طائر
ومُسْتَنْزِل حَرْبا على غير ثَرْوة ... كمُقْتَحِمٍ فى البحر ليس بمـاهر
ومُلْتَمِس وُدًّا لمن لا يَوَدُّه ... كمعتـذرٍ يوما إلى غير عاذر
ومُتَّخِذ عُذْرا فعـاد مـلامة ... كوالى اليتامى مالُهم غيرُ وافر
فسارعْ إذا سافرتَ فى الحمد واعلمن ... بأنَّ ثَنـاء الركب حَظُّ المسافر
وطَاوِعْهمُ فيما أرادوا وقـل لهم ... فِدًى للذى رُمْتُمْ كَلَالُ الأَبـاعر
فإن كنتَ ذا حَظٍّ من المال فالتمس ... به الأَجرَ وارفع ذكر أهل المقابر
فإنى رأيت المـال يَفْنَى وذِكْـرُه ... كِظلٍّ يَقِيك الظّلُّ حَرَّ الهَواجر

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى :

سَمَّيْتُ مَعْنًا بمَعْنٍ ثم قلت لـه ... هذا سَمِيٌّ فتًى فى النـاس محمود
أنت الجَـوَاد ومنك الجُـود أوَّلُه ... فإن فُقِدْتَ فما جُودٌ بموجود
من نورِ وجهك تُضحِى الأَرض مُشْرِقةً ... ومن بَنَانِك يجرى الماءُ فى العود
أضحت يمينك من جود مُصَوَّرةً ... لا بل يَمِينُك منها صورةُ الجود

---

(١) أحناء الأمور : ثناياها وخفاياها

(٢) ساجيا : ساكنا .

[خطبة بعض الأعراب فى قومه وقد ولاه جعفر بن سليمان بعض مياههم]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : وَلَّى جعفرُ بن سليمان أعرابيا بَعْضَ مياههم ، فَخَطَبَهم يومَ الجمعة فَحمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا دار بَلاغ ، والآخرة دار قرار ؛ فَخُذوا لمَقَرِّكم من مَمَرِّكم ، ولا تَهْتِكوا أستاركم ، عند من لا تَخْفَى عليه أسراركم ؛ وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تَخرُج منها أبدانُكم ؛ ففيها حَيِيتم ، ولغيرها خُلِقْتم ؛ إن الرجل إذا هَلَك ، قال الناس ما تَرَك ، وقالت الملائكة ما قَدَّم ؛ فللّه آباؤكم ! قَدِّموا بعضا ، يكن لكم قَرْضا ، ولا تُخَلِّفوا كُلاًّ ، يكن عليكم كَلاًّ ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابىّ ما تقول فى المراء ؟ قال : ماعَسَى أن أقول فى شىءٍ يُفْسِد الصَّداقة القديمة ، ويَحُلُّ العُقْدة الوَثِيقة ؛ أقلّ ما فيه أن يكون دُرْبة للمغالبة ، والمغالبة من أمْتَنِ أسباب الفتنة .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو الحسن بن خضر عن حماد بن إسحاق الموصلىّ قال سمعت أبى يقول : قال رجل من العجم لمَلِك كان فى دهره : أُوصيك بأربع خِلاَل تُرْضِى بهنَّ ربك ، وتُصْلِح بهن رَعِيَّتك ؛ لا يَغُرَّنَّك ارتقاءُ السهل إذا كان المُنْحَدَرُ وَعْرًا ؛ ولا تَعِدَنَّ عِدَةً ليس فى يدك وفاؤها . واعلم أن لله نَقِمَاتٍ فكُنْ على حَذَر . واعلم أن للأعمال جزاءً فاتَّقِ العواقب .

وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر :

وعازبٍ قد علا التَّهْويلُ جَنْبَتَه ... لاتَنْفع النَّعْلُ فى رَقْراقِه الحافى(١)

باكَرْتُه قبل أن تَلْغَى عَصافِرُه ... مُسْتَخْفِيًا صاحى وغَيْرُه الخافى

عازب : بعيد لا يأتيه أحد . والتهاويل : الألوان المختلفة من الحمرة والشُقْرة والصفرة . والجَنْبَة : ضرب من النبات . وقوله : لاتنفع النعل ، يقول : لا تنفعه النعل من كثرة نَدَاه . ورَقْرَاقُه : ماتَرَقْرَق منه . وتَلْغَى : تصيح

(١) البيتان لعبد المسيح بن عسلة كما فى اللسان مادة « لغا » .

وحدّثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكار قال: كان هارون الرشيد كثيرا ما يستنشد أبى لعبد الله بن مُصْعَب :

وإنى وإن أَقْصَرْتُ عن غير بِغْضةٍ لَرَاعٍ لأسباب المودّة حافظ.
ومازال يدعونى إلى الصَّرْمِ ما أرى فآبَى وتَثْنِينى عليك الحَفَائظ.
وأنتظر الإقبال بالودّ منكم وأصبر حتى أَوْجَعَتْنى المَغَايِظ
وأنتظر العُتْبَى وأُغْضِى على القَذَى أَلَايِنُ طَوْرًا مَرَّة وأُغالظ.
وجَرَّبْت ما يُسْلِى المحبَّ عن الصِّبا فأَقْصَرْت والتَّجريب للمرء واعظ.

وأنشدنى أبو يعقوب ورّاق أبى بكر بن دريد قال أنشدنى أحمد بن عبيد الجوهرىّ قال : أنشدت لمَخْلَد الموصلىّ :

أقول لِنِضْوٍ أنْفَدَ السير نِيَّها(١) فلم يَبْقَ منها غيرُ عَظْمٍ مُجَلَّد
خُذِى بى ٱبتلاكِ الله بالشوق والهوى وشاقَكِ تَحْنانُ الحمام المُغَرِّد
فَمَرَّت حِذَارًا خَوْفَ دعوة عاشق تَشُقُّ بِىَ الظَّلماءَ فى كل فَدْفَد
فلما وَنَتْ فى السير ثَنَّيْت دعوتى فكانت لها سوطا إلى ضَحْوة الغد

[مطلب قصيدة ذى الإصبع العدوانى التى منها البيت المشهور : يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى الخ]

وقرأت على أبى بكر بن دريد قصيدة ذى الإصبع العَدْوانىّ وٱسمه حُرْثان بن مُحَرِّث ، وأملاها علينا الأخفش وأوّلها فى الروايتين :

* ولى ٱبْنُ عَمٍّ على ماكان من خُلُقٍ *

وقرأنا على أبى بكر بن الأنبارى فزادنا عن أبيه عن أحمد بن عبيد قبل هذا البيت الأوّل أبياتا أوّلها :

يا مَنْ لِقَلْبٍ طويل البَثِّ محزون أمسى تَذَكَّر رَيَّا أُمّ هارُون
أمسى تذكرها منْ بعد ما شَحَطت والدهر ذو غِلْظة حينًا وذو لِين

(١) نيها : شحمها الذى عليها من سمنها .

فإن يكن حُبُّها أمسى لنا شَجَنا وأصبح الوَأْىُ [١] منها لايُوَاتِينى
فقد غَنِينا وشملُ الدار يجمعنا أُطِيع رَيَّا ورَيَّا لا تعاصينى
نرمِى الوُشاةَ فلا نُخْطِى مَقاتِلَهم بصادقٍ من صفاء الودّ مكنون
ولى ابن عم على ما كان من خلق مختلفان فأَقْلِيه ويَقْلِينى
أَزْرَى بنا أننا شالت [٢] نَعامَتُنا فَخَالنى دُونه بل خِلْتُه دونى
لاهِ ابْنُ عَمِّك لا أَفْضَلْت فى حَسَبٍ عَنِّى ولا أنت دَيَّانِى [٣] فتَخْزُونى
ولا تَقُوت عيالى يوم مَسْغَبةٍ ولا بنَفْسِك فى العَزَّاء [٤] تكفينى
فإن تُرِدْ عَرَض الدنيا بمَنْقَصتى فإن ذلك مما ليس يُشْجِينى
ولا يُرَى فِىَّ غَيْرَ الصَّبْر مَنْقصةٌ وما سواه فإن الله يكفينى
لولا أَوَاصِرُ قُرْبَى لَسْت تَحفظها ورَهْبَةُ الله فى مَوْلًى يُعادِينى
إذًا بَرَيْتُك بَرْيًا لا انْجِبار له إنى رأيتك لا تَنْفَكُّ تَبْرِينى
إن الذى يَقْبِض الدنيا ويبسطها إن كان أغناك عنى سوف يُغْنِينى
الله يعلمنى والله يعلمكم والله يَجْزِيكُم عنى ويجزينى
ماذا علَىَّ وإن كنتم ذوى رَحِمى ألّا أُحِبَّكُم إذ لم تُحِبُّونى
لو تَشْرَبون دَمِى لم يَرْوَ شارِبُكم ولا دماؤكم جَمْعًا تُرَوِّينى
ولى ابن عم لَوَ انَّ الناس فى كَبَدٍ لَظَلَّ مُحْتَجِرا بالنَّبْل يَرْمِينى
يا عَمْرو إلَّا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصتى أَضْرِبْك حيث تقول الهامة اسقونى
عَنِّى إليك فما أُمِّى براعية تَرْعَى المَخَاض ولا رَأْيِى بمغبون
إنى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو محافظة وابْنُ أَبِىٍّ أَبِىٍّ من أَبِيِّين
لا يُخْرِج القَسْرُ منى غَيْر مأْبِيَةٍ ولا أَلِين لمن لا يبتغى لينى

---

(١) الوأى : الوعد .

(٢) يقال : شالت نعامتهم اذا انتقلوا عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شىء .

(٣) دانه : قهره . (٤) العزاء : السنة الشديدة .

عَفٌّ نَدُودٌ إذا ما خِفْت من بَلَدٍ هُونًا فَلَسْتُ بوَقَّافٍ على الهُون
كلُّ امرئٍ صـائر يومـا لِشيمته وإن تَخَلَّق أخلاقـا إلى حين
والله لو كَرِهَتْ كَفِّى مصـاحبتى لَقُلْت إذ كَرِهتْ قُرْبِى لها بِينِى
إنِّى لعَمْـرُك ما بابى بذى غَلَقٍ عن الصديق ولا خَيْرِى بمَمْنون
ومـا لسانى على الأَدْنَى بمُنْطَلِق بالمُنكَرات ولا فتْكِى بمـأْمون
عندى خلائقُ أقوام ذوى حَسَبٍ وآخرين[1] كثير كلُّهُمْ دُونى
وأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مـائة فأَجْمِعُـوا أمركم طُرًّا فكِيـدُونى
فإن علمتم سبيل الرشـد فانطلقوا وإن جهلتم سبيل الرشد فأْتونى
يا رُبَّ ثوب حَوَاشيه كأَوسَطه لاعَيْب فى الثوب من حُسْن ومن لين
يَوْمًا شَدَدْت على فَرْغاء[2] فاهقةٍ طَوْرا من الدهر تارات تُمَارِينى
قـد كنت أعطيكُم مالى وأمنحكم وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصدر مكنون
يارُبَّ حَىٍّ شديد الشَّغْب ذى لَجَب دَعَوْتُهم راهنٍ منهم ومَرْهـون
رَدَدْت باطلهـم فى رأس قائلهم حتى يَظَـلُّوا جميعـا ذا أفانين
ياعمرو لو لِنْتَ لى أَلْفَيْتَنِى يَسَرًا سَمْحًا كريمـا أُجَازِى من يُجازِينِى

[مطلب وصف صعصعة بن صوحان للناس وقد سأله معاوية ذلك]

وحدّثنا أَبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أَبوعثمان عن التَّوَّزِىِّ عن أَبى عبيدة قال : قال معاوية لصعصعة بن صُوحان : صف لى الناس ، فقال : خُلِقَ الناس أَخيافا : فطائفة للعبادة ، وطائفة للتجارة ؛ وطائفة خُطباء ؛ وطائفة للبأْس والنَّجْدة ؛ ورِجْرِجَة فيما بين ذلك ، يُكَدِّرون الماء ، ويُغْلُون السِّعْر ، ويُضَيِّقون الطريق .

قال أَبوعلى : الرِّجْرِجة : شِرَار الناس ورُذَالهم ؛ وأَصل الرِّجْرِجة : الماء الذى قد خالطه لُعاب ، وجمعه رَجَارِج ؛ قال هِمْيان بن قُحافة :

(١) هكذا فى النسخ بالجر ؛ وفى بعض المجاميع وآخرون بالرفع ؛ والمدار على الرواية .
(٢) الفرغاء : الطعنة ذات الفرغ وهو السعة ، والفاهقة هى التى تفهق بالدم أى تتصبب .

فأسْأَرَتْ فى الحوض حِضْجاً[١] حاضجا قد عاد من أنفاسها رَجا رِجا

وقال اللحيانى : الرِّجْرِج : اللُّعاب ؛ قال ابن مقبل :

كاد اللُّعاعُ من الحَوْذان يَسْحَطُها ورِجْرِجٌ بين لَحْيَيْها خَناطِيل

[حديث قيس بن رفاعة مع الحارث بن أبى شمر الغسانى]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبوعثمان عن التَّوَّزىّ عن أبى عبيدة قال : كان قيس ابن رِفاعة يَفِدُ سَنةً إلى النعمان اللخمىّ بالعراق وسَنةً إلى الحارث بن أبى شِمْر الغَسَّانىّ بالشام ؛ فقال له يوما وهو عنده : يابن رفاعة ، بلغنى أنك تُفَضِّل النعمان علىَّ ، قال : وكيف أُفَضِّله عليك أبَيْتَ اللعن ! فوالله لَقَفَاك أحسن من وجهه ، ولأُمُّك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولَشِمالُك أجْوَد من يمينه ، ولحِرْمانك أنفع من نداه ، ولَقَليلُك أكثر من كثيره ، ولَثِمَادُك[٢] أغْزَر من غَدِيره ، ولَكُرْسِيُّك أرفع من سريره ، ولجَدْوَلُك أغمر من بحوره ، ولَيَوْمُك أفضل من شهوره ، ولَشَهْرُك أمَدُّ من حَوْله ، ولَحَوْلُك خير من حُقْبه[٣] ، ولَزَنْدُك أوْرَى من زَنده ، ولَجُنْدُك أعز من جنده ، وإنَّك لَمِنْ غَسَّان أرباب الملوك ، وإنه لَمِنْ لَخْمٍ الكثيرى النُّوك ، فكيف أفضله عليك ! .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوىّ قال حدّثنى عبدالله بن شبيب قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزهرىّ قال قال معاوية : لقد وضعت رجلى فى الركاب يوم صِفِّين غير مرة ، فما يمنعنى من الانهزام إلا أبيات ابن الإطْنابة :

أبَتْ لى عِفَّتى وأَبَى بلائى وأَخْذِى الحَمْدَ بالثمن الرَّبِيح

وإعطائى[٤] على الإعْدام مالى وضَرْبِى هامةَ البَطَل المُشِيح

وقولى كلَّما جَشَأَت وجاشت رُوَيْدَكِ تُحْمَدِى أو تستريحى

---

(١) الحضج : بالكسر ويفتح : ما يبقى فى حياض الابل من الماء .

(٢) الثماد : الماء القليل الذى لا يمده شىء . (٣) الحقب بضم وبضمتين : ثمانون سنة .

(٤) المشهور فى كتب اللغة والأدب * واقدامى على المكروه نفسى * ولعلهما روايتان .

لِأَدْفَعَ عن مـــآثر صـالحـاتٍ وأَحْمِى بَعْدُ عن عِرْضٍ صحيح

قال أَبوعليّ : المُشِيح : المبادر المنكمش ، ويقال : بَطَل مُشيح ، أى حامل ، وقال الأَصمعيّ : شَايَحْتُ فى لغة تميم وقيس : حاذَرْت ، وفى لغة هذيل : جَدَدْتُ فى الأَمر .

وحدّثنا أبو بكر عن أبى حاتم عن أبى زيد عن المُفَضَّل الضبىّ قال : كنت مع إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن صاحب أبى جعفر فى اليوم الذى قُتِل فيه ، فلما رأى البياض يَقِلُّ والسواد يكثر قال لى : يا مُفَضَّل ، أنشدنى شيئا يُهَوِّن علىَّ بعض ما أرى ، فأنشدته :

ألا أَيُّهـــا الناهى فَزارةَ بعـدما أَجَدَّتْ لغَـــزْوٍ إنما أَنت حالـــم

أَرى كُلَّ ذي تَبْلٍ يبيت بهَمِّـــه ويمنع منـــه النوم إذ أَنت نائم

قَعُوا[1] وَقْعةً مَنْ يَحْىَ لم يَخْزَ بعدها وإن يُخْتَرَمْ لم تَتَّبِعْـه المَلَاوِم

قال : فرأيته يَتَطَالل على سَرْجه ، ثم حَمَل حَمْلة كانت آخر العهد به . وأنشدنا أبوعبد الله نِفْطَوَيْه لأَبى سعيدٍ المخزومىّ :

مَنْ لى بردّ الصِّبا واللهو والغَـزَل هيهات ما فات من أَيامك الأُوَل

طَوَى الجَديدانِ ما قد كنت أَنْشُره وأَنْكَرَتْنى ذواتُ الأَعْيُنِ النُّجُـــل

وقد نهانى النُّهَى عنهـــا وأَدَّبَنى فلست أَبكى على رَسْمٍ ولا طَلَل

مالى وللدِّمْنة البَوْغاء[2] أَنْدُبهـــا وللمنازل من خَوْفٍ ومن مَلَـــل

مَتَى يَنالُ الفتى اليَقْظان هِمَّته إذ المُقـام بدار اللهو والغـــزل

فى الخيل والخافقات السُّودلى شُغُلٌ ليس الصَّبابةُ والصَّهْباء من شُغُلى

ما كان لى أَمَلٌ فى غير مَكْـرُمَة والنَّفْس مقرونة بالحِرْص والأَمـل

ذَنْبى إلى الخيل كَرِّى فى جوانبها إذا مَشَى الليث فيها مَشْىَ مُخْتَبَل

ولى من الفَيْلَقِ الجَأْواء[3] غَمْرتُها إذا تَقَحَّمَها الأَبطـال بالحِيَـل

---

(١) فى الأغانى (ج ١٧ ص ١٠٩) : قفوا وقفة .. الخ .

(٢) الدمنة البوغاء : التراب الناعم المتلبد .

(٣) يقال كتيبة جأواء : كدراء اللون فى حمرة وهو لون صدا الحديد لكثرة ما عليها من الدروع .

كم جَأْنَبٍ (١) خَشِنٍ صَبَّحْتُ عارِضَهُ ... بعارضٍ للمنايا مُسْبِلٍ هَطِلِ

وغَمْرةٍ خُضْت أَعلاها وأَسفلَها ... بالضرب والطعن بين البِيض والأَسَلِ

سَلِ الجَرَادةَ (٢) عنى يومَ تَحْمِلُنى ... هل فاتنى بَطَلٌ أو خِمْتُ (٣) عن بَطَلِ

وهل شأَى إلى (٤) الغايات سابقَها ... وهل فَزِعْت إلى غير القَنَا الذُّبُلِ

مالى (٥) أَرَى ذِمَّتِى يَسْتَمْطِرون دَمِى ... أَلَسْتُ أولاهمُ بالقول والعملِ

كيف السبيل إلى وَرْدٍ (٦) خُبَعْثِنةٍ ... طلائعُ الموت فى أنيابه العُصُلِ

وما يُرِيدون لولا الحَيْنُ من أَسَدٍ ... بالليل مُشْتَمِلٍ بالجَمْرِ مكتحِلِ

لا يشرب الماء إلا من قَلِيبِ دمٍ ... ولا يَبِيت له جارٌ على وَجَلِ

لولا الإمام ولولا حَقُّ طاعتِه ... لقد شَرِبْتُ دمًا أَحْلَى من العَسَلِ

وقرأْت على أَبي بكر بن دريد للفِنْد الزِّمَّانىّ واسمه شَهْل (٧) بن شيبان :

صَفَحْنا عن بنى ذُهْلٍ ... وقلنا القوم إخوان

عَسَى الأَيامِ أن يَرْجِعْـ ... ـنَ قَوْمًا كالذى كانوا

فلما صَرَّح الشرُّ ... فأَمْسَى وهْوَ عُرْيانُ

ولم يَبْقَ سوى العُدْوا ... نِ دِنَّاهُمْ كما دانوا

مَشَيْنا مِشْيةَ اللَّيْثِ ... غَدا واللَّيْثُ غَضْبانُ

قال أَبوعلى : يروى عدا وغدا بالعين والغين ، ويروى * شَدَدْنا شَدَّة الليث * فمن روى شددنا فالأَجود عدا بالعين غير العجمة ، ومن روى مشينا . فالأَجود غدا بالغين المعجمة .

(١) الجأنب : الرجل القصير الجافى الخلقة . (٢) الجرادة . فرسه .

(٣) خمت : نكصت وجبنت . (٤) شأى فلان فلانا شأوا : سبقه .

(٥) كذا فى بعض النسخ ؛ وفى بعض المجاميع :

* ماذا أريد بقوم ينذرون دمى * ... الخ

(٦) الورد . الأسد . والخبعثنة : العظيم الشديد من الأسود .

(٧) فى النسخة المطبوعة ببولاق : «سهل» بالسين وهو تحريف ، والتصويب عن النسخة المخطوطة والقاموس وشرحه .

بِضَرْبٍ فيــــه تَوْهِينٌ وتَخْضِيعٌ (١) وإقـــران

وأنشدنا أبو بكر عن أبيه عن أبي رستم مستملى يعقوب هذا البيت :

بضرب فيــــه تَأْيِــيمٌ وتَفْجِيــعٌ وإرْنـــان

وطَعْـــنٍ كَفَمِ الزِّقِّ غــدا والزِّقُّ مــــلْآن

وفى الشَّـــرِّ نجــاةٌ حِيــن لا يُنْجِيــك إحســان

وبعْضُ الحِلْمِ عنــد الجهــل لِلـــذِّلَّـة إذعـــان

وقرأت عليه لأبى الغُول الطُّهَوِىِّ وأنشدنا أبوعبد الله نفطويه إلى آخر بيت فيه :

فَدَتْ نفسى ومـا مَلَكَتْ يمينى فوارسَ صدّقوا فيهـم ظنونى

فوارسَ لا يَمَلُّــون المَنَـــايا إذا دارت رَحَى الحَرْب الزَّبُــون

ولا يَجْـزُون من حَسَنٍ بِسَىْءٍ ولا يَجْـــزُون من غِلَظٍ بِلِين

ولا تَبْـــلَى بَسَالَتُهم وإن هم صَلُوا بالحرب حِينًا بَعْدَ حِين

هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى (٢) بضرب يُؤَلِّف بين أشتات المَنُـــون

فَنَكَّب عنهمُ دَرْءَ (٣) الأَعــادى ودَاوَوْا بالجُنــون من الجنــون

ولا يَرْعَــوْن أكنـــافَ الهُوَيْنى إذا حَلُّوا ولا رَوْضَ الهُدُون (٤)

وحدثنى أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : رأيت رجلا بالجَفْر من بنى العَنْبَر به لَوْثة (٥) بل هَوَج ظاهر أحفظ خَلْق الله للشِّعْر ، وكان إذا قال له قائل : أنشدنا ، تَنَمَّرله وشَتَمه ، وإذا أَنْشَد وحَدَّث اندفق منه ثَبَجُ بحر مع فصاحة وحسن إنشاد ، فأنشدنى يوما من غير أن أستنشده :

* فدت نفسى وما ملكت يمينى * الأبياتَ كُلَّها

(١) التخضيع : تقطيع اللحم .

(٢) الوقبى : ماء لبنى مالك بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم لهم به حصن وكانت لهم به وقائع مشهورة . والوقبى على طريق المدينة من البصرة .

(٣) الدرء : الدفع .

(٤) الهدون : الدعة والسكون .

(٥) اللوثة : الحمق .

وحدّثنا أَبو بكر عن أَبى حاتم قال : لم يَرْثِ أَحدٌ قتيلا قَتَله قومُه إلا قيس بن زهير ، فإِنه رَثَى حذيفة بن بدر وبَنُو عَبْس تَوَلَّت قتله :

أَلم تر أَنَّ خير النـاس أَضحى ... على جَفْـرِ الهَباءَةِ [1] ما يَرِيمُ
ولولا بَغْيُــه ما زِلْتُ أَبكى ... عليه الدهرَ ما بَدَت النجومُ
ولكنَّ الفتى حَمَلَ بن بَدْرٍ ... بَغَى والبَغْىُ مَرْتَعُه وَخِيمُ
أَظُنُّ الحِلْمَ دلَّ علىَّ قــومى ... وقــد يُسْتَجْهَـل الرَّجُـــل الحليمُ

[مطلب حديث الأصمعى مع امرأة ثكلى من بنى عامر نزل بها]

وحدّثنا أَبو بكر قال حدّثنا أَبوحاتم عن الأَصمعىّ قال : نَزَلْتُ على آمرأة من بنى عامر بن صَعْصَعَة وقد مات آبنٌ لها ، وهى من القَلَق على مثل الرَّضْفة [2] ، فقامت تعالج لى طعاما ، فقلت لها : ياهذه ، إنك لفى شُغُل عن هذا ، فقالت : واللهلاتَجُوز بيتى إلا مَقْرِيًّا ، ولكن أَنْشِدنى أبياتا أَسلوبهنّ ، فإِنى أَراك لَوْذَعِيًّا ، فأَنشدتها أَبيات نُوَيْرة بن حُصين المازنىّ يَرْثى آبنه :

إنى أُرِى للشامِتين تَجَـلُّدى ... وإِنِّىَ كالطاوى الجَناح على كَسْرِ
يُرَى واقعا لم يُدْرَ ما تحت ريشه ... وإن ناء لميَسْطِع نُهُوضا إلى وَكْرِ
فــلولا سُرور الشامتين بكَبْوَتى ... لما رَقَأَت عَيْناى مِنْ واكفٍ يَجْرى
على مَنْ كفانى والعشيرةَ كلَّهــا ... نوائبَ رَيْبِ الدهر فى عَثْرة الدهرِ
ومن كانت الجاراتُ تأْمَنُ ليــلَه ... إذا خِفْنَ مَنْ باتت غَوَائله تَسْرِى
بصير بمــا فيــه لَهُنَّ حَصانَةٌ ... غَبِىٌّ عن المحجوب بالباب والسِّتْرِ
يَكُفُّ أَذاه بعد ما بَذْلِ عُرْفــه ... ويَحْلُم حِلْما لا يُذَمُّ ولا يُزْرِى
ويأْخذ ممن رام بالهَصْر [3] هَيْضَه ... إذا ما أَراد الأَخذ بالهَصْر والقَسْرِ

(١) الهباءة : أرض ببلاد غطفان قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان . وجفر الهباءة : مستنقع فى هذه الأرض .

(٢) الرضفة : واحدة الرضف وهى الحجـارة المحماة . (٣) الهيض : الكسر .

ولا يُنظِر الأيسار إن نال يُسْرَه ولا ينثنى عن فعل خير لدى العُسْرِ
ولا يَتَأَّرى[١] للعواقب إنْ رأى له فُرْصةً يَشْفِى بها وَحَرَ[٢] الصَّدْرِ
ولكنــه رَكَّاب كلّ عظيمة يضيق بها صدر الحسود على الأمرِ
ولَسْتُ وإن خَبَّرْت أن قد سَليتُه بناسٍ أبا سَوْداء إلّا على ذِكْرِ
شَمائلَ منه طَيِّبات يَعُدْنَنى وأخلاق محمودٍ لَدَى الزاد والقِدْرِ
فتى شَعْشَع[٣] يُرْوِى السِّنان بكَفِّه ويجمع للمولى العطاء مع النَّصْرِ

قال : فكأنى والله زَبَرْت[٤] الأبياتَ فى صدرها ، فما زالت تنشدها وتصلح طعامى حتى قَرَتْنِى ورُحْت من عندها . وقرأت على أبى بكر لقيس بن زهير .

شَفَيْتُ النفسَ من حَمَلِ بن بَدْرٍ وسَيْفِى من حُذَيْفَــة قد شَفَانى
فإن أكُ قد بَرَدْتُ بهم غليلى فلم أقطع بهــم إلّا بَنَــانى

وقال وقرأت عليه للحارث بن وَعْلة الجَرْمىّ[٥] :

قَوْمِى هُمُ قَتَلوا أُمَيْمَ أخى فإذا رَمَيْتُ يُصيبنى سهمى
فلئن عَفَوْتُ لأعْفُوَنْ جَلَلًا ولئن سَطَوْت لَأُوهِنَنْ عظمى
لا تأْمَنَنْ قوما ظَلَمْتَهُم وبَدَأْتَهُم بالشَّتْم والرَّغْم[٦]
أن يَأْبِرُوا نَخْلًا لغيرهِم والشىء تَحْقِره وقد يَنْمِى
وزَعَمْتُمُ أن لا حُلُومَ لنا « إنَّ العصا قُرِعَتْ لِذِى الحِلْمْ »
وَوَطِئْتَنا وَطْئًا على حَنَقٍ وَطْء المُقَيَّد نابت الهَرْم[٧]
وتَرَكْتَنا لَحْمًا على وَضَمٍ لو كُنْتَ تَسْتَبْقِى من اللحم

(١) يتأرى : ينتظر ويترقب .
(٢) وحر الصدر : غيظه وفعله كفرح .
(٣) شعشع : طويل .
(٤) زبرت : كتبت .
(٥) فى شرح الحماسة طبع بولاق (ج ١ ص ١٠٧) الذهلى .
(٦) فى اللسان : رغما دغما شنغما : كل ذلك اتباع ؛ وروى عن ابن السكيت «رغما له شغما» قال الأزهرى : ولا أعرفه .
(٧) الهرم : ضرب من النبات .

وقرأت عليه لأعرابىّ قَتَلَ أخوه ابنه ، فَقُدِّم إليه ليَقْتاد منه فألقى السيفَ من يده وهو يقول :

أقول للنفس تأْسَاءً وتَعْزِيةً إحدى يَدَىَّ أصابتنى ولم تُرِ
كلاهما خَلَفٌ مِنْ فَقْد صاحِبه هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وأملاهما علينا نفطويه .

وأنشدنا أبو بكر عن أبى عثمان عن التَّوَّزِىّ عن أبى عبيدة لهشام أخى ذى الرمّة :

تَعَزَّيْتُ عن أَوْفَى بغَيْلان بعده عَزَاءً وجَفْن العين مَلْآنُ مُتْرَعُ
نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حين وافت رِكابُهم لعمرى لقد جاءوا بشَرٍّ وأَوْجَعوا
نَعَوْا باسقَ الأخلاق لا يَخْلُفُونه تكادُ الجبال الصُّمُّ منه تَصَدَّعُ
خَوَى المسجدُ المعمور بعد ابْنِ دَلْهَمٍ وأمسى بأَوفى قَوْمُه قد تَضَعْضَعوا
فلم يُنْسِنِى أَوْفَى المصيباتُ بعده ولكنَّ نَكْءَ القَرْح بالقَرْح أَوْجَع

[مطلب شرح مادة غ ر ر]

قال أبو علىّ قال أبو نصر : يقال كان ذلك فى غَرَارَتى وحَدَاثتى ، أى فى غِرَّتى . وعَيْشٌ غَرِير إذا كان لا يُفْزِعُ أهلَه . وامرأة غَرِيرة إذا لم تُجَرِّب الأُمور ، ورجل غِرٌّ وامرأة غِرٌّ إذا كانا غير مُجَرِّبَيْن للأُمور . ويقال : ماغَرَّك بفلان ، أى كيف اجترأت عليه . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ . ويقال : مَنْ غَرَّك من فلان ، أى من أَوْطَأَك عَشْوةً[1] . وفى عَشْوة ثلاث لغات ، يقال : عِشْوة وعَشْوة وعُشْوة . ويقال : أنا غَرِيرُك من فلان أى لن يأتيك منه ما تَغْتَرُّ به . كأنه قال : أنا القَيِّمُ لك بذاك . ويقال : أتانا على غِرَارٍ وغِشَاش ، أى على عَجَلة . ويقال : مانَوْمُه إلّا غِرَار ، أى قليل ، ويقال : غارَّت الناقةُ تُغَارُّ غِرَارا إذا رَفَعَتْ لبنها . والغُرُور مَكَاسر الجلد ، واحدها غَرٌّ ؛ قال دُكَيْن بن رجاء الفُقَيْمِىّ :

كأنَّ غَرَّ مَتْنِه إذ تَجْنُبُهْ سَيْرُ صَناعٍ فى خَرِيز تَكْلُبُهْ

---

(١) يقال : أوطأه عشوة اذا حمله على أن يركب أمرا غير مستبين الرشد فربما كان فيه عطبة ، يريد : من أضلك فى أمر فلان حتى اغتررت به .

يعنى أن تَثْنِىَ الشَّعَرة أو اللِّيفة ثم تُدْخِل السيرَ فى ثِنْى الشَّعرة المَثْنِيَّة ثم تَجْذِبه فتخرج السير مع الشعرة . وزعموا أن رؤبة بن العجّاج اشترى ثوبا من بزّاز فلما استوجبه قال : اطْوِه على غَرِّه ، أى على كُسُور طَيِّه . ويقال : ضَرَبَ نَصْلَه على غِرَارٍ واحد ، أى على مثال واحد ؛ قال الهذلىّ(١) :

سَدِيدُ العَيْرِ لم يَدْحَضْ عليه الـ ... ـغِرَارُ فَقِدْحُهُ زَعِلٌ دَرُوجُ

ويقال : لَيْتَ هذا اليومَ غِرَارُ شَهْرٍ فى الطول ، أى مثال شهر فى الطول . والغِرَاران ما عن يمين النَّصْل وشماله . وغِرَارُ السيف : حَدُّه ؛ قال الأصمعىّ يقال : بَنَى بَنُو فلان بُيوتَهم على غِرارٍ واحد ، أى على سطر واحد . ويقال : غَرَّ الطائرُ فَرْخَه يَغُرُّه غَرًّا إذا زقَّه ؛ وقرأت على أبى بكر للشَّماخ :

ولَمَّـــا رأيتُ الأمْرَ عَرْشَ هَوِيَّةٍ ... تَسَلَّيْتُ حاجاتِ الفُؤاد بِشَمَّرا

قوله : ولما رأيت الأمر عرش هوية ، مَثَلٌ . والعَرْشُ : الخَشَبُ الذى يُطْوَى به أعلى البئر ، قال أبو زيد : البئر المعروشة : التى طُوِيَتْ قدرَ قامة من أسفلها بالحجارة ثم طُوِىَ سائرها بالخشب وحده وذلك الخشب هو العَرْش . قال الأصمعىّ : المعروشة : المطوية بالخشب ، والساقى إذا قام على العَرْش فهو على خَطَرٍ إن زَلِق وقَعَ فى البئر . والهَوِيَّة : البئر ، يقول : لما رأيت الأمر شديدا ركبت شَمَّرَ ، وشمّر اسم ناقته .

[حديث المهلب بن أبى صفرة مع رجل من الخوارج كان مختفيا فى عسكره يريد اغتياله]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد المُهَلَّبىّ قال : قيل للمهلب : إن فلانا عَيْنٌ للخوارج فى عسكرك ، وإنه يَتَكَفَّن بالسلاح إذا دُعُوا للحرب ليغتالك ويلحق بالخوارج ؛ فبعث إليه ، فأُتِىَ به فقال له : قد تَقَرَّر عندنا كَيْدُك لنا ، ولم نُقْدم من أمرك على ماعَزَمْنا عليه إلا بعد ما لم يَدَعِ اليقينُ للشك مُعْتَرَضا ، فاخْتَرْ أىَّ قِتْلة تحب أن أقتلك ؟ فقال : سَيْفٌ

(١) البيت لعمرو بن الداخل وقوله : سديد أى مستقيم . والعير : الناتىء فى وسط النصل ؛ وقوله : لم يدحض أى لم يزلق . والغرار : المثال الذى يضرب عليه النصل . والزعل : النشيط . والدروج : الذاهب فى الأرض .

مُجْهِز أوعَطْفة كريم مُحْتَقِرٍ لضِغْن ذوى الضغائن ، قال : فإنها عطفة كريم محتقر للذنوب ، فَخَلَّى سَبيله ، فكان بعد ذلك من أوثق أصحابه عنده .

وحدّثنا أيضا قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال : أَوْفَدَ المُهَلَّب كعبَ بن مَعْدان الأَشقرىّ[١] حين هَزَمَ عَبْدَ ربه الأَصغرَ وأَجْلَى قَطَرِيًّا حتى أخرجه من كرمان نحو أَرض خراسان ، فقال له الحجاج : كيف كانت محاربة المهلب للقوم ؟ قال : كان إذا وَجَدَ الفُرصة سار[٢] كما يسُوز الليث ، وإذا دَهَمَتْه الطَّحْمة[٣] راغ كما يروغ الثعلب ، وإذا مادّه القوم صَبَر صَبْر الدهر ، قال : وكيف كان فيكم ؟ قال : كان لنا منه إشفاقُ الوالد الحَدِب ، وله منا طاعةُ الولدالبرِّ ، قال : فكيف أَفْلَتَكُمْ قَطَرِىٌّ ؟ قال : كادنا ببعض ماكِدْناه به ، والأَجلُ أَحصن جُنَّة وأَنْفَذ عُدَّة ، قال : فكيف اتبعتم عَبْدَ ربه وتركتموه ؟ قال : آثَرْنا الحَدَّ على الفلِّ ، وكانت سلامةُ الجُنْد أَحبَّ إلينا من شَجَب[٤] العدوّ ، فقال له الحجاج : أكنت أعددت هذا الجواب قبل لقائى ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو حاتم قال : أتيت أبا عبيدة ومعى شِعْر عروة بن الورد فقال لى : ما معك ؟ فقلت : شعر عروة ، فقال : فارِغٌ حَمَلَ شِعْر فقير ليقرأه على فقير ، فقلت له : ما معى غيره ، فأنشدنى أنت ماشئت ، فأنشدنى :

يارُبَّ ظِلِّ عُقاب[٥] قد وَقيْتُ بها	مُهْرِى من الشمس والأَبطالُ تجْتَلدُ
ورُبَّ يوم حمًى أَرْعَيْت عَقْوته	خيْلى اقتصارا وأَطرافُ القَنا قِصَد[٦]
ويَوْم لَهْوٍ لأَهل الخَفْض ظَلَّ بـه	لَهْوِى اصطلاء الوَغَى ونـارُهُ تَقِد
مُشَهَّرا مَوْقِفى والحربُ كاشفةٌ	عنهـا القِناعَ وبَحْرُ الموت يَطَّرِد
ورُبَّ هاجرةٍ تَغْـلِى مراجِلُهـا	مَخَرْتُهـا بمَطَـايا غارةٍ تَخِـد

(١) ورد فى الطبعة الأولى «الأشعرى» بالعين المهملة، وهو تحريف والتصويب عن احـدى النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية وتاريخ الطبرى وتاج العروس مادة «شقر» .

(٢) سار : وثب وثار .

(٣) الطحمة : جماعة الناس . يريد جند العدو .

(٤) الشجب : الهلاك .

(٥) العقاب : الراية .

(٦) القصد كعنب : القطع مما يكسر ؛ واحد قصدة .

تَجْتابُ أَودِيَةَ الأَفزاعِ آمِنَـةً كأَنَّهـا أُسُدٌ تَقْتـادُها أُسُد
فإن أَمُتْ حَتْفَ أَنفى لا أَمُتْ كَمَدًا على الطِّعـان وقَصْرُ العاجـز الكَمَدُ
ولم أَقُـل لم أُسَاقِ الموتَ شارِبَهُ فى كأْسِـه والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ

ثم قال: هذا الشِّعْر! لا ما تُعَلِّلون به أنفسكم من أشعار المَخانِيث! قال أبو بكر: والشعر لقَطَرِىّ بن الفُجَاءة.

[حديث المفضل الضبى وقد دخل على المهدى فاستنشده]

وحدّثنا قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي زيد عن المُفَضَّل الضبىّ قال: دخلت على المهدىّ فقال لى قبل أن أجلس: أنشدنى أربعة أبيات لاتَزِدْ عليهن ـ وعنده عبد الله بن مالك الخزاعىّ ـ فأنشدته:

وأَشْعَثَ قَدْ قَدَّ الشِّفارُ قميصَـه يَجُرُّ شِواءً بالعصا غير مُنْضَج[1]
دعـوت إلى ما نابنى فأَجابنى كريمٌ من الفتيان غَيْرُ مُزَلَّج[2]
فَتًى يَمْلأُ الشِّيزَى ويُرْوِى سِنانَه ويَضْرِب فى رأس الكَمِىِّ المُدَجَّج
فتًى ليس بالراضى بأدنى معيشة ولا فى بيـوت الحَىِّ بالمُتَوَلِّجِ

فقال المهدىّ: هو هذا ـ وأشار إلى عبد الله بن مالك ـ فلما انصرفت بعث إلىَّ بألف دينار، وبعث إلىَّ عبدُ الله بأربعة آلاف درهم.

وقرأت على أبي بكر لعبد الرحمن بن زيد:

يُؤَسِّى عن زِيـادةَ كُلُّ حَىٍّ خَـلِىٍّ ما تأَوَّبَهُ الهمـوم
فلـو كنتُ القتيلَ وكان حَيًّا لَطَالَب لا أَلَفٌّ[3] ولا سَئُوم
ولا هَيَّابَةٌ باللـيـل نِكْسٌ[4] ولا ضَرَعٌ[5] إذا أمسى نَؤُوم
وكيف تجَلُّدُ الأَقـوام عنه ولم يُقْتَـل به الثأْر المُنِيم
غشُومٌ حين يُبْصَر مُسْتَقادٌ وخَيْرُ الطالبى التِّرَة الغَشُوم

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشماخ بن ضرار الغطفانى؛ كما فى ديوانه (ص ٩ طبع مصر).
(٢) المزلج: الرجل الناقص أو الدون.
(٣) يقال: رجل ألف وامرأة لفاء، واللفف: تدانى الفخذين من السمن وهو عيب فى الرجل مدح فى المرأة.
(٤) النكس: الضعيف. (٥) الضرع: الجبان الذليل.

وأنشدنا أبوبكر بن أبى الأزهر مستملى أبى العباس محمد بن يزيد قال : أنشدنا الزبير لأبى الهَيْذام المُرِّى فى أخيه :

سأَبْكِيك بالبِيض الرِّقاق وبالقَنَا ... فإن بها ما يُدْرِكُ الماجدُ الوِتْرا

ولَسْتُ كمن يبكى أخاه بعَبْرة ... يُعَصِّرهـا من جفن مقلته عَصْرا

وإنا أُناسٌ ما تَفيض دُموعُنا ... على هالك منّا وإن قَصَمَ الظَّهْرا

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى :

ولقد رأيتُ مَطِيَّةً معكوسة ... تَمْشِى بكَلْكَلها وتُزْجِيها الصَّبا

ولقد رأيت سَبِيئة من أرضها ... تَسْبِى القلوب وما تُنِيب إلى هَوَى

ولقد رأيت الخيل أو أشباهَها ... تُثْنَى مُعَطَّفةً إذا ما تُجْتَلَى

ولقد رأيت جَوَارِيًا بمفازة ... تَجْرِى بغير قوائم عند الجِرا

ولقد رأيت غَضِيضةً هِرْكَوْلَةً [(١)] ... رُودَ[(٢)] الشَّباب غَرِيرةً عادت فَتى

ولقد رأيت مُكَفَّرا ذا نعمةٍ ... جَهْدُوه بالأعمال حتى قَدْوَنِى

قال أبو العباس : المَطِيَّة المعكوسة : سفينة . والسَّبِيئة من أرضها : خَمْرٌ. والخيل أو أشباهها عنى بها تَصَاوِير فى وسائد. وجَوَارِيا بمفازة ، عَنَى بهن السَّراب . والغَضِيضة الهِرْكَوْلة : امرأة . وعادت ، من العيادة . ومكفّرا ذا نعمة ، عَنَى به السيف .

وأنشدنا أبو بكر بن السراج لعلىّ بن أبى العباس الرومىّ.

خَجِلَتْ خُدود الوَرْد من تَفْضِيله ... خَجَلًا تَوَرُّدُها عليه شاهد

لم يَخْجَل الوَرْدُ المُوَرَّد لونُه ... إلا وناحِلُهُ الفَضِيلَة عاند

للنَّرْجِس الفَضْلُ المُبِين وإن أَبى ... آبٍ وحادَ عن الطريقة حائد

فَصْلُ القضية أن هذا قائد ... زَهَرَ الرياض وأن هذا طارد

شَتَّانَ بين آثنين هذا مُوعِدٌ ... بتَسَلُّب الدنيا وهذا واعد

(١) الهركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية.

(٢) الرود مسهل رؤد المهموز : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء .

وإذا ٱحْتَفَظْتَ به فأَمْتَعُ صــاحبٍ بحيـــاتـــه لـــو أَنَّ حَيًّا خالد
يَنْهى النَّديمَ عن القبيح بلَحْظِه وعلى المدامـة والسماع مساعد
أَطْلُبْ بعيشك فى الملاح سَمِيَّه أبــدا فإنك لا محالة واجد
والوَرْدُ إنْ فَتَّشْتَ فَرْدٌ فى ٱسمه ما فى المــلاح له سَمِىٌّ واحـد
هـــذى النجوم هى التى رَبَّتْهمــا بِحَيَا السحاب كما يُرَبِّى الوالد
فَتَأَمَّل الأَخَوَيْنِ مَنْ أَدنـــاهمـــا شَبَهًا بوالـــده فـذاك المـاجد
أَيْنَ الخدودُ من العيون نفـــاسةً وريـــاسة لولا القياس الفاســـد

وأنشدنى أبو المَيَّاس قال أنشدنى الأخيطل لنفسه بواسط :

سَقْيًا لأَرضٍ إذا ماشئتُ نَبَّهَنى بعد الهُدُوء بها قَرْعُ النَّوَاقِيس
كأنَّ سَـــوْسَنَها فى كل شـارقة على الميادين أَذنــاب الطَّوَاويس

وأنشدنا أبوبكر بن أبى الأزهر قال أنشدنا الزبير :

نجوم وأَقمــــارٌ من الزَّهْـــرطُلَّع لِذِى اللَّهْو فى أكنافها مُتَمَتَّع
تَهاوَى تُثَنِّيها الريـــاح فَتَنْثَنى ويَلْثَم بعضٌ بعضَهـا ثم ترجـع
كأَنَّ عليها من مُجاجة طَلِّهـــا[(١)] لآلئ إلا أنها هى أَلْمَـــــع
ويَجْحُدُ رهـا عنها الصَّـــبا فكأنها دُموعُ مَرَاها البَيْنُ والبين يفجَع

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو عثمان عن سعيد بن مَسْعدَةَ الأخفش قال : ٱعتذر رجل من العرب إلى بعض ملوكهم فقال : إن زَلَّتِى وإن دانت قد أحاطت بحُرْمتى ، فإن فَضْلَكَ يُحِيط بها ، وكَرَمَك يُوفِى عليها ، ثم قال :

إنِّى إليك سَلِمْتَ كانت رحلتى أرجو الإله وصَفْحَك المبذولا
إن كان ذنبى قد أحاط بحرمتى فأحِطْ بذنبى عَفْوَك المأمولا

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان قال حدّثنا أبو قلابة الجرمىّ قال : تخلفت

(١) فى النسخة المطبوعة «ظلها» والتصويب عن النسخة المخطوطة .

عن حلْقة العتبىّ أياما ، فكتب إلىَّ : تركْتنا ترْكَ رَجُلٍ أوْحَدَه جُرْمٌ ، أو أغناه عِلْم ، فإن كان عن جُرْم فعن غير إرادة بقلب ولا تعمد بلسان ، وإن كان عن علم غَنِيت به فَتَصَدَّق علينا إن الله يجزى المتصدّقين .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان عن العتبىّ قال : قال عبد الله بن على بعد قتله من قَتَلَ من بنى أمية لإسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاصى : أساءك مافَعَلْتُ بأصحابك ؟ فقال : كانوا يدا فَقَطَعْتَها ، وعَضُدًا ففَتَتَّها ، ومِرَّةً فَنَقَضْتَها ، وركنا فَهَدَمْتَه ، وجناحا فَهِضْتَه ؛ فقال : إنّى لخَليق أن أُلْحِقَك بهم ، قال : إنّى إذًا لَسَعيد .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان عن العتبىّ قال : تَذَاكَر قوم فى مجلس الأحنف الطعامَ والنساءَ ،فقال الأحنف :جَنِّبُوا مجالسكم النساء والطعام ،فإنى أكره للرجل السَّرِىِّ أن يكون وَصَّافًا لبطنه وقد عرف مايَحُور إليه ، ولفرجه وقد علم أين مَجْلِسُه .

[قصيدة السموءل بن عادياء]

قال أبو على : وقرأت على أبى بكر للسَّمَوْءَل بن عادياء اليهودى :

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤْم عِرْضُه ... فكل رداء يرتديه جميـــل
إذا[1] المرء لم يَحْمِلْ على النفس ضَيْمَها ... فليس إلى حسن الثناء سبيـــل
تُعَيِّرنا أنَّا قليلٌ عَدِيدُنـــا ... فقلت لها إن الكرام قليـــل
وما قَلَّ من كانت بَقاياه مِثْلَنـــا ... شَبَابٌ تَسَامَى للعُلَا وكُهُـــول
وما ضَرَّنا أنَّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليـــل
لنا جَبَلٌ يَحْتَلُّه مَنْ نُجيره ... مَنِيعٌ يردُّ الطَّرف وهو كليـــل
رسا أصلُه تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فَرْعٌ لا يُرَام طويـــل
وإنا لَقَوْمٌ ما نرى القتل سُبَّة ... إذا ما رأته عامِرٌ وسَلُول
يُقَرِّبُ حُبُّ الموت آجالَنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطـول
وما مات منا سيد حَتْفَ أنفِه ... ولاطُلَّ[2] منا حيث كان قتيـــل

(١) المشهور فى رواية هذا البيت وان هو لم يحمل بدل اذا المرء لم يحمل .
(٢) طل : لم يؤخذ له بثار .

قال أبو على وهذا مثل قول عمرو بن شأس :

« لَسْنَا نموت على مضاجعنـا … بالليل بل أَدْوَاؤُنا القتـل »

تَسِيل على حَدِّ الظُّبَات نفوسُنا … وليست على غير السيوف تَسِيل

صَفَوْنا فلم نَكْدُرْ وأَخْلَصَ سِرَّنا … إناثٌ أطابت حَمْلَنا وفُحول

عَلَوْنا إلى خير الظهور وحَطَّنـا … اوقتٍ إلى خير البطون نُزول

فَنَحْنُ كماء المُزْن ما فى نِصَابنا … كَهامٌ ولافينا يُعَدُّ بَخِيـل

وننكر إن شئنا على الناس قولهم … ولا ينكرون القول حين نقـول

إذا سَيِّدٌ مِنا خَلَا قام سيـد … قَئُول لما قال الكرام فَعُول

وما أُخْمِدَتْ نارٌ لنا دون طارق … ولا ذَمَّنا فى النازلين نزيـل

وأيامنا مشهورة فى عدوّنـا … لها غُرَرٌ معلومة وحُجُـول

وأسيافُنا فى كل غَرْبٍ ومشـرق … بها من قِرَاع الدَّارعين فُلول

مُعَوَّدة أَلَّا تُسَلَّ نُصـولُها … فتُغْمَد حتى يُسْتَبَاح قَبِيـل

سَلِي إن جَهِلْتِ الناس عنا وعنهم … وليس سَواءً عالمٌ وجهـول

فإنَّ بَنِى الدَّيَّان[1] قُطْبٌ لقومهم … تَدُور رَحاهم حَوْلَهم وتَجُـول

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى للفرزدق :

يُفَلِّقْن هامَنْ لم تَنَلْهُ سيوفنا … بأسيافنا هامَ المُلوك القَمَاقِمِ

قال أبو العباس : ها تنبيهٌ والتقدير يفلقن بأسيافنا هام الملوك القماقم ، ثم قال : ها للتنبيه ، ثم قال مستفهما : من لم تنله سيوفنا ؟ . قال أبو بكر : وسمعت شيخا مُنْذُ حِينٍ يَعِيب هذا الجواب ويقول : يفلقن هامًا جمع هامة ، وهام الملوك مردود على هامًا ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ ٱللَّهِ ﴾ فاحتججت عليه بقوله : لم تَنَلْهُ ، وقلت له : لو أراد الهام لقال : لم تنلها ؛ لأن الهام مؤنثة لم يؤثر

(١) الديان : هو يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب الحارثى أبو قطن وكان شريف قومه (راجع تاج العروس مادة دين) .

عن العرب فيها تذكير ، ولم يقل أحد منهم : الهام فَلَقْتُهُ ، كما قالوا : النخل قطعته ، والتذكير والتأنيث لا يعمل قياسا إنما يُبْنَى فيه على السماع واتباع الأثر .

وأنشدنا أبوعبد الله نفطويه قال : أنشدنا أحمد بن يحيي النحوى لمطيع بن إياس الكوفىّ يرثى يحيى بن زياد الحارثىّ :

وينَادُونه وقد صَمَّ عنهم ثم قالوا وللنساء نَحِيبُ
ما الذى غالَ أن تُجِير جوابا أيُّها المِصْقَع الخَطِيب الأديب
فلَئِنْ كنت لاتُجِيرُ جوابا فَبِما قد تُرَى وأنت خطيب
فى مقال وما وَعَظْتَ بشىء مثل وَعْظٍ بالصَّمْت إذ لا تُجِيب

وقرأت على أبى بكر فى أشعار هذيل — ولم أر أحدا يقوم بأشعار هذيل غيره — لأبى خِراش[1] الهُذَلىّ :

حَمِدْتُ إلٰهى بعد عُرْوة إذ نجا خِرَاشٌ وبَعْض الشرّ أهْوَنُ من بعض
فوالله لا أنْسَى قتيلا رزِئْتُه بجانب قَوْسَى[2] مامَشَيْتُ على الأرض
بلَى إنَّها تَعْفُو الكُلومُ وإنما نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإن جَلَّ ما يَمْضِى
ولم أدْرِ من ألْقَى عليه رِدَاءه خَلَا أنه قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحْض
ولم يك مَثْلُوجَ الفُؤاد مُهَبَّجا أضاعَ الشَّبابَ فى الرَّبِيلة والخَفْض
ولكنَّه قد لوَّحَتْه[3] مَخَامِصٌ[4] على أنه ذو مِرَّة صادقُ النَّهْض
كأنهم يَشَّبَّثُون بطائر خَفِيف المُشَاش[5] عَظْمُه غير ذى نَحْض[6]
يُبَادِر قُرْبَ الليل فهو مُهَابِذٌ يَحُثُّ الجناح بالتَّبَسُّط والقبض

(١) واسمه خويلد بن مرة مات زمن عمر بن الخطاب .
(٢) قوسى : بلد بالسراة قتل بها عروة أخو أبى خراش الهذلى ونجا ولده فقال فى ذلك الأبيات المذكورة.
(٣) لوحته : غيرته .
(٤) مخامص : جمع مخمصة وهى خلاء البطن من الطعام جوعا .
(٥) المشاش . العظام اللينة . (٦) النحض . اللحم المكتنز .

قال أبو على : المَثْلُوج : البليد ، ومثله قول الآخر :

* ولٰكِنَّ قلبًا بين جَنْبَيْك بارد *

والمُهَبَّج : المنتفخ ، ويروى : مُهَبَّلا ، وهو الثقيل الجافى . والرَّبِيلة : لخَفْض والدَّعَة ، ويروى : الرَّبَالة ، وهو كثرةُ اللحم لا اللحمُ نَفْسُه . والمُهابِذُ : المُجَاهد فى العَدْو والسَّيْرِ ، ويقال : أَهْذَب وأَهْبَذ إذا اجتهد فى الإسراع .

وقرأت عليه لأبى عطاء السندىّ[1] فى ابن هُبَيْرة :

أَلَا إنَّ عينًا لم تَجُدْ يومَ واسطٍ عليك بجارى دمعها لَجَمُــود

عَشِيَّةَ قام النائحات وشُقِّقَتْ جُيوبٌ بأَيْدِى مَاتَمٍ وخُدود

فإن تُمْسِ مَهْجور الفِناء فربَّما أقام به بعد الوُفُود وُفُود

فإنَّك لم تَبْعُــد على مُتَعَهِّـد بَلَى كلُّ مَنْ تحتَ التراب بعيد

وأملى علينا أبو بكر بن الأنبارى هذه القصيدة لجميل قال : وقرأتها على أبى بكر ابن دريد فى شعر جميل ، وفى الروايتين اختلاف فى تقديم الأبيات وتأخيرها وفى ألفاظ بعض البيوت :

أَلا لَيْتَ أيامَ الصَّفاء تعــود ودهرًا تَوَلَّى يا بُثَيْن جَدِيـــد

فَنَغْنَى كما كُنَّا نكون وأنتمُ صَدِيقٌ وإذ ما تَبْذُلِين زَهِيـد

وما أنْسَ مِلْأَشْياء لا أنْسَ قولها وقد قَرُبَتْ بُصْرَى أَمِصْرَ تُرِيـد

خليلىّ ما أُخْفِى من الوجد ظاهرٌ فدَمْعى بما أُخْفِى الغَداةَ شَهِيـــد

أَلا قد أَرَى والله أن رُبَّ عَبْرةٍ إذا الدار شَطَّتْ بيننا سَتَـرُود

إذا قلت ما بى يا بُثَيْنَـــةُ قاتلى من الحُبِّ قالت ثابتٌ ويَزِيـــد

وإن قلت رُدِّى بعض عَقْلِى أَعِش به مع الناس قالت ذاك منك بعيـــد

فلا أنا مردودٌ بما جئت طالبـــا ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيـــد

(١) كذا فى تاج العروس ، وحماسة أبى تمام . وفى الطبعة الأولى : (السندى)، بدون نون وهو تحريف.

جزَتْكِ الجَوَازِى يابُثَيْن ملامةً إذا ما خليلٌ راح وهْوَ حميد
وقلت لها بَيْنِى وبَيْنَك فاعلمى من الله مِيثاقٌ لنا وعهود
وقد كان حُبِّيكُمْ طَرِيفًا وتالِدًا وما الحُبُّ إلَّا طارفٌ وتليد
وإن عَرُوض[١] الوَصْل بينى وبينها وإن سَهَّلَتْه بالمُنَى لكَئُود
فأفنيْتُ عيشى بانتظارى نَوَالَها وأبْلَتْ بذاك الدَّهْرَ وَهْوَ جديد
فَلَيْتَ وُشاةَ الناس بَيْنِى وبينها تَذُوف[٢] لهم سُمًّا طَماطِمُ سُود

وحدّثنى أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال : أنشدنا أحمد بن عبيد لأمرأة من الأعراب .

لَعَمْرُك ما الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مالٍ ولا شاةٌ تموت ولا بعيرُ
ولكِنَّ الرزيةَ فَقْدُ قَرْمٍ يَمُوت بمَوْتِهِ بَشَرٌ كثير

قال أبو على : وأنشدنيهما بعض أصحابنا وقال فى البيت الأوّل : « هُلْك مال » وقال فى الثانى : « هُلْك مَيْتٍ » و « خَلْقٌ كثير » .

وأنشدنى بعض أصحابنا لعلىّ بن العباس الرومىّ :

خَيْرُ ما آستَعْصَمَتْ به الكفُّ عَضْبٌ ذَكَرٌ حَدُّه أَنِيثُ المَهَزّ
ما تأمّلْتَه بعَيْنَيْك إلَّا أُرْعِشَتْ صَفْحَتاه من غير هَزّ
مثله أفْزَع الشُّجاعَ إلى الدِّرْ عِ فَغَالَى بها على كل بَزّ
ما أُبالى أَصَمَّمَتْ شَفْرَتَاه فى مَحَزٍّ أم جارتَا عن مَحَزّ

[مطلب خطبة المأمون الحارثى فى نادى قومه]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو عثمان عن التَّوَّزِىّ عن أبى عبيدة قال : قَعَد المأمون الحارثىّ فى نادى قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم أَفْكَرَ طويلا ثم قال :

(١) العروض : الطريق فى عرض الجبل فى مضيق يريد الطريق الى وصلها .
(٢) تذوف : تخلط وهى لغة فى تدوف بالدال المهملة . والطماطم : جمع طمطم بكسر الطاء وهو من فى لسانه عجمة ؛ وأراد بالطماطم هنا : الموالى .

أَرْعُونى أسماعَكم ، وأَصْغُوا إلىَّ قلوبَكم ، يَبْلُغ الوعظُ منكم حيث أريد ؛ طَمَحَ بالأهواء الأَشَر ، ورَان على القلوب الكَدَر ، وطَخْطَخَ الجهلُ النظر ، إن فيما نَرَى لمُعْتَبَرًا لمن اعْتَبَر ؛ أرضٌ موضوعة ، وسماءٌ مرفوعة ؛ وشمس تَطْلُع وتَغْرُب ، ونُجُوم تَسْرِى فتَعْزُب ؛ وقَمَرٌ تُطْلِعه النُّحور ، وتَمْحَقُه أَدْبارُ الشهور ؛ وعاجزٌ مُثْر ، وحُوَّلٌ (١) مُكْدٍ ، وشابٌّ مُخْتَضَر ، ويَفَنٌ (٢) قد غَبَر ؛ وراحلون لا يَئُوبون ، ومَوْقُوفون لا يُفَرِّطُون ؛ ومَطَرٌ يُرْسَل بقَدَر ، فيُحْيِى البشر ، ويُورِق الشجر ، ويُطْلِع الثَّمَر ، وينبت الزَّهَر ؛ وماء يَتَفَجَّر من الصَّخْر الأَيَرّ ، فيَصْدَع المَدَر عن أفنان الخُضَر ؛ فيُحْيِى الأَنام ، ويُشْبِع السَّوَام ويُنْمِى الأنعام ؛ إنَّ فى ذلك لأوضح الدلائل على المُدَبِّر المُقَدِّر ، البارئُ المصوِّر . يأَيها العقول النافرة ، والقلوب النائرة (٣) ؛ أَنَّى تُؤْفَكُون ، وعن أىِّ سبيل تَعْمَهُون ، وفى أىِّ حَيْرة تَهِيمون ، وإلى أىِّ غاية تُوفِضُون ؛ لو كُشِفَتِ الأَغْطِيَةُ عن القلوب ، وتَجَلَّتِ الغِشَاوة عن العيون ، لصَرَّح الشَّكُّ عن اليقين ، وأفاقَ من نَشْوةِ الجهالة ، من اسْتَوْلَتْ عليه الضلالة .

قال أبو على : قوله طمح : ارتفع وعلا . ورَانَ : غَلَب ؛ قال عَبْدة بن الطبيب :

أَوْرَدْتُه القومَ قد ران النعاس بهم فقلت إذ نَهِلُوا من جَمِّهِ قِيلُوا

ران بهم : غلب ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ . وطَخْطَخ : أظلم . والمُخْتَضَر : الذى يموت حَدَثًا ، وهو مأخوذ من الخُضْرة ، كأنه حُصِد أخضر .

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان شابٌّ من العرب يَلْقَى شيخا منهم فيقول : اسْتَحْصَدْتَ ياعَمَّاه ! فيقول له الشيخ : يابنَ أخي وتُخْتَضَرون ، فمات الشاب قبل الشيخ بمدّة طويلة . ويُفَرَّطُون : يُقَدَّمون . وقال أبو عبيدة قال الأموىّ : الحَجَر الأَيَرُّ على مثال الأصم : الصُّلْب . وتُوفِضون : تُسْرِعون ، يقال : أَوْفَض يُوفِض إيفاضا إذا أسرع ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ . فأَما يُفِيضون فيَدْفَعُون ، قال الأصمعىّ : يقال أفاض من عرفة إلى مِنًى أى دفع .

[مطلب ما دار بين معاوية بن أبى سفيان وعرابة بن أوس من الحديث]

(١) الحول : الشديد الحيلة المتصرف . (٢) اليفن : الشيخ الكبير .
(٣) النائرة : النافرة .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا الرياشيّ عن العتبيّ عن رجل من الأنصار من أهل المدينة قال : قال معاوية لعَرَابة بن أوس بن حارثة الأنصاريّ : بأىٍّ شيء سُدْتَ قَوْمَك ياعَرَابة ؟ قال : أخبرك يامعاوية بأنى كنت لهم كما كان حاتم لقومه ، قال : وكيف كان ؟ فأنشدته :

وأَصْبَحْتُ فى أَمْرِ العَشِيرة كلِّها ... كذى الحِلْم يُرْضَى مايقول ويُعْرَف

وذاك لأنى لا أعادى سَرَاتَهُم ... ولا عن أخى ضَرَّائِهم أَتَنَكَّف

وإنّى لأُعْطى سائلى ولربما ... أُكَلَّف ما لا أَسْتَطِيع فأُكْلَف

وإنى لمذموم إذا قيل حاتم ... نَبَا نَبْوَةً إنّ الكريم يُعَنَّف

ووالله إنى لأَعْفُو عن سفيههم ، وأَحْلُمُ عن جاهلهم ، وأسعى فى حوائجهم ، وأُعطى سائلهم ؛ فمن فَعَل فِعْلى فهو مثلى ، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل منى ، ومن قَصَّر عن فعلى فأنا خيرمنه ؛ فقال معاوية : لقد صدق الشمّاخ حيث يقول فيك :

رأيت عَرَابة الأَوْسِىَّ يَسْمُو ... إلى الخيرات مُنْقَطِعَ القَرِينِ

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمَجْد ... تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليمين

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنا أبو حاتم :

أَلُوم النائباتِ من الليالى ... وما تَدْرِى اللَّيالى مَنْ أَلُوم

ولٰكِنَّ المَنِيَّة لو أُصِيبت ... بمَصْرَعه هى الثَّأْر المُنِيم

وكان أخى زَعِيم بَنِى حُيَىٍّ ... وكلٌّ قبيلة لَهُمُ زعيم

وكنت إذا الشدائدُ أرهقتنى ... يقوم بها وأقعد لا أقوم

وأنشدنا أبو بكر عن أبى حاتم للعُجَيْر السَّلُولىّ :

تَرَكْنا أَبا الأَضياف فى ليلة الصَّبا ... بمَرٍّ [1] ومِرْدَى كلِّ خَصْم يجادلُهْ

تركنا فتى قد أيقن الجوع أنه ... إذا ما ثَوَى فى أَرْحُل القوم قاتلُه

(١) فى الطبعة الأولى «بمير» وفى شرح الحماسة ج ٢ ص ١٩٣ طبع بولاق «بمرو» وكلاهما تحريف ؛ والتصويب عن معجم البلدان ؛ فقد ذكر ياقوت أن «مرا» اسم موضع على مرحلة من مكة له ذكر كثير فى الحديث والمغازى ويقال له مر الظهران ، واستشهد بهذه الأبيات.

فَتًى قُدَّ قَدَّ السيف لا مُتَضائل ... ولا رَهِلٌ [١] لَبَّاتُه وبآدِلُـه
إذا القوم أَمُّوا بيتَه فهو عامد ... لأَحْسَنِ ماظَنُّوا به فهو فاعله
جَوَادٌ بدنياه بَخِيل بعِرْضه ... عَطُوف على المَوْلَى قليلٌ غَوَائلـه
فتى ليس لأبن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دَمًا فهو آكله
إذا جَدَّ عند الجِدِّ أرضاك جِدُّه ... وذو باطل إن شِئت أَرْضاك باطله
يَسُرُّك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكلُّ الذى حَمَّلْتَه فهو حامله

قال أبو على قال الفراء : البَأْدَلَة : ما بين العنق إلى التَّرْقُوَة وجمعه بآدل ؛ وقال أبو عمرو : واحدها بَأْدَلٌ بغير هاء . وقال قطرب : البآدِل ويقال البَهَادِل : أُصول الثديين .

وقرأت على أبي بكر رحمه الله للحسين بن مطير الأسدىّ :

أَلِمَّا على مَعْن وَقُولا لقبره ... سَقَتْكَ الغَوادى مَرْبَعًا ثُمَّ مربعا
فيا قبر معن أنت أَوَّلُ حُفْرة ... من الأَرض خُطَّت للسماحة مَضْجَعا
ويا قبر معن كيف وارَيْتَ جُودَه ... وقد كان منه البرّ والبحر مُتْرَعا
بَلَى قد وَسِعْتَ الجُود والجودُ مَيِّتٌ ... ولوكان حَيًّا ضِقْتَ حتى تَصَدَّعا
فَتًى عِيشَ فى معروفه بَعْدَ موته ... كما كان بعد السيل مَجْرَاه مَرْتَعَا
ولما مضى مَعْنٌ مضى الجودُ وانقضى ... وأصبح عِرْنِينُ المكارم أَجْدَعا

وقرأت عليه لبعض الشعراء :

ماذا أَحالَ وثِيرةُ بن سِمَاك ... من دَمْع باكيةٍ عليك وباك
ذَهَبَ الذى كانت مُعَلَّقةً بـه ... حَدَقُ العُنَاةِ وأنفس الهُلَّاك

(١) هو من رهل لحمه اذا اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم من غير داء .

قال أبو على : أحال : صَبَّ ، يقال : إنه ليُحِيل الماءَ من البئر فى الحوض أى يَصُبُّ ، وقال لبيد :

* يُحِيلون السِّجَال على السِّجَال *

وقرأت عليه لمسلم بن الوليد :

قَبْرٌ بحُلْوانٍ أَسَرَّ ضَرِيحُه خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونه الأَخطار

نُفِضَت[1] بك الأَحْلاس[2] نَفْضَ إقامة وٱسْتَعْجَلَتْ[3] نُزَّاعَها الأَمصار

فاذهب كما ذَهَبَتْ غَوادِى مُزْنةٍ أَثْنَى عليها السَّهْلُ والأَوعار

سَلَكَتْ بك العَرَبُ السبيلَ إلى العُلَا حتى إذا سَبَق الرَّدَى بك حاروا

وأنشدنى أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيْه النحوىّ قال : أنشدنا عبدالله ابن جُوان صاحب الزيادى ، ولم يسم قائلها ، وأملاها علينا أبو سعيد السكرىّ لأَبى العَتَاهِية فى بعض إخوانه :

وقد كنتُ أغدو إلى قصره فقد صِرْتُ أَغْدو إلى قبره

أَخٌ طالَمَا سَرَّنى ذِكْرُه فقد صرت أَشْجَى لَدَى ذكره

وكنت أرانى غَنِيًّا به عن الناس لو مُدَّ فى عُمْره

وكنتُ إذا جئتُ فى حاجة فأَمرى يَجُوزُ على أَمره

فَتًى لم يَمَلَّ النَّدَى ساعة على عُسْرِه كان أو يُسْره

تَظَلُّ نهارَكَ فى خيره وتأْمَنُ ليلك من شَرِّه

فصار عَلِىٌّ إلى رَبِّهِ وكان عَلِىٌّ فَتَى دهره

أَتَمَّ وأَكْمَلَ ما لم يَزَلْ وأَعظم ما كان فى قَدْره

أَتَتْهُ المَنِيَّةُ مغتالةً رُوَيْدًا تَخَلَّلُ من سِتْره

(١) فى الطبعة الأولى « نقضت .. نقض » بالقاف فيهما وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع بليون سنة ١٨٧٥م.

(٢) الأحلاس جمع حلس ، وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرحل .

(٣) رواية الديوان : «واسترجعت رُوَّادها ..» .

فلم تُغْنِ أجنادُه حَـوْلَـــهُ ولا [المُزْمِعُون على نصره
وخَلَّى القصورَ التي شادهـــا وحَلَّ من القبر في قَعْـــــره
وبُدِّل بالفَرْش بُسْطَ الثَّرَى وطِيبَ نَدَى الأرض من عِطْره
وأصبح يُهْدَى إلى منـــزل عميقٍ تُؤُنِّق في حَفْــــــره
تُغَلَّقُ بالتُّرْب أبوابُــــــه إلى يوم يُؤْذَن في حَشْــــره
أَشَدُّ (١) الجماعة وجدًا به أَشدُّ (١) الجماعة في طَمْره (٢)
فلَسْتُ مُشَيِّعَــه غازيــا أميرًا] يَسِيرُ إلى ثَغْــــره
ولا مُتَلَقِّيَـــــه قافـــلا بقَتْــلِ عَدُوٍّ ولا أســـره
وتُطْرِيـــه أيامُنا الباقيـــات لَدَيْنَا إذا نَحْنُ لم نُطْـــره
فلا يَبْعَدَنَّ أخى ثاويًـــــا فكُلٌّ سَيَمْضِى على إثْـــره

قال الأصمعيّ من أمثال العرب : « خَلِّ سبيل مَنْ وَهَى سِقاؤه » يراد به : من لم يستقم أمره فلا تَعْبأْ به . ويقال : « يَشُوب ولا يَرُوب » مثل للرجل يُخَلِّط . ويقال : « أَذَلُّ مِنْ فَقْعٍ بقَرْقَر » والفَقْعُ : الكَمْءُ الأبيض. والقرقر : القاع الأملس. ويقال : شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبَرِيّ » يراد به الذى يجىء بعد أن فات الأمر .

[مطلب شرح مادة جبأ وجاب]

وقال أبو نصر يقال : قد جَبَأَ عليه الأَسْوَدُ يَجْبَأُ جَبْئًا وجُبُوءًا إذا خَرَج عليه . وجَبَأْت عن كذا وكذا إذا هِبْتَه وارْتَدَعْت عنه ، ومنه قيل : رجل جُبَّأٌ ؛ وقال رجل (٣) من بنى شيبان :

وما أنا من رَيْب المَنُونِ بِجُبَّأٍ ولا أنا من سَيْبِ الإلٰه بآيس

ويقال للمرأة إذا كانت كريهة المَنْظَر لا تُسْتَحْلَى : إنَّهَا لَتَجْبأُ عنها العين .

---

(١) فى النسخة المخطوطة : «أجد» . (٢) الطمر : الدفن .

(٣) هو مفروق بن عمرو الشيبانى يرثى اخوته قيسا والدعاء وبشرا القتلى فى غزوة «بارق» بشط الفيض كما فى اللسان مادة «جبأ» وقبل هذا البيت :

أبكى على الدعاء فى كل شتوة ولهفى على قيس زمام الفوارس

وال حميد بن ثور :

لَيْسَتْ إذا سَمِنَت بجابئةٍ عنها العيونُ كريهةَ المَسِّ

والجَبْأة : خَشَبة الحَذَّاء . والجَبْءُ : الكَمْءُ والجمع جِبَأة ، وقال أبو زيد : الجِبْأةُ منها الحُمْر . والكَمْءُ واحد الكَمْأة . والجَأْب : الحمار الغليظ . والجَأْب : المَغْرة . والجِبا مقصور مكسور : ما جَمَعت فى الحوض من الماء . والجَبَا مفتوح مقصور : ماحَوْل البئر . والجَبْءُ نُقْرة فى الجبل تُمْسك الماء .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : كان عبد الله ابن عامر بن كُرَيز من فتيان قريش جودا وحياء وكرما ، فدخل أعرابى البصرةَ فسأل عن دار ابن عامر فأُرْشِد إليها ، فجاء حتى أناخ بفِنائها فاشتغل عنه الحاجب والعبيد ، فبات القَفْرَ ، فلما أصبح ركب ناقته ووقف على الحاجب ، وأنشأ يقول :

كأنّى ونِضْوِى عند باب ابن عامر من الجوع ذِئْبا قَفْرةٍ هَلِعانِ
وَقَفْتُ وصِنَّبْرُ الشتاء يَلُفُّنى وقدْ مَسَّ بَرْدٌ سَاعدِي وبَنَانى
فما أوقدوا نارا ولا عَرَضوا قِرًى ولا اعتذروا من عَثْرَةٍ بلسان

فقال بعض شعراء البصريين :

كم مِنْ فَتًى تُحْمَدُ أخلاقُـــه وتَسْكُن العافُون فى ذِمّته
قد كَثَّر الحاجبُ أعــــداءه وأحْقَدَ الناسَ على نعمتــــه

فبلغ ذلك ابن عامر ، فعاقب الحاجب وأمر ألاَّ يُغْلَق بابُه ليلا ولا نهارا .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : كان المغيرة ابن شعبة أعورَ دميما آدَم ، فهجاه رجل من أهل الكوفة فقال :

إذا راح فى قُبْطِيَّةٍ مُتَـــأزِّرا فَقُلْ جُعَلٌ يَسْتَنُّ فى لَبَنٍ مَحْض
فأُقْسِم لو خَرَّت مِنِ اسْتِك بَيْضَــةٌ لماانْكَسَرَتْ مِنْ قُرْب بعضك من بعض

قال أبو بكر فقلت لأبى حاتم : ما أظن أحدا يسبقه إلى قوله : (جعل يستن

فى لبن محض) فقال : بلى ، كان إبراهيم بن عربى والىَ اليمامة ، فصَعِدَ المنبر يوما وعليه ثيابٌ بيض فبدا وجهه وكفاه ، فقال الفرزدق :

تَرَى مِنْبَرَ العبد اللئيم كأنَّمــا ثلاثةُ غِرْبانٍ عليه وُقُـــوعُ

قال : فهذا يشبه ذلك وإن لم يَكُنْه . قال أبوحاتم : وخرج نُصَيْب من عند هشام وعليه ثياب بيض ، فنظر إليه الفرزدق فقال :

كأنه لما بدا للنـــــــاس أَيْرُ حِمارٍ لُفَّ فى قِرْطاس

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله .

شَنِئْتُكُمُ حتى كأنَّكم الغَـدْرُ وعِفْتُكُمُ حتى كأنكم الهجــر

وما زلت أرْشُو الدهر صَبْرًا على التى تسوءُ إلى أن سَرَّنى فيــكم الدهر

وأنشدنا أبوعبد الله نفطويه قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيي النحوىّ :

أمَا إذ قد بُلِيتَ بسُوء رَأْىٍ فمالَكَ عند ربك من خَلَاق

ستعلم أن حَرَّ الشِّعْر أمضى وأبلغ فيك من حَرِّ الحِــلاق

سَمُجْتَ فكنت أقبح من شِقاقٍ تُشَاب به الدَّناءة أو نِفــاق

وأَظْلَمَ منك حُرُّ الوجه حتى كأنّ سواده لَيْلُ المِحـــــاق

ولولا وَقْفَةٌ للبين فيهـــــا مَتَاعٌ من وَدَاع واعتنــــاق

وآمـــال مُسَـــوَّفــة لقلنـــا كأنك قد خُلِقْتَ من الفـــراق

وأنشدنا عبد الله بن جعفرالنحوىّ قال أنشدنا أبوالعباس المبرد لعبد الصمد ابن المُعَذَّل يهجو ابن أخيه أحمد :

لو كان يعطى المنى الأعمامُ فى ابْن أَخ أَصْبَحْتَ فى جوف قُرْقُورٍ[1] إلى الصِّين

قد كان هَمٌّ طويلٌ لا يُنَام لــه لو أن رُؤْيتَنــا إياك فى الحِين

فكيف بالصبر إذ أصبحتَ أكثر فى مَجَالِ أعيننا من رَمْلِ يَبْرِيــنِ

(١) القرقور : السفينة .

يا أبغضَ الناسِ فى فَقْرٍ ومَيْسَرة ... وأقْدَرَ الناسِ فى دُنْيا وفى دِين
تِيهُ الملُوك إذا فَلْسٌ ظَفِرْتَ به ... وحِينَ تَفْقِدُه ذُلُّ المَساكِين
لو شاء ربى لأَضْحَى واهبًا لأخى ... بِمَضِّ تُكْلِك أجرا غير ممنون
وكان أَحْظَى له لو كان مُتَّزِرًا[1] ... فى السالفات على غُرْمُولِ عِنِّين
وقائلٍ لِىَ ما يُضْنِيك قُلتُ له ... شَخْصٌ تَرَى عَيْنُه عَيْنى فيُضْنِينى
إن القلوبَ لَتُطْوى منك يابْنَ أخى ... إذا رأتك على مثل السَّكاكِين

وقرأنا على أبى بكر بن دريد لرجل يصف جَمَلا :

تَبَيَّنِ القَرْنَيْن فانْظُرْ ما هما ... أَحَجرًا أم مَدَرًا تراهما
إنك لَن تَذِلَّ أو تَغْشاهما ... وتَبْرُكَ الليل إلى ذَرَاهما

القَرْنَان : اللذان يُبْنَيان على البئر يُعرض عليهما الخشب ، فالبعير يَنْفِر منه أول ما يراه ثم يَذِلُّ حتى يجىء فَيبْرُك عنده من الأُنس به . وذَراهما : كَنَفُهما .
وأنشدنى بعض أصحابنا لعلى بن العباسِ الرومىّ وأهدى قدحا إلى يحيى بن المنجم :

وبَدِيعٍ من البدائع يَسْبى ... كُلَّ عَقْل ويَطَّبِى كلَّ طَرْف
دقَّ فى الحسن والملاحة حتى ... ما يُوَفِّيه واصفٌ حَقَّ وصف
كَفَمِ الحِبِّ فى المَلاحة أو أشْـ ... ـفَى وإن كان لا يُنَاغِى بحَرْف
تَنْفُذ العينُ فيه حتى تراها ... أخطأتْه من رِقَّة المُسْتَشَفِّ
كَهَوَاء بلا هَبَاء مَشُوبٍ ... بضياء أَرْقِقْ بذاك وأَصْفِ
وَسَط القَدْرِ لم يُكَبَّر لجَرْعٍ ... مُتَوالٍ ولم يُصَغَّرْ لرَشْف
لا عجول على العقول جهول ... بل حليم عنهنَّ فى غير ضَعْف
ما رأى الناظرون قدًّا وشكلا ... فارسا مثله على بطن كَفِّ
فيه لَوْزٌ مُعَقْرَبٌ عَطَفَتْه ... حُكَماء الغُيوب[2] أَحْسَنَ عَطْف

---

(١) كذا فى الأصول وقد قيل انه خطأ والصواب «مؤتزر» بالهمز ؛ وذكر الصاغانى فى التكملة أنه صحيح (انظر تاج العروس مادة أزر) وفى المصباح مادة وزر : « واتزرت ؛ لبست الازار وأصله بهمزتين

(٢) كذا بالغين المعجمة فى احدى النسخ المخطوطة بدار الكتب المصرية والطبعة الأولى للأمالى . وفى ديوان ابن الرومى : «القيون» بالقاف والنون .

مثل عَطْف الأَصداغ فى وَجَنَاتٍ ... مِن غَزَالٍ يُزْهَى بحُسْنٍ وظَرْف

وقرأت على أبى بكر بن دريد للمقَنَّع الكِندىّ :

يعاتِبُنِى فى الدَّين قَوْمى وإنَّما ... دُيُونِىَ فى أشياء تُكْسِبهُمْ حمدا

ألم ير قومى كيف أوسِر مَرَّة ... وأُعْسِر حتى تَبْلُغَ العُسْرَةُ الجَهْـدا

فما زادنى الإقْتار منهم تَقَرُّبا ... ولا زادنى فَضْلُ الغِنَى منهم بُعْدا

أَسُدُّ به ما قد أَخَلُّوا وضَيَّعوا ... ثُغُورَ حقوق ما أطاقوا لها سَدًّا

وفى جَفْنَةٍ ما يُغْلَق الباب دونها ... مكَلَّلة لَحْمًا مُدَفَّقــة ثَرْدا

وفى فَرَسٍ نَهْدٍ عَتيقٍ جعلتـــه ... حِجَابا لبَيْتِى ثم أَخْدَمْتُه عبدا

وإن الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عمى لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا

أراهم إلى نصرى بِطَاءً وإن هُمُ ... دَعَوْنى إلى نصر أتيتُهمُ شَدًّا

فإن يأْكلوا لَحْمِى وَفَرْتُ لُحومَهم ... وإن يَهْدِمُوا مَجْدى بَنَيْتُ لهم مجدا

وإن ضَيَّعوا غَيْبِى حَفظْت غُيوبَهم ... وإن هُمْ هَوُوا غَيِّى هَوِيتُ لهم رُشْدا

وإن زَجَرُوا طيرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بى ... زَجَرْتُ لهم طيرا تمر بهم سَعْدا

ولا أَحْمِلِ الحِقْد القديم عليهمُ ... وليس رئيس القوم من يَحْمِلِ الحِقْدا

لهم جُلُّ مالى إن تَتَابَعَ لى غِنًى ... وإن قَلَّ مالى لم أُكَلِّفْهمُ رِفْدا

وإنى لَعَبْدُ الضيف مادام نازلا ... وما شِيمَةٌ لى غَيْرها تُشْبِه العبدا

قال أبوعلى كان أبو بكر بن دريد يقول : كَسَبْت المالَ وكَسَبْته غيرى ، ولايجيز أَكْسَبْته . وغيره يقول كَسَبْت المال وأَكْسَبْته غيرى . وهما عندى جائزان كَسَبْته وأكسبته .

[مطلب قصيدة جحدر التى قالها وهو فى حبس الحجاج]

وأنشدنا أبوبكر عن الأُشنانداني لجَحْدَر وكان لِصًّا مُبِرًّا فأخذه الحجاج فحبسه ؛ فقال فى الحبس :

تَأَوَّبنى فَبِتُّ لها كَنِيعًـــا همومٌ ما تُفَارِقُنى حَـــوَانى
هىَ العُوَّاد لا عُوَّاد قَـــومى أَطَلْنَ عِيادتى فى ذا المكـان
إذا ما قلتُ قد أَجْلَين عَنِّى ثَنَى رَيْعانَهُنَّ عَلَىَّ ثـانى
وكان مَقَرُّ مَنْزِلِهنَّ قلبى فقــد أَنْفَهْنَهُ والهَمُّ آنى
أليس الله يعلم أن قلبى يُحِبُّك أَيُّهـا البَرْقُ اليمانى
وأَهْوَى أن أردّ إليـك طَرْفى على عُدَواءَ (١) من شُغْلى وشانى
نَظَرْتُ وناقتَاى على تَعَـــاد مُطَاوِعَـة الأَزِمَّـة تُرْحَـــلان
إلى نارَيْهما وهُمَا بعيـــدٌ تَشُوقانِ المُحِبَّ وتُوقَـــدان
ومما هاجنى فازددت شوقا بُكاءُ حَمَامَتَيْن تَجَاوَبـــان
تَجَاوبَتَـــا بلَحْنٍ أَعجمىٍّ على غُصْنين من غَرَبٍ (٢) وبان
فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمَى وفى الغَرَبِ اغترابٌ غير دانى
أليس الليــل يجمع أم عمــرو وإيانا فــذاك لنـا تَــــدَانِى
نعَمْ وتَرَى الهــلال كما أراه ويَعْلُوها النَّهـــار كما عَلَانى
فما بَيْنَ التفرقِ غيرُ سَبْع بَقِينَ من المُحَرَّم أو ثمـــانى
فيا أَخَوَىَّ من كَعْبِ بن عمرو أَقِلاَّ اللَّوْمَ إن لم تنفعـــانى
إذا جاوزتما سَعَفَاتِ حَجْرٍ (٣) وأوديةَ اليمامة فَانْعَيَـــانى
وقُولا جَحْدَرٌ أمسى رهينـــا يُحاذِر وَقْع مصقول يَمَـــانى
يحــاذر صَوْلَة الحَجَّاج ظُلْمــا وما الحجاج ظَلَّام لِجَـــانى
إلى قــوم إذا سمعوا بقتــلى بكى شُبَّانُهُمْ وبَكَى الغَوانى
فإن أَهْلِكْ فرُبَّ فَتًى سيبكى عَلَىَّ مُهَذَّبٍ رَخْصِ البنَـــان

---

(١) العدواء كغلواء : الشغل يصرفك عن الشيء . (٢) الغرب : ضرب من الشجر .

(٣) حجر : قصبة باليمامة .

ولم أكُ قد قَضَيْتُ حقوقَ قومى ولا حَقَّ المُهَنَّد والسِّنـــان

قال أبو على المُبِرُّ : الغالب . والكَنيع : المُنْقَبِض . وأنْفَهْنَه : أعْيَيْنه ، وأنشدنى بعض أصحابنا أحسبه قال لأبى العتاهية :

لا تَفْخَـرَنَّ بِلِحْيَـــــة كَثُرت مَنابِتُهـــا طَويلـــه

تَهْـوِى بهـــا هُـوجُ الرِّيا ح كأنَّها ذَنَبُ الحَسِيـــله

قد يُدْرِك الشَّرَفَ الفتى يوما ولِحْيَتُـه قَليـــله

قال أبو على الحَسِيلة : العِجْلة .

(مطلب خطبة عبد الله بن الزبير لما سأل الوفد عن مصعب فأثنوا عليه خيرا)

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبوعثمان عن التَّوَّزىّ عن أبى عبيدة قال : قَدِمَ وَفْد العراق على ابن الزبير وهو فى المسجد الحرام فسلموا عليه فسألهم عن مُصْعَب ، فقالوا : أحسنُ الناس سِيرة ، وأقضاه بحق ، وأعْدَلُه فى حكم ، فلما صلى الجمعة صعِد المنبر فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال :

قد جَرَّبُونى ثم جَرَّبونى من غَلْوَتَيْنِ ومن المِئِين

حتى إذا شابوا وشَيَّبُـــونى خَلَّوْا عِنَـــانى ثم سَيَّبونى

أيها الناس ، إنى سألت الوفد عن مصعب فأحسنوا الثناء عليه وذكروا ما أُحِبُّه ، وإن مُصْعَبًا أطّبَى القلوبَ حتى ما تَعْدل به ، والأهواء حتى ماتَحُول عنه ؛ واستمال الألسن بثنائها ، والقلوبَ بنُصْحها ، والنفوس بمحبتها ، فهو المحبوب فى خاصته ، المحمود فى عامته . بما أطلق الله به لسانه من الخير ، وبَسَطَ يَدَه من البَذْل ، ثم نزل .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال : قدم أعرابى البَصرة فنزل على قوم من بنى العنبر وكان فصيحا ، فكنا نسير إليه فلا نَعْدَم منه فائدة ، فَجُدِرَ ثم بَرَأَ فأتيناه يوما فأنشدنا .

ألم يأْتِها أنى تَلَبَّسْتُ بعدها مُفَوَّفة (١) صَنَّاعُها غَيْرُ أخرقا

(١) كذا فى نسخة ، وفى أخرى مفرقة بالراء بعد الفاء ثم قاف .

وقد كنت منا عاريا قبل لُبسها فكان لِباسِيها أَمَرّ وأَعْلَقَـا

قال أبو على : أعلق : أشد مرارة ، وهذه الكلمة أوّل كلمة سمعتها من أبى بكر ابن دريد ، دخلت عليه وهو يُمْلى على الناس ؛ العرب تقول : هذا أَعْلَق من هذا ، أى أَمَرّ منه ، وأنشدنا :

نَهارُ شَراحيلَ بنِ طَوْدٍ يَريبنى وليْلُ أبى لَيْلَى أَمَرُّ وأَعْلَقُ

أى أشدّ مرارة .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قَدِمَ أعرابى من بنى ضَبَّة البصرة فخطب امرأة من قومه فَشَطُّوا عليه فى المهر ، فأنشأ يقول :

خَطَبْتُ فقالوا هاتِ عشرين بَكْرَةً ودِرْعًا وجِلْبَابًا فهذا هو المَهْر

وثَوْبَيْن مَرْوِيَّيْن فى كل شَتْوةٍ فقلت الزنا خيرٌ من الجرب القَشِر (١)

وأنشدنا أبو بكر بن دريد قال أنشدنى أبو عثمان سعيد بن هارون :

وشَعْثَاءَ غَبْرَاءِ الفروع مُنِيفة بها تُوصَف الحسناء أَوْ هِىَ أَجْمَلُ

دَعَوْتُ بها أبناء ليل كأنهم وقد أبصروها مُعْطِشُون قد انْهَلوا

يصف نارا وجعلها شعثاء لتفرق لَهَبها . وغبراء الفروع لدخانها . والفروع : الأعالى . ومُنِيفة : مرتفعة ، يريد أنها على جبل أو فى مكان عال . وقوله : بها توصف الحسناء ، أى بها تُشَبَّه الجارية ، وذلك أن العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شُعْلة نار أو كأنها بَيْضَة أُدْحِىٍّ . وقوله : دعوت بها أبناء ليل ، يعنى النار دعا بضوئها أبناء ليل ، أى قوما سَرَوْا ليلا فجاروا عن القصد . وقوله : كأنهم وقد أبصروها معطشون ، يعنى أنهم من فَرَحِهم بهذه النار كأنهم قوم كانت عَطِشت إبلهم فأَنْهَلُوا ، أى رَوِيَتْ إبلهم .

* * *

تم الجزء الأول من كتاب الأمالى ويليه الجزء الثانى وأوّله وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعىّ الخ

(١) فى هذين البيتين اقواء وهو اختلاف حركة الروى .

فهرس

الجـــزء الأوّل من كتاب الأمالى